د. محمد زكريا النداف

مسائل الاعتقاد عند الشيعة الاثني عشرية

في ضوء مصادرهم الحديثية

المجلد الثاني

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

مسائل الاعتقاد عند
الشيعة الاثني عشرية
في ضوء مصادرهم الحديثية

تأليف

د. محمد زكريا النداف

المجلد الثاني

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية

النداف ، محمد زكريا
مسائل الاعتقاد عند الشيعة الاثني عشرية في ضوء مصادرهم الحديثية / تأليف محمد زكريا النداف . -
ط ١ - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠١٠ م
٢ مج ؛ ٢٤ سم
تدمك ٨ ٩١٨ ٣٤٢ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - الاثنا عشرية ٢ - الشيعة
أ - العنوان
٢٤٧, ٨



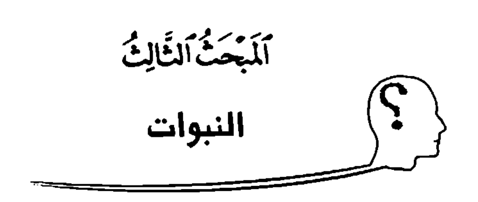
تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المتفرع من شارع نور الدين بهجت - الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد - مدينة نصر
هاتف ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +)
فاكس ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
فاكس : ٢٢٦٣٩٨٦١ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا القاهرة ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت www.dar-alsalam.com

فهرس محتويات المجلد الثاني

(تابع)

* * *



لقد اتفقت كلمة المسلمين على أنه « يجب على كل إنسان الإيمان بجميع الأنبياء، وعدم التفريق بينهم، في مجال الاعتقاد والتصديق بالنبوة، وكذلك التصديق بكل الرسالات والتعاليم النازلة عليهم » (١). ونصوص وجوب الإيمان بالأنبياء الكرام مبثوثة في القرآن والسنة. قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

ويعتقد الإمامية أنه « تجب بعثة الأنبياء؛ لأنهم يقربون الناس إلى الطاعة ويبعدونهم عن المعصية » (٢)، فوجود النبوة واجب لأنه لطف من الله تعالى. وبهذا يوافق الاثنا عشرية المعتزلة القائلين بوجوب إرسال الرسل، غير أنهم يختلفون عنهم في أنهم يقولون بأن هذا الوجوب أوجبه الله تعالى على نفسه، ولذلك فهذا الوجوب يعني (اللزوم) و (استحالة الانفكاك)؛ لأن ذلك مقتضى رحمته ولطفه بعباده (٣).

والذي دعا الإمامية - والمعتزلة من قبلهم - للقول بوجوب إرسال الرسل هو أصلهم في الحسن والقبح العقليين، فما دامت الرسالة أمرًا حسنًا فهي واجبة؛ ولذلك يقول الطوسي: « متى حسنت البعثة وجبت، ولا ينفصل الحسن من الوجوب » (٤).

ويتفق أهل السنة والشيعة على أن النبوة اصطفاء واجتباء من الله تعالى، فليست النبوة إذن استحقاقًا أو مرتبة يبلغها المرء بالرياضة والاجتهاد، خلافًا لمن زعم ذلك من الفلاسفة (٥). فقد بيّن القرآن بما لا يحتمل التأويل أن الرسالة والنبوة بيد الله وحده، يجعلها حيث يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال: ﴿.. وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٢٦٩).

(٢) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٧٨).

(٣) انظر: أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية، د. عائشة المناعي (ص ٣٩٤).

(٤) الطوسي: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد (ص ٢٤٦).

(٥) انظر: أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية، د. عائشة المناعي (ص ٣٩٤).

﴿ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: ٥٩]. وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣].

قال اللقاني:

ولم تكن نبوة مكتسبة ولو رقى في الخير أعلى عقبة [(١)]

عدد الأنبياء:

وعدد الأنبياء والرسل كبير، فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]، ولم يذكر منهم في القرآن إلا خمسًا وعشرين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَۗ.. ﴾ [غافر: ٧٨].

ولكن « ورد في بعض الروايات عن أهل بيت العصمة والطهارة أن الله بعث مائة وأربعة وعشرين ألفًا من الأنبياء، وأن سلسلة الأنبياء تبدأ من آدم أبي البشر عليه السلام وتختم بمحمد بن عبد الله ﷺ... وورد في بعض الروايات أن عدد الرسل الإلهيين ثلاثمائة وثلاثة عشر » [(٢)].

قال عبد الله شبر: « لا أعلم خلافًا فيمن ذكر عدد الأنبياء... ولكن خفيت علينا أكثر أسمائهم، ولم نحط بمجمل أحوالهم » [(٣)].

وقد ورد هذا العدد ذاته في بعض روايات أهل السنة، كما في مسند الإمام

---

(١) جوهرة التوحيد (ص ٢٨٧).

والمخالف في هذا الفلاسفة، فقد نقل عنهم علماء الكلام أن « النبوة مكتسبة فإذا تفرغ صفى قلبه عندهم وفاض على قلبه من جنس ما فاض على الأنبياء ». انظر: ابن تيمية جامع الرسائل (٣٣٧/١). « ويلزم على قولهم باكتسابها تجويز نبي بعد سيدنا محمد ﷺ أو معه، وذلك مستلزم لتكذيب القرآن والسنة فقد قال تعالى: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال ﷺ: « لا نبي بعدي » أخرجه الترمذي. انظر: الباجوري: شرح جوهرة التوحيد (ص ٢٨٧).

(٢) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٢٧٠)، وانظر: عبد الله شبر: حق اليقين (ص ١٢٩)، وانظر الرواية في بحار الأنوار (٢٨/١١).

(٣) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٢٩).

أحمد رحمه الله تعالى. ولكن بسند ضعيف (١)، وهذا الاتفاق بين رواية أهل السنة ورواية الاثني عشرية غير مستغرب، ما دام أمر عدد الأنبياء بعيدًا عن أمور الخلاف العقدي كمسألة الإمامة وما لاصقها.

طبقات الأنبياء:

قال أبو عبد الله عليه السلام: « الأنبياء والمرسلون على أربع طبقاتٍ، فنبيٌّ منبأٌ في نفسه لا يعدو غيرها، ونبيٌّ يرى في النّوم ويسمع الصّوت ولا يعاينه في اليقظة ولم يبعث إلى أحدٍ وعليه إمامٌ مثل ما كان إبراهيم على لوطٍ عليه السلام، ونبيٌّ يرى في منامه ويسمع الصّوت ويعاين الملك وقد أرسل إلى طائفةٍ، قلّوا أو كثروا، كيونس قال اللّه ليونس: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٧] قال: يزيدون ثلاثين ألفًا وعليه إمامٌ، والّذي يرى في نومه ويسمع الصّوت ويعاين في اليقظة وهو إمامٌ مثل أولي العزم، وقد كان إبراهيم عليه السلام نبيًّا وليس بإمامٍ حتّى قال اللّه: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤] من عبد صنمًا أو وثنًا لا يكون إمامًا » (٢).

وهكذا تقرر الروايات أن الإمامة لا بد أن تلازم النبوة، بشخص مستقل كما في معظم الأنبياء، أو في الرسول أو النبي نفسه، كما هو الحال في أولي العزم من الرسل، وهو فهم اختص به الاثنا عشرية.

أولو العزم من الرسل:

قال شبر: لا خلاف بين أصحابنا في كون أولي العزم من الأنبياء خمسة، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسيدنا محمد، عليهم الصلوات والسلام (٣).

وقد ذكر اليزدي أن « الميزة التي يتميزون بها إضافة إلى الصبر والاستقامة المتميزة التي تمتعوا بها، وأشير إليها في القرآن الكريم هي أن لكل واحد منهم كتابًا وشريعة مستقلة،

---

(١) عن أبي أمامة رضي الله عنه: قال: قلت: يا نبي اللّه! فأي الأنبياء كان أول؟ قال: « آدم عليه السلام » قال: قلت: يا نبي اللّه! أو نبي كان آدم؟ قال: « نعم، نبي مكلّم، خلقه اللّه بيده ثم نفخ فيه روحه ثم قال له: يا آدم قبلًا ». قال قلت: يا رسول اللّه! كم وفّى عِدّةُ الأنبياء؟ قال: « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا ». وقال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدًا. مسند الإمام أحمد (٥/٢٦٥)، رقم (٢٢٣٤٢).

(٢) الكليني: أصول الكافي، كتاب الحجة، باب طبقات الأنبياء والرّسل والأئمّة عليهم السلام.

(٣) عبد اللّه شبر: حق اليقين (ص ١٣٢).

وقد اتبع شريعته الأنبياء المعاصرون له أو المتأخرون عنه، حتى يبعث نبي آخر من أولي العزم بالرسالة، ويأتي بكتاب وشريعة جديدة » [١]. وقد جاءت نصوص الأئمة تؤيد هذا المعنى:

عن ابن أبي يعفورٍ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: « سادة النّبيّين والمرسلين خمسةٌ، وهم أولو العزم من الرّسل وعليهم دارت الرّحى: نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّدٌ ﷺ وعلى جميع الأنبياء » [٢].

وعن سماعة بن مهران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عز وجل: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ.. ﴾ [الأحقاف: ٣٥]؟ فقال: « نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهم، قلت: كيف صاروا أولي العزم؟ قال: لأن نوحًا بعث بكتاب وشريعة، وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه، حتى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف، وبعزيمةِ ترك كتاب نوح لا كفرًا به، فكل نبي جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه وبالصحف، حتى جاء موسى بالتوراة وشريعته ومنهاجه، وبعزيمة ترك الصحف، وكل نبي جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه، حتى جاء المسيح عليه السلام بالإنجيل؛ بعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه، فكل نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه، حتى جاء محمد ﷺ فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهؤلاء أولو العزم من الرسل عليهم السلام » [٣].

العلاقة بين النبوة والرسالة:

قال أهل السنة: « النبوة مأخوذة من النبأ بمعنى الخبر »، « والرسالة بمعنى تكليف الله لأحد من عباده بإبلاغ الناس بشرع »، والقول المشهور [٤] عند أهل السنة: وجود التفريق بين النبي والرسول، فالقاعدة تقول: « كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا » [٥]. فكلاهما أوحي إليه، ولكن الرسول كلّف بالتبليغ، والنبي لم يكلف به.

---

(١) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٢٧٢).

(٢) أصول الكافي (١/٢٢٨، ٢٢٩) كتاب الحجة، باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام.

(٣) أصول الكافي (٢/٢١) كتاب الإيمان والكفر، باب الشرائع. قال محققه: والحديث موثق.

(٤) إذ هناك من يرى أن كلا الكلمتين مترادفتان. انظر: د. مصطفى الخن: مبادئ العقيدة الإسلامية (ص ١٩٧).

(٥) انظر: د. مصطفى الخن: مبادئ العقيدة الإسلامية (ص ١٩٧).

وهذا التفريق بين النبوة والرسالة وارد عند الاثني عشرية أيضًا، ويضيفون له منصب الإمامة، وهو منصب لا يتناوله أهل السنة:

قال عبد الله شبر: « الأنبياء فيهم من جمع النبوة والرسالة والإمامة كنبينا ﷺ كما قال تعالى: ﴿.. وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ.. ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وكموسى... وكإبراهيم عليه السلام قال الله فيه: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: ١٢٤] »[١].

و « قال بعض المحققين: النبي من أوحي إليه بالعمل، والرسول من أوحي إليه بالعمل والتبليغ، والولي من حدثه الملك أو ألهم إلهامًا، والإمام من حدثه الملك بالعمل والتبليغ، فكل رسول نبي ولا عكس، وكل رسول أو نبي أو إمام فهو ولي ومحدّث ولا عكس، وكل رسول إمام ولا عكس، ولا نبي إلا وولايته أقدم على نبوته، ولا رسول إلا ونبوته أقدم على رسالته، ولا إمام إلا وولايته أقدم على إمامته »[٢].

وهكذا نرى أن كتب عقائد الشيعة تحشر الحديث عن الأئمة والأولياء مع الحديث عن الرسل والأنبياء!

وقد جاء في روايات الاثني عشرية تفصيلهم بين النبي والرسول والمحدّث، بمعايير أخرى تبين الفرق بينهم:

عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١] ما الرّسول وما النّبيّ؟ قال: النّبيّ الّذي يرى في منامه ويسمع الصّوت ولا يعاين الملك، والرّسول الّذي يسمع الصّوت ويرى في المنام ويعاين الملك. قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصّوت ولا يرى ولا يعاين الملك، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢] [**ولا محدّثٍ**] »[٣]. وهكذا ضمّت الرواية كلمة (محدّث) إلى الآية، وهو تحريف واضح، ومثله كثير في أصول الكافي.

ورغم أن هذا النص يبين وقوع شيء من الصلة بين الإمام والملائكة، ولكن الإمامية يرون أن الأنبياء يختصّون بالوحي دون باقي البشر؛ ولذلك يقول المفيد: « من يزعم أن أحدًا بعد نبينا ﷺ يوحى إليه فقد أخطأ وكفر »[٤]. فهل يعني هذا التنازل عن عدد

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٣٠).

(٢) المصدر السابق (ص ١٣٤).

(٣) أصول الكافي (١/٢٣٠) كتاب الحجة، باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث.

(٤) أوائل المقالات (ص ٧٦).

لا يستهان به من الروايات التي تؤكد أن الإمام يسمع صوت الملك، ويوحي الملك إليه بعلوم جليلة، وتدعي بعد ذلك روايات أخرى تسطير هذه العلوم في كتب خاصّة عند الأئمة، كمصحف فاطمة والجفر.. إلخ؟!

وإذا كان الخوض في معنى النبوة والرسالة من فضول القول، ومما لا ينبى عليه عمل، فإن بعض متكلمي الاثني عشرية خاضوا في مسألة أغوَر وأغوَص، وهي التفضيل بين النبوة والرسالة والإمامة والولاية، فأدخلوا أنفسهم في متاهات لا طائل منها ولا فائدة. قال عبد اللّه شبر: « الولاية باطن النبوة، والإمامة والنبوة باطن الرسالة، وباطن كل شيء أشرف وأعظم من ظاهره؛ لأن الظاهر محتاج إلى الباطن والباطن مستغن عن الظاهر... فإن كلًّا من النبوة والولاية صادرة عن اللّه ومتعلقة باللّه، وكل من الرسالة والإمامة صادرة عن اللّه ومتعلقة بعباد اللّه، فتكون الأوليان أفضل...

وقيل: بل الأخيرتان أفضل لأن نفعهما متعدّ، ونفع الأولتين مقصور على صاحبيهما، وله وجه، إلا أن التحقيق هو الأول، وكيف ما كان فليس يجب أن يكون الولي أعظم من النبي ولا من الرسول ولا من الإمام، ولا النبي أعظم من الرسول، بل الأمر في الكل على العكس، كما في ولي يتبع نبيًا أو رسولًا أو إمامًا، أو نبي يتبع رسولًا؛ لأن لكل من النبي والإمام مرتبتين وللرسول ثلاث مراتب، وللولي الواحدة، فمن قال: إن الولي فوق النبي فإنما يعني بذلك في شخص واحد، يعني أن النبي من حيث هو ولي أشرف منه من حيث إنه نبي ورسول، وكذلك الإمام من حيث إنه ولي أشرف منه من حيث إنه إمام »[(١)].

وهكذا نجد من علماء الاثني عشرية من يرى الولاية خيرًا من النبوة والرسالة، ولولا أن الرسول يستجمع الخصال الثلاث لما فضّلوه على الولي. وقولهم هذا بتفضيل الولاية على النبوّة والرسالة قول باطل، لا دليل عليه من عقل ولا نقل.

ويجدر القول أن المعتزلة قد خالفوا غيرهم في التفريق بين النبي والرسول، فقالوا: إنهما لفظان لمسمًّى واحد، فكل نبي رسول وكل رسول نبي، « يثبتان معًا ويزولان معًا في الاستعمال، حتى لو ثبت أحدهما ونفي الآخر لتناقض الكلام، وهذا أمارة إثبات كلتا اللفظتين المتفقتين في الفائدة »[(٢)].

وذلك أننا لو حلّلنا لفظ النبوة والرسالة، لرأينا أن النبوة من النبأ، وهي تدل على

(١) عبد اللّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٣٤).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار (ص ٥٦٨).

العلاقة بين النبي ومن نبّأه، أي اللّٰه تعالى، فالعلاقة بين اللّٰه تعالى ونبيه هي النبوة، أما الرسالة، فهي تدل على ما يكون بعد ذلك من إرسال النبي بما أنبأه اللّٰه تعالى إلى الناس، فيكون رسولًا إليهم. فالنبوة علاقة بين اللّٰه والنبي، والرسالة علاقة بين النبي والناس، وإطلاق أحدهما لا ينفي الآخر، وإن من أوهن القول أن يقال في التفريق بينهما أن النبي يوحى إليه بوحي لا يكلّف أن يبلغه الناس! فإذا كان الشرع الحنيف يطلب ممن تعلم علمًا أن يخبر به الناس؛ فكيف بمن أوحى اللّٰه إليه؟! ثم ما فائدة هذا الوحي إن لم ينتفع به البشر؟!

ويعكر على رأي المعتزلة هذا قول اللّٰه تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٢]. فهذا العطف للنبي على الرسول في الآية يدل على المغايرة بين معناهما وينفي احتمال ترادفهما، فقد قرر علماء اللغة أن (العطف يقتضي المغايرة)[١].

ولذلك فإن الزمخشري - وهو اعتزالي المشرب - استدل بالآية على تغاير الرسالة والنبوة، فقال: ﴿ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢] « دليل بيّن على تغاير الرسول والنبي »[٢].

فالتفصيل إذن بين الرسول والنبي: « هو ما عليه جمهور أهل التوحيد، وهناك آراء أخرى في الفرق بين النبي والرسول، لا تخلو أدلّتها من ضعف »[٣].

والحمد للّٰه، فالمسألة ليست من أصول العقيدة، ولا يترتب عليها فائدة تذكر، والسكوت عنها أولى.

صفات الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة السلام -:

وهناك شبه اتفاق بين السنة والشيعة على صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالرسل هم صفوة البشر، وأفضلهم؛ ولذلك ميّزهم اللّٰه تعالى بعدة صفات حتى يقيم بهم الحجة على خلقه.

وقد بيّن اللقاني الأشعري رحمه الله هذه الصفات قائلًا:

وواجب في حقهم أمانة　　　وصدقهم أضف له الفطانة

---

(١) الزبيدي: تاج العروس، باب الهاء، فصل الفاء، مادة فكه، (ص ٨٢٣٤).

(٢) الزمخشري: الكشاف (٤/٣٠١).

(٣) الأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها (ص ٢٧٠).

ومثل ذا تبليغهم لما أتوا ويستحيل ضدها كما رووا
بالمعجزات أيدوا تكرّما وعصمة الباري لكل حتّما (١)

- فواجب في حقهم الصدق والأمانة؛ لأنهم يبلغون رسالة الله تعالى، وقد كان سيدنا محمد ﷺ معروفًا بالصادق الأمين قبل بعثته.

- وواجب لهم الفطانة والذكاء وقوة الحجة حتى يجادلوا أقوامهم ليرشدوهم إلى الحق:

ويمكننا الاطلاع على ما كان عليه الرسل من العلم والفطانة من خلال حوارهم لأقوامهم؛ فقد قال تعالى، مبيّنًا ما جرى بين نوح عليه السلام وقومه من حجاج ونقاش: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢]. وقال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٣]. وفي نقاش إبراهيم عليه السلام مع النمروذ مثال واضح يبين ما كان عليه إبراهيم عليه السلام من فطانة وذكاء، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

- كما ذكروا من صفاتهم: الخلو عن كل منفّر خَلقًا وخُلقًا:

فيستحيل على الأنبياء اتصافهم بالقبائح كالكذب، وكل ما ينفر الناس منهم، « فقد جنبه ﷺ الله ﷻ الفظاظة والغلظة والخلق المشينة وكثيرًا من العلل القبيحة » (٢)، وهو أمر متفق عليه بين المسلمين. وقد أكدته نصوص القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

- كما ذكر شبر في صفات النبي أن يكون « منزهًا عن كل ما يدنسه ويشينه من الغلظة والفظاظة والحسد والبخل ودناءة الآباء وعهر الأمهات » (٣). قال الزنجاني: « المشهور بين الإمامية بل حكي عليه الإجماع أنه يجب تنزيه الأنبياء عن كفر الآباء والأمهات وعهرهن، لئلا يعيَّروا ويعابوا في ذلك، ولئلّا يتنفّر عنهم، فإن ما في الآباء من

---

(١) اللقاني: جوهرة التوحيد، مع شرحها للشيخ الباجوري (ص ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٩٧).
(٢) ابن المرتضى: رسالة في علم الكلام (ص ٦٨)، نصير الدين الطوسي: تجريد الاعتقاد (ص ٢٧٤).
(٣) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٤٥ - ١٤٧).

العيوب يعود إلى الأبناء عرفًا، ولقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩] أي انتقالك من أصلاب الساجدين إلى أرحام الساجدات » [(١)]. وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٨] » [(٢)].

ولكن قال شبر: وعندي في ذلك تأمل، إذ لم يأت دليل عقلي قطعي على اشتراط ذلك، والدليل النقلي إنما صح بالنسبة إلى آباء النبي ﷺ دون سائر الأنبياء، لا سيما الخضر عليه السلام، فالتوقف في ذلك أولى، وأمهات سائر الأئمة عليهم السلام لم يكن في مبدأ أمرهن على الإسلام، نعم الذي يظهر من النقل ويساعده العقل اشتراط كونهن عفيفات طاهرات نجيبات منزهات ومسلمات حين انعقاد النطفة في أرحامهن؛ لأن النطفة لما كانت دائمًا في الأصلاب فينبغي الإسلام، بخلاف الأرحام، والله العالم بحقائق الأمور [(٣)].

هذا؛ ويعتقد أهل السنة أن آباء الأنبياء وأمهاتهم هم أهل الطهارة والعفة، ويتأكد هذا في حق سيدنا محمد ﷺ، وقد رووا عن النبي ﷺ قوله: « **فأنا من خيار إلى خيار** » [(٤)]، وعن علي أن النبي ﷺ قال: « **خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي** » [(٥)]. ولكن لا يشترطون أن يكون آباء الأنبياء على دين الإسلام، فمن باب أولى أن لا يشترطوا هذا في حق أئمة أهل البيت.

---

(١) إبراهيم موسى الزنجاني: عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص ٤٥).

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٤٥ - ١٤٧).

(٤) مجمع الزوائد (٨/٢١٥) جاء في باب في كرامة أصله ﷺ، عن عبد الله بن عمر قال: إنا لقعود بفناء رسول الله ﷺ إذ مرت امرأة فقال رجل من القوم: هذه ابنة محمد، فقال رجل من القوم: إن مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط النتن، فانطلقت المرأة فأخبرت النبي ﷺ فجاء النبي ﷺ يعرف في وجهه الغضب، ثم قام على القوم فقال: « ما بال أقوال تبلغني عن أقوام؟ إن الله ﷻ خلق السموات سبعًا، فاختار العليا منها فسكنها [أ] وأسكن سمواته من شاء من خلقه، وخلق الخلق، فاختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشًا واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم ». رواه الطبراني في الكبير والأوسط إلا انه قال: « فمن أحب العرب فلحبّي أحبهم، ومن أبغض العرب فلبغضي أبغضهم » وفيه حماد بن واقد، وهو ضعيف يعتبر به، وبقية رجاله وثقوا.

(٥) مجمع الزوائد (٨/٢١٥) جاء في باب في كرامة أصله ﷺ، رواه الطبراني في الأوسط. وفيه محمد ابن جعفر بن محمد بن علي، صحح له الحاكم في المستدرك، وقد تكلم فيه، وبقية رجاله ثقات.

وقد ترتب على هذه المسألة خلاف حول قضية تأكيد إيمان والديّ النبي ﷺ وإيمان أبي طالب عم النبي ﷺ والد أمير المؤمنين علي ﷺ:

وجوب الإيمان بإيمان والدي النبي ﷺ وعمه أبي طالب في مذهب الاثني عشرية:

يرى الشيعة أنه « يجب الإيمان بإيمان أبوي النبي ﷺ وأبي طالب، لإجماع الشيعة على ذلك، ورووا الروايات في ذلك من طرق العامة والخاصة ولقوله تعالى: ﴿ .. وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤]، وقد اتفق المخالف والموالف أن أول من آوى النبي ﷺ ونصره أبو طالب ﷺ » [١].

ولكن ثبت أن بعض المشركين أسدوا خدمات للنبي ﷺ بدافع الشهامة أو القرابة، فقد أجاره بعضهم، كمطعم بن عدي، بعد رجوعه ﷺ من الطائف [٢]، فهل يكون من أهل الجنة دون أن يؤمن برسالة النبي؟ وخصوصًا أنه قد جاء في صحيح روايات أهل السنة عن النبي ﷺ، وهو ابن أخي أبي طالب وهو أحرص عليه منا - أن أبا طالب أخف أهل النار عذابًا.

وهذه الآية التي استدل بها الاثنا عشرية وردت في حق المهاجرين والأنصار، فيا ليتهم رعوا حقهم - وقد آووا ونصروا - بمثل ما أرادوا أن يرعوا حق أبي طالب والد أمير المؤمنين علي ﷺ.

ويحاول الاثنا عشرية أن يجيبوا على بعض الإشكالات التي تواجه مذهبهم؛ ككفر آزر والد النبي إبراهيم ﷺ، فيقولون: « أما آزر فلم يكن أبًا حقيقيًا لإبراهيم ﷺ بل كان عمه، وسمي أباه لتربيته إياه، وأبوه تارخ، وأبواه ﷺ عبد الله وآمنة كانا مسلمين، لما ثبت عن أهل البيت خلافًا للعامة [٣] العمياء، وقد رووا أن النبي ﷺ استغفر لهما [٤]، و ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٤٤).

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية (١٣٧/٣).

(٣) مصطلح العامة عند الاثني عشرية: من خالفهم من أهل الملة، كأهل السنة والجماعة.

(٤) الثابت عند أهل السنة أن النبي استأذن ربّه بزيارة والدته، فأذن له، أما الاستغفار لهما فلم يؤذن له به. عن أبي هريرة قال زار النبيّ ﷺ قبر أمّه فبكى وأبكى من حوله، فقال: « استأذنت ربّي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنّها تذكّر الموت ». صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبيّ ﷺ ربّه ﷻ في زيارة قبر أمّه، رقم (١٦٢٢).

لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]، وعبد المطلب جده كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام [!!]، كذلك سائر آبائه إلى إسماعيل كلهم كانوا من أوصيائه، وكذلك أبو طالب كان وصيًّا بعد أبيه عبد المطلب، لم يكن كافرًا ولم يسجد لصنم قط، ولعل إيمانه من ضروريات مذهب الإمامية، ولذا ورد عنهم عليهم السلام: ليس من شيعتنا من لم يقل بإسلام أبي طالب، ولعل إصرار المخالفين وحرصهم على القول بكفر أبي طالب دون سائر أعمام النبي مع تظافر رواياتهم واتفاقهم على أنه آوى النبي ونصره، وقد قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤]، ورووا عنه أشعارًا كثيرة تدل على إسلامه، كقوله في جملة قصيدة:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينًا

ولأجل عداوة أهل البيت عليهم السلام كما اعترف بذلك بعض منصفيهم، وقد أشرنا إلى أن الحق أنه لا يجب الإسلام الدائمي في أمهات النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، كما في شهربانو أم السجاد عليه السلام وأمهات أكثر الأئمة، وإنما يجب إسلامهن حين انعقاد النطفة في الأرحام » اهـ [(١)].

والحقيقة أن بيت الشعر الذي ذكره شبر ورد عند أهل السنة، ولكن ورد بعده:

لولا الملامة أو حذار مسبّةٍ لرأيتني سمحًا بذاك مبينا

ويعتقد أهل السنة أن أبا طالب أهون أهل النار عذابًا، وخفف عنه العذاب لنصرته لنبينا ﷺ، ولم ينج من النار لأنه لم يسلم، فلم ينصر نبينا تدينًا وإيمانًا، إنما حمية وشهامة لقرابته منه، وفي أحاديث أهل السنة الصحيحة أن أبا طالب « أهون أهل النار عذابًا » [(٢)]: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: « **لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه** » [(٣)]. وفي رواية عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: « **هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك**

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٧٧).

(٢) أخرج مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابًا رقم (٢١٢)، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: « أهون أهل النار عذابًا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه ».

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة أبي طالب رقم (٣٦٧٢)، ومسلم في الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب رقم (٢١٠).

الأسفل من النار » (١).

أما آزر فعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: « يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب! إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار » (٢).

وهكذا فلا يعلو فوق العقيدة أحد، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

ومن اتباع الأماني أن شبر عدّ آباء النبي ﷺ من الأوصياء، في حين اكتفى الصدوق بإثبات إسلامهم، فقال: « اعتقادنا في آباء النبي ﷺ اعتقادنا فيهم أنهم مسلمون » (٣).

أما أبو طالب؛ فشبّر يقول بوصايته، في حين أن نص الأئمة يكتفي بإثبات إسلامه لا إيمانه ولا وصايته.

أما اشتراط إسلام أمهات الأئمة فقط حين انعقاد النطفة، فإن الذي دعا الشيعة إلى الاكتفاء بها هو الواقع التاريخي الذي أثبت أن بعضهن كان على الكفر قبل الإيمان، كوالدة زين العابدين، وهي الفارسية التي كانت وآباؤها على دين المجوس، ولولا هذا لأثبتوا للأمهات العصمة التي أثبتوها لفاطمة ﵂.

وأحب أن نؤكد أننا لا نريد تأثيم أحد ولا تكفير أحد، ولكن المسألة عند أهل السنة مسألة موضوعية وإحقاق حق، فلو ثبت عندنا نصوص بإيمان أبي طالب لقلنا به، ولكن

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قصة أبي طالب رقم (٣٦٧٠). ومسلم في الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب رقم (٢٠٩). والضحضاح: قريب القعر، بعكس العميق والغمر. جاء في لسان العرب (٤١٩/١٠) مادة (د. ر. ك): « والضَّحضاح أريد به القليل من العذاب مثل الماء الضحضاح الذي هو ضد الغمر، وقيل لأعرابي: إن فلانًا يدعي الفضل عليك فقال: لو كان أطول من مسيرة شهر ما بلغ فضلي، ولو وقع في ضحضاح لغرق. أي لو وقع في القليل من مياه شرفي وفضلي لغرق فيه ».

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥] رقم (٣١٧٢). قال الدكتور مصطفى البغا محقق صحيح البخاري: (بذيخ): الذيخ ذكر الضبع الكثير الشعر، أري أباه على غير هيئته ومنظره ليسرع إلى التبرؤ منه. (متلطخ): متلوث بالدم ونحوه.

(٣) الشيخ المفيد: تصحيح اعتقادات الصدوق (ص ١٢١).

وجدنا من النصوص ما يعارض هذا الإيمان.

ويعلم اللّه تعالى أننا نحب أن يدخل الناس جميعًا في جنان الخلد، ولكن اللّه - تعالى - جعل للجنة شروطًا أهمها الإيمان وعدم الشرك والكبر، فلا نحكم بجنة ولا نار إلا لمن أثبته لنا النص الصحيح المعصوم في القرآن والسنة الصحيحة.

وما لم يرد فيه نص صريح فالأولى التوقف فيه، وإن كان المرتضى من مذهب أهل السنة في أبوي النبي ﷺ أنهما ناجيان لأنهما من أهل الفترة [(١)]، وهناك أقوال أخرى، والأولى التوقف في مثل هذه المسألة، وعدم الجري وراء العواطف فيها.

العصمة في حق الأنبياء:

أوجب السنة والشيعة في حق الأنبياء الكرام العصمة من الذنوب والمعاصي، و « العصمة عبارة عن قوة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادرًا على المعاصي كلها كجائز الخطأ، وليس معنى العصمة أن اللّه يجبره على ترك المعصية، بل يفعل به ألطافًا يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها، كقوة العقل وكمال الفطانة والذكاء ونهاية صفاء النفس وكمال الاعتناء بطاعة اللّه تعالى » [(٢)].

وقد تفضّل اللّه تعالى على الرسل والأنبياء عليهم السلام بالعصمة ليكونوا قدوة للبشر، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وهذه العصمة متفق عليها بين الطائفتين [(٣)]. فالأنبياء « معصومون من الذنوب كبيرها وصغيرها، قبل النبوة وبعدها، ولا يصدر منهم ما يشين لا عمدًا ولا سهوًا » [(٤)]. يقول المفيد عن النبي ﷺ: « **لم يعص اللّه ﷻ منذ خلقه ﷻ إلى أن قبضه، ولا تعمد له خلافًا، ولا أذنب ذنبًا على التعمد ولا على النسيان، وبذلك نطق القرآن وتواتر الخبر عن آل محمد** ﷺ وهو مذهب جمهور الإمامية » [(٥)].

وإذا كانت نصوص القرآن الكريم تذكر لنا استغفار بعض الأنبياء عليهم السلام، وهذا

---

(١) انظر: شرح جوهرة التوحيد للباجوري (ص ٤٤).

(٢) عبد اللّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٣٥).

(٣) قارن هذه الصفات عند عبد اللّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٤٥ - ١٤٧).

(٤) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٧٨).

(٥) المفيد: أوائل المقالات (ص ٦٨). وانظر: المرتضى: تنزيه الأنبياء (ص ٢، ٣). وانظر: محمد جواد =

يورث إشكالًا فكريًا يتعارض في الظاهر مع اعتقادنا بعصمتهم عليهم السلام. فقد بيّن اليزدي حل ذلك الإشكال قائلًا: « يعتبرون أي توجّه والتفات منهم لغير معبودهم ومحبوبهم ذنبًا كبيرًا، ومن هنا يقفون موقف الاستغفار والاعتذار » (١).

وقد دار حول مسألة العصمة نقاش كبير:

- إذ يضيف الشيعة إلى الأنبياء عصمة الأئمة، وخصوصًا أئمة آل البيت الاثني عشر، قال الشيخ المفيد: « الأنبياء والأئمة من بعدهم معصومون حال نبوتهم وإمامتهم من الكبائر كلها والصغائر » (٢)؛ وبهذا نلاحظ أن الشيعة تضيف إلى عصمة الأنبياء عصمة الأئمة؛ لأنهم ينظرون إليهم على أنهم مبلغون عن النبي ﷺ، وقد ردّ جمهور المسلمين هذا الرأي؛ لأنهم اختلفوا منذ البداية مع الإمامية في ماهية الإمام ووظائفه - كما سنبين في الحديث عن العقائد الخاصة بالشيعة - فهذا القاضي عبد الجبار من المعتزلة يبين علة عصمة النبي، فيقول: « وإنما وجبت عصمته؛ لأنه حجة فيما يتحمله من الرسالة، فلا بد من كونه معصومًا، وليس كذلك الإمام؛ لأن الذي يقوم به ليس حجة فيه... وإنما ينفّذ الحدود والأحكام كالأمراء » (٣).

- ومع أن أهل السنة يؤكدون عصمة الأنبياء، فإن كتب الشيعة محشوة باتهام أهل السنة بمخالفة هذا: فقد افترى ابن المطهر الحلي أن أهل السنة يرون « أن الأنبياء غير معصومين، بل قد يقع منهم الخطأ والزلل والفسوق والكذب والسهو وغير ذلك » (٤). وقال أيضًا بكل فظاظة: « وذهب جميع من عدا الإمامية والإسماعيلية إلى أن الأنبياء والأئمة غير معصومين، فجوّزوا بعثة من يجوز عليه الكذب والسهو والخطأ والسرقة، فأي وثوق يبقى للعامة في أقاويلهم » (٥). مما استدعى أن يردّ عليه ابن تيمية رحمه الله في كتابه (منهاج السنة) الذي ألّفه ردًا على كتاب ابن المطهر (منهاج الكرامة).

= مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٧٨)، محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٢٢٨، ٢٢٩).

(١) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص٢٤٢، ٢٤٣).

(٢) المفيد: تصحيح الاعتقادات (ص ١٠٦).

(٣) المغني (ج ٢٠)، القسم الأول (ص ٧٥، ٧٦). وانظر: د. عائشة المناعي: أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية (ص ٤٤٤).

(٤) ابن مطهر الحلي (الحسن بن يوسف ٧٢٦هـ): منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، تحقيق عبد الرحيم مبارك، (ط١)، مؤسسة عاشوراء للتحقيقات قم (ص ٣٢).

(٥) ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة (ص ٤٧).

وتبع الحلي أيضًا محمد جواد مغنية – أحد دعاة التقريب! – إذ يقول: « وقال السنة تجوز الذنوب على الأنبياء الكبائر منها والصغائر قبل أن يصبحوا أنبياء، أما بعد النبوة فلا يجوز عليهم الكفر ولا تعمد الكفر، وتجوز عليهم الصغائر عمدًا وسهوًا، والكبائر سهوًا لا عمدًا » (١). وكأن الكاتب لم يطلع على قول الإمام النووي: « أرسل بفضله ﷺ الرسل، وتولاهم بعصمته إياهم عما لا يليق بهم، فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها، منزهون عن كل منفّر طبعًا، كالجذام والعمى، يأكلون ويشربون وينكحون » (٢).

والحقيقة أن بعض كتّاب الاثني عشرية أخذوا بعض الأقوال التي لم يستقر عليها الرأي عند أهل السنة، فرموهم بها، وقد بيّن كمال الدين الأندكاني (ت ٧٧٧هـ) الماتريدي مذاهب المسلمين في قضية عصمة الأنبياء قائلًا: « وأما الصغائر: فالأنبياء معصومون منها بعد البعثة خلافًا للخوارج أيضًا (٣)، وما يروى (٤) عن بعض مشايخ أهل السنة والجماعة من أن الأنبياء غير معصومين من الصغائر، وهي التي تكون عن قصد ودون الكبيرة، كالنظر إلى وجه الأجنبية عن قصد شهوة، احترازًا عن مذهب المعتزلة وتحقيقًا لمخالفتهم – فليس بشيء؛ لأن الدليل الصحيح إذا دل على صحة المدلول لا يضر موافقة المعتزلة وغيرهم. أما قبل البعثة فيحتمل أن يجوز عندنا خلافًا للمعتزلة (٥)، بخلاف الكبيرة فإنها لا تجوز على الأنبياء قبل البعثة كما لا تجوز بعدها » (٦).

فهذا الذي استقر عليه الأمر في مذهب أهل السنة والجماعة، فعلام المزايدة على أهل السنة؟

---

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٧٨).

(٢) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ): المقاصد (ص ١١)، (ط١)، (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) دار الغزالي – دمشق.

(٣) ذكر البزدوي هذا القول لبعض الخوارج. انظر: أصول الدين (ص ١٦٧).

(٤) لاحظ صيغة التضعيف.

(٥) جاء في شرح الأصول الخمسة (ص ٥٧٥): « فأما الصغائر التي لا حظّ لها إلا في تقليل الثواب دون التنفير، فإنها مجوزة على الأنبياء، ولا مانع يمنع منه؛ لأن قلة الثواب مما لا يقدح في صدق الرسل ولا في القبول منهم ». وانظر: مقالات الأشعري (١/٢٩٧).

(٦) الأندكاني: صدق الكلام في علم الكلام، رسالة ماجستير تحقيق الأستاذ الفاضل حافظ عاشور حافظ عبد الحليم (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) كلية دار العلوم (ص ٥٢٣).

ولماذا لا يذكر كتّاب الاثني عشرية أن في بعض رواياتهم ما يناقض عصمة الأنبياء، ومن ذلك هذه الرواية:

عن أبي جعفر قال: « إن اللَّه ﷻ أوحى إلى داود عليه السلام: أن ائت عبدي دانيال، فقل له: إنك عصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك... فلما كان في السحر قام دانيال فناجى ربه فقال: فوعزّتك لئن لم تعصمني لأعصينك، ثم لأعصينك، ثم لأعصينك » [1].

ومعلوم أن الشيعة تعتقد بعصمة الإمام، فكيف بهذه الرواية التي تطعن في عصمة أحد الأنبياء؟ فهي تزعم أن نبيًّا من أنبياء اللَّه يخاطب ربه بهذا الخطاب ويثبت لنفسه إمكانية المعصية، مع أن العصمة توجب الحفظ من كل المعاصي، وتجعل طروء المعصية ممتنعًا ومستحيلًا شرعيًّا.

وقريب من هذه الرواية تلك التي تزعم أن النبي ﷺ لم تستجب دعوته لعدم حضور نيّته، وهو أمر لا يتوقع في حقه ﷺ، ولا يليق بجنابه الشريف:

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: « لما استسقى رسول اللَّه ﷺ وسقي الناس حتى قالوا: إنه الغرق. وقال رسول اللَّه ﷺ بيده وردّها: « **اللّهم حوالينا ولا علينا** ». قال: فتفرق السحاب، فقالوا: يا رسول اللَّه! استسقيت لنا فلم نسق ثم استسقيت لنا فسقينا؟ قال: « **إني دعوت وليس لي في ذلك نية، ثم دعوت ولي في ذلك نية** » [2].

وهاتان الروايتان تذكّر بالمعتقدات اليهودية التي لا ترى العصمة في الأنبياء الكرام، وتتهمهم بارتكاب المعاصي [3]، في حين أكدت فرقة الفريسيين من اليهود عصمة الحاخامات في التلمود، وأقوالهم صادرة عن اللَّه « فإذا قال الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى، أوالعكس؛ فصدق قوله ولا تجادله » [4]!

إننا لن نتناسى الروايات الواضحة التي تؤكد عصمة الأنبياء عند الاثني عشرية، ولكن نذكرهم بأن عندهم من المرويات ما يناقض ذلك. وإننا لن نؤاخذهم عليها ما داموا يتبرأون منها، أو يؤولونها، ولكن ننصحهم ألا يتهموا غيرهم بما يبرئون أنفسهم منه.

---

(١) الكافي (٢/٣١٦) كتاب الإيمان والكفر باب التوبة.

(٢) أصول الكافي (٢/٤٤٥) كتاب الدعاء باب الإقبال على الدعاء. قال محققه: والحديث حسن كالصحيح.

(٣) انظر: وندلسن عقيدة الشيعة (ص ٣٢٤).

(٤) د. شلبي: اليهودية (ص ١٩٦، ١٩٧).

هل عصمة الأنبياء تقتضي عدم السهو والنسيان؟

وقد كان متقدمو الإمامية كالصدوق مع قولهم بعصمة الأنبياء والأئمة ينكرون على من يعتقد باستحالة السهو والنسيان على الأنبياء والأئمة، وكانوا يقولون: « أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي والإمام ». وإن كان الاثنى عشرية قد ساووا بين الإمام والنبي في مسألة السهو وعدمها؛ فإن الإمام الرضا يصف الإمام فيقول: « والإمام يولد ويلد ويصح ويمرض ويأكل ويشرب، ويبول ويتغوط وينكح وينام وينسى ويسهو.. ». وهذا نص موجود في عيون أخبار الرضا للصدوق [(١)]، وهكذا رواه المجلسي في بحار الأنوار [(٢)]. ولكن عبد الله شبر ينقل النص عن عيون أخبار الرضا للصدوق نفسه، ويضيف إليه (لا) مرتين فيصبح النص: (ولا ينسى ولا يسهو) [(٣)]. قد فعل مثله هاشم البحراني في ينابيع المعاجز [(٤)]. وهذا تحريف واضح، يثبت استمرار حركة التغيير والتبديل في روايات الشيعة حتى توافق أهواءهم وضرورات مذهبهم!!

ويخالف الصدوق وشيخه محمد بن الحسن بن الوليد هذا الاتجاه، فيقررا أن « وقوع

---

(١) عيون أخبار الرضا (١/١٩٣)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت (١٤٠٤هـ)، وهي موجودة في قرص المعجم الفقهي الذي أخرجه الاثنا عشرية. وهكذا وجدتها في نسختي الورقية (١/١٩٣) منشورات الشريف الرضي الطبعة الأولى (١٣٧٨) قم، وقد كتبوا عليها: عيون أخبار الرضى للشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق، فكيف يكون محدثًا أكبر ثم يخالفه أتباعه، وينكرون أقواله، ويتهمونه بعدم المعرفة بالروايات كما ذكر المفيد وشبر؟!.

(٢) بحار الأنوار (٢٥/١١٧)، قال المحقق: « وأما عيون الأخبار فيه: وينكح ولا ينسى ولا يسهو [مكان وينسى ويسهو] وقال المحشّي في هامشه: أكثر النسخ ليس فيها: (ينسى ويسهو) وفي بعضها: (لا ينسى ولا يسهو) ». ولو أردنا نقد النص داخليًا، لرأينا أن النص يقتضي أن يكون (ينسى ويسهو) لأن الرضا كان يتحدث عن صفات الإمام التي هي من صفات البشر: « والإمام يولد ويلد ويصح ويمرض ويأكل ويشرب، ويبول ويتغوط وينكح وينام وينسى ويسهو، ويفرح ويحزن ويضحك ويبكي ويحيا ويموت ويقبر ويزار، ويحشر ويوقف ويعرض ويسأل ويثاب ويكرم ويشفع، ودلالته في خصلتين: في العلم واستجابة الدعوة ». فلو أدخلنا (لا ينسى ولا يسهو) في هذا النص لرأينا أن الكلام خرج عن مقصد التأكيد على بشرية الإمام.

(٣) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٤٠)، وقد قال: « وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام قال... ». ثم ساق النص نفسه إلا أنه أضاف عليه (لا) مرتين، وهذا تحريف مقصود؛ فلو أنه نقل من غير هذا الكتاب لقلنا إنه أخذ برواية أخرى، ولكن للأسف فإنه يعلم أنه ينقل عن الصدوق، ولا يمكن حقيقة للصدوق أن يكون النص عنده إلا بحذف (لا) لأنه بنى على هذه الرواية وأخواتها جواز السهو والنسيان على الأئمة، ولو كانت الرواية عنده (لا ينسى ولا يسهو) لما ذهب إلى جواز السهو على الأئمة.

(٤) هاشم البحراني: ينابيع المعاجز (ص ١٠٥)، المطبعة العلمية، قم.

ذلك منهم إسهاء لهم من اللّٰه تعالى ليعلم الناس أنهم عباد مخلوقون، وألا يتخذوهم أربابًا من دون اللّٰه » [١].

ويخالف معظم متأخري الإمامية كالمفيد والمرتضى والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) ونصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ) وعبد اللّٰه شبر (ت ١٢٤٢هـ) هذا الاتجاه، يقول المفيد: « فنفى عنه ﷺ كل معصية ونسيان » [٢]. ويقول ابن المطهر الحلي: « وأن الأنبياء معصومون من الخطأ والسهو والمعصية صغيرها وكبيرها من أول العمر إلى نهايته » [٣].

وقد ردّوا على الشيخ الصدوق واتهموه بالتقصير والجهل بنقد الروايات، يقول المفيد: « وقد سمعنا حكاية ظاهرة عن أبي جعفر... وهي ما حكي عنه أنه قال: (أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي والإمام). فإن صحت هذه الحكاية عنه فهو مقصر مع أنه من علماء القميين ومشيختهم » [٤]، ويقول شبر: اعلم أن بعض علمائنا كالصدوق محمد بن بابويه، وأستاذه محمد بن الحسن بن الوليد ذهبا إلى جواز السهو على النبي ﷺ وقالا: ليس سهو النبي ﷺ كسهونا؛ لأن سهوه من اللّٰه ﷻ أسهاه ليعلم أنه بشر مخلوق، فلا يتخذ معبودًا من دونه، وسهونا من الشيطان، وليس للشيطان على النبي والأئمة سلطان، واستندا في ذلك إلى بعض الأخبار الشاذة الموافقة للعامة، وإن رويت بطرق عديدة، وهي أن رسول اللّٰه ﷺ سلّم في ركعتين فسأله من خلفه: يا رسول اللّٰه أحدث في الصلاة شيء؟... وقال الصادق عليه السلام: إن اللّٰه تعالى هو الذي أنساه رحمة للأمة، ألا ترى لو أن رجلًا صنع هذا لعيّر [٥]، ونحوه غيره » [٦].

ثم قال: « هذه الأخبار مع مخالفتها لإجماع الشيعة المحقة بل ضرورة المذهب وشذوذها وموافقتها لمذهب العامة الذين أمرنا بخلافهم » [٧]، ومن هذا النص تعلم أن

---

(١) المفيد: أوائل المقالات (ص ٧٢).

(٢) المفيد: أوائل المقالات (ص ٦٨). وانظر: المرتضى: تنزيه الأنبياء (ص ٢، ٣) والطوسي: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد (ص ٢٦٠).

(٣) ابن مطهر الحلي (الحسن بن يوسف ٧٢٦هـ): منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، تحقيق عبد الرحيم مبارك (ط١)، مؤسسة عاشوراء للتحقيقات - قم (ص ٣٧).

(٤) المفيد: تصحيح اعتقادات الصدوق (ص ١١٤).

(٥) ولماذا يعيّر ويعاب؟! ونحن نرى كبار الأئمة سنة وشيعة يسهون في صلاتهم، ويذكّرهم المأمون ولا ينقص ذلك من قدرهم.

(٦) عبد اللّٰه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٣٨).

(٧) عبد اللّٰه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٣٩).

الذي دعاهم إلى إنكار سهو النبي ﷺ إنما هو رغبتهم في مخالفة أهل السنة - العامة - إلى جانب بعض الروايات التي ساقوها عن الأئمة تخالف تلك الروايات التي استدل بها الصدوق وشيخه.

وهذا تطور في مذهب الإمامية جدير بالملاحظة، يدل على ما آل إليه المذهب الاثنى عشري من نكسة ورجوع إلى الغلو من جديد على أيدي المفيد ومن جاء بعده.

ولا يوافق أهل السنة على هذا الاتجاه في العصمة، فعصمة الأنبياء واجبة عند أهل السنة، والعصمة محل الاتفاق هي فيما يبلغونه عن الله ﷻ [١]. ولكنها لا تعني منع السهو والنسيان فقد قال ﷺ: « **إنما أنا بشرٌ أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكّروني** » [٢]. وحديث ذي اليدين في النسيان في الصلاة مثبت عند أهل السنة في صحيح البخاري وغيره [٣].

بل إن الأئمة أنفسهم لم يكونوا يوافقون على هذا القول في حق النبي ﷺ ناهيك عن أنفسهم، وهذا ما ذكرته كتب الشيعة أنفسهم، فقد قيل للرّضا - وهو الإمام الثّامن لدى الاثني عشرية -: « إنّ في الكوفة قومًا يزعمون أنّ النّبيّ ﷺ لم يقع عليه السّهو في صلاته، فقال: كذبوا - لعنهم الله - إنّ الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو » [٤].

ولكن موقف أهل السنة من جواز الإسهاء على النبي لا يعني صحة ما نسبه بعض متكلمي الاثني عشرية إلى أهل السنة من قصص موضوعة نسبوها لأهل السنة كقول عبد الله شبر: « واتفق المخالفون على عدم وجوب العصمة ووقوعها في أئمتهم، وأكثرهم بل جمهورهم على تجويز المعاصي على الأنبياء، وبعضهم جوّز الكفر عليهم قبل النبوة وبعدها [!!!]، وجوزوا عليهم السهو والغلط، ونسبوا إلى رسول الله ﷺ السهو في القراءة مما يوجب الكفر، فقالوا ورووا أنه ﷺ صلّى يومًا الصبح وقرأ في سورة النجم عند قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]: تلك الغرانيق العلى... منها الشفاعة ترتجى » [٥].

---

(١) انظر: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (١٣/١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب استقبال القبلة (١٠٥/١) دار الفكر - بيروت، وأخرجه مسلم في صحيحه، باب السهو في الصلاة (٨٤/٢) رقم (٥٧٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم (٤٨٢)، ومسلم، كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم (٥٧٤).

(٤) بحار الأنوار (٣٥٠/٢٥)، وانظر: ابن بابويه: عيون أخبار (ص ٣٢٦).

(٥) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٣٥).

وقد كرر هذا المعنى الفاسد الزنجاني عندما قال في حق أهل السنة: « ونسبوا إلى رسول اللّه ﷺ السهو في القراءة مما يوجب الكفر، فقالوا ورووا أنه ﷺ صلى الصبح وقرأ في سورة النجم عند قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى). نعوذ باللّه من هذه الاعتقادات الفاسدة » [١]!

وهذه الرواية من الموضوعات التي يكذبها أهل السنة والجماعة،وينصّون على وضعها وكذبها، قال العلامة الكرماني في شرحه على صحيح البخاري: « وما قيل كان بسبب ما ألقى الشيطان في أثناء قراءة الرسول ﷺ: تلك الغرانيق العلا.... منها الشفاعة ترتجى، فلا صحة له نقلًا وعقلًا » [٢]. وذكر الفخر الرازي أن الإمام محمد بن إسحاق ابن خزيمة سئل عن هذه القصة فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف فيه كتابًا [٣]. وقال ابن كثير: « ولم أرها مسندة من وجه صحيح » [٤].

وما دام محققو أهل السنة قد بيّنوا وضع هذه القصة، فكيف استساغ ابن المطهر نسبتها إليهم؟ وكذلك عبد اللّه شبر والزنجاني وغيرهم؟

إن السبب – واللّه أعلم – هو أن بعض المؤرخين ذكروها ثم جاء بعض المفسرين، فتلقّفوها ثم تأوّلوها، ولكن ليس على أساس صحتها، بل ناقشوها وردّوا عليها على افتراض صحتها [٥]. وقد كان الجدير بهم عدم الالتفات إليها، وهذا ما لامهم عليه القاضي عياض عندما قال: « يكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم. وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال: لقد بُلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون، مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته » [٦].

---

(١) إبراهيم موسى الزنجاني: عقائد الإمامية الاثنى عشرية (ص ٤١)، مؤسسة الأعلمي – بيروت.

(٢) انظر حول قصة الغرانيق: السيوطي: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، وانظر: الشيخ محمد صادق عرجون فيما كتبه في كتابه القيم في سيرة النبي ﷺ، والدكتور محمد المسير: الرسول والوحي (ص ٢٥٣ – ٢٦٤)، (ط١)، دار ابن كثير (١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).

(٣) مفاتيح الغيب (٥٠/٢٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢٢٩/٣).

(٥) انظر هذه التأويلات في تفسير الطبري (١٨٦/١٧)، والزمخشري (١٩/٣).

(٦) القاضي عياض: الشفا (١١٠/٢)، وانظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٨٢/١٢).

هل يجوز الكتمان من النبي ﷺ؟

من الصفات الواجبة في حق الأنبياء كما قرر أهل السنة (تبليغهم لما آتاهم الله تعالى) فلا يجوز على النبي ﷺ أن يكتم شيئًا مما أمره ربه ﷺ بتبليغه: قال ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

ولكن نصوص الشيعة تقول غير هذا، إذ لما كان الإمام عندهم مشتركًا مع النبي في مسألة التبليغ، فيرى الشيعة جواز الكتمان على النبي ﷺ؛ لأن الأئمة من بعده سيبينون ويبلغون.

ويذكر أحدهم: « أن حكمة التدريج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة، ولكنه – سلام الله عليه – أودعها عند أوصيائه: كل وصي يعهد بها إلى الآخر، لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة: من عام مخصص، أو مطلق، أو مقيد، أو مجمل مبين إلى أمثال ذلك، فقد يذكر النبي عامًا ويذكر مخصّصه بعد برهة من حياته، و قد لا يذكره أصلًا، بل يودعه عند وصيّه إلى وقته » [(١)].

وينسف هذا الادعاء قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا... ﴾ [المائدة: ٣].

ويكذّب هذا الزعم واقع الأئمة الاثني عشر أنفسهم، حيث إنهم لم يأتوا بجديد من الأخبار في مجال التشريع. اللّهم إلا ما يدعي الشيعة وجوده مع المهدي المنتظر ﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وهنا نتساءل مع الشيعة: هل النبي ﷺ مبلغ عن الله تعالى أم مفوّض منه سبحانه، فيحق له التشريع من تلقاء نفسه؟

يعتقد أهل السنة أن النبي ﷺ مهمته التبليغ والتذكير، كما ذكر في الآية السابقة من سورة المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال: ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النحل: ٣٥]، وقال: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤]، وقال للنبي ﷺ: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [الشورى: ٤٨]. وقال له: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية: ٢١].

ولكن نصوص الشيعة تعطي النبي ﷺ صفة التفويض والتشريع من نفسه، مع أن

(١) محمد حسين آل كاشف الغطا: أصول الشيعة (ص ٧٧).

الله تعالى يقول: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [القلم: ٤٤ - ٤٧]. ومع أن الله تعالى قد ختم الدين بقوله: ﴿.. ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا.. ﴾ [المائدة: ٣].

وهم لا يوجبون هذه الصفة للنبي وحده فحسب، بل للأئمة الاثني عشر من بعده، فقد عقد الكليني في الكافي عنوانًا يقول: « باب التفويض إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة عليهم السلام في أمر الدين » (١).

وجاء فيه أيضًا: « عن أبي عبد الله عليه السلام... إنّ الله ﷻ فوّض إلى سليمان بن داود فقال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص: ٣٩] وفوّض إلى نبيّه ﷺ فقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧] فما فوّض إلى رسول الله ﷺ فقد فوّضه إلينا » (٢).

ويروون عن أبي عبد الله: « لا والله ما فوّض الله إلى أحد من خلقه إلا إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة. قال ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ.. ﴾ [النساء: ١٠٥]. وهي جارية في الأوصياء » (٣).

ويرى الدكتور القفاري « أن الهدف من هذه المقالة تبديل دين الإسلام، وتغيير شريعة سيد الأنام » (٤).

إذ ما فائدة التفويض وقد اكتمل الدين، وثبتت الأحكام، بنصوص أهل السنة والشيعة؟

فهناك رواية عن الأئمة أنفسهم تنسف فكرة التفويض من أساسها، عن زرارة قال: « سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام فقال: حلال محمد حلال أبدًا إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبدًا إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره، وقال: قال علي عليه السلام: ما أحد ابتدع بدعة إلا ترك بها سنة » (٥).

المشهور عند الاثني عشرية تعلّم النبي ﷺ القراءة والكتابة، وإنكار أمّيته:

يعتقد الشيعة أن النبي ﷺ لم يكن أميًا لا يكتب ولا يقرأ، مع أن الله تعالى يقول:

---

(١) أصول الكافي (٢٦٥/١).

(٢) أصول الكافي (٣٢٣/١) كتاب الحجة باب التفويض إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة عليهم السلام في أمر الدّين.

(٣) أصول الكافي (٢٦٨/١).

(٤) د. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١٨٠/١).

(٥) الكليني أصول الكافي (٥٨/١) تحقيق غفاري. كتاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقائيس.

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقوله ﷺ لجبريل عندما رآه بالغار: « **ما أنا بقارئ** » (١).

ولكن قال شبر: « ورد في الكتاب المجيد والسنة المستفيضة أنه ﷺ أمي، واختلف في معنى ذلك، والمشهور في معناه أنه لا يقرأ ولا يكتب، ولا خلاف في أنه ﷺ لم يتعلم الكتابة والقراءة من أحد قبل البعثة، وأكثر الأخبار تدل على أنه معنى كونه أميًا أنه نسبة إلى أم القرى وهي مكة، وأنه ﷺ كان قادرًا على القراءة والكتابة، كما كان قادرًا على ما يعجز مثله، ولكنه لم يكتب للمصلحة، وكان يأمر غيره بكتابة الوحي وقراءة الكتب غالبًا » (٢).

وقد رووا عن الرضا: « كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنين وسبعين لسانًا، وإنما سمي الأمي لأنه كان من مكة، ومكة من أمهات القرى... وعن الصادق عليه السلام قال: إن النبي ﷺ كان يقرأ ما يكتب ويقرأ ما لم يكتب » (٣).

وواضح أن هذا القول مخالف لما عليه جمهور أهل السنة، الذين يرون في أميّة النبي ﷺ دليلًا واضحًا من أدلة نبوته. وقد عرفنا أن النبي ﷺ كان يستكتب الكتّاب لآيات القرآن الكريم عند نزوله، وكان يأمر أصحابه بكتابة الكتب التي يرسلها، وموقفه يوم الحديبية معروف، إذ أمر عليًا بكتابة الصلح. وقد روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية... فقالوا: لا تكتب رسول الله، فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبي ﷺ لعلي: (امحه) فقال: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه النبي ﷺ بيده » (٤).

ولكن ثبت عن بعض علماء أهل السنة أيضًا أن النبي ﷺ كتب، منهم « أبو الوليد الباجي فادعى أن النبي ﷺ كتب بيده بعد أن لم يكن يحسن يكتب، فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه ورموه بالزندقة، وأن الذي قاله مخالف القرآن، حتى قال قائلهم:

---

(١) صحيح البخاري، أول الكتاب، بدء الوحي، رقم (٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، رقم (٢٣١).

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٧٩).

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب كيف يكتب، رقم (٢٦٩٨)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، رقم (١٧٨٣). انظر: صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي، دار النفائس - الأردن (ط ٧)، (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

برئت ممن شرى دنيا بآخرة وقال: إن رسول الله قد كتبا

فجمعهم الأمير فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة، وقال للأمير هذا لا ينافي القرآن بل يؤخذ من مفهوم القرآن؛ لأنه قيد النفي بما قبل ورود القرآن، فقال: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وبعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته، وأمن الارتياب في ذلك لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك بتعليم، فتكون معجزة أخرى، وذكر ابن دحية أن جماعة من العلماء وافقوا الباجي في ذلك، منهم شيخه أبو ذر الهروي وأبو الفتح النيسابوري وآخرون من علماء إفريقية وغيرها، واحتج بعضهم لذلك بما أخرجه ابن أبي شيبة وعمر ابن شبّة من طريق مجاهد عن عون بن عبد الله قال: ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ....

وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث... وبهذا جزم ابن التين وأطلق (كتب) بمعنى أمر بالكتابة وهو كثير كقوله كتب إلى قيصر وكتب إلى كسرى... وتعقب ذلك السهيلي وغيره بأن هذا وإن كان ممكنًا، ويكون آية أخرى، لكنه يناقض كونه أميًّا لا يكتب، وهي الآية التي قامت بها الحجة وأفحم الجاحد وانحسمت الشبهة، فلو جاز أن يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة، وقال المعاند: كان يحسن يكتب لكنه كان يكتم ذلك، قال السهيلي: والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضًا » (١).

وقد قال ﷺ: « **إنّا أمّة أمّيّة، لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا، وعقد الإبهام في الثالثة، والشهر هكذا وهكذا وهكذا. يعني تمام ثلاثين** » (٢).

ولا يحط في قدره الشريف عليه الصلاة والسلام أنه لم يخط بياضًا في سواد، وإنما خط حروفًا من نور في صدور أتباعه الكرام حتى غدوا مصابيح الدنيا، وسادة الآخرة بإذن الله تعالى.

آثار فلسفية حول صفات الأنبياء في كتابات الاثني عشرية:

ولم تخل بعض كتب الاثني عشرية من تأثر بكلام الفلاسفة حول الأنبياء، فيقول عبد الله شبر في حق النبي: « فمن صفاته أن يكون صافي النفس في قوته النظرية صفاء

---

(١) العسقلاني: فتح الباري (٧/٥٠٣، ٥٠٤).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال... إلخ، رقم (١٠٨٠)، وأبو داود رقم (٢٣١٩)، والنسائي (٥/١٣٩)، وأحمد (٢/٤٣ - ٥٢).

تكون معه شديدة الشبه بالروح الأعظم، فيتصل به متى أراد [(١)] من غير كثير تعمّل وتفكّر حتى تفيض عليه العلوم اللدنية من غير توسط تعليم بشري بل يكاد زيت عقله يضيء ولو لم تمسسه نار التعليم البشري بمقدحة الفكر وزند البحث والتكرار، فإن النفوس متفاوتة في درجات الحدس والاتصال بعالم النور... وأن يكون شديد الحدس كثيره كمًّا ونوعًا سريع الاتصال بعالم الملكوت، يدرك بحدسه أكثر المعلومات في زمان قليل إدراكًا شريفًا نوريًّا ينتهي بقوة حدسه إلى آخر المعقولات في زمن قصير من غير تعلم، فيدرك أمورًا يقصر عن إدراكها كثير من الناس، وأن تكون قوته المتخيلة قوية بحيث يشاهد في اليقظة عالم الغيب، وتتمثل له الصورة المثالية الغيبية، ويسمع الأصوات الملكوتية ويتلقى المغيبات والأخبار الجزئية من الملكوت، فيطلع على الحوادث الماضية والآتية، وأن تكون قوته الحساسة والمحركة في القوة بحيث تؤثر في مادة العالم بإزالة صورة وإلباس أخرى، فيحيل الهواء إلى الغيم بإذن الله، ويحدث الأمطار والزلازل لأجل استهلاك أمة فجرت وعتت عن أمر ربها ورسله [!!!].

ومن صفات النبي ﷺ أن يكون جالسًا في الحد المشترك بين عالم المعقول وعالم المحسوس، فهو تارة مع الحق بالحب وتارة مع الخلق بالرحمة عليهم والشفقة لهم، فإذا عاد إلى الخلق كان كواحد منهم كأنه لا يعرف الله وملكوته، وإذا خلا بربه كان مشتغلًا بذكره وخدمته فكأنه لا يعرف الخلق... أن يكون جيد الفهم... وأن يكون حفوظًا لكل ما يفهمه... وأن يكون صحيح الفطرة والطبيعة معتدل المزاج تام الخلقة قوي الآلات على الأعمال التي من شأنه أن يفعلها كالمناظرة في العلوم مع أهل الجدال... وأن يكون حسن العبارة... وأن يكون محبًا للعلم والحكمة لا يؤلمه التأمل في المعقولات... وأن يكون بالطبع غير شرهٍ على الشهوات متجنبًا بالطبع عن اللعب... أن يكون كبير النفس محبًا للكرامة... وأن يكون رؤوفًا عطوفًا على الخلق... وأن يكون شجاع القلب غير خائف من الموت... غير جموح ولا لجوج سلس القياد... منزهًا عن كل ما يدنسه ويشينه من الغلظة والفظاظة والحسد والبخل... وأن يكون نسّاءً للأحقاد

(١) متى أراد!! هذا قول منقوض بانقطاع الوحي عنه ﷺ، ففي الصحيح قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام: واعدتني فجلست لك فلم تأت!؟ فقال: (منعني الكلب الذي كان في بيتك. إنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة). متفق عليه، والرواية لمسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة، رقم (٢١٠٤).

وكيف لا وذكره مشغول بالحق؟ » (١). ومن قارن هذه الصفات بصفات الحاكم عند الفارابي وغيره من الفلاسفة وجد أنها لا تختلف كثيرًا (٢).

ليس الملك والحكم شرطًا للنبوّة:

تركز بعض كتابات الشيعة على بعض المهمات والوظائف التي قام بها الأنبياء في حياتهم، كداود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، فقد « بذلوا الكثير من الجهود في سبيل إدارة المجتمع وحسن تدبير الأمور، كما هو الملاحظ في حياة يوسف ﷺ في أرض مصر، ولكن هذه الخدمات والمساعدات تعتبر زائدة عن وظيفتهم ومهمتهم الأصلية » (٣). ولكن هناك الكثير من المعلومات التي قد تغيب عن العقل البشري، ووجود القدوة في العمل، وتولي القيادة في المجالات الاجتماعية والسياسية والقضائية مهم في حياة الرسل الكرام (٤).

وتضخيم هذه الوظائف الثانوية يقصد منه عند الشيعة سحبها إلى الأئمة الذين هم أوصياء الأنبياء - في نظرهم - ولذلك تكثر المقارنة في كتب الشيعة بين موسى ﷺ ووصيه يوشع بن نون، ثم رسول الله ﷺ وعلي والأئمة من بعده.

ولكن ينبغي أن نتذكر أن الهدف الأول والوظيفة الكبرى في حياة الأنبياء إنما كانت هداية الناس إلى الحق والإيمان، فقد بيّنت بعض الروايات عن الأئمة أن حكمة الله اقتضت ألا يكون معظم الأنبياء ملوكًا: فقد قال علي ﷺ، كما ورد في نهج البلاغة: « ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حين بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن القعيان ومغارس الجنان... ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء... ولو كانت الأنبياء أهل قوة لا ترام وعزة لا تضام وملك تمدّ نحوه أعناق الرجال وتشد إليه عقد الرحال؛ لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار، وأبعد لهم في الاستكبار، ولآمنوا عن رغبة قاهرة لهم أو رغبة مائلة بهم، فكانت النيات مشتركة.... » (٥).

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٤٥ - ١٤٧).

(٢) انظر: رشدي عبد الستار: الأثر الأفلاطوني في الفكر السياسي الإسلامي (ص ٢٤٧)، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم. وانظر: محمد زكريا النداف: الأخلاق السياسية للدولة الإسلامية (ص ١٤٨، ١٤٩)، دار القلم - دمشق (ط١)، (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).

(٣) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٢٢٢).

(٤) انظر: محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٢١٢ - ٢١٤).

(٥) نهج البلاغة، الخطبة القاصعة (١٤٥/٢). القعيان: نوع من الذهب.

فإذا استقرت العقيدة فلا بأس في الاستفادة من الملك، كما حصل مع نبي الله سليمان، حيث وجد بعد ثبات العقيدة ورسوخها، فسخّر ملكه لخدمة دينه « حينما يتجه الناس لدين الحق برغبتهم واختيارهم الحر، ويوفقوا لإقامة مجتمع إلهي على أساس رضا الله تعالى، بعد ذلك تجدر الاستفادة من شتى القوى من أجل تحقيق الأهداف الإلهية، وخاصة القضاء على المعتدين والدفاع عن حقوق المؤمنين، كما تلاحظ نماذج من ذلك في ظل حكومة سليمان عليه السلام » [1].

معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

يطلق مصطلح المعجزة على الأمر الخارق للعادة حين يصدر دليلًا على نبوة النبي، إضافة إلى استناده إلى الإذن الإلهي الخاص [2].

وكأن الله تعالى يقول عند المعجزة: صدق عبدي (النبي أو الرسول) فيما جاءكم به فصدّقوه، بدلالة خرقي لما عوّدتكم عليه من قانون الكون.

ويذكر اليزدي أن إثبات صدق الأنبياء يأتي من خلال ثلاث طرق:

١ - طريق القرائن والمؤشرات أمثال الصدق والأمانة والاستقامة طول حياة النبي.

٢ - أن يعرّفه ويبشّر به نبي سابق أو معاصر، ويختص هذا بمن عاصر أكثر من نبي.

٣ - عن طريق إظهار المعجزة التي يمكن أن يكون أثرها أكثر اتساعًا وشمولية [3].

ويعتقد الشيعة بمعجزات الأنبياء عليهم السلام، ومعجزات النبي الخاتم ﷺ، ولكن إن كان أهل السنة يثبتون المعجزات للأنبياء، ويسمون ما يخرج من خوارق العادات على أيدي الأولياء كرامات، فإن الشيعة يطلقون اسم المعجزة على ما يخرج على يد الأئمة الاثني عشر من خوارق، وذلك أنهم ضخموا الإمامة حتى جعلوها صنو النبوة، وأوجبوا أن يكون لها دلائل وعلامات كالنبوة، يقول الصدوق: « وأنهم الذين أذهب الله عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرًا، وأن لهم المعجزات » [4]. فطريق تعيين الإمام « النص من الله

---

(١) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٢٢٣). وانظر سورة الأنبياء (٨١، ٨٢) والنمل (١٥ - ٤٤)، وانظر سورة يوسف: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [يوسف: ١١٠].

(٢) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٢٥٦).

(٣) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٢٥٢).

(٤) الصدوق: رسالة الاعتقادات (ص ١٠٧).

تعالى أو نبيه أو إمام ثبتت إمامته بالنص عليه، أو ظهور المعجزات على يده »[١].

ولا يفوت متكلمي الاثني عشرية أن يفرقوا بين أصناف خوارق العادات، فهم يقسمونها إلى ستة أقسام، لا تبتعد عن تقسيم أهل السنة:

الإرهاص: وهو ما يكون قبل البعثة ودعوى النبوة.

والسحر: هو خارق للعادة بعد تهيئة الأسباب على مهلة بدون دعوى، كما أن سحرة فرعون طلبوا الحبال والتمسوا المهلة للتهيئة فلا التباس، فإن المعجز يكون مع الدعوى بلا تهيئة ولا مهلة، كما قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٢٠].

والمكذِّبة: ما تكون مخالفة للدعوى كما حصل مع مسيلمة الكذّاب، حيث ورد أنه دعا لواحد العين فعميت عينه الصحيحة، وهذا ما يسميه متكلمو أهل السنة بالإهانة.

والاستدراج: وهو مكر الله في حق المنهمك في المعاصي، بحيث يعطى ما يتمنى خارقًا للعادة.

والكرامة: وهي ما يجريه الله تعالى على أيدي الصالحين، حيث لا دعوى هناك لنبوة ولا إمامة.

أما المعجزة: فتظهر على يد النبي موافقة لدعوى النبوة، وينضوي أيضًا تحت قسم المعجزة عند الإمامية ما يجريه الله تعالى على يد الإمام مصدقًا لدعوى الإمامة [٢].

القرآن الكريم: أعظم معجزات خاتم النبيين ﷺ:

ويؤكد الشيخ المفيد على أن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للنبي الأمّي، سيدنا محمد ﷺ، فالقرآن هو المعجزة الخالدة التي تستمر ولا تنقطع.

وفي تفسير إعجاز القرآن الكريم يتردد هو والمرتضى بين القول (بالصرفة) [٣] متأثرًا بالنظّام من المعتزلة. وبين القول بأن الصارف عن معارضة القرآن هو فصاحته وبلاغته، كما هو مذهب جماهير العلماء.

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين (ص ١٢٨)، وهو يعتمد على الحلي: نهج الحق وكشف الصدق (ص ١٦٨).

(٢) انظر: عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٢٨، ١٢٩).

(٣) قال النظام: « الآية الأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم ». (الأشعري: مقالات الإسلاميين ص ٢٢٥). ويرى القائلون بالصرفة أنها من اللطف الإلهي. أي إن فصحاء العرب كانوا قادرين على محاكاة القرآن والإتيان بمثله، ولكن الله تعالى صرفهم عن معارضة القرآن الكريم، وجعل صرفهم هذا إلى آخر الزمان لطفًا منه وإعجازًا لهم، وهو مذهب النظام من المعتزلة. انظر: المفيد: أوائل المقالات (ص ٦٨، ٦٩).

وقد أتى في الكتاب والسنة ما يشير إلى أن القرآن أعظم المعجزات، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات** – أي المعجزات – **ما آمن على مثله البشر، وإنما الذي كان أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة** » (١).

يقول المرتضى: « **الدليل على نبوة نبينا محمد ﷺ القرآن الذي تحدى به العرب فعجزوا عن معارضته مع تقريعه لهم وتوبيخه إياهم، ومعلوم بقريب من الضرورة اشتهار علو طبقتهم في الفصاحة كالأعشى والمغيرة ومن يجري مجراهما، وعدولهم عن المعارضة يدل على عجزهم، وصرفهم إلى المحاربة يدل على صدقه ﷺ** » (٢).

وهذا القول اعتزالي المصدر كما هو معروف، والمرتضى رضع عن المعتزلة حتى صار مشهورًا عندهم كشهرته لدى الاثني عشرية، حتى تنازعه الفريقان في كتب تراجم رجالهم.

وتفسير القول بالصرفة يأتي من شروط المعجزة عند المرتضى:

- أن تكون خارقة للعادة.
- أن تكون مطابقة للدعوى التي يدعيها الرسول.
- أن يتعذر الإتيان بها.
- **أن تكون فعلًا من أفعاله تعالى، أو جارية مجرى فعله تعالى** » (٣).

فهذا الشرط الأخير يفسر قول المفيد ثم المرتضى بالصرفة؛ إذ يشترط في المعجزة أن تكون من فعل الله تعالى، وهو في معجزة القرآن الكريم تكون بصرف فصحاء العرب عن إمكانية محاكاة القرآن الكريم.

وهذا القول مردود؛ لأن المعجزة جاءت من العجز، بحيث لا يستطيع أحد محاكاتها،

---

(١) صحيح البخاري، باب كيف نزول الوحي (٦٨٤٦)، مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ رقم (١٥٢).

(٢) المرتضى: الأصول الاعتقادية (ص ٨٠). (٣) جمل العلم والعمل (ص ٤٠).

فالمعجز هو ما لم يكن بالإمكان الإتيان بمثله، ولا يشترط أن يكون ذلك بالصرفة، بل إن اشتراط الصرفة قد يوهم أن القرآن الكريم ليس معجزًا في ذاته، وكأنه لم يصل إلى درجة من الفصاحة والبيان بحيث لا يطمع أحد بمجاراته، فهو إذن غير معجز، وإنما المعجز صرف الأذهان عن محاكاته!

ولذلك جاء الطوسي بعدهما ليخفف من غلواء القول بالصرفة، فيجعلها احتمالًا واردًا، لا أمرًا متحتمًا؛ ولذلك يقول « وإعجاز القرآن قيل لفصاحته، وقيل لأسلوبه وفصاحته معًا، وقيل للصرفة والكل محتمل » (١).

الإيمان بالمعجزات الحسّية للأنبياء:

ويؤمن الشيعة كأهل السنة بالمعجزات الحسية للأنبياء عليهم السلام، ويعددون في كتبهم كثيرًا من المعجزات التي أوردها أهل السنة في حقّ سيدنا محمد ﷺ، فقد « شق القمر بمكة لما سألته ﷺ قريش آية، وأطعم ﷺ النفر الكثير في منزل جابر... ونبع الماء من بين أصابعه، فشرب أهل العسكر كلهم، وأبطل الكهانة بمبعثه ﷺ... وحن الجذع الذي كان يخطب مستندًا إليه لما عمل له المنبر حتى سمعه جميع أصحابه مثل صوت الإبل، فضمه إليه فسكن، وأخبر ﷺ بالغيوب؛ وأخبر عمارًا بأنه ستقتله الفئة الباغية، وأن الحسن عليه السلام يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وأخبر عن رجل قاتل في سبيل الله تعالى [على ما يظهر] أنه من أهل النار، فظهر ذلك أن قتل ذلك الرجل نفسه، وهذه أشياء لا تعرف البتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة لا بالنجوم ولا بكهن ولا بكتب ولا بخط ولا بزجر، لكن بإعلام الله ووحيه إليه... وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له،... وكلّمه الذراع المسموم، وأخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش... وبدرت عين بعض أصحابه فسقطت فردّها بيده، فكانت أصح عينيه وأحسنهما، وتفل في عين علي وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته، وبعثه بالراية وأخبر أنه سيظفر فكان ذلك، وكانوا يسمعون تسبيح الطعام في يديه » (٢).

وينبغي للباحث في المعجزات أن يتحرّى أدلتها، فيثبت ما ثبت بدليل صحيح من كتاب الله تعالى كانشقاق القمر، أو سنّة نبوية صحيحة كحنين الجذع، ويعرض عمّا لم

---

(١) تجريد الاعتقاد (ص ٤٠١).

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٦٠، ١٦١)، وانظر: المرتضى: رسالة في علم الكلام (ص ٧٠، ٧١).

يثبت بطريق صحيحة. مثل « إطاعة الشمس له في التوقف عن الغروب مرة، وفي الطلوع بعد الغروب أخرى »[1]. « وتكليم الظبي[2] »[3].

إثبات المعراج للنبي ﷺ:

ويثبت الشيعة أيضًا الإسراء والمعراج بالروح والجسد كسائر أهل السنة، لقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

ويقول علماؤهم: « وهو في الجملة من ضروريات الدين ومنكره خارج عن ربقة المسلمين، ولذا قال الصادق: « ليس منا من أنكر أربعة: المعراج، وسؤال القبر، وخلق الجنة والنار، والشفاعة »[4]. وقال الرضا: « من لم يؤمن بالمعراج فقد كذّب رسول الله ﷺ »، والذي عليه الإمامية أنه كان ببدنه الشريف، لا بالروح فقط، وفي اليقظة لا في المنام، وإلى السماء، لا إلى المسجد الأقصى فقط، والأخبار الواردة بذلك عن العترة الطاهرة متكاثرة متظافرة »[5].

وعن حمّاد بن عثمان عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « لمّا عرج برسول الله ﷺ انتهى به جبرئيل إلى مكانٍ فخلّى عنه فقال له: يا جبرئيل تخلّيني على هذه الحالة؟ فقال: امضه، فوالله! لقد وطئت مكانًا ما وطئه بشرٌ، وما مشى فيه بشرٌ قبلك »[6].

ولكن أثر التشيع في خبر المعراج عندهم واضح جليّ، إذ في رواياتهم أن الرب العظيم سبحانه كلم الرسول الأعظم ﷺ بلغة علي رضي الله عنه، فقد « روى الأربيلي في كشف الغمة عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ وقد سئل: بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٦٣).
وقد بيّن عدد من نقّاد الحديث من أهل السنة وضع هذا الحديث، قال الشيخ الألباني (السلسلة الضعيفة ٢/ ٣٩٥ رقم ٩٧١) عنه: موضوع.
ويردّ ذلك الخبر ما رواه (أحمد في مسنده، رقم ٧٩٦٤) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس ».
(٢) لم أجد لتكليم الظبي للنبي ﷺ أصلًا ثابتًا، خلال بحثي عن أدلة المعجزات.
(٣) الخنيزي: مقدمة في أصول الدين (ص ٣٢).
(٤) إبراهيم موسى الزنجاني: عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص ٦٠)، مؤسسة الأعلمي – بيروت.
(٥) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٦٨). والزنجاني: عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص ٦٠).
(٦) أصول الكافي (١/٥١٣)، كتاب الحجة بابٌ في مولد النبي ﷺ ووفاته. وقال محققه: الحديث حسن.

فقال: « خاطبني بلغة علي بن أبي طالب ﷺ، فألهمت أن قلت: يا ربي أنت خاطبتني أم علي ﷺ؟ فقال: يا أحمد! أنا شيء ليس كالأشياء ولا أقاس بالناس، ولا أوصف بالأشياء، خلقتك من نوري وخلقت، عليًا من نورك، فاطلعت على سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحبَّ من علي بن أبي طالب ﷺ فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك » [1].

الاعتقاد بدوام حياة بعض الأنبياء:

تذكر بعض روايات الشيعة حياة إلياس والخضر ﷺ، وأن لهما مع الأئمة شأنًا.

فقد قال: « قال أبو عبد اللّه ﷺ: بينا أبي ﷺ يطوف بالكعبة إذا رجلٌ معتجرٌ قد قيّض له فقطع عليه أسبوعه [2] حتّى أدخله إلى دارٍ جنب الصّفا فأرسل إليّ فكنّا ثلاثةً فقال: مرحبًا يا ابن رسول اللّه، ثمّ وضع يده على رأسي وقال: بارك اللّه فيك يا أمين اللّه بعد آبائه يا أبا جعفرٍ! إن شئت فأخبرني وإن شئت فأخبرتك، وإن شئت سلني وإن شئت سألتك، وإن شئت فاصدقني وإن شئت صدقتك... فضحك أبي ﷺ... قال: أنا إلياس ما سألتك عن أمرك وبي منه جهالةٌ، غير أنّي أحببت أن يكون هذا الحديث قوّةً لأصحابك » [3].

ومع أن محقق أصول الكافي يصرح بضعف الحديث على المشهور، ولكنه يجزم بأن إلياس ﷺ « سوف يكون من أنصار الحجة (عج) » [4].

نبوّة الخضر ﷺ واستمرار حياته:

قال المجلسي: « والخضر: المشهور بيننا أنه ﷺ كان نبيًا، والآن من أمة نبينا ﷺ، ويبقى إلى نفخ الصور؛ لأنه شرب من ماء الحياة [5]،

---

(١) عبد اللّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٧٥). ورواية أخرى مختصرة: ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة (ص ٩٠).

(٢) يعني: طوافه حول الكعبة المشرّفة، والطواف سبعة أشواط، فسمي أسبوعًا.

(٣) أصول الكافي (٢٩٩/١) كتاب الحجة باب في شأن ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] وتفسيرها. قال محقق أصول الكافي: الحديث ضعيف على المشهور بالحسن بن العباس.

(٤) أصول الكافي (٢٩٩/١) كتاب الحجة باب في شأن ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] وتفسيرها. حاشية رقم (٧) في الهامش. ورمز (عج): يقصد به عجل اللّه فرجه. وهي دعوة لخروج المهدي المنتظر، الإمام الثاني عشر آخر أئمة الاثني عشرية.

(٥) روي ذلك في بعض شروح أهل السنة عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر أيضًا « روى خيثمة بن سليمان من طريق جعفر الصّادق عن أبيه أنّ ذا القرنين كان له صديق من الملائكة، فطلب منه أن يدلّه على شيء يطوّل به عمره، فدلّه على عين الحياة وهي داخل الظّلمة، فسار إليها والخضر على مقدّمته فظفر بها الخضر، ولم يظفر بها ذو القرنين ». (ابن حجر: فتح الباري ١٩٦/١٠).

وهو مؤنس للقائم (ع) » (١).

ويذكر أهل السنة سبب تسميته الخضر: عن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: « **إنّما سمّي الخضر أنّه جلس على فروةٍ بيضاء فإذا هي تهتزّ من خلفه خضراء** » (٢).

وتذكر روايات الاثني عشرية أن الخضر كان يظهر للناس، ويقابل الأئمة ويكلّمهم (٣).

وإذا نظرنا إلى موقف أهل السنة من الخضر عليه السلام، فأما نبوّة الخضر فراجحة عندهم: قال الآلوسي: « والجمهور على أنها الوحي والنبوة، وقد أطلقت على ذلك في مواضع من القرآن، وأخرج ذلك ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وهذا قول من يقول بنبوته عليه السلام، وفيه أقوال ثلاثة: فالجمهور على أنه عليه السلام (نبي وليس برسول، وقيل: هو رسول (٤)، وقيل هو ولي، وعليه القشيري وجماعة والمنصور. ما عليه الجمهور وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة وبمجموعها يكاد يحصل اليقين » (٥). وقد استدل الجمهور على كونه نبيًا بما صنعه من عجائب لا تكون إلا بوحي ربّاني؛ حيث أعاب السفينة، وقتل الغلام، وبنى الجدار، ولذلك قال تعالى - قاصًا قول الخضر -: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [الكهف: ٨٢]، واستدلوا « بكونه أعلم من موسى، والولي لا يكون أعلم من النبي » (٦).

ولذلك « قال بعض أكابر العلماء: إن إنكار نبوته أول درجة من الزندقة؛ لأن الزنادقة يتدرجون بكونه غير نبي إلى أن الولي أفضل من النبي » (٧).

قال ملا علي القاري:« وأما قصة موسى مع الخضر، فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني إلحاد عند جميع المشايخ الكرام، وكفر يخرج به عن دائرة

(١) مرآة العقول (٢٠٦/٦). والقائم: أي المهدي المنتظر الذي يعتقد الاثني عشرية حياته منذ (١٢٠٠) عام تقريبًا!

(٢) صحيح البخاري رقم (٣١٥٠). والفرو: الحشيش الأبيض وما شابهه.

(٣) أصول الكافي (٦٠٤/١) كتاب الحجة، باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم. وقال محققه: وهذا الحديث صحيح.

(٤) ودليله في حديث البخاري، قول الله تعالى لموسى: (هو أعلم منك). قال ابن حجر: « قوله: (هو أعلم منك) ظاهر في أنّ الخضر نبيّ، بل نبيّ مرسل ». فتح الباري (١٩٥/١).

(٥) الآلوسي: روح المعاني (٣٢٠/١٥).

(٦) ملا علي القاري: الحذر في أمر الخضر (ص ١٠٣)، تحقيق محمد خير رمضان، دار القلم - دمشق (١٤١١هـ / ١٩٩١م).

(٧) الشيخ تقي الدين العثماني: تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم (٢٣/٥) دار القلم - دمشق (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م).

الإسلام،... قال القسطلاني: فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جوّز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه، وليشهد بشهادة الحق، فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلًا عن أن يكون من خاصة أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوّابه » [١].

وأما الاعتقاد بحياة الخضر عليه السلام فأمر اعتقده كثير من أهل السنة، كالإمام النووي رحمه الله، والشيخ ابن الصلاح، والقرطبي، وملا علي القاري [٢]، وابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية، والقسطلاني، وإبراهيم بن أدهم، وبشر الحافي، ومعروف الكرخي، وسري السقطي خال الجنيد والجنيد من مشايخ الصوفية، والخليفة عمر بن عبد العزيز على ما ذكره ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة [٣]، ويروى ذلك عن الحسن البصري [٤]. رحم الله الجميع.

قال الإمام النووي. « جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به... أشهر من أن يستر، وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين، والعامة معهم في ذلك، قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين » [٥].

وقال القرطبي: « الصحيح أن الخضر نبي معمر محجوب عن الأبصار، وروى محمد ابن المتوكل عن ضمرة بن ربيعة عن عبد الله بن شوذب قال: الخضر عليه السلام من ولد فارس وإلياس من بني إسرائيل يلتقيان كل عام في الموسم، وعن عمرو بن دينار قال: إن الخضر وإلياس لا يزالان حيين في الأرض ما دام القرآن على الأرض، فإذا رفع ماتا. وقد ذكر شيخنا الإمام أبو محمد عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي اللخمي في شرح الرسالة له للقشيري حكايات كثيرة عن جماعة من الصالحين والصالحات بأنهم رأوا الخضر عليه السلام ولقوه، يفيد مجموعها غاية الظن بحياته مع ما ذكره النقاش والثعلبي وغيرهما، وقد جاء في صحيح مسلم أن الدجال ينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ

---

(١) ملا علي القاري: الحذر في أمر الخضر (ص ١٤٣ - ١٤٦).

(٢) المصدر السابق (ص ١٠٥). (٣) الإصابة (١٣٥/٢).

(٤) انظر حول مظانّ أقوال أهل هذا الرأي: محمد خير رمضان: الخضر بين الواقع والتهويل (دراسة تحليلية مقارنة على ضوء الكتاب والسنة والتاريخ) (ص ١١٨، ١١٩). دار القلم - دمشق (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

(٥) الإمام النووي: شرح صحيح مسلم: الشيخ تقي الدين العثماني: تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم (٢٣/٥) دار القلم - دمشق (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م).

رجل هو خير الناس أو من خير الناس... الحديث، وفي آخره قال أبو إسحاق: يعني أن هذا الرجل هو الخضر » [١].

أما التقاء الخضر بإلياس، ولقاء كلّ منهما بالنبي ﷺ ففيه أخبار ضعيفة لدى أهل السنة، لا تصل إلى درجة الاحتجاج بها [٢].

والحقيقة أنه لم يشذ بإنكاره بعض المحدّثين - كما ذكر النووي عن ابن الصلاح - فقد ورد عن كثير من العلماء، كإمام المحدثين البخاري، وإبراهيم الحربي، وأبي الحسين ابن المنادي، ومحمد بن أبي الفضل المرسي [٣] وابن حزم وابن الجوزي وابن تيمية وابن قيم الجوزية، والآلوسي. وممن جزم بموته أيضًا: أبو بكر ابن العربي، وأبو يعلى الفراء، وأبو طاهر العبادي [٤].

---

(١) تفسير القرطبي (٤٣/١١). وخبر مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه رقم (٢٩٣٨) عن أبي سعيد الخدري قال: حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال، فكان فيما حدثنا قال: « يأتي وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه. فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا. قال: فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن. قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلّط عليه ». قال أبو إسحاق: يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام.

(٢) قال ابن حجر: وجاء في اجتماعه - أي الخضر - مع النبيّ ﷺ حديث ضعيف أخرجه ابن عديّ من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جدّه أنّ النبيّ ﷺ سمع وهو في المسجد كلامًا، فقال: « يا أنس اذهب إلى هذا القائل فقل له يستغفر لي » فذهب إليه فقال: قل له: إنّ الله فضّلك على الأنبياء بما فضّل به رمضان على الشّهور. قال: فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر » إسناده ضعيف، وروى ابن عساكر من حديث أنس نحوه بإسنادٍ أوهى منه ». (فتح الباري ١٩٦/١٠).

« وأخرج الحاكم في « المستدرك » من حديث أنس أنّ إلياس اجتمع بالنّبيّ ﷺ وأكلا جميعًا، وأنّ طوله ثلاثمائة ذراع، وأنّه قال: « إنّه لا يأكل في السّنة إلّا مرّة واحدة »، أورده الذّهبيّ في ترجمة يزيد بن يزيد البلويّ، وقال: إنّه خبر باطل. (ابن حجر: فتح الباري ١٢٤/١٠).

« وروى الدّارقطنيّ في « الأفراد » من طريق عطاء عن ابن عبّاس مرفوعًا: « يجتمع الخضر وإلياس كلّ عام في الموسم، فيحلق كلّ واحد منهما رأس صاحبه، ويفترقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله » الحديث، في إسناده محمّد بن أحمد بن زيد بمعجمة ثمّ موحّدة ساكنة وهو ضعيف (فتح الباري ١٩٦/١٠).

(٣) من علماء الأدب والتفسير والحديث، سكن المدينة وانتقل إلى مصر من كتبه التفسير الكبير (ت ٦٥٥)، الأعلام للزركلي (٢٣٣/٦).

(٤) انظر: روح المعاني للآلوسي (٣٢٠/١٥)، إرشاد الساري (٣٨٤/٥)، المنار المنيف (ص ٧٢). وانظر هذه المسألة عند: محمد خير رمضان يوسف: الخضر بين الواقع والتهويل (ص ١٢٥ - ١٣٦).

والحقيقة أنه لم يأت في إثبات استمرار حياته حديث صحيح، ولذلك قال الآلوسي: « والأكثرون من المحدثين على وفاته » (١). قال ابن كثير: « وقد تصدى الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله في كتاب (عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر) للأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات، فبيَّن أنها موضوعات، ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم، فبيّن ضعف أسانيدها ببيان أحوالها، وجهالة رجالها، وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد » (٢).

ومما يجدر ذكره أن ابن قيم الجوزية ذكر أن ممن قال بموت الخضر أحد أئمة الشيعة الاثني عشرية، وهو علي بن موسى الرضا رحمهما الله (٣).

وقال ابن قيم: « الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد،... وسئل إبراهيم الحربي عن تعمير الخضر وأنه باقٍ، فقال: من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان » (٤).

« وسئل البخاري عن الخضر وإلياس هل هما أحياء؟ فقال: كيف يكون هذا؟ وقد قال النبي ﷺ: « **لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد** » (٥). وسئل عن ذلك كثير غيرهما من الأئمة فقالوا – مستدلين بالقرآن –: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ».

و « لو كان الخضر حيًا، لوجب عليه أن يأتي النبي ﷺ ويجاهد بين يديه ويتعلم منه، وقد قال النبي ﷺ يوم بدر: « **اللّهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض** » (٦)،

---

(١) روح البيان (٢/٤٩٩). (٢) البداية والنهاية (١/٣٣٤).

(٣) انظر: ابن قيم الجوزية: المنار المنيف (ص ٧٢)، وانظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥/٣٢٠). دار إحياء التراث العربي، بيروت، محمد خير رمضان يوسف: الخضر بين الواقع والتهويل (ص ١٣١).

(٤) ابن قيم الجوزية: المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص ٦٧).

(٥) رواه الشيخان. ولكن قال القرطبي: ولا حجة لمن استدل به على بطلان قول من يقول إن الخضر حي لعموم قوله: « ما من نفس منفوسة » لأن العموم وإن كان مؤكد الاستغراق فليس نصًا فيه، بل هو قابل لم يتناول عيسى عليه السلام فإنه لم يمت ولم يقتل، فهو حي بنص القرآن ومعناه، ولا يتناول الدجال مع أنه حي بدليل حديث الجساسة، فكذلك لم يتناول الخضر عليه السلام، وليس مشاهدًا للناس، ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضًا،فمثل هذا العموم لا يتناوله » تفسير القرطبي (١١/٤٢).

(٦) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، رقم (١٧٦٣).

وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، فأين كان الخضر حينئذ؟

قال أبو الفرج ابن الجوزي: والدليل على أن الخضر ليس بباق في الدنيا أربعة أشياء: القرآن والسنة وإجماع المحققين من العلماء والمعقول » [١].

ويرى ابن حزم أن القول بحياة إلياس والخضر فكرة مأخوذة عن اليهودية، فاليهود هم الذين قالوا بحياة إلياس وحياة فنحاس بن العازار بن هارون عليه السلام، وسار في سبيلهما بعض الصوفية فادعى أنه يلقى إلياس في الفلوات [٢].

وقد بالغ ابن حزم عندما عدّ دعاوى الصوفية الأخذ عن الخضر خروجًا عن عقيدة ختم النبوة! قائلًا: « فكيف يستجيز مسلم أن يثبت بعده عليه السلام نبيًا في الأرض حاشا ما استثناه رسول الله ﷺ في الآثار المسندة الثابتة في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان » [٣].

ولابن حجر رسالة في تحقيق أمر الخضر، أسماها: (الزهر النضر في نبأ الخضر) [٤]، نقل الدكتور قفاري أنه قال في خاتمتها: « والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقده العوام من استمرار حياته » [٥].

« وما الحكمة في أن يبقى طيلة هذه المدة - كما يزعم الزاعمون - في الفلوات والقفار والجبال؟ ما الفائدة من هذا؟ ليس هناك فائدة شرعية ولا عقلية من وراء هذا. إنما يميل الناس دائمًا إلى الغرائب والعجائب والقصص والأساطير، ويصورونها تصويرًا من عند أنفسهم ومن صنع خيالهم، ثم يضفون عليها ثوبًا دينيًا، ويروج هذا بين بعض السذج، ويزعمون هذا من دينهم، ولكن ليس هذا من الدين في شيء... والحكايات

---

(١) ابن قيم الجوزية: المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص ٦٧، ٦٨).

(٢) الفصل في الملل والنحل (٥/٣٧).

(٣) الفصل (٥/٣٧، ٣٨)، انظر: ابن عربي: الفتوحات المكية (١/٢٤١)، ابن عطاء الله السكندري: لطائف المنن (ص ٥٢، ٥٣)، وطبقات الشعراني: ١/٩٧، ٢/٥، وقارن وانظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب (٧/٤٧٧).

(٤) وقد وجدت عنوانه في ذكر كتب ابن حجر في تقديم تهذيب التهذيب، ولكن ورد اسمه هكذا: (الزهر النضر في حال الخضر)، (ص ١٣)، (ط١)، (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، دار الفكر - دمشق.

(٥) ابن حجر: الرسائل المنيرية (٢/٢٣٤)، وانظر: د. ناصر بن عبد الله القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٢/١٠٥٥)، الهامش.

التي تحكي عن الخضر إنما هي مخترعات ما أنزل الله بها من سلطان » [(١)].

وعلى كلّ فليست مسألة حياة الخضر من أصول العقائد، ولا فروعها المهمة.

قال الشيخ تقي الدين العثماني: « والجملة فلم يثبت في القرآن ولا في السنة دليل [(٢)] يجزم به على حياته أو موته، فليست المسألة مسألة عقيدة، وإنما هي مسألة ثبوت واقعة وعدم ثبوتها، ومسألة مشاهدة وتجربة، والسبيل الأسلم في مثلها التوقف والسكوت، حتى يتضح أحد الجانبين بدليل منقول أو بمشاهدة » [(٣)].

التفضيل بين الأنبياء والأئمة والملائكة الكرام:

أفضلية النبي ﷺ على الخلق أجمعين:

عن الحسين بن عبد الله قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: « كان رسول الله ﷺ سيّد ولد آدم؟ فقال: كان – واللهِ – سيّد من خلق الله وما برأ الله بريّةً خيرًا من محمّدٍ ﷺ » [(٤)].

وهناك عدة روايات في هذا الباب تدل على نورانية التكوين المحمدي والعلوي، ولكن ذهب محقق الكافي إلى ضعف بعض تلك الروايات وجهالة بعضها [(٥)].

---

(١) الأستاذ الدكتور القرضاوي: موقع إسلام أنلاين www.Islamonlinen.net.

(٢) أي دليل خاص به، وإلا فعموميات الحديث تدل على موته كما ذكرنا.

(٣) الشيخ تقي الدين العثماني: تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم (٥/٢٤).

(٤) أصول الكافي (١/٥١٠)، كتاب الحجة، بابٌ في مولد النبي ﷺ ووفاته. وروى الكليني قريبًا منه عن علي رضي الله عنه.

(٥) انظر: أصول الكافي (١/٥١١)، كتاب الحجة، بابٌ في مولد النبي ﷺ ووفاته. منها: « عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: يا محمّد إنّي خلقتك وعليًا نورًا، يعني روحًا بلا بدنٍ، قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهلّلني وتمجّدني، ثمّ جمعت روحيكما فجعلتهما واحدةً، فكانت تمجّدني وتقدّسني وتهلّلني، ثمّ قسمتها ثنتين، وقسمت الثّنتين ثنتين فصارت أربعةً: محمّدٌ واحدٌ، وعليٌّ واحدٌ، والحسن والحسين ثنتان، ثمّ خلق الله فاطمة من نورٍ، ابتدأها روحًا بلا بدنٍ، ثمّ مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا ». قال: والحديث ضعيف.

وكذلك نورانية الأئمة وسبق خلقهم: « عن محمّد بن سنانٍ قال: كنت عند أبي جعفرٍ الثّاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشّيعة فقال: يا محمّد إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّدًا بوحدانيّته، ثمّ خلق محمّدًا وعليًا وفاطمة فمكثوا ألف دهرٍ، ثمّ خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوّض أمورها إليهم، فهم يحلّون ما يشاؤون ويحرّمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى. ثمّ قال: يا محمّد هذه الدّيانة الّتي من تقدّمها مرق ومن تخلّف عنها محق ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمّد ». أصول الكافي (١/٥١٢)، كتاب الحجة، بابٌ في مولد النبي ﷺ ووفاته. قال محققه: والحديث ضعيف على المشهور.

فأفضلية النبي ﷺ على باقي الخلق متفق عليها بين السنة والشيعة، ولكن يأتي الخلاف في من هو بعده ﷺ. يقول اللقاني:

وأفضل الخلق على الإطلاق نبيّنا فمل عن الشقاق

والأنبيا يلونه في الفضل وبعده ملائكة ذو الفضل (١)

ثم يأتي بعد ذلك ذكر الصحابة الكرام وفيهم علي ﷺ.

أما الشيعة فيعتقدون أيضًا بتفضيل الأنبياء جميعًا على الملائكة الكرام، وجاء في (أوائل المقالات): « اتفقت الإمامية على أن أنبياء الله ورسله من البشر أفضل من الملائكة، ووافقهم في ذلك أصحاب الحديث، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك » (٢).

أيهما أفضل الأنبياء أم الأئمة؟

تقر روايات الاثني عشرية أن النبي محمدًا ﷺ أفضل الأنبياء، ولكن أيهم أفضل باقي الأنبياء أم أئمة آل البيت؟

هناك نص عن زين العابدين يثبت أن الأنبياء أفضل من الأئمة، فقد « سأل الأحول زين العابدين: جعلت فداك أنتم أفضل أم الأنبياء؟ قال: بل الأنبياء » (٣).

ولكن قد خالف الصدوق هذا النص، فقال: « لم يخلق خلقًا أفضل من محمد ﷺ والأئمة، وأنهم أحب الخلق إلى الله وأكرمهم، وأولهم إقرارًا به، ونعتقد أن الله تبارك وتعالى خلق جميع الخلق له ولأهل بيته عليهم السلام، وأنه لولاهم لما خلق الله سبحانه السماء والأرض ولا الجنة ولا النار، ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة ولا شيئًا مما خلق » (٤).

ويقول عبد الله شبر: « يجب الإيمان بأن نبينا ﷺ وآله المعصومين أفضل من الأنبياء والمرسلين ومن الملائكة المقربين؛ لتظافر الأخبار بذلك وتواترها فيما هنالك، قال ﷺ: « **أنا سيد ولد آدم ولا فخر** » (٥). وفي حديث للصادق يقول: أي شيء تقول الشيعة في موسى وعيسى وأمير المؤمنين؟ قلت: يزعمون أن موسى وعيسى أفضل من أمير المؤمنين. قال: يزعمون أن أمير المؤمنين علم ما علم رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم، ولكن لا يقدمون

---

(١) اللقاني: جوهرة التوحيد (ص ٢٩٠ - ٢٩٣).

(٢) المفيد: أوائل المقالات (ص ٥٥).

(٣) أصول الكافي (٢٢٨/١) كتاب الحجة، باب الاضطرار إلى الحجة.

(٤) رسالة الاعتقادات (ص ١٠٦، ١٠٧).

(٥) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٤٩).

على أولي العزم من الرسل أحدًا، قال أبو عبد الله فخاصمهم بكتاب الله، قلت: في أي موضع منه؟ قال: قال الله تعالى لموسى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وقال لعيسى عليه السلام: ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ [الزخرف: ٦٣] وقال لمحمد: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩] »[١].

بل إن المتأخرين نسبوا للرسول ﷺ وللأئمة من بعده ولاية تفويض على الكون من الله تعالى، في عبارات جمعت (ضغثًا على إبّالة)، جمعت غلو الغلاة مع عبارات الفلاسفة القدماء!! يقول الخنيزي[٢]:

« فما ثبت بالعلم تُدُيِّن به واعتقد، مثل كونهم عليهم السلام أفضل الخلق... فأفضلهم محمد ﷺ وهو الأول الحقيقي في الصدور، ثم من بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده الحسن الزكي عليه السلام ثم الحسين الشهيد عليه السلام ثم الأئمة التسعة من ذرية الحسين عليه السلام على الترتيب إلا تاسعهم صاحب الزمان عليه السلام فإنه أفضل التسعة، ثم من بعدهم: الصديقة فاطمة عليها السلام... ومثل كونهم العلة الغائية في خلق العالم؛ فإنه بديهي الثبوت ولا منافاة في ذلك وبين كون العلة الغائية معرفته عز وجل لأنهم طرق المعرفة إليه تعالى[٣]، « بخلاف كونهم العلة الفاعلية فإنها مع عدم التفويض[٤] معقولة لكن الدليل القطعي عليها غير موجود...نعم إن تمّ ما ادعته الحكماء من أن الواحد الحقيقي لا يصدر منه إلا واحد، ثبت أنه ﷺ هو العلة الفاعلية بقدرة الله عز وجل »[٥].

وهناك نصوص شيعية تؤكد توسل الأنبياء بالأئمة؛ فقد جاء في بحار الأنوار: « إنّ دعاء الأنبياء استجيب بالتّوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين »[٦].

---

(١) المصدر السابق (ص ١٤٩، ١٥٠).

(٢) من علماء القطيف في الجزيرة العربية (ت ١٣٦٣هـ)، ويجدر بالذكر أن نسبة غير قليلة من الشيعة تسكن المنطقة الشرقية في جزيرة العرب، وقد ذكرت إحدى القنوات الفضائية أن نسبة الشيعة في المملكة العربية السعودية تبلغ (١٤٪) على حد زعم هذه القناة. والله أعلم.

(٣) الخنيزي: مقدمة في أصول الدين (ص ٧١ - ٧٣).

(٤) أي دون تفويض من الله لهم في تصريف الأمور وهو معقول...أما مع التفويض وهو واضح البطلان حيث يقود إلى الكفر. انظر: الخنيزي: مقدمة في أصول الدين (ص ٧٤) الهامش.

(٥) الخنيزي (من علماء القطيف، ت ١٣٦٣هـ): مقدمة في أصول الدين (ص ٧٦).

(٦) وهذا أحد أبواب بحار الأنوار (٣١٩/٢٦).

كما أن ما جرى لبعض الأنبياء من المحن هي - حسب زعمهم - بسبب موقفهم من الأئمة، فآدم عليه السلام: «.. لما أسكنه الله الجنة مثّل له النبي وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم فنظر إليهم بحسد، ثم عرضت عليه الولاية فأنكرها، فرمته الجنة بأوراقها، فلما تاب إلى الله من حسده، وأقر بالولاية ودعا بحق الخمسة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم غفر الله له، وذلك قوله: ﴿ فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ ﴾ [البقرة: ٣٧] » (١).

كما ادعوا أنّ يونس عليه السلام حبسه الله في بطن الحوت لإنكاره ولاية علي بن أبي طالب ولم يخرجه حتى قبلها. عن حبّة العرني قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: « إنّ الله عرض ولايتي على أهل السّماوات وأهل الأرض أقرّ بها من أقرّ، وأنكرها من أنكر، أنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقرّ بها » (٢).

وقد جاء في كتاب مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب (ت ٥٨٨هـ) عدة فصول تؤكد مساواة الشيعة بين علي رضي الله عنه والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن هذه الفصول التي هي عناوين لما تحتها من أخبار: (فصل: في مساواته مع آدم وإدريس ونوح عليهم السلام... فصل في مساواته مع موسى عليه السلام... فصل في مساواته مع عيسى عليه السلام... فصل في مساواته مع سائر الأنبياء عليهم السلام) (٣).

وقد ذكر الدكتور القفاري أن بعض شيوخهم ألف في تفضيل الأئمة على الأنبياء كتبًا! (٤).

ويضيف المفيد في (أوائل المقالات) مذهبًا رابعًا ينقله في مذهب الاثني عشرية دون أن يعلق عليه، وهو أفضلية الأئمة على سائر الأنبياء ما عدا أولي العزم (٥).

---

(١) تفسير العياشي (٤١/١)، بحار الأنوار (٣٢٦/٢٦).

(٢) تفسير فرات (ص ١٣)، بحار الأنوار (٢٨٢/٢٦ - ٣٣٣، ٣٣٤)، بصائر الدّرجات (ص ٢٢).

(٣) انظر: مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب، المطبعة العلمية - طهران.

(٤) مثل كتاب تفضيل الأئمّة على الأنبياء، وكتاب تفضيل علي عليه السّلام على أولي العزم من الرّسل (كلاهما لشيخهم هاشم البحراني، المتوفّى سنة ١١٠٧)، وتفضيل الأئمّة على غير جدّهم من الأنبياء لشيخهم محمّد كاظم الهزار، وتفضيل أمير المؤمنين علي على من عدا خاتم النّبيّين، لمحمّد باقر المجلسي (المتوفّى سنة ١١١١هـ) ومن الطّريف أنّ أحد شيوخهم ألّف كتابًا بعنوان: « تفضيل القائم المهدي على سائر الأئمّة » من تأليف فارسي يدعى فتحعلياشه (ت ١٢٥٠هـ)، وانظر: الذّريعة (٣٥٨/٤ - ٣٦٠).

(٥) أوائل المقالات (ص ٤٢، ٤٣).

ولكنّ المجلسي يقول: « إنّ أولي العزم إنّما صاروا أولي العزم بحبّهم صلوات الله عليهم » ولا يستثني في ذلك أحدًا من المرسلين، حتى نبيّنا محمّد ﷺ!!. وذلك في باب [دعاء الأنبياء استجيب بالتّوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين] » (١).

بل هناك رواية توحي بتفضيل علي على النبي محمد ﷺ في بعض الوجوه:

حيث تروي أن رسول الله ﷺ قال: « **أعطيت ثلاثًا وعلي مشاركي فيها، وأعطي علي ثلاثًا ولم أشاركه فيها** » فقيل: يا رسول الله! وما هي الثلاث التي شاركك فيها علي عليه السلام؟ قال: « **لي لواء الحمد وعلي حامله، والكوثر لي، وعلي ساقيه، ولي الجنة والنار، وعلي قسيمهما، وأما الثلاث التي أعطيها علي ولم أشاركه فيها: فإنه أعطي ابن عم مثلي ولم أعط مثله، وأعطي زوجته فاطمة ولم أعط مثلها (٢)، وأعطي ولديه الحسن والحسين ولم أعط مثلهما** » (٣).

ولكنهم نفوا تفضيل علي على النبي ﷺ أو مساواته معه، وأكد مؤلفوهم المحدثون تفضيل الأئمة على جميع الرسل، أولي العزم وغيرهم: « يقول: أحمد الرحماني الهمداني عن آية التطهير: من كرائم الآيات التي [تدل] على أن عليًا وأولاده المعصومين - صلوات الله عليهم أجمعين - أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين سوى خاتم النبيين ﷺ: آية التطهير، وهي قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] » (٤).

ويقول: « إذا كان المعيار في الأفضلية أكثرية الثواب، كما هو الحق فيكون علي عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء حتى أولي العزم من الرسل؛ لأنه عليه السلام أكثر ثوابًا وأكرم منزلة عند الله تعالى، والشاهد على ذلك أخبار كثيرة من طرق العامة والخاصة » (٥).

كما يعلل آية الله دستغيب تفضيل الأئمة على الأنبياء بزيادة يقين الأئمة على يقين الأنبياء! (٦).

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار (٣١٩/٢٦).

(٢) فأين أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، هي من أكمل النساء عقلًا وأعظمهن مكانة في الدنيا والآخرة.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار (٩٠/٣٩)، وانظر في هذا المعنى: عيون أخبار الرضا (ص ٢١٢)، مناقب آل أبي طالب (٤٧/٢).

(٤) الإمام علي عليه السلام (ص ٢١٣، ٢٧٣). (٥) الإمام علي عليه السلام (ص ٣٣٨).

(٦) « يقول عبد الحسين دستغيب من أئمتهم المعاصرين (اليقين، ص ٤٦، دار التعارف - بيروت، ١٩٨٩م): =

ويزعم العاملي (علي بن يونس العاملي ت ٨٧٧) أن الإمام مالكًا كان يرى هذا المذهب الفاسد، فيقول: « نقل مالك بن أنس أخبارًا جمة في فضائل علي، وكان يفضله على أولي العزم من الأنبياء، فرمي بالغلو لذلك »(١)!!

وما دام الأئمة قد بلغوا هذا القدر، فلماذا لا يقول الشيعة بنبوّة الأئمة، فيكفوا أتباعهم عناء التفريق بين النبي والإمام؟ يجيب المجلسي عن هذا بقول لا تحتمله الجبال: « ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة - أي الأئمة - إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة »(٢)!!. وهكذا يصرح المجلسي - محدّث الشيعة الأمين على روايات الأئمة! - أنه لولا ثبوت ختم النبوة بالنبي محمد ﷺ لقالوا إذن بنبوّتهم!!

نقض روايات الأئمة لمذهب تفضيل علي ﷺ على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

وهذا المذهب الفاسد من تفضيل الأئمة على الأنبياء الكرام منقوض جملة وتفصيلًا عند أهل السنة، ثم هو منقوض أيضًا ببعض روايات الشيعة أنفسهم، فعن أبي جعفرٍ وأبي عبد الله ﷺ قال: « قلت له: ما منزلتكم ومن تشبهون ممّن مضى؟ قال: صاحب موسى وذو القرنين كانا عالمين ولم يكونا نبيّين »(٣).

فهذه الرواية تعكس ما ذكروه من تفضيل الأئمة على الأنبياء عليهم السلام، فمن المعلوم أن قدر ذي القرنين ويوشع بن نون دون قدر أولي العزم من الرسل، ودون قدر باقي الأنبياء، حتى اختلف العلماء في نبوّتهم ﷺ.

ويرى الدكتور القفاري أن هذا المذهب من آثار فرقةٍ هالكة بائدة من فرق الشيعة، تذهب إلى تفضيل علي على النبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ، يقال لها (العلبائية) وهم أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي، أو الأسدي، كان يقول بذم سيدنا محمد ﷺ، ويزعم أنه بعث ليدعو إلى علي فدعا إلى نفسه(٤).

= « وأئمتنا الاثنا عشر عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء باستثناء خاتم الأنبياء ﷺ، ولعل أحد أسباب ذلك أن اليقين لديهم أكثر ». انظر الدكتور القفاري.

(١) العاملي علي بن يونس العاملي (ت ٨٧٧): الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم (٢١٠/١). المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، بتحقيق محمد باقر البهبودي (١٣٨٤هـ).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار (٢٨/٢٦).

(٣) أصول الكافي (٣٢٥/١)، كتاب الحجة بابٌ في أنّ الأئمّة بمن يشبهون ممّن مضى وكراهية القول فيهم بالنّبوّة.

(٤) انظر: الملل والنحل (١٧٥/١)، وانظر: رجال الكشي (ص ٥٧١)، إلا أنه سماها: العليائية: بحار الأنوار (٣٠٥/٢٥).

ولعل من بقايا هذه الفرقة البائدة ما ينسبه العوام إلى الشيعة أنهم يقولون بأن وحي السماء الأمين جبريل كان عليه أن ينزل على علي، فتاهَ وأخطأ ونزل على سيدنا محمد ﷺ! وهو هراء لا يستحق الوقوف عنده، وما أظن أحدًا ينسب إلى الإسلام يقول به، ويكفي في ردّ وسوسته قوله تعالى عن جبريل عليه السلام: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢٥].

وقد أجمع أهل القرون الثلاثة على تفضيل الأنبياء على من سواهم [١]. قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩]، فبدأ سبحانه بذكر النبيين، وبيّن سبحانه أنه اصطفاهم واختارهم وأنهم خيار البشر فقال: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٦، ٤٧].

ولم يذكر ﷺ الإمامة ولا الأئمة الاثنى عشر ولا غيرهم بأي آية من القرآن الكريم. فإن قال الشيعة: إن أسماء الأئمة قد ذكرت في القرآن ثم حذفت – وقد قال بعضهم ذلك كما سنرى – فإن لنا معهم حينها حديث آخر.

كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

« صحف إبراهيم عليه السلام، وكانت عشرين صحيفة، وصحف إدريس عليه السلام وكانت ثلاثين، وصحف شيث (ابن آدم) وكانت خمسين، كما روي ذلك كله عن أمير المؤمنين عليه السلام » [٢].

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ: قلت: يا رسول الله! كم أنزل الله تعالى من كتاب، قال: « **مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان** » [٣].

---

(١) مختصر الصواعق (ص ١٨٦، ١٨٧). وانظر الدكتور أحمد القفاري: مذهب الشيعة..

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١١٦).

(٣) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٣٠) عن كتاب الخصال.

هل من الممكن شرعًا استمرار الوحي الإلهي بعد ختم النبوّة:

جاء في روايات الأئمة التأكيد على ختم النبوة بسيدنا محمد ﴿.. رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ.. ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وختم الكتب الإلهية بالقرآن الكريم: عن محمد الباقر أبي جعفر وجعفر الصادق أبي عبد الله: « لقد ختم الله بكتابكم الكتب، وختم بنبيّكم الأنبياء » (١).

وقد جاء في بحار الأنوار ووسائل الشيعة ما يؤيد هذا من قول النبي ﷺ: « **يا أيها الناس! لا نبيّ بعدي، ولا أمّة بعدكم** » (٢). وقوله: « **أيها الناس لا نبيّ بعدي، ولا سنّة بعد سنّتي** » (٣).

ولكن مع ذلك جاءت نصوص بعض علماء الشيعة لتعلن إمكانية اتصال الأرض بالسماء مرة أخرى، يقول اليزدي: « بيد أن ختم النبوة لا يعني قطع علاقة الهداية تمامًا بين الله والعباد، فإن الله تعالى يفيض من العلوم الغيبية لبعض عباده الصالحين متى رأى المصلحة تقتضي ذلك، وإن لم يكن ذلك عن طريق وحي النبوة، وكما يعتقد الشيعة بأن أمثال هذه العلوم قد أفاضها الله على الأئمة المعصومين » (٤).

وهذا الذي يزعمون أنه أفاضه الله على الأئمة صار بعد ذلك كتبًا خاصة بالأئمة، وصار لها أشكال وأنواع وألوان! فعندما يذكر شبر صحف الأنبياء يذكر بعدها بعنوان مستقل (كتب آل محمد) » (٥). مما يدل على تقديسهم لهذه الكتب باعتبارها وحيًا من الله تعالى!. فيذكرون منها « الجامعة... صحيفة طولها سبعون ذراعًا بذراع رسول الله وإملائه... الجفر الأبيض الذي عندنا زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم والحلال والحرام، ومصحف فاطمة عليها السلام.. » (٦).

وهناك عدة روايات تؤكد وجود هذه الكتب، ونكتفي منها بهذه الرواية (٧):

---

(١) أصول الكافي (١/٢٣١) كتاب الحجة، باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار (٢١/٣٨٢)، العاملي: وسائل الشيعة (١/٢٣)، ورواه أهل السنة، انظر: صحيح ابن حبان (١٥/١٩٥)، والهيثمي: مجمع الزوائد (٨/٢٦٣).

(٣) المجلسي: بحار الأنوار (٢٢/٤٧٥)، العاملي: وسائل الشيعة (٢٨/٣٣٧).

(٤) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٣١٨).

(٥) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١١٧).

(٦) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١١٧، ١١٨).

(٧) راجع لمزيد من الروايات: الفصل الثاني: مصادر تلقي العقيدة: مبحث نظرية اختصاص أئمة أهل البيت بعلوم الوحي.

عن أبي عبيدة قال: سأل أبا عبد الله ﷺ بعضُ أصحابنا عن الجفر؟ فقال: هو جلد ثورٍ مملوءٌ علمًا. قال له: فالجامعة؟ قال: تلك صحيفةٌ طولها سبعون ذراعًا في عرض الأديم مثل فخذ الفالج فيها كلّ ما يحتاج النّاس إليه، وليس من قضيّةٍ إلا وهي فيها حتّى أرش الخدش، قال: فمصحف فاطمة ؟ قال فسكت طويلًا ثمّ قال: إنّكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون. إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله ﷺ خمسةً وسبعين يومًا وكان دخلها حزنٌ شديدٌ على أبيها، وكان جبرئيل ﷺ يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيّب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيّتها، وكان علي ﷺ يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة » [1].

وهذه الأخبار من روايات الأئمة التي تفيض بها كتب الحديث الاثني عشرية لا تعني وجود هذه الكتب بيد الشيعة اليوم، بل إنها كتب لا وجود لها، ولا يعرفها خواص الشيعة ولا عوامهم، ولا حاجة للناس إليها، بل هي مزاعم لا دليل عليها، وغاية ما يقولونه عنها: إنها عند المهدي المنتظر قائم الزمان، وهيهات وقد فات لغيابه حتى الآن ما يقارب ألفًا ومائتي عام، فلينتظروا إنا منتظرون.

ووجوب الإيمان بهذه الكتب، التي تدّعي بعض الروايات احتواءها على تشريعات فقهية خاصة، وعلوم غيبية، وعدّها من وحي الله يبطل عقيدة ختم النبوة.

- فإما أن تكون هذه الكتب كلها أو بعضها من إملاء النبي ﷺ لفاطمة وعلي، فهي تنقض صفة واجبة من صفات الأنبياء، وهي وجوب التبليغ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧]. وخصوصًا إذا كان هذا الوحي في مسائل التشريع الفقهي الذي يحتاجه الناس. فكيف تحمل هذه الكتب تشريعات خاصة - على حد قول الرواية: (فيها كلّ ما يحتاج النّاس إليه وليس من قضيّةٍ إلا وهي فيها حتّى أرش الخدش) - ولا تشريع بعد موت النبي لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا .. ﴾ [المائدة: ٣]؟!.

- وإما أن تكون هذه الكتب قد كتبت بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى،

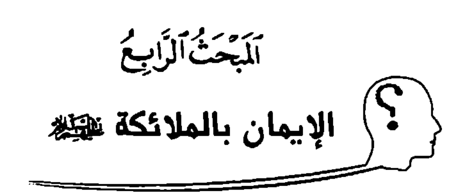
(١) أصول الكافي (٢٩٧/١) بابٌ فيه ذكر الصّحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة . قال محقق أصول الكافي: والحديث صحيح. وورد قريبًا منه في كتاب الحجة، باب مولد الزهراء فاطمة (٥٣٠/١). نص المحقق على صحته.

فهي تعني أن نزول جبريل بالوحي والغيوب بعد النبي جائز وممكن، وهو ما تضمنته الرواية: « وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها... ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيّتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة عليها السلام » [(١)]. وهذا مستحيل؛ لأن الوحي اتصال الأرض بالسماء، فكيف يستمر هذا الاتصال لمعرفة الغيب بعد وفاة النبي، وقد قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٨]؟!. ثم لو فتحت هذه الدعوى؛ لادعى من شاء من الناس ما شاء من نزول جبريل عليه وإخباره بالغيوب [(٢)].

* * *

(١) أصول الكافي (١/٢٩٧) بابٌ فيه ذكر الصّحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام، وانظر: كتاب الحجة، باب مولد الزهراء فاطمة (١/٥٣٠). نص المحقق على صحته.

(٢) ونحن لا نتحدث عن بعض ما يستأنس به بعض العارفين بطريق الرؤيا المنامية أو الفراسة، فهذا واقع تؤيده السنة النبوية، كحديث: « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة » متفق عليه رواه البخاري ومسلم، وحديث: « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » أخرجه الترمذي بسند ضعيف، ولكن الرؤيا الصالحة والفراسة لا تفيدان حكمًا فقهيًا شرعيًا ولا خبرًا يقينيًا حقيقيًا. إنما تفيدان الاستئناس لصاحبهما.



« يجب العلم بملائكة اللّٰه تعالى، حسب ما ورد في الكتاب والسنة، من أنهم أجسام على ضروب مختلفة، وأقسام متفاوتة، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١]، ومنهم الأكابر الأربعة: جبريل وميكائيل اللذان تكرر ذكرهما في القرآن، وإسرافيل وعزرائيل تكرر ذكرهما في الحديث » [(١)]. وأن « منهم سجود لا يركعون، وركّع لا ينتصبون... ومنهم أمناء وحيه » [(٢)].

ومن أصناف الملائكة **حملة العرش** والحافّون حوله كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ.. ﴾ [الزمر: ٧٥] » [(٣)].

ومن أصناف الملائكة: **الحفظة** الذين يحرسون الإنسان، فعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: « إنه ليس من عبد إلّا وله من اللّٰه حافظ وواقية، معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خلّيا بينه وبين كل شيء » [(٤)]. قال محقق أصول الكافي: « إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١] » [(٥)].

وتذكر الروايات **ملك الموت** وتفصّل القول فيه، وقد وصفت الروايات الاثنا عشرية ملك الموت بوصف قريب مما وصفته كتب أهل السنة.

إذ تذكر إحدى الروايات: « قال إبراهيم الخليل عليه السلام لملك الموت: هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر؟ قال: لا تطيق ذلك، قال: بلى، قال: فأعرض

(١) عبد اللّٰه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١١٣).
(٢) محمد هويدي: التفسير المعين للواعظين والمتعظين (ص ٤٤٦)، (ط١)، (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).
(٣) عبد اللّٰه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١١٣).
(٤) أصول الكافي (٢/٦٥) كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين. قال محققه: والحديث حسن.
(٥) أصول الكافي (٢/٦٥) حاشية رقم (٢).

عني، فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود، قائم الشعر، منتن الريح، أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان، فغشي على إبراهيم ثم أفاق، فقال: لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورة وجهك لكان حسبه »(١).

وقال الصادق عليه السلام: « قيل لملك الموت عليه السلام: كيف تقبض الأرواح وبعضها في المغرب وبعضها في المشرق في ساعة واحدة؟ فقال: أدعوها فتجيبني، قال: فقال ملك الموت عليه السلام: إن الدنيا بين يدي كالقصعة بين يدي أحدكم يتناول منها ما شاء، والدنيا عندي كالدرهم في كف أحدكم يقلبه كيف يشاء »(٢).

وكذلك تذكر روايات الشيعة والسنة وجود ملك يسدد الإنسان، ويحارب به لمّة الشيطان: عن الإمام الصادق قال: « ما من قلب إلا وله أذنان، على إحداهما ملك مرشد، وعلى الأخرى شيطان مفتن، هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي والملك يزجره عنها، وهو قول الله ﷻ: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٧، ١٨] »(٣).

ويعتقد الشيعة أن خلق الملائكة مستمر، وبطريقة ذكرها الباقر: « إن في الجنة نهرًا يغتمس فيه جبرائيل كل غداة، ثم يخرج منه فينتفض، فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقطر ملكًا »(٤).

الرد على من ادعى أن الملائكة هي القوى العالمة:

وقد رد شبر على بعض مفلسفي النبوة وحقيقة الملائكة، حيث زعموا أن الملائكة هي القوى العالمة، وبهذا لا يكون لها الماهية والشخصية المستقلة التي ذكرها القرآن الكريم، يقول شبر: « ليست الملائكة أيضًا القوى العالمة التي في النفوس كما قد يقولونه، بل جبريل عليه السلام ملك منفصل عن الرسول، يسمع كلام الله من الله وينزل به على رسول الله ﷺ، كما دل على ذلك النصوص والإجماع من المسلمين، وهؤلاء يقولون:

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار (١٤٣/٦).

(٢) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق (١٣٤/١) طبعة (٢) جماعة المدرسين قم (١٤٠٤هـ)، تحقيق علي أكبر غفاري. وانظر: حق اليقين (ص ٣٦٥).

(٣) أصول الكافي (٢٦٢/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب أن للقلب أذنين ينفث فيهما الملك والشيطان. قال محققه: والحديث حسن كالصحيح.

(٤) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١١٥) عن الكافي.

إن جبريل هو العقل الفعّال أو هو ما يتخيل في نفس النبي ﷺ من الصور الخيالية، وكلام اللَّه ما يوجد في نفسه كما يوجد في نفس النائم. وهذا مما يعلم كل من له علم بما جاء به الرسول أنه من أعظم الأمور تكذيبًا للرسول، ويعلم أن هؤلاء أبعد عن متابعة رسول اللَّه ﷺ من كفار اليهود والنصارى » [1].

والحقيقة أنه في كل زمان يأتي من يحاول أن يقرّب معاني الغيب للبشر دون دليل أو ضابط، فيلجأ إلى التأويل، فتزل قدمه به، وينقلب على عقبه، كمن ادعى أن مشاركة الملائكة في تثبيت النبي ﷺ وجهاد المشركين إنما هو ترميز للروح المعنوية! مع أن الروح المعنوية لا تعد بعدد، بخلاف أشخاص الملائكة الذين قال اللَّه عنهم: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩]. وقال: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ۞ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٤، ١٢٥].

وبدل أن نؤول حقيقة الملائكة فنبتعد عن الإحساس بوجودهم وحقيقتهم؛ فإن الإرشاد النبوي يريد منا أن نتمتع بالشعور المرهف لنحس بوجود ذوات الملائكة معنا، فنتأدب معهم ونكرمهم، فعن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن اللَّه ينهاكم عن التعرّي، فاستحيوا من ملائكة اللَّه الذين لا يفارقونكم إلا عند ثلاث حالات: الغائط والجنابة والغسل، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجذمة حائط أو ببعيره** » [2].

المسحة الشيعية في بعض الروايات المتعلقة بالملائكة الكرام:

تظهر المسحة الشيعية في بعض الروايات التي ينقلها الشيعة في حق الملائكة الكرام:

- فتذكر إحدى الروايات أن قسمًا خاصًّا من الملائكة قد خلق من وجه علي رضي الله عنه، فقد رووا عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: « **خلق اللَّه من نور وجه علي بن أبي طالب سبعين ألف ملك، يستغفرون له ولمحبيه إلى يوم القيامة** » [3].

- وتذكر رواية أخرى أن هناك ملك يختص بتسديد الأئمة وهو أعظم من جبريل: عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٣٧، ٥٣٨).

(٢) رواه البزار، ورجاله ثقات كما ذكر الهيثمي: مجمع الزوائد (١/٢٦٨). جذمة حائط: أصل جدار.

(٣) ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة (ص ٨٩).

أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ [الشورى: ٥٢] قال: خلقٌ من خلق الله ﷻ أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدّده، وهو مع الأئمّة من بعده » (١)، وفي رواية صحّحوها: « وهو من الملكوت ». وفي رواية أخرى محسّنة: « لم يكن مع أحدٍ ممّن مضى [أي من الأنبياء] غير محمّدٍ ﷺ، وهو مع الأئمّة يسدّدهم » (٢).

– وتقرر إحدى الروايات أن الملائكة تدخل على الأئمة، ولها زغب يظهر للناس، عن أبي حمزة الثّماليّ قال: دخلت على عليّ بن الحسين عليهما السلام، فاحتبست في الدّار ساعةً ثمّ دخلت البيت وهو يلتقط شيئًا وأدخل يده من وراء السّتر فناوله من كان في البيت، فقلت: جعلت فداك هذا الّذي أراك تلتقطه أيّ شيءٍ هو؟ فقال: فضلةٌ من زغب الملائكة نجمعه إذا خلّونا نجعله سيحًا لأولادنا. فقلت: جعلت فداك! وإنّهم ليأتونكم؟! فقال: يا أبا حمزة! إنّهم ليزاحموننا على تكأتنا » (٣).

– ومن الغريب المستنكر الذي جاءت به بعض روايات الاثني عشرية من إنقاص قدر الملائكة الكرام جبريل وما دونه، من أجل المغالاة بقدر الأئمة رضوان الله عليهم، إذ توضّح إحدى الروايات أن من وظائف الملائكة خدمة الأئمة: « إن الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا » (٤). بل تذكر أن « جبرائيل دعا أن يكون خادمًا للأئمة، قالوا: فجبريل خادمنا » (٥).

– وإذا كان القرآن قد ذكر سبق خلق الملائكة وتسبيحهم، لخلق آدم وذرّيته، فإن الصدوق يروي في (إكمال الدين) عن الرضا: « وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى التوحيد ومعرفة ربنا ﷻ وتسبيحه وتقديسه وتهليله؟ لأن أول ما خلق الله تعالى أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتمجيده، ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحنا نورًا

---

(١) أصول الكافي (٣٢٩/١) كتاب الحجة باب الروح التي يسدد بها الأئمة. قال محققه: والحديث صحيح.

(٢) أصول الكافي (٣٢٩/١) كتاب الحجة باب الروح التي يسدد بها الأئمة. قال محققه: والحديث حسن. وقال: « (وليس كل ما طلب وجد): أي بل هو فضل من الله يؤتيه من يشاء ».

(٣) أصول الكافي (٤٥٨/١، ٤٥٩) كتاب الحجة باب أنّ الأئمّة تدخل الملائكة بيوتهم وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار عليهم السلام. قال محققه: والحديث صحيح.

(٤) بحار الأنوار (٣٣٥/٢٦)، ابن بابويه، إكمال الدين (ص ١٤٧)، عيون أخبار الرضا (٢٦٢/١)، علل الشرائع (ص ١٣).

(٥) بحار الأنوار (٣٤٤/٢٦، ٣٤٥)، إرشاد القلوب (ص ٢١٤)، كنز جامع الفوايد (ص ٤٨٣).

واحدًا استعظموا أمرنا فسبّحنا، فتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون، وأنه منزه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة لتسبيحنا » (١). وتقول رواية أخرى: « وكانت الملائكة لا تعرف تسبيحًا ولا تقديسًا من قبل تسبيحنا وتسبيح شيعتنا » (٢).

- بل قد أعطى المجلسي أسماء الملائكة ووظائفهم إلى الأئمة، فعقد المجلسي بابًا بعنوان: « باب أنهم عليهم السلام الصافون والمسبّحون، وصاحب المقام المعلوم، وحملة عرش الرحمن، وأنهم السفرة الكرام البررة » (٣).

وهذا خلاف ما عليه أئمة التفسير، حتى من الشيعة أنفسهم. يقول مغنية في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات: ١٦٤ - ١٦٦] في تفسيره (التفسير المبين): « هذا من كلام الملائكة يردون على من قال: للّه بنات من الملائكة » (٤).

- وتؤكد بعض الروايات أن حياة الملائكة موقوفة على الأئمة والصلاة عليهم؛ لأنه « ليس لهم طعام ولا شراب إلا الصلاة على علي بن أبي طالب ومحبيه، والاستغفار لشيعته المذنبين » (٥). في حين نص القرآن أنهم يستغفرون لجميع المؤمنين على وجه الأرض، قال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى: ٥]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧].

ولا مجال للمقارنة بين هذه الروايات التي تضع من قدر الملائكة، وكلام اللّه تعالى الذي يرفعهم إلى مقام سامق؛ حيث يقول عنهم: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٨]. ويبين

---

(١) عبد اللّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٥٠).

(٢) جامع الأخبار لابن بابويه (ص ٩)، بحار الأنوار (٣٤٤/٢٦).

(٣) بحار الأنوار (٨٧/٢٤).

(٤) محمد جواد مغنية: التفسير المبين (ص ٥٩٦)، (ط ٢).

(٥) بحار الأنوار (٣٤٩/٢٦).

أن الملائكة عليهم السلام كانت تسبح الله وتقدس له قبل أن يعرف الأئمة، وقبل أن يذكروا، بل قبل خلق آدم أبي البشر عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

– ويتناقل في أوساط الشيعة وعلى ألسنة قصّاصهم رواية تتحدث عن تقصير ملك اسمه فطرس: عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما ولد الحسين عليه السلام هبط جبرئيل في ألف ملك يهنون النبي بولادته، وكان ملك يقال له (فطرس) في جزيرة من جزائر البحر بعثه الله في أمر من أموره فأبطأ عليه، فكسر جناحه وأزاله عن مقامه، وأهبطه إلى تلك الجزيرة، فمكث فيها خمسمائة عام، وكان صديقًا لجبرئيل، فلما مضى قال له: أين تريد؟ قال له: ولد للنبي مولود في هذه الليلة، فبعثني الله في ألف ملك لأهنئه. قال: احملني إليه لعله يدعو لي. فلما أدى جبرئيل الرسالة ونظر النبي إلى فطرس، قال له: يا جبرئيل، من هذا؟ فأخبره بقصته فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: امسح جناحك على المولود. يعني الحسين عليه السلام ، فمسح جناحه فعاد إلى حالته، فلما نهض قال له النبي ﷺ: « **الزم أرض كربلاء وأخبرني بكل مؤمن رأيته زائرًا إلى يوم القيامة** ». قال: فذلك الملك يسمى (عتيق الحسين عليه السلام) (١).

وهذا الاعتقاد في الملائكة مخالف لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] ولقوله: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

ويظهر أن هذه الروايات من صنع الغلاة، فقد حاربها وأمثالها الحلي، حيث قال عن الملائكة: « معصومون، لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]. وقوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠]. وقوله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ.. ﴾ [البقرة: ٣٠]. وهذا يدل على أنهم بخلاف ما وصفوا به غيرهم من الفساد وتعمد المعاصي أجمع. وما روي في بعض الأخبار من ضد ذلك، وكذلك ما تضمنته قصة هاروت وماروت فقد صرف

---

(١) محمد بن جرير بن رستم الطبري (الشيعي): دلائل الإمامة (ص ١٩٠)، مؤسسة البعثة قم (١٤١٣)، (ط١). تحقيق قسم الدراسات مؤسسة البعثة، وذكر المحققون أن الخبر في: عيون المعجزات (٦٨)، ونحوه في روضة الواعظين (١٥٥).

ذلك عن الظاهر إلى ضرب من التأويل »[1]. قال رضا الأستادي معلقًا على هذا النص: « كقصة فطرس وأشباهها ».

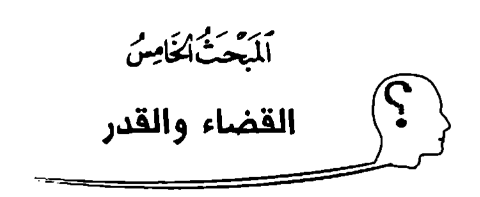
ولكن القصة وردت في (كامل الزيارات لابن بابويه القمي)[2]، ورددها الشيعة في كثير من كتبهم التي يتناقلها أتباعهم[3]، تحت مسمى كرامات الأئمة، وكأنهم عند ذكر الأئمة وكراماتهم ينسون ما قرروه في كتب العقيدة من عصمة الملائكة عليهم السلام!!.

* * *

(١) المحقق الحلي: المسلك في أصول الدين، وتليه الرسالة الماتعية (ص ٢٨٥، ٢٨٦). مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة (١٤١٤هـ)، تحقيق رضا الأستادي.

(٢) (ص ٦٦).

(٣) دلائل الإمامة، لابن رستم الطبري (ص ١٩٠)، وعيون المعجزات (٦٨)، وروضة الواعظين (١٥٥).



مفهوم القضاء والقدر:

القدر لغة: مقدار الشيء وحالاته المقدرة، ووقت الشيء أو مكانه المقدر له.

والقضاء لغة: الحكم والأداء، وجميع معانيه اللغوية ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه [1].

وقد ساق المفيد معنى القضاء في اللغة: « على أربعة أضرب: الخلق والأمر والإعلام والفصل بالحكم [2] ثم ساق الأمثلة على هذه المعاني الأربعة: فالأول كقوله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: ١٢] أي خلقهن، ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أمر، ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤] أي: أعلمنا ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢٠] أي يفصل بالحكم.

أما شرعًا: فهناك شبه اتفاق بين أهل العلم على معنى القضاء والقدر بشكل مجمل، فهما علم الله تعالى بالأشياء منذ الأزل، ثم التصرف فيها إيجادًا أو إعدامًا بإرادته وقدرته تعالى على وفق علمه القديم بها، فأحدهما يستند إلى صفة العلم القديم، والثاني إلى صفتي الإرادة والقدرة.قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٤٩، ٥٠]، وأفهم من الآية الأولى علم الله بمقادير الأشياء في الأزل، ومن الآية الثانية تصرفه بالأشياء بإرادته وقدرته.

ومع وضوح المعنى الإجمالي للكلمتين فقد وقع خلاف بين أهل العلم في أيهما هو صاحب المعنى الأول، وأيهما صاحب المعنى الثاني؟ فقد قال الجرجاني في التعريفات:

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٥/٣٥٤٧، ٣٦٦٥)، والمصباح المنير للفيومي (ص ١٨٧، ١٨٨ - ١٩٣)، والمعجم الوسيط (٢/٧٤٥، ٧٧١، ٧٧٢) مادتي (ق د ر / ق ض ى).

(٢) المفيد: تصحيح اعتقادات الصدوق (ص ٣٩).

« والفرق بين القدر والقضاء هو أن القضاء وجود [١] جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها » [٢].

و قد « اختلف الأشاعرة والماتريدية في كل من القضاء والقدر، فقال الأشاعرة: القدر إيجاد اللّه الأشياء على قدر مخصوص ووجه معين أراده تعالى، فهو عبارة عن الإيجاد عندهم، وهو من صفات الأفعال، وقال الماتريدية: القدر هو تحديد اللّه أزلًا كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر، إلى غير ذلك، فهو علمه تعالى أزلًا بصفات المخلوقات، وهو عندهم راجع لصفة العلم وهي من صفات الذات، وأما القضاء عند الأشاعرة: فقالوا هو إرادة اللّه الأشياء في الأزل على ما هي عليه فيما لا يزال، فهو من صفات الذات، وعند الماتريدية هو إيجاد اللّه الأشياء مع زيادة الإحكام والإتقان، فهو راجع إلى صفات الأفعال، وعلى هذا يكون القدر عند الأشاعرة حادث، والقضاء قديم، وعلى العكس الماتريدية » [٣].

والظاهر أن الرأي الذي يراه الشيعة في التفريق بينهما قريب من رأي الماتريدية، قال اليزدي: « لفظة القدر بمعنى المقدار والتقدير، يعني قياس الشيء وجعله على مقدار... ولفظة القضاء بمعنى الإتمام والفراغ من الشيء أو الأداء والحكم... وأحيانًا تستعمل كلتا الكلمتين بمعنى مترادف حيث يستعملان في معنى المصير...

وعلى ضوء هذا التفسير تكون مرحلة التقدير متقدمة على مرحلة القضاء؛ حيث تكون للتقدير مراحل تدريجية مشتملة على مقدمات بعيدة ومتوسطة وقريبة، ويتعرض التقدير للتغير بتغير بعض الأسباب والشروط... وأما مرحلة القضاء فهي دفعية ليست تدريجية، ومرتبطة بتوفر كل الأسباب والشروط، وهي أيضًا حتمية لا تقبل التغير:

---

(١) التعبير بكلمة وجود لا يعني أن القضاء والقدر لا ينطبق على غيرها من الممكنات كالإعدام، لأن الإرادة الإلهية ليست مخصصة للوجود فقط، وإنما للممكنات الست، وربما قصد من ذكر الوجود التمثيل بأهم الممكنات الست التي هي الوجود والعدم والجهات والأزمنة والصفات والمقادير، كما قيل:

الممكنات المتقابلات ... وجودنا والعدم الصفات
أزمنة أمكنة جهات ... كذا المقادير روى الثقات

انظر: الأستاذ الدكتور الخن رحمه اللّه تعالى: مبادئ العقيدة الإسلامية (ص ١٤٤).

(٢) الجرجاني: التعريفات (ص ٢٢٠).

(٣) شرح جوهرة التوحيد للشيخ الباجوري (ص ٢٣٩، ٢٤٠)، مؤسسة أنس بن مالك للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧، آل عمران: ٤٧، مريم: ٣٥] »[(١)].

وبناء على هذا، فالقدر بمنزلة مخطط البناء، والقدر بمنزلة إقامة البناء، كما ورد في أحد الروايات عن الإمام الرضا: « يا يونس... فتعلم ما القدر؟ قلت: لا، قال: هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء. قال: ثمّ قال: والقضاء هو الإبرام وإقامة العين »[(٢)].

« والقضاء من اللّه تعالى أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه اللّه، فإذا قضي فلا مدفع له »[(٣)].

ولعل رأي الماتريدية والاثني عشرية أقرب – عندي – إلى الحق، ذلك أن معنى كلمة القضاء يدل على الحتم كما ورد في مختار الصحاح؛ ولذلك سمي حكم القاضي قضاء، حيث لا رجعة فيه، وقال تعالى: ﴿ .. قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴾ [يوسف: ٤١]، ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧]. مما يدل على عدم الرجوع.

ولكن يرد على هذا الرأي ما ورد في سنن الترمذي من قوله ﷺ: « **لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد العمر إلا البر** »[(٤)]، وقريبًا منه ما ورد عن علي ﷺ: « إن القدر لا يرد القضاء، ولكن الدعاء يرد القضاء »[(٥)].

والجواب أن المقصود من كلمة (القضاء) في الحديث النبوي إنما هو (القدر)، فهاتان الكلمتان تترادفان، وخصوصًا إذا لم تذكرا معًا، ويدل على ذلك أن الإمام الترمذي الذي خرّج هذا الحديث، استبدل كلمة القدر بكلمة القضاء، في ترجمة هذا الحديث، فقال: (باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء)، مع أن الحديث الذي ترجم له لفظه: « لا يرد القضاء إلا الدعاء »!.

وعلى كلٍّ فالخطب سهل، فالقضاء والقدر متلازمان لا ينفك معنى أحدهما عن

---

(١) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ١٦٩، ١٧٠).

(٢) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين (١/٢٠٨).

(٣) انظر: حافظ عاشور: تحقيق صدق الكلام للأندكاني (ص ٤٥٢). وانظر: قضايا الخلاف لمحمود سلامة (ص ٢٤٦ – ٢٤٨).

(٤) سنن الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، رقم (٢١٣٩). وقال: وفي الباب عن أبي أسيد وهذا حديث حسن غريب.

(٥) اللالكائي (هبة اللّه بن حسن ٤١٨هـ): اعتقاد أهل السنة (٤/٦٦٦). دار طيبة، الرياض (١٤٠٢هـ)، تحقيق د. أحمد سعد حمدان.

معنى الآخر [١]، والإيمان بمضمونهما واجب، وهو ركن أساس من أركان الإيمان، ففي حديث جبريل عليه السلام:.. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه** » [٢].

وعن ابن الدّيلميّ قال: وقع في نفسي شيءٌ من القدر، فأتيت زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه فسألته فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **لو أنّ الله عذّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذّبهم غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم، ولو كان لك جبل أحدٍ أو مثل جبل أحدٍ ذهبًا أنفقته في سبيل الله ما قبله الله منك حتّى تؤمن بالقدر وتعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأنّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنّك إن متّ على غير هذا دخلت النّار** » [٣].

فهذا المعنى هو الذي يجب الإيمان به، أن « تعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأنّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك »، سواء أسميناه قدرًا أو قضاءً هو الذي أكّده القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢].

ولذلك قال اللقاني:

وواجبٌ إيماننا بالقدر وبالقضا كما أتى في الخبر [٤]

الحكمة من الإيمان بالقضاء والقدر:

إن لفت الناس إلى فوائد مفردات العقيدة من الأمور المستحسنة، وقد ذكر اليزدي شيئًا من حكم الإيمان بالقضاء والقدر فقال: « من يؤمن بأن حدوث الحوادث خاضع لإرادة الله الحكيمة ومستند إلى التقدير والقضاء الإلهي لا يخشى الأحداث المؤلمة ولا ينهار أمامها، ولا يتملكه الجزع واليأس... وكذلك لا تشده ولا تخدعه ملذّات الحياة وأفراحها، ولا يصيبه الغرور والخيلاء بها، ولا يتخذ النعم الإلهية سلّمًا للتفاخر

---

(١) انظر: قضايا الخلاف لمحمود سلامة (ص ٢٤٦ - ٢٤٨)، وحافظ عاشور: تحقيق صدق الكلام للأندكاني (ص ٤٥٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بيان الإسلام والإحسان، رقم (٩).

(٣) مسند أحمد، من حديث زيد بن ثابت، رقم (٢٠٦٢٦)، وهو مروي أيضًا عن أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم. وهو حديث صحيح.

(٤) الجوهرة مع شرح الشيخ الباجوري (ص ٢٣٧).

والاستعلاء. إن هذه المعطيات القيمة هي التي تشير إليها الآية الشريفة: قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣] (١).

الجدال في القدر:

ظهر الجدال في القدر في عهد متقدم في حياة المسلمين، فقد احتجّ به المشركون في العهد المكي، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ۝ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨، ١٤٩].

وفي العهد المدني كان للصحابة الكرام في القدر كلام وجدال، فعن عبد اللّٰه بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال: خرج رسول اللّٰه ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمّان من الغضب، فقال: « **بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم؟! تضربون القرآن بعضه ببعض؟ بهذا هلكت الأمم قبلكم** ». قال فقال عبد اللّٰه بن عمرو: ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول اللّٰه ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلّفي عنه (٢).

ولكنّ منع النبي ﷺ الصحابة الكرام من التخاصم في القدر لم يمنع من أن يسأله بعض الصحابة مسائل تتعلق بالقدر، فقد سئل النبي ﷺ عن قيمة العمل مع وجود القدر، فقد جاء سراقة بن مالك بن جعشم، قال: يا رسول اللّٰه! بيّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: « **لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير** » (٣).

و « عن عمران بن حصين قال: قيل يا رسول اللّٰه! أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال فقال: نعم. قال قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: كلٌّ ميسّرٌ لما خلق له » (٤).

---

(١) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ١٧١).

(٢) الحديث في سنن ابن ماجه (٣٣/١) باب في القدر، وانظر: سنن أبي داود والترمذي.

(٣) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، صحيح مسلم، رقم (٤٧٨٨).

(٤) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ =

وقد كان بعض الصحابة يمتحنون عقول التابعين في مسألة القدر، فعن أبي الأسود الدّؤلي قال: قال لي عمران بن الحصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه؛ أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم. قال: فقال: أفلا يكون ظلمًا؟ قال: ففزعت من ذلك فزعًا شديدًا وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك الله! إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك. إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله! أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: **« لا، بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧، ٨] »** [1].

وتذكر روايات الاثني عشرية أن أتباع الأئمة كانوا يتساءلون عن القدر أيضًا؛ قال رجل لعلي رضي الله عنه: « يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال عليه السلام: بحر عميق فلا تلجه، قال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن القدر، قال عليه السلام: طريق مظلم فلا تسلكه، قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال عليه السلام: سرّ الله فلا تكلفه، قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما إذا أبيت فإني سائلك، أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله؟! قال: فقال له الرجل: بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قوموا فسلموا على أخيكم فقد أسلم وقد كان كافرًا، قال: وانطلق الرجل غير بعيد، ثم انصرف إليه فقال له: يا أمير المؤمنين أبالمشيئة الأولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وإنك لبعد في المشيئة، أما إني سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجًا: أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاؤوا؟! فقال: كما شاء، قال عليه السلام: فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا؟! فقال: لما شاء، قال عليه السلام: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا؟ قال: يأتونه كما شاء، قال عليه السلام: قم فليس إليك من المشيئة شيء » [2].

= [القمر: ٤٠] رقم (٦٩٩٦)، صحيح مسلم: كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، رقم (٤٧٨٨).

(١) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته رقم (٢٦٥٠).

(٢) الشيخ الصدوق: التوحيد (ص ٣٦٥، ٣٦٦)، وأورده في دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم من =

قال الصدوق: « والكلام في القدر منهي عنه، كما قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام » [١]. وهذا النهي في أصله نهي نبوي، فقد ورد في مرويات أهل السنة: « إذا ذكر القدر فأمسكوا » [٢].

فكيف نوفّق إذن بين ما جاء من روايات تؤكّد أن الصحابة وكذلك أتباع الأئمة كانوا يتساءلون في القدر، وهذه النصوص التي تنهى عن الخوض فيه؟

يرى المفيد أن النهي عن السؤال في القدر لم يكن عامًّا، وإنما لحالات، منها:

- ١ أن يكون النهي خاصًّا بقوم كان كلامهم في ذلك يفسدهم.

- وثانيها: « أن يكون النهي عن الكلام في القضاء والقدر النهي عن الكلام فيما خلق اللّٰه تعالى وعن علله وأسبابه » [٣]. مما يترتب عليه الاعتراض على قضاء اللّٰه وقدره.

ولذلك فإن التساؤل عن القدر سائغٌ ما دام لم يتجاوز مجرد الاستفهام حول علاقة القدر بغيره من الأمور، كعلاقته بالعمل البشري ووجوب السعي. أما أن يصل إلى درجة محاولة معرفة كنه القدر وسرّه المكنون الذي لا يعلم حقيقته إلا اللّٰه تعالى، فإنه منهيٌّ عنه، كما مرّ من قول علي رضي الله عنه عن القدر: « سرّ اللّٰه فلا تكلفه » وكذلك ينهى عن الجدال في القدر إذا أوصل إلى حدّ إنكاره، وهو ما وقعت فيه فرقة القدرية، فالإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، ثابت في الكتاب والسنة، وهو معلوم من الدين بالضرورة.

والتاريخ يحدثنا أن معبد الجهني (ت ٨٠هـ) هو أول من أنكر القدر، كما ورد في روايات أهل السنة. فعن يحيى بن يعمر قال: كان أوّل من قال في القدر بالبصرة معبدٌ الجهنيّ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرّحمن الحميريّ حاجّين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول اللّٰه ﷺ فسألناه عمّا يقول هؤلاء في القدر، فوفّق لنا عبد اللّٰه بن عمر بن الخطّاب [ت ٧٣هـ] داخلًا المسجد... فقلت: أبا عبد الرّحمن! إنّه قد ظهر قبلنا ناسٌ، يقرأون القرآن... وذكر من شأنهم، وأنّهم يزعمون أن لا قدر، وأنّ الأمر أنفٌ. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنّي بريءٌ منهم، وأنّهم برآء منّي، والّذي يحلف به عبد اللّٰه بن عمر، لو أنّ لأحدهم مثل أحدٍ ذهبًا فأنفقه، ما قبل اللّٰه منه حتّى

= كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم اللّٰه وجهه (ص ٢٦٢).

(١) الصدوق: الهداية في الأصول والفروع (ص ٢٠)، مؤسسة الهادي - قم (١٤١٨هـ).

(٢) اللالكائي: اعتقاد أهل السنة (١/١٢٦).

(٣) المفيد: تصحيح اعتقادات الصدوق (ص ٤٢).

يؤمن بالقدر » (١).

وقد جاءت روايات أهل التشيع أيضًا لتحارب منكري القدر، وتسميهم بالقدرية: قال جعفر الصادق: « إن القدرية مجوس هذه الأمة، وهم الذين أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ۝ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨] » (٢). وقال زين العابدين علي بن الحسين: « والله لو أن عندي رجلًا من القدرية لأخذت بصليف رقبته، ثم لا أزال أحزها حتى أقطعها، فإنهم يهود هذه الأمة ونصاراها ومجوسها » (٣).

وعن يونس بن عبد الرّحمن قال: قال لي أبو الحسن الرّضا عليه السلام: « يا يونس! لا تقل بقول القدريّة، فإنّ القدريّة لم يقولوا بقول أهل الجنّة، ولا بقول أهل النّار، ولا بقول إبليس، فإنّ أهل الجنّة قالوا: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ.. ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال أهل النّار: ﴿.. رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، وقال إبليس: ﴿.. رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى.. ﴾ [الحجر: ٣٩] » (٤).

وتطلب الروايات من المرء الصبر والرضا مع الإيمان بالقدر، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: « الصّبر والرّضا عن الله رأس طاعة الله، ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحبّ أو كره، لم يقض الله عز وجل له فيما أحبّ أو كره إلا ما هو خيرٌ له » (٥).

وعن أبي جعفر: إذا خرجت من بيتك فقل: « بسم الله على ديني ونفسي وولدي وأهلي ومالي » ثلاث مرات ثم قل: « اللّهم بارك لنا في قدرك، ورضّنا بقضائك، حتى لا نحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت » (٦).

وقد ورد في مرويّات أهل السنة قريبًا منه؛ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **ما يمنع أحدكم إذا عسر عليه أمر معيشته أن يقول إذا خرج من بيته**

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٨).

(٢) الشيخ الصدوق: التوحيد (ص ٣٨٢). وهناك أحاديث واردة عند أهل السنة تذكر القدرية أنهم مجوس هذه الأمة، ولكن لم ترق تلك الأحاديث إلى درجة القبول والصحة.

(٣) القضاعي: دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (ص ٢٦٢).

(٤) أصول الكافي (٢٠٨/١) كتاب فضل التوحيد، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين.

(٥) أصول الكافي (٦٦/٢): كتاب الإيمان والكفر، باب الرضا بالقضاء، قال محققه: الحديث صحيح.

(٦) الكليني: فروع الكافي (٤٨٨/٥)..

(بسم الله على نفسي ومالي وديني، اللّهم رضّني بقضائك وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت) » [١].

مسائل مهمة في القدر:

وإذا استثنينا مسألة الإمامة فإن مسألة القدر من أكبر المسائل جدالًا ونقاشًا بين المسلمين، وهي مسألة في صميم العقيدة، على خلاف مسألة الإمامة التي لم يجمع المسلمون على عدّها مسألة عقدية [٢]؛ ولذلك يقول ابن أبي العز: « أكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الأمة مسألة القدر، وقد اتسع الكلام فيها غاية الاتساع » [٣]، وسنعرض لأهم المسائل التي تناولتها روايات الشيعة:

١ - تفسير العلاقة بين القدر والعمل:

عن سفيان بن عيينة عن الزهري، قال: قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام: جعلني الله فداك! أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟ فقال عليه السلام: إن القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد، فالروح بغير جسد لا تحس، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا وصلحا، وكذلك العمل والقدر، فلو لم يكن القدر واقعًا على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق، وكان القدر شيئًا لا يحس، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتم، ولكنهما باجتماعهما قويًا، ولله فيه العون لعباده الصالحين، ثم قال عليه السلام: ألا إن من أجور الناس من رأى جوره عدلًا وعدل المهتدي جورًا، ألا إن للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عز وجل بعبد خيرًا فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما العيب، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه، ثم التفت إلى السائل عن القدر فقال: هذا منه، هذا منه » [٤].

وسئل الإمام الصادق عن الرقى أتدفع من القدر شيئًا؟ فقال: « هي من القدر » [٥].

ورووا عنه قوله: « إذا حشر الله الخلائق سألهم عما عهد إليهم، ولم يسألهم عما

---

(١) الطبراني: كتاب الدعاء (ص ١٤٧)، دار الكتب العلمية - بيروت (ط١)، (١٤١٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، وفي المعجم الأوسط (١٢١/٦) برواية: « خر لي في قضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت... ».

(٢) حيث انفرد الشيعة بعدّها من أصول العقيدة ومسائلها. أما باقي الفرق فيعدونها من مسائل الفروع الفقهية.

(٣) شرح ابن أبي العز على الطحاوية (ص ١٩٣).

(٤) الصدوق: التوحيد (ص ٣٦٦، ٣٦٧). (٥) الصدوق: التوحيد (ص ٣٨٢).

قضى عليهم » [١].

٢ - تفسير العلاقة بين المشيئة والرضا:

عن أبي بصيرٍ قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: « شاء وأراد وقدّر وقضى؟ قال: نعم. قلت: وأحبّ؟ قال: لا. قلت: وكيف شاء وأراد وقدّر وقضى ولم يحبّ؟! قال: هكذا خَرَجَ إلينا » [٢]، وهذا النص يبين أن الأئمة كانوا يفرقون - كما هو مذهب أهل السنة - بين الإرادة والرضا (المحبة).

وهناك رواية أخرى صريحة تعبر عن التفريق بين هذه المفاهيم:

عن فضيل بن يسارٍ قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: « شاء وأراد، ولم يحبّ ولم يرض، شاء أن لا يكون شيءٌ إلا بعلمه وأراد مثل ذلك، ولم يحبّ أن يقال: ثالث ثلاثةٍ ولم يرض لعباده الكفر » [٣].

وتفرق الروايات أيضًا بين المشيئة والأمر، فقد يأمر اللّه تعالى ولا يشاء.

عن عبد اللّه بن سنانٍ عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: سمعته يقول: « أمر اللّه ولم يشأ وشاء ولم يأمر، أمر إبليس أن يسجد لآدم وشاء أن لا يسجد، ولو شاء لسجد، ونهى آدم عن أكل الشّجرة وشاء أن يأكل منها ولو لم يشأ لم يأكل » [٤].

وهناك تفريق في إحدى الروايات بين المشيئة والإرادة، فقد ورد عن الإمام الرضا قوله: « يا يونس تعلم ما المشيئة؟ قلت: لا، قال: هي الذّكر الأوّل. فتعلم ما الإرادة، قلت: لا. قال: هي العزيمة على ما يشاء » [٥].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه قال: « لا يكون شيءٌ في الأرض ولا في السّماء إلا بهذه الخصال السّبع:

بمشيئةٍ وإرادةٍ وقدرٍ وقضاءٍ وإذنٍ وكتابٍ وأجلٍ. فمن زعم أنّه يقدر على نقض واحدةٍ فقد كفر » [٦].

---

(١) المفيد: تصحيح اعتقادات الصدوق (ص ٤٤).

(٢) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب المشيئة والإرادة (٢٠١/١). قال المحقق: والحديث موثق كالصحيح.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب المشيئة والإرادة (٢٠٢/١).

(٥) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين (٢٠٨/١).

(٦) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب البداء (٢٠٠/١، ٢٠١). =

والملاحظ أن ما ورد عن أئمة الشيعة من أخبار حول الرضا والمشيئة يظهر أنهم لم يأخذوا برأي المعتزلة الذي لم يفرقوا بين الرضا والمشيئة، أو بين المحبة والإرادة، وإنما جاء مذهبهم موافقًا لرأي أهل السنة الذين يميزون بين الإرادة والرضا أو المشيئة والمحبة (١).

وعلى هذا نسج علماؤهم، فهذا الشيخ الصدوق فيما روى في كتبه من روايات يثبت التفرقة بين الإرادة والرضا ويقترب من رأي الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة، ويبتعد عن مذهب المعتزلة القائلين بعدم التفرقة بينهما، فيقول بشيء من التأويل: « مشيئة اللّه تعالى وإرادته في الطاعات: الأمر بها والرضا، وفي المعاصي: النهي عنها والمنع منها بالزجر والتحذير » (٢).

ومن الطريف أن أعرابيًا وقف على حلقةٍ فيها عمرو بن عبيد - شيخ المعتزلة - فقال: « يا هؤلاء إن ناقتي سرقت، فادعوا اللّه أن يردها عليّ. فقال عمرو بن عبيد: اللّهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت، فارددها عليه. فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك. قال: ولم؟ قال: أخاف كما أراد أن لا تسرق فسرقت، أن يريد ردها فلا ترد »! (٣).

٣ - العلاقة بين إرادة اللّه وإرادة الإنسان:

يبين كتّاب الاثني عشرية أنه لا تعارض بين إرادة اللّه - تعالى - وإرادة الإنسان؛ لأن « العلم الإلهي متعلق بكل ظاهرة بما هي عليه في الواقع، والأفعال الاختيارية معلومة للّه تعالى بما هي عليه في الواقع، وبوصف اختياريتها وإراديتها، فإذا حدثت هذه الأفعال على صفة جبرية، تكون قد تحققت على خلاف العلم الإلهي وتخلفت عنه » (٤).

= وقال المحقق: المشيئة: العزم... الإرادة: هي تأكد العزم على المشيئة، أو تأكد المشيئة. القدر: هو التقدير، أي تقدير الأشياء من حيث مواصفاتها، إذ التقدير بعد الإرادة والعزم. القضاء: الحكم بوجوده وهو خلقه في التكوينات، وبالثواب والعقاب في التكليفات. الإذن: إما العلم أو الأمر في الطاعات أو رفع الموانع، الكتاب: إما الإثبات في اللوح المحفوظ أو الفرض والإيجاب ». انظر: مرآة المجلسي (٢/١٥٠).

(١) انظر: أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية، د. عائشة المناعي (ص ٢٦٥ - ٢٧٠).

(٢) التوحيد (ص ٣٤٦، ٣٤٧)، نشر جماعة المدرسين - قم (١٣٨٧هـ)، وترى د. عائشة المناعي أن الصدوق مضطرب في هذه المسألة بحيث ينحاز إلى مدرسة الأشاعرة في التفرقة بين الرضا والإرادة في المعاصي والشرور، ولكنه ينحاز إلى المعتزلة فيرى أن الإرادة والرضا في الطاعات بمعنى واحد. انظر: أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية (ص ٢٦٨). ولكن الذي أراه أن الصدوق في هذه المسألة قريب من مذهب الأشاعرة وبعيد عن رأي المعتزلة عمليًا؛ لأن مشكلة التفريق بين الإرادة والرضا إنما ظهرت في المعاصي والشرور لا الطاعات.

(٣) ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٨١، ١٨٢).

(٤) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ١٦٦).

قال جعفر الصادق في رواية اتفق أهل السنة وأهل التشيع على روايتها: « إن الله تعالى أراد بنا شيئًا وأراد منا شيئًا، فما أراده بنا طواه عنا، وما أراده منا أظهره لنا، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا؟! » (١).

وقول الإمام الصادق نقله أهل السنة في كتبهم عنه رحمه الله (٢). مما يدل على أن أئمة أهل البيت شاركوا الأمة في تثبيت بناء عقيدتها.

وقال رحمه الله: « لا جبر ولا تفويض، ولكن أمرٌ بين أمرين... مثل ذلك: رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية » (٣).

وفصّل الصادق حال الناس مع القدر فقال: « إن الناس في القدر على ثلاثة أوجه، رجل يزعم أن الله تعالى أجبر الناس على المعاصي، فهذا قد ظلم الله في حكمه، فهو كافر، ورجل يزعم أن الأمر مفوض إليهم، فهذا قد وهّن الله في سلطانه، فهو كافر، ورجل يقول: إن الله كلف العباد ما يطيقون، ولم يكلفهم ما لا يطيقون، وإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله، فهو مسلم بالغ » (٤).

وذكر الجبر والتفويض عند الرضا، فقال كلامًا دقيقًا مهمًا: « إن الله عز وجل لم يطع بالإكراه، ولم يعص بالغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، وهو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما قدّرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعة الله لم يكن الله عنها صادًا، ولا منها مانعًا، وإن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينه وبين ذلك الفعل، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه، ثم قال عليه السلام: من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه » (٥).

- **مشيئة العبد بمشيئة الله تعالى:**

كان أمير المؤمنين عليه السلام جالسًا بالكوفة بعد منصرفه من صفّين إذ أقبل شيخٌ فجثا بين يديه ثمّ قال له: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشّام أبقضاءٍ من الله وقدرٍ؟

---

(١) المحقق الداماد: اثنا عشرة رسالة (٨/١١٨).

(٢) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل دار الكتب العلمية - بيروت (١٤١٠هـ)، (١ / ١٦٦)، عبد الحليم الجندي: الإمام جعفر الصادق (ص ١٤٥)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).

(٣) الكليني: أصول الكافي (١/١٦٠) تحقيق علي أكبر غفاري. الصدوق: التوحيد (ص ٢٠٦).

(٤) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٠٧).

(٥) المصدر السابق نفسه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أجل يا شيخ! ما علوتم تلعةً ولا هبطتم بطن وادٍ إلا بقضاءٍ من الله وقدرٍ. فقال له الشّيخ: عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين! فقال له: مه يا شيخ فوالله! لقد عظّم اللهُ الأجر في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي منصرَفكم وأنتم منصرِفون، ولم تكونوا في شيءٍ من حالاتكم مكرَهين، ولا إليه مضطرّين. فقال له الشّيخ: وكيف لم نكن في شيءٍ من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرّين، وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا؟ فقال له:وتظنّ أنّه كان قضاءً حتمًا وقدرًا لازمًا، إنّه لو كان كذلك لبطل الثّواب والعقاب والأمر والنّهي والزّجر من الله، وسقط معنى الوعد والوعيد، فلم تكن لائمةٌ للمذنب ولا محمدةٌ للمحسن، ولكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب؟! تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصماء الرّحمن، وحزب الشّيطان، وقدريّة هذه الأمّة ومجوسها.

إنّ الله تبارك وتعالى كلّف تخييرًا ونهى تحذيرًا، وأعطى على القليل كثيرًا، ولم يعص مغلوبًا ولم يطع مكرهًا، ولم يملّك مفوّضًا، ولم يخلق السّماوات والأرض وما بينهما باطلًا، ولم يبعث النّبيّين مبشّرين ومنذرين عبثًا، ذلك ظنّ الّذين كفروا فويلٌ للّذين كفروا من النّار (١).

وتبين الروايات أن مشيئة الإنسان وإرادته إنما هي بمشيئة الله تعالى وإرادته، فهي تفضّل من الله تعالى على ابن آدم:

قال أبو الحسن الرّضا عليه السلام: « قال الله: يا ابن آدم! بمشيئتي كنت أنت الّذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوّتي أدّيت فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعًا بصيرًا قويًّا، ما أصابك من حسنةٍ فمن الله، وما أصابك من سيّئةٍ فمن نفسك، وذاك أنّي أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيّئاتك منّي، وذاك أنّني لا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون » (٢).

٤ - أفعال العباد، والخلاف فيها:

« إن جمهور أهل السنّة يقولون: إن العبد له قدرة وإرادة وفعل، والله خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء، كما دل على ذلك الكتاب والسنة » (٣).

---

(١) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين (١/٢٠٦، ٢٠٧).
(٢) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب المشيئة والإرادة (١/٢٠٢).
(٣) انظر: منهاج السنة (١/٢٠، ٢١).

وتبين نصوص الأئمة أن قضاء الله بالكفر لا يعني رضاه به، ولكن هروبًا من القول بأن الله خلق هذه الأفعال عبّر الاثنا عشرية بعبارة الاستطاعة التي تقول نصوصهم: إن (الاستطاعة جعلها الله فيهم)، وهي في الحقيقة فكرة مستعارة من المعتزلة، يقول المجلسي: « وأما التفويض فهو ما ذهب إليه المعتزلة من أنه تعالى أوجد العباد، وأقدرهم على تلك الأفعال وفوض إليهم الاختيار، فهم مستقلّون بإيجادها وفق مشيئتهم وقدرتهم، وليس لله في أفعالهم صنع » (١).

- **تفسير الاستطاعة:**

عن عليّ بن أسباطٍ قال: « سألت أبا الحسن الرّضا عليه السلام عن الاستطاعة فقال: يستطيع العبد بعد أربع خصالٍ: أن يكون مخلّى السّرب صحيح الجسم سليم الجوارح له سببٌ واردٌ من الله، قال قلت: جعلت فداك فسّر لي هذا. قال: أن يكون العبد مخلّى السّرب صحيح الجسم سليم الجوارح، يريد أن يزني فلا يجد امرأةً ثمّ يجدها، فإمّا أن يعصم نفسه فيمتنع كما امتنع يوسف عليه السلام، أو يخلّي بينه وبين إرادته فيزني فيسمّى زانيًا، ولم يطع الله بإكراهٍ ولم يعصه بغلبةٍ » (٢).

عن رجلٍ من أهل البصرة... قال فقال له أبو عبد الله عليه السلام: « إنّ الله خلق خلقًا فجعل فيهم آلة الاستطاعة، ثمّ لم يفوّض إليهم، فهم مستطيعون للفعل وقت الفعل مع الفعل إذا فعلوا ذلك الفعل، فإذا لم يفعلوه في ملكه لم يكونوا مستطيعين أن يفعلوا فعلًا لم يفعلوه؛ لأنّ الله عزّ وجلّ أعزّ من أن يضادّه في ملكه أحدٌ، قال البصريّ: فالنّاس مجبورون؟ قال: لو كانوا مجبورين كانوا معذورين، قال: ففوّض إليهم؟ قال: لا. قال: فما هم؟ قال: علم منهم فعلًا فجعل فيهم آلة الفعل، فإذا فعلوه كانوا مع الفعل مستطيعين » (٣).

والحقيقة أن الاستطاعة إن كانت بمعنى أن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها؛ فتفصيل الحديث عنها أمر معقول تشكر الروايات عليه، كما ورد في إحداها:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:.... « لم تجد أحدًا في ضيقٍ، ولم تجد أحدًا إلا ولله عليه الحجّة، ولله فيه المشيئة ولا أقول إنّهم ما شاؤوا صنعوا. ثمّ قال: إنّ الله يهدي ويضلّ، وقال: وما أمروا إلا بدون سعتهم، وكلّ شيءٍ أمر النّاس به فهم يسعون له، وكلّ شيءٍ

---

(١) بحار الأنوار (٥/٨٣)، وعاب قول المعتزلة (٥/٨٢)، وانظر:د. القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٢/٧٨٠).

(٢، ٣) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب الاستطاعة (١/٢١١).

لا يسعون له فهو موضوعٌ عنهم » (١).

وقد جاء تفسير الاستطاعة عن أهل السنة على هذا المعنى، كما ورد في العقيدة الطحاوية: « والاستطاعة التي يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به - فهي مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات - فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] » (٢).

- خلق أفعال العباد:

يعتقد أهل السنة أن اللّٰه خالق جميع أفعال العباد، مريد لها، وخالفهم في ذلك المعتزلة فزعموا أن الإنسان خالق لأفعال نفسه، وتابعهم في ذلك الاثنى عشرية، لما رأوا أن الإنسان يفعل الشرور والآثام، فنزّهوا اللّٰه تعالى عن خلق هذه الأفعال، ولكن يلزم عن قولهم أمر أخطر وأعظم، وهو: وجود فعّالية في الكون غير اللّٰه تعالى (٣).

وإذا نحن استعرضنا أقوال أئمة الاثني عشرية في مصادرهم الحديثية حول هذه المسألة لوجدناها أقرب ما تكون لمذهب أهل السنة والجماعة.

قال جعفر الصادق رحمه اللّٰه تعالى: « .. إنّ اللّٰه لم يجبر أحدًا على معصيته، ولا أراد إرادة حتمٍ الكفر من أحدٍ، ولكن حين كفر كان في إرادة اللّٰه أن يكفر وهم في إرادة اللّٰه وفي علمه أن لا يصيروا إلى شيءٍ من الخير » فسأله صالحِ النّيليّ: « أراد منهم أن يكفروا؟ قال: ليس هكذا أقول، ولكنّي أقول: علم أنّهم سيكفرون فأراد الكفر؛ لعلمه فيهم، وليست هي إرادة حتمٍ، إنّما هي إرادة اختيارٍ » (٤).

فالإمام في هذه الرواية يقر بأن اللّٰه تعالى أراد الكفر بمعنى علمه بوقوعه والسماح له بالوقوع، ولكن هروبًا من معنى الإجبار الذي سيصل إليه السائل، فرّق للسائل في مسألة الإرادة بين إرادة حتم وإرادة اختيار. ولكن نلاحظ أن نص الإمام لم يتطرق إلى السؤال

---

(١) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب حجج اللّٰه على خلقه (٢١٥/١).

(٢) العقيدة الطحاوية (ص ٥١).

(٣) انظر: شرح جوهرة التوحيد (ص ٢٠٨، ٢٠٩)، المفيد: تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، وهو: شرح عقائد الصدوق (ص ٣٥)، دار الكتاب الإسلامي - بيروت (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ١٧٢).

(٤) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب الاستطاعة (٢١٢/١).

الملخ: (هل أفعال العباد مخلوقة لله أم للعبد؟).

وقد حاول الصدوق أن يقول قريبًا من هذا، فلم يوفّق، ولم يوافقه على قوله المفيد:

قال الصدوق في عقائده: « أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، ومعنى ذلك أنه لم يزل اللّٰه عالمًا بمقاديرها » (١)، وقد عارضه فيها الشيخ المفيد زاعمًا أن « أفعال العباد غير مخلوقة للّٰه، والذي ذكره أبو جعفر (الصدوق) قد جاء به حديث غير معمول به ولا مرضيّ الإسناد، والأخبار الصحيحة على خلافه، وليس نعرف في لغة العرب أن العلم بالشيء خلقٌ له ».

ثم ساق المفيد رواية عن أبي الحسن الثالث يجيب فيها من سأله عن أفعال العباد هل هي مخلوقة للّٰه، فيقول: « لو كان خالقًا لها لما تبرأ منها، وقد قال تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة: ٣]، ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم، وإنما تبرأ من شركهم وقبائحهم » (٢).

وهذه الرواية لم ترد في أصول الكافي، وقد وردت بلفظ لا يفيد قوتها (روي)، والصدوق مشتهر بالآثار، متقدم على المفيد، وخلافهما يدل على وجود صراع داخل المذهب الشيعي بين الانجذاب إلى المعتزلة حينًا وإلى أهل السنة حينًا آخر.

صحيح أن الصدوق لم يقل برأي أهل السنة بأن اللّٰه يخلق أفعال العباد ويريدها، كما أن تأويله ليس بمستساغ، ولكن تأويله جعل مذهبه قريبًا من مذهب أهل السنة، أما كلام المفيد فهو قول المعتزلة ذاته، وهو مخالف لنصوص الأئمة باستثناء النص اليتيم الذي ساقه.

ثم إن المفيد لا يستحسن تعبير (يخلقون)، فيقول: « إن الخلق يفعلون، ويحدثون ويخترعون ويصنعون ويكتسبون، ولا أطلق القول عليهم بأنهم يخلقون ولا هم خالقون، ولا أتعدى ذكر ذلك فيما ذكره اللّٰه تعالى ولا أتجاوز به مواضعه من القرآن » (٣).

وعلى كل فمن جاء بعد المفيد لم يتورع ورعه، فعبّر بأن الإنسان يخلق أفعاله، فهذا القزويني يقول: « وأفعال العباد مخلوقة لهم » (٤)، والطبطبائي يقول: « ذهبت الإمامية

---

(١) رسالة الاعتقادات (ص ٧٥).

(٢) تصحيح الاعتقادات (ص ٢٧، ٢٨). وانظر الرواية في بحار الأنوار (٥/ ٢٠) وجاءت الرواية بصيغة روي. وهذه الرواية لم ترد في أصول الكافي، ولا غيره من أصول كتب الحديث عند الشيعة، والصدوق متقدم على المفيد.

(٣) أوائل المقالات (ص ٢٥). (٤) قلائد الخرائد (ص ٦٠).

والمعتزلة إلى أن أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم فهم خالقون لها، وما في الآيات من أنه تعالى خالق كل شيء وأمثالها إما مخصص بما سوى أفعال العباد، أو مؤول بأن المعنى أنه خالق كل شيء، إما بلا واسطة أو بواسطة مخلوقاته » (١).

وهذا ما يجعل المرء يقف متسائلًا: أيعتمد في بيان حقيقة مذهب الاثني عشرية أقوال أئمتهم في الروايات أم أقوال علمائهم في كتبهم الكلامية؟ إن المسألة علميًا لا واقعيًا ستحسم لا محالة لمصلحة الروايات، ومنها ما رواه الكليني في أصول الكافي والصدوق في كتابه التوحيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: « **من زعم أنّ الله يأمر بالسّوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أنّ الخير والشّرّ بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه، ومن زعم أنّ المعاصي بغير قوّة الله فقد كذب على الله، ومن كذب على الله أدخله الله النّار** » (٢).

وقد جاء عبد الله شبر بعد سوقه هذه الرواية ليؤولها قائلًا: « يعني بالخير والشر الصحة والمرض، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً.. ﴾ [الأنبياء: ٣٥] » (٣). وهذا صرف للنص عن معناه ليوافق أصول المعتزلة ومن تبعهم من علماء الاثني عشرية كالمفيد، فالنص الذي ساقه هو واضح في بيان أن المقصود ليس الصحة والمرض بل أفعال العباد، ويدل على هذا كلمة (المعاصي).

والحقيقة أن هذا النص واضح يدل على ما ثبت عن الإمام جعفر الصادق من أن مسألة القدر هي أمر بين أمرين: « لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين... مثل ذلك: رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته، فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية » (٤). وهذا مذهب متزن واضح بيّن، يوافق رأي جمهور الأمة، قد نقله أهل السنة عن جعفر أيضًا (٥).

وتوافقه الروايات التالية:

عن جعفر الصادق رحمه الله قال: « **الله أكرم من أن يكلّف النّاس ما لا يطيقون، والله**

---

(١) محمد صادق الطبطبائي: مجالس الموحدين في بيان أصول الدين (ص ٢١).

(٢) الكليني: أصول الكافي: باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، الحديث السادس.

(٣) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٠٧).

(٤) الكليني: أصول الكافي (١/١٦٠) تحقيق علي أكبر غفاري، الصدوق: التوحيد (ص ٢٠٦).

(٥) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/١٦٦).

أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد » (١).

وقال: « من زعم أنّ اللّه يأمر بالفحشاء فقد كذب على اللّه، ومن زعم أنّ الخير والشرّ إليه فقد كذب على اللّه » (٢).

وعن أبي جعفرٍ وأبي عبد اللّه عليهما السلام قالا: « إنّ اللّه أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذّنوب ثمّ يعذّبهم عليها، واللّه أعزّ من أن يريد أمرًا فلا يكون. قال فسئلا عليهما السلام: هل بين الجبر والقدر منزلةٌ ثالثةٌ؟ قالا: نعم، أوسع ممّا بين السّماء والأرض » (٣).

وقد مال إلى هذه الروايات بعض الشيعة المعاصرين قائلًا: إن « أفعالنا من جهة هي أفعالنا حقيقة ونحن أسبابها الطبيعية وهي تحت قدرتنا واختيارنا، ومن جهة أخرى هي مقدورة للّه تعالى وداخلة في سلطانه لأنه هو مفيض الوجود ومعطيه، فلم يجبرنا على أفعالنا حتى يكون قد ظلمنا على المعاصي؛ لأن لنا القدرة والاختيار فيما نفعل، ولم يفوض إلينا خلق أفعالنا حتى يكون قد أخرجها عن سلطانه، بل له الخلق والأمر وهو قادر على كل شيء ومحيط بالعباد » (٤).

ويقول الشيخ اليزدي مدركًا وجهة الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة والاثني عشرية: « رأينا بعض المتكلمين (الأشاعرة) الذين تقبلوا شمول القضاء الإلهي لأفعال الإنسان، قد اتجهوا إلى القول بالجبر، بينما يرى جماعة أخرى كالمعتزلة الذين لم يمكنهم القول بالجبر وآثاره الخطيرة والسيئة قد أنكروا شمول القضاء الإلهي لأفعال الإنسان الاختيارية، وكل جماعة أوّلت الآيات القرآنية والروايات المخالفة لرأيها بما يتلاءم واتجاهها ورأيها » (٥).

ولو تمسّك كل طرف منهم بالأدب مع اللّه تعالى لوصلوا إلى حل وسط، فالمفيد الذي لا يرى أن اللّه تعالى يخلق أفعال الإنسان، لا يستحسن تعبير (يخلقون) – كما

---

(١) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين (٢١٠/١).

(٢) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين (٢٠٧/١). قال المحقق: « الضمير في (إليه) يرجع إلى من زعم الثانية، وفي هذا رد على المفوضة الذين يقولون بأن أعمال الإنسان خيرها وشرها مخلوقة له من دون مدخلية للّه فيها، وهذا أيضا كذب على اللّه لمخالفته للآيات الكثيرة الدالة على هدايته وتوفيقه وخذلانه ومشيئته وتقديره » مرآة المجلسي (١٨٤/٢).

(٣) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين (٢٠٩/١).

(٤) المظفر: عقائد الإمامية (ص ٦٧، ٦٨)، وانظر: الزنجاني: في عقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١٧٥/٣، ١٧٦).

(٥) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ١٧٢).

رأينا - فيقول: « إن الخلق يفعلون، ويحدثون ويخترعون ويصنعون ويكتسبون، ولا أطلق القول عليهم بأنهم يخلقون ولا هم خالقون، ولا أتعدى ذكر ذلك فيما ذكره اللّٰه تعالى ولا أتجاوز به مواضعه من القرآن » (١).

ونحن نوافقه على هذا الأدب؛ موافقة لقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

وأصحاب الرأي الآخر - وهم الأشاعرة ومن معهم - القائلون: إن اللّٰه يخلق أفعال الإنسان؛ لا يقولون: - أدبًا - إن اللّٰه تعالى يخلق الشرور التي يفعلها الإنسان، فقد جاء في سنة النبي ﷺ قوله: « والشر ليس إليك » (٢). قال الباجوري: « إن الأدب يقتضي أن ينسب الخير إلى اللّٰه تعالى؛ لأنه هو الفاعل الموجد، وينسب الشر إلى أنفسنا؛ لأننا اكتسبناه لها، وقد جاء هذا الأدب العالي في كتاب اللّٰه تعالى، فانظروا إلى قوله سبحانه على لسان إبراهيم الخليل: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨٠] » (٣).

ومع ترجيح مذهب السلف، ومذهب روايات آل البيت فأرى لزامًا عليّ أن أذكر هذه الملاحظة:

إن هذه المسألة من فروع العقائد، وليست من أصولها.

ولذلك أرى أن إنكار بعض متكلمي الشيعة كالمفيد وغيره لخالقية اللّٰه تعالى لأفعال العباد تقليدًا لرأي المعتزلة: لا يعد إنكارًا لقضاء اللّٰه ولا قدره، وإنما كان هروبًا من نسب الشرور إلى اللّٰه تعالى، قال المفيد: « والحق في ذلك أن اللّٰه تعالى لا يريد إلا ما حسن من الأفعال، ولا يشاء إلا الجميل من الأعمال، ولا يريد القبائح ولا يشاء الفواحش » (٤).

---

(١) أوائل المقالات (ص ٢٥).

(٢) جاء في صحيح مسلم (٥٣٤/١) كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه رقم (٧٧١): « عن علي بن أبي طالب عن رسول اللّٰه ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للّٰه رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللّهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك ».

(٣) شرح جوهرة التوحيد (ص ٢٠٨، ٢٠٩).

(٤) المفيد: تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، وهو: شرح عقائد الصدوق (ص ٣٥).

فالقوم أرادوا من هذا التنزيه، فلزم عن قولهم إشكال آخر لم يحسبوه، وهو نسبة الفاعلية في الكون لغير اللّٰه تعالى، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، ومن قواعد الإنصاف ألا نحكم على فئة من خلال لوازم أقوالها.

فإذا كان قول الاثني عشرية والمعتزلة: إن الإنسان يخلق أفعال نفسه، مصاحبًا لإيمانهم بالقضاء والقدر، واعتقادهم أن خلقهم لأفعالهم كان بتمكين اللّٰه تعالى، وإذنه، كما قال تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ومن جهة أخرى: لو أنصف الشيعي وتأمل رأي أهل السنة، وأدرك أنه يوافق معظم روايات أئمة آل البيت، وأن السني عندما يقول: إن اللّٰه يخلق أفعال العباد، لكنه لا يقصد أن اللّٰه يرضى الشرور والمعاصي؛ فإنه عندئذ يعذره، ويتفهم موقفه؛ لأنه يعتقد أنه « لم يكن الباري تعالى مريدًا للمعاصي والقبائح والشرور؛ من حيث إنها معاص وقبائح وشرور، لا مريدًا للخيرات والطاعات والمحاسن من حيث هي كذلك، بل هو مريد لكل ما تجدّد وحدث في العالم من حيث إنها مخصصة بالوجود دون العدم، ومتقدرة بأقدار دون أقدار... فالأفعال كلها من حيث تخصصها وتجددها مراده للّٰه تعالى كلها » (١).

وبهذا يحل الإشكال، ويتوقف الخصام والجدال، وخصوصًا في مسألة أمر الجميع بالتوقف فيها.

وللشيخ الدكتور محمد عبد اللّٰه دراز كلام نفيس ساقه في كتابه القيم (المختار من كنوز السنة)، بيّن فيه اختلاف الأنظار في القدر والخلاف فيه، وأن مآل المدرستين: (مدرسة القول بخلق الإنسان لأفعال نفسه - وهي مدرسة المعتزلة - ومدرسة القول بكسب الإنسان - وهي مدرسة الأشعرية -) مآلهما إلى حيرة ومجاهيل الأولى للعقل الإعراض عنها (٢).

والسبب أن مسألة القدر من مسائل الغيب التي نهينا عن الخوض فيها، وقد قال الطحاوي رحمه الله: « وأصل القدر سر اللّٰه تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب

---

(١) الشهرستاني: نهاية الإقدام (ص ٢٥١).
(٢) المختار من كنوز السنة، دار القلم - الكويت.

ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلّم الحرمان، ودرجة الطغيان. فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد ردّ حكم الكتاب، ومن ردّ حكم الكتاب كان من الكافرين » [١].

إن عدم التعمّق في القدر هي طريقة الصحابة ﭫ، والتابعين لهم بإحسان، ثم خلف من بعدهم خلف سوّدوا الأوراق بتلك الوساوس، التي هي شكوك وشبه، بل وسوّدوا القلوب [٢].

٥ – لطف الله تعالى بعباده، وعدم الاتكال على العمل:

اللطف مطلقًا من العقائد التي اشترك بها الشيعة مع المعتزلة، و « مذهب الإمامية والمعتزلة وجوب اللطف على الله تعالى، وهو ما يقرب العبد إلى طاعة الله ويبعده عن معصيته بغير إلجاء – أي: إكراه – ولا إجبار، إذ لا إكراه في الدين،... والدليل على ذلك مضافًا إلى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ.. ﴾ [الشورى: ١٩] أي يفعل ما هو لطف بحالهم » [٣].

وقد جعل الاثنا عشرية القضاء والقدر مجالًا من مجالات تطبيق نظرية اللطف الإلهي، فالله لا يقدّر ولا يقضي إلا بما هو في مصلحة الإنسان.

وإذا كان أهل السنة قد أنكروا نظرية اللطف في الإمامة، فإنهم يتفقون مع المعتزلة والشيعة في وجود اللطف في القدر، وبهذا يكون وجود اللطف الإلهي في القضاء والقدر مسألة شبه متفق عليها، إذا استثنيا بعض المبالغات الاثني عشرية التي سيشار إليها:

عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: «... لم يقض الله ﷻ له فيما أحبّ أو كره إلا ما هو خيرٌ له » [٤].

وفي حديث آخر لا يبعد عن موقف أهل السنة: عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما أسري بالنبي ﷺ قال: « **يا رب ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمد! من أهان لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، وما ترددت عن شيء أنا فاعله**

(١) العقيدة الطحاوية، مع شرح ابن أبي العز (ص ١٨٠، ١٨١).

(٢) شرح ابن أبي العز على الطحاوية (ص ١٩٢).

(٣) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٠٨).

(٤) أصول الكافي (٢/٦٦): كتاب الإيمان والكفر، باب الرضا بالقضاء، قال محققه والحديث صحيح.

كترددي عن وفاة المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك؛ وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك، وما يتقرب إلي عبد من عبادي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت إذن سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته » (١).

وعن ابن أبي يعفورٍ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عز وجل له قضاءً إلا كان خيرًا له، وإن قُرّض بالمقاريض كان خيرًا له، وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيرًا له » (٢).

وهذه الرواية شبه متفق على معناها مع حديث أهل السنة، الذي يقول فيه ﷺ: **« عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له »** (٣).

وفي حديث آخر متفق على معناه بين الطائفتين: عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: **« قال الله عز وجل: إنّ من عبادي المؤمنين عبادًا لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى والسّعة والصّحّة في البدن، فأبلوهم بالغنى والسّعة وصحّة البدن فيصلح عليهم أمر دينهم، وإنّ من عبادي المؤمنين لعبادًا لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفاقة والمسكنة والسّقم في أبدانهم، فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسّقم فيصلح عليهم أمر دينهم، وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فيتهجّد لي اللّيالي فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنّعاس اللّيلة واللّيلتين نظرًا منّي له وإبقاءً عليه، فينام حتّى يصبح فيقوم وهو ماقتٌ لنفسه زارئٌ عليها، ولو أخلّي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب من ذلك، فيصيّره العجب إلى الفتنة بأعماله فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه حتّى يظنّ أنّه قد فاق العابدين وجاز في عبادته حدّ التّقصير، فيتباعد منّي عند ذلك وهو يظنّ أنّه يتقرّب إليّ،**

---

(١) أصول الكافي (٢/٣٣٨) كتاب الإيمان والكفر، باب من آذى المسلمين واحتقرهم، قال محققه: هذا الحديث صحيح.

(٢) أصول الكافي (٢/٦٨): كتاب الإيمان والكفر، باب الرضا بالقضاء، قال محققه: والحديث صحيح.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم (٢٩٩٩).

فلا يتّكل العاملون على أعمالهم الّتي يعملونها لثوابي، فإنّهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم وأفنوا أعمارهم في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنّعيم في جنّاتي ورفيع درجاتي العلى في جواري، ولكن فبرحمتي فليثقوا وبفضلي فليفرحوا وإلى حسن الظّنّ بي فليطمئنّوا، فإنّ رحمتي عند ذلك تداركهم، ومنّي يبلّغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي فإنّي أنا اللّه الرّحمن الرّحيم وبذلك تسمّيت » (١).

وقد بالغ المفيد عندما قال: « وليس يميت اللّه عبدًا من عبيده إلا وإماتته أصلح من بقائه ولا يحييه إلا وحياته أصلح له من موته، وكل ما يفعله اللّه تعالى بخلقه فهو أصلح لهم وأصوب في التدبير (٢)، وهذا مردود بحال الكافرين، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

ومن المعاني المتفق عليها بين الطائفتين في باب القضاء: مسألة سبق الكتاب، ومسألة رد القضاء بالدعاء:

عن أبي عبد اللّه عليه السلام: أنّه قال: « يسلك بالسّعيد في طريق الأشقياء حتّى يقول النّاس: ما أشبهه بهم بل هو منهم، ثمّ يتداركه السّعادة، وقد يسلك بالشّقيّ في طريق السّعداء حتّى يقول النّاس: ما أشبهه بهم بل هو منهم ثمّ يتداركه الشّقاء، إنّ من كتبه اللّه سعيدًا وإن لم يبق من الدّنيا إلا فواق ناقةٍ ختم له بالسّعادة » (٣).

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: « إن الدعاء يرد القضاء وقد نزل من السماء وقد أبرم إبرامًا » (٤).

وعن عمر بن يزيد قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: « إن الدعاء يردّ ما قد قدر وما لم يقدر، قلت: وما قد قدر عرفته فما لم يقدر؟ قال: حتى لا يكون » (٥).

* * *

(١) أصول الكافي ٢/٦٦ – ٦٧: كتاب الإيمان والكفر، باب الرضا بالقضاء، قال محققه: والحديث صحيح على الظاهر.

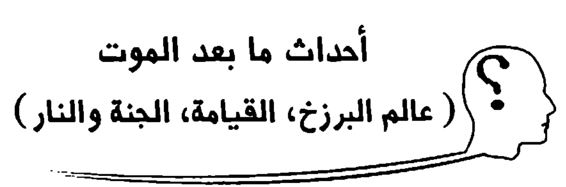
(٢) تصحيح الاعتقاد (ص ٧٤، ٧٥).

(٣) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب السعادة والشقاء (١/٢٠٤).

(٤) أصول الكافي (٢/٤٤٠) كتاب الدعاء، باب أن الدعاء يرد البلاء، قال محققه: الحديث صحيح.

(٥) أصول الكافي (٢/٤٤٠) كتاب الدعاء، باب أن الدعاء يرد البلاء، قال محققه: الحديث كالصحيح.

المَبْحَثُ السَّادِسُ



أحداث ما بعد الموت
(عالم البرزخ، القيامة، الجنة والنار)

الموت:

يبين كتّاب الاثني عشرية أن « الحياة والموت خلقان من خلق الله » و « الموت عدم الحياة لا العدم المطلق،... الموت ليس عدمًا محضًا بل هو عدم الحياة، وبهذا الاعتبار فإن الموت وجود من نوع معين... هو بالحقيقة عدم الحياة بالنسبة للبدن.. الموت نوم عميق طويل » [١]، وينبغي على المؤمن « الإقرار بملك الموت ونزعه للروح وأعوانه » [٢].

وتذكر لنا رواية نقلها الشيخ دستغيب عن بحار الأنوار حوارًا بين نبي الله إبراهيم عليه السلام وملك الموت، تبين كيف ظهور ملك الموت بأحسن صورة للعبد المؤمن، وبأبشع صورة للكافر [٣].

والمرء حين النزع يعرف ما يقبل عليه من خير أو شر، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢]. ولذلك قال الصادق عليه السلام: « ما يخرج مؤمن عن الدنيا إلا برضًا منه، وذلك أن الله – تبارك وتعالى – يكشف له الغطاء حتى ينظر إلى مكانه من الجنة وما أعد الله له فيها، وتنصب له الدنيا كأحسن ما كانت له، ثم يخير فيختار ما عند الله عز وجل ويقول: ما أصنع بالدنيا وبلائها » [٤].

الإيمان بعالم البرزخ:

« عذاب البرزخ وثوابه قد انعقد عليه إجماع المسلمين، بل لعله من ضروريات الدين ومنكره كافر »، « لإمكانه وتواتر السمع بوقوعه » [٥].

و « ينبغي التصديق بعالم البرزخ والقبر وثوابه وعقابه، وبقاء الروح بعد مفارقة البدن،

---

(١) آية الله السيد عبد الحسين دستغيب: الدار الآخرة (ص ١٩٣، ١٩٤).

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٦٢).

(٣) الشيخ دستغيب: الدار الآخرة (ص ٢٧٧).

(٤) الشيخ الصدوق: من لا يحضره الفقيه (١/١٣٤) طبعة (٢) جماعة المدرسين قم (١٤٠٤هـ) تحقيق علي أكبر غفاري. وانظر: حق اليقين (ص ٣٦٥).

(٥) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٧٥).

وسؤال القبر ومنكر ونكير، والمراد بالبرزخ العالم الذي ما بين الموت والقيامة، وإن الميت إذا أدخل القبر تردّ روحه من رأسه إلى ظهره، ويأتيه الملكان ويسألانه، والمسؤولون بعضهم في النعيم وبعضهم في العذاب الجسيم إلى القيامة، والإقرار بضغطة القبر، وأن السؤال بالنسبة إلى هذا البدن، وسائر أمور البرزخ للروح » [١].

ضغطة القبر:

كما توافق الروايات الاثني عشرية روايات أهل السنة في إثبات ضغطة القبر، فقد جاء عن الصادق أن الميت « يسأل وهو مضغوط ». ولعل المعنى أن الضغطة والسؤال متلازمان... ويحتمل أن يكون الغرض إثبات الحالتين فقط [٢]. أي إثبات وجود السؤال، ووجود ضغطة القبر.

وعن الصادق قال: خاطب رسول الله ﷺ قبر سعد، فمسحه بيده، واختلج بين كتفيه، فقيل: يا رسول الله! رأيناك خاطبت سعدًا واختلج بين كتفيك، وقلت: « **سعد يفعل به هذا؟!** » فقال ﷺ: « **إنه ليس من مؤمن إلا وله ضمّة** » [٣].

وفي الكافي: « لما ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ قال ﷺ: « **إني لأعرف ضعفها وسألت الله ﷻ أن يجيرها من ضمة القبر** » [٤]. وقال ﷺ: « **ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النعم** » [٥].

وعن يونس قال: سألته – يعني الرضا عليه السلام – عن المصلوب يعذب عذاب القبر؟ قال فقال: نعم، إن الله ﷻ يأمر الهواء أن يضغطه » [٦]. وعن الصادق أنه قال: « من مات ما بين زوال الشمس يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاذه الله من ضغطة القبر » [٧]. وقيد (من المؤمنين) مهم؛ لأن كثيرًا من الناس من غير المؤمنين يموتون في هذه الأوقات.

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٧١).
(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٨٢).
(٣) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٩٠).
(٤) الكليني: فروع الكافي باب المسألة في القبر ومن يسأل ومن لا يسأل رقم (١٨)، وعنه عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٩٢).
(٥) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٩٠).
(٦) المصدر السابق نفسه.
(٧) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (٣٩٠).

سؤال الملكين:

وروى الصدوق في الأمالي: وغيره عن الصادق: « من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج والمساءلة في القبر، والشفاعة » (١).

وقال الشيخ المفيد: « جاءت الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ أن الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم، وألفاظ الأخبار بذلك متضافرة، فمنها أن ملكين لله تعالى يقال لهما (ناكر ونكير) (٢) ينزلان على الميت فيسألانه عن ربه ونبيه ودينه وإمامه، فإن أجاب بالحق سلّماه إلى ملائكة النعيم، وإن أرتج عليه سلّماه إلى ملائكة العذاب » (٣). وأهم خلاف بين مذهب الشيعة ومذهب أهل السنة والجماعة في سؤال الملكين أن الشيعة أضافوا فيما يسأل عنه الملكان: (الإمامة والإمام) كما ورد في هذه الرواية وغيرها من الروايات. قال شبر: « واعلم أن الأخبار الواردة في السؤال قد دلت على أنه يسأل عن العقائد الإيمانية لا سيما ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وإمامته » (٤).

بل تذكر الروايات أن أحد رجال الشيعة المعروفين سيعذب في قبره ويدخل النار، لتوقفه في إمامة واحد من الأئمة، مع إيمانه بمن سبقه من الأئمة، فعن يونس قال: « دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي: مات علي بن أبي حمزة (٥)؟ قلت: نعم، قال: قد دخل النار، قال: ففزعت من ذلك، قال: أما إنه سئل عن الإمام بعد موسى أبي فقال: لا أعرف إمامًا بعده، فقيل: لا؟! فضرب في قبره ضربة اشتعل قبره نارًا » (٦).

---

(١) المصدر السابق (ص ٣٨٢).

(٢) عند أهل السنة هما (منكر ونكير) انظر مثلًا: العقيدة الطحاوية (ص ٥٠)، الأشعري: الإبانة (ص ٢٠)، العراقي: تخريج أحاديث الإحياء (٥٦/١)، ابن حجر: فتح الباري (٢٧٠/١). وقد أتى ذكرهما في سنن الترمذي بلفظ (المنكر والنكير) كتاب الجنائز، باب عذاب القبر، رقم (١٠٧١).

أخرجه الترمذي وصححه ابن حبان من حديث أبي هريرة « إذا قبر الميت - أو قال: أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير ».

(٣) المفيد: تصحيح الاعتقاد (ص ٧٧)، وانظر: عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٧٨).

(٤) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٨٤).

(٥) وهو علي بن حمزة البطائني: « روى عن أبي عبد الله عليه السلام، ثم وقف، وهو أحد عمد الواقفة » رجال النجاشي (ص ٢٤٩، ٢٥٠) مؤسسة النشر الإسلامي قم (١٤١٦هـ) ومع ذلك كان هو قائد أبي بصير، الراوي المكثر عن الأئمة - وروى عنه عدة روايات.

(٦) الطوسي: اختيار معرفة الرجال (٧٤٢/٢)، بحار الأنوار - العلامة المجلسي (٢٤٢/٦)، وانظر: عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٨٤).

في حين أن كثيرًا من الروايات عندما تذكر سؤال الملكين لا تذكر السؤال عن الإمام، بل تتحد مع روايات أهل السنة في السؤال عن رب العبد ونبيّه ودينه فقط، فقد ورد عند شبّر: أن « عدو اللَّه إذا أدخل قبره قالا له:من ربك ومن نبيك وما دينك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان له: لا دريت ولا هديت، فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق اللَّه دابة إلا وتذعر لها ما خلا الثقلان، ثم يفتحا له بابًا إلى النار، ثم يقولان له: نَمْ بشرّ حال، فهو من الضيق مثل ما فيه القنا من الزّجّ [1]، حتى إن دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه، ويسلّط عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامها تنهشه حتى يبعثه اللَّه من قبره، وإنه ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشر » [2].

وهناك رأي يخصص السؤال بنوعين من البشر دون سواهم كما ذكر المفيد: فقد « روي عن أبي عبد اللَّه عليه السلام أنه قال: إنما يسأل في قبره من محّض الإيمان محضًا أو محض الكفر محضًا، فأما ما سوى هذين فإنه يلهى عنه » [3]. وهذا يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة في أن عذاب القبر يشمل جميع البشر، لإطلاق الخبر الوارد فيه، دون تخصيصه بطائفة من الناس دون أخرى.

نعيم القبر وعذابه:

وقد جاء في الحديث « أن الأنبياء صلوات اللَّه عليهم خاصة والأئمة عليهم السلام من بعدهم ينقلون بأجسادهم وأرواحهم من الأرض إلى السماء، فيتنعمون في أجسادهم التي كانوا فيها عند مقامهم في الدنيا » [4]. قال شبر: « وهذا خاص بحجج اللَّه دون من سواهم من الناس » [5]. ذلك أن شبر رجح أن عذاب القبر ونعيمه للروح فقط كما سنبين.

وجاء « عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: إن أرواح المؤمنين يرون آل محمد عليهم السلام في جبال رضوى. فتأكل من طعامهم، وتشرب من شرابهم، وتحدّث معهم في مجالسهم حتى يقوم

---

(١) جاء في لسان العرب: « قال أبو منصور: القناة من الرماح ما كان أجوف كالقصبة » مادة (قنا). والزّجّ: بالضم الحديدة التي في أسفل الرّمح والجمع زججة بوزن عنبة ». مختار الصحاح، مادة (زجج) (ص ١٣١)، وقال في لسان العرب: « الزّجّ الحديدة التي تركّب في أسفل الرمح، والسّنان يركّب عاليته، والزّجّ تركز به الرّمح في الأرض والسّنان يطعن به، والجمع أزجاجٌ وأزجّةٌ وزجاجٌ وزججةٌ. لسان العرب مادة (زجج).

(٢) انظر مثلًا: عبد اللَّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٩١).

(٣) المفيد: تصحيح الاعتقاد (ص ٧٠).

(٤) تصحيح الاعتقاد للمفيد (ص ٧٤)، وانظر عبد اللَّه شبر: حق اليقين (ص ٣٧٢).

(٥) عبـد اللَّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٨٠، ٣٨١).

قائمنا أهل البيت ﷺ، فإذا قام قائمنا بعثهم الله وأقبلوا معه يلبّون زمرًا فزمرًا، فعند ذلك يرتاب المبطلون، ويضمحل المنتحلون، وينجو المقربون » (١).

ولست أدري لماذا جبل رضوى بالذات؟! وهو الجبل المقدس عند الكيسانية؛ لأن فيه إمامهم المستور الغائب! حيث قالت الكيسانية: إن محمد بن الحنفية لم يمت وأنه سيعود، وأن مقره في جبل رضوى بالمدينة، على حد قول كثير عزة الذي كان « كيسانيًا، وله في مذهب الكيسانية قوله:

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء

يغيب فلا يرى فيهم زمانًا ... برضوى عنده عسل وماء » (٢)

فهذا يدل على أثر أفكار الغلاة في عقائد الإمامية.

وعن علي بن الحسين عليهما السلام قال: « إن المؤمن ليقال لروحه وهو يغسل: أيسرّك أن ترد إلى الجسد الذي كنت فيه، فيقول: ما أصنع بالبلاء والخسران والغم » (٣).

وتذكر الروايات معرفة الميت بأحوال أهله من بعده، فعن أبي عبد الله ﷺ قال: « إن المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحب ويستر عنه ما يكره، وإن الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحب، قال: ومنهم من يزور كل جمعة، ومنهم من يزور على قدر عمله » (٤).

وقال: « ما من مؤمن ولا كافر إلا وهو يأتي أهله عند زوال الشمس، فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك، وإذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة » (٥).

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار (٢٤٣/٦)، وعبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٧٣).

(٢) انظر: الفصول المختارة للشيخ المفيد (ص ٢٩٩، ٣٠٠). دار المفيد - بيروت (ط٢)، (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، تحقيق السيد مير علي شريفي.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار (٢٤٣/٦)، وعبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٧٣).

(٤) الكليني: الكافي (٢٣٠/٣)، باب أن الميت يزور أهله، وانظر: عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٧٤).

(٥) الكليني: الكافي (٢٣٠/٣)، باب أن الميت يزور أهله، وانظر: عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٧٤).

وعن الصادق أبي عبد الله ﷺ: « إن أرواح المؤمنين لفي شجرة من الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها ويقولون: ربنا أقم الساعة لنا، وأنجز لنا ما وعدتنا، وألحق آخرنا بأولنا ».

وقال: « إن الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنة تعارف وتساؤل، فإذا قدمت الروح على الأرواح يقول: دعوها فإنها قد أفلتت من هول عظيم، ثم يسألونها ما فعل فلان؟ وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حيًّا ارتجوه، وإن قالت لهم: قد هلك، قالوا: قد هوى هوى »[1]. ذلك أنهم عرفوا أنه غير ناج، بل هو محشور مع أهل العذاب.

أما أهل السنة فقد اختلفت أقوالهم في مقام الروح في حياة البرزخ؛ « هل هي في السماء أم في الأرض؟ وهل هي في الجنة أم لا؟ وهل تودع في أجساد غير أجسادها التي كانت فيها، فتنعّم وتعذب فيها، أم تكون مجردة؟ هذه مسألة عظيمة تكلم فيها للناس واختلفوا فيها، وهي إنما تتلقى من السمع فقط، واختلف في ذلك:

فقال قائلون: أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين، وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم. وهذا مذهب أبي هريرة وعبد الله بن عمر ﷺ.

وقالت طائفة: هم بفناء الجنة على بابها، يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها.

وقالت طائفة: الأرواح على أفنية قبورها، وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت، وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله: أرواح الكفار في النار، وأرواح المؤمنين في الجنة.

وقال أبو عبد الله بن منده: وقال طائفة من الصحابة والتابعين: أرواح المؤمنين عند الله ﷻ، ولم يزيدوا على ذلك...

وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء في الجنة، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم...

وقال في شرح حديث ابن عمر: « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة »[2]، قال: وقد استدل به من

---

(١) الكليني: الكافي (٣/٢٤٤) وانظر: عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٧٥).

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، رقم (١٢٩٠)، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، رقم (٥١١٠).

ذهب إلى أن الأرواح على أفنية القبور، وهو أصح ما ذهب إليه في ذلك. والله أعلم؛ لأن الأحاديث بذلك أحسن مجيئًا وأثبت نقلًا من غيرها. قال: والمعنى أنها قد تكون على أفنية قبورها لا على أنها تلزم ولا تفارق أفنية القبور، كما قال مالك رحمه الله: إنه بلغنا أن الأرواح تسرح حيث شاءت » [1].

وقد ورد في مصادر حديث أهل السنة أن أرواح الشهداء في جوف طير خضر تأوي إلى قناديل معلقة في ظل العرش: قال رسول الله ﷺ: « **لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة في ظل العرش. فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلّا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم قال: فأنزل الله:** ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ... ﴾ [آل عمران: ١٦٩] » [2] إلى آخر الآية.

وقد أخرج مالك في موطئه: عن كعب بن مالك كان يحدِّث أن رسول الله ﷺ قال: « **إنما نسمة المؤمن طائر تعلّق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى حياة يوم يبعثه** » [3].

أما الكافر فقد ورد عن الصادق رحمه الله: « يسلّط عليه الحيات والعقارب، ويظلم عليه قبره، ثم يضغطه ضغطة تختلط أضلاعه عليه [إلى] أن يدخل بعضها في بعض » [4]. « الكافر يضرب ضربة ما خلق الله شيئًا إلا سمعها ويذعر لها إلا الثقلين » [5]، وعن الصادق عليه السلام « أن عمدة عذاب القبر من البول » [6]. وبعض هذه الأخبار أوردتها كتب السنة كما هو معروف.

---

(١) ابن قيم الجوزية: الروح (ص ٩٠، ٩١).

(٢) حديث حسن، أخرجه أبو داود في سننه (٢/١٨). كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة رقم (٢٥٢٠)، وأخرجه أحمد بن حنبل في المسند (١/٢٦٥). قال ابن قيم الجوزية: (الروح ص ١١٣): « هذا من تمام إكرام الله للشهداء أن أعاضهم من أبدانهم التي مزقوها لله أبدانًا خيرًا منها تكون مركبًا لأرواحهم ليحصل بها كمال تنعمهم، فإذا كان يوم القيامة رد أرواحهم إلى تلك الأبدان التي كانت فيها في الدنيا ».

(٣) موطأ الإمام مالك (١/٢٤٠) رقم (٥٦٨)، باب جامع الجنائز. دار إحياء التراث العربي – مصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، انظر: ابن قيم الجوزية: الروح (ص ٩٥).

(٤) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٩١).

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٩١).

وقد اختُلف في عذاب القبر أللجسد والروح، أم للروح فقط؟ قال شبر: « وقد اختلف أصحابنا فيمن ينعم ويعذب بعد موته، فقال بعضهم: المنعم المعذب هو الروح التي توجه إليها الأمر والنهي والتكليف وسموها جوهرًا، وقال آخرون: بل الروح الحياة جعلت في جسد كجسده في الدنيا، وكلا الأمرين يجوزان في العقل، والأظهر عندي قول من قال: إنها الجوهر المخاطب وهو الذي تسميه الفلاسفة البسيط » (١).

والمعتمد عند أهل السنة أن نعيم القبر وعذابه للروح والجسد أيضًا، كما هو الحال بالنسبة لنعيم الجنة وعذابها (٢). ومن الخطأ محاولة النظر إلى عالم البرزخ من منظار الدنيا، فالبرزخ عالم مستقل له نظامه وأحكامه، ومن الخطأ أيضًا قياس عالم البرزخ والآخرة على عالم الدنيا ومحاولة تصور هذين العالمين اللذين طوى الله تعالى تصورهما عنا إلا من خلال ما أخبرنا عنه الوحي الصادق.

فكيف يتصور العقل البشري الذي يعيش في الدنيا أن ضربة الملك في القبر تجعل الكافر يهوي إلى سابع أرضين؟ أم كيف يتصور العقل أن ضرس الكافر في جهنم كجبل أحد، كما صح في الحديث (٣)؟ فلنذكر قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فذلك يوم آخر له مقاييسه ونظمه.

الإيمان بالمعاد:

يقول الإمام علي ﷺ: « ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنّ في القيامة خمسين موقفًا، كل موقف كألف سنة مما تعدّون » (٤).

« من خلال التأمل في الآيات القرآنية نتوصل إلى أن القسم الأكبر من أحاديث الأنبياء ومناظراتهم مع الناس، كان يدور حول موضوع المعاد، بل يمكن القول بأن الجهود التي بذلوها لإثبات هذا الأصل كانت أكثر من جهودهم لإثبات التوحيد؛ لأن أغلب الناس كانوا يتخذون موقفًا أكثر عنادًا وتشددًا من هذا الأصل » (٥).

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٨٠).

(٢) انظر: ابن قيم الجوزية: الروح (ص ٥١).

(٣) جاء في صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون.. (رقم ٢٨٥١): عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث ».

(٤) المجلسي: بحار الأنوار (١٢٦/٧)، وانظر: آية الله السيد عبد الحسين دستغيب: الدار الآخرة (ص ١٩٦).

(٥) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٣٧٩).

و « يكفي اعتراف المرء بأنه مخلوق دليلًا على المعاد، فمن تيقن أنه مخلوق فسيؤمن بالآخرة، حيث إن الخالق الذي خلق من النطفة هيكلًا هكذا يتمتع بكل هذه القوى الظاهرة والباطنة قادر على خلقه مرة أخرى » (١).

ويرى اليزدي أنه يمكن تقسيم الآيات التي تناولت المعاد في القرآن إلى خمسة مجموعات (٢): كل واحدة منها حوت جانبًا من جوانب الأدلة القرآنية على يوم النشور، وردّ شبه المنكرين له:

١ - نزع سلاح المنكرين للبعث: فلا يوجد عند المنكرين للمعاد برهان على ما يقولون، بل هي مجرّد أوهام وظنون: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤]، ولذلك طالبهم القرآن بالدليل: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل: ٦٤].

٢ - لفت الأذهان إلى ظواهر كونية مشابهة للمعاد: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم: ٥٠]، وكقصة أصحاب الكهف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ [الكهف: ٢١].

وتذكير الناس ببعض المعجزات؛ كمعجزة إحياء الطير لإبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وبعث بني إسرائيل بعد موتهم: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٦].

وإحياء البقرة أمامهم: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٣].

وكقصة الذي ﴿... مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل

---

(١) آية الله السيد عبد الحسين دستغيب: الدار الآخرة (ص ١٨٧).

(٢) انظر: محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٤٠٥ - ٤٢٠).

لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

ومعجزة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى: ﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

٣ - أجوبة القرآن عن شبهات المنكرين للمعاد: كشبهة استحالة إعادة المعدوم، وشبهة عدم قابلية البدن للحياة الجديدة، والتشكيك في القدرة على إعادة الخلق مرة أخرى، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٧٨ - ٨٢].

وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وقال: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥١، ٥٢].

وقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧].

٤ - التأكيد على أن المعاد وعد محتوم لا يقبل التخلف، من خلال الخبر الصادق ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٧]، وأن مهمة الأنبياء كانت الإنذار من القيامة: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ [غافر: ١٥].

ويؤكد القرآن المعاد بما وصفه من نعيم للطائعين المؤمنين بالآخرة، ومن عذاب للعصاة الكافرين: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ [الفرقان: ١١]، ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

٥ - استخدام البرهان العقلي على ضرورة المعاد؛ لأن الله تعالى منزّه عن العبث، وهو تعالى أعدل الحاكمين: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾

فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١]، فلا مساواة بين المتقين والكافرين: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١، ٢٢]، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٦].

وهذه الأدلة القرآنية ومثيلاتها كافية وافية شافية؛ ولذلك فلا داعي للاعتماد على أدلة واهية للتدليل على المعاد، كالاستدلال بتحضير الأرواح، وقد استدل به اليزدي قائلًا: « من الأدلة الباعثة على الاطمئنان بوجود الروح واستقلاليتها وبقائها بعد الموت هو الأحلام والأطياف الصادقة، فقد اطلع بعض الأفراد بعد موتهم شخصًا نائمًا على بعض المعلومات الصحيحة، وكذلك من الأدلة تحضير الأرواح المقترن بشواهد قاطعة ومعبرة، وكذلك يمكن إثبات تجرد الروح بكرامات أولياء الله، وحتى بعض أعمال المرتاضين » [١].

فالأدلة الصحيحة تغني عن الأدلة الواهية. ومن المعلوم أن مسألة تحضير الأرواح لم ترقَ إلى درجة اليقين في ميزان العلم، وقد وقع في خطأ الاعتماد عليها بعض العلماء، والحقيقة أن الاعتماد على أدلة ضعيفة واهية في مسألة صحيحة يقلل من ثبوتها في الأذهان، ويسبب البلبلة الفكرية؛ لأن سقوط الدليل الضعيف الموهوم قد يورث لدى البسطاء سقوط المسألة الصحيحة برمّتها.

ولئن اختلف في عذاب القبر أللروح وحدها أم لها مع الجسد؛ فإن مذهب الاثني عشرية أن المعاد للجسد والروح معًا، قال عبد الله شبر: « اعلم أن المعاد الجسماني مما يجب الاعتقاد به، ويكفر منكره، أما المعاد الروحاني، أعني التذاذ النفس بعد المفارقة وتألمها باللذات والآلام العقلية فلا يتعلق التكليف باعتقاده ولا يكفر منكره ولا مانع شرعًا ولا عقلًا من إثباته... أما القائلون بالمعاد الروحاني والجسماني معًا فقد أرادوا أن يجمعوا بين الحكمة والشريعة... القول بالمعاد الجسماني والروحاني معًا أقوى المذاهب، وهو الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث المعصومية، وأيدته المؤيدات العقلية، حيث إن الكاسب للطاعات والمعاصي والبدن والروح معًا فينبغي عودهما معًا » [٢].

---

(١) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٣٩٣).

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٤٠، ٣٤١)، وانظر: الزنجاني: عقائد الإمامية (ص ٦٣).

ويحاول اليزدي أن يعلل إنكار المشركين للمعاد بعاملين: **الأول:** « إنكار كل أمر غيبي وغير محسوس، **والثاني:** عامل مختص بموضوع المعاد أي الرغبة بالتحلل وعدم الشعور بالمسؤولية؛ وذلك لما ذكرناه من أن الاعتقاد بالقيامة والحساب يعتبر دعامة قوية وصلبة للشعور بالمسؤولية، ودافعًا قويًّا لتقبل الكثير من الضوابط على السلوك والأعمال، والكف عن الظلم والاعتداء والفساد والمعصية، وبإنكاره سوف يفتح الطريق أمام تدفق التصرفات المتحللة وعبادة الشهوات والأنانيات والانحرافات، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا العامل في قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ [القيامة: ٣ - ٥] »[١].

أشراط الساعة الكبرى:

تذكر لنا كتب الشيعة بعض أشراط الساعة وعلاماتها الكبرى مثل « خروج يأجوج ومأجوج كما نطق القرآن المجيد: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ [الكهف: ٩٤ - ٩٩].

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا.. ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧] »[٢].

ويضع الشيعة في مقدمة أشراط الساعة: خروج المهدي المنتظر، وهو الإمام الأخير، الثاني عشر عند الاثني عشرية، « وبعد الثاني عشر منهم ينتهي عمر الدنيا »[٣].

ومن أشراط الساعة أيضًا: ظهور الدجال، وفيه أحاديث صحيحة متواترة عند أهل السنة، وكذلك ذكرته مصادر الاثني عشرية[٤].

---

(١) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٣٧٩).

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٠٢).

(٣) الشيخ محمد حسين الفقيه: لماذا أنا شيعي (ص ٤١)، بيروت (ط٣)، (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م). وسيأتي تفصيل أحوال المهدي وأفعاله في مبحث خاص، في فصل العقائد الخاصة.

(٤) جاء في كتاب الروضة (الجزء الثامن من الكافي) رقم (٤٥٦) عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول:... وإنّه ليس من أحدٍ يدعو إلى أن يخرج الدّجّال إلا سيجد من يبايعه. وجاء في فروع الكافي، الجزء الخامس، باب فضل الزّراعة رقم (٣) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «.. والله! ليزرعنّ الزّرع وليغرسنّ النّخل بعد خروج الدّجّال ».

وخروج دابة الأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢].

ومن أشراط الساعة: الدخان [١].

وكذلك طلوع الشمس من مغربها، « عن الصادق: إذا طلعت الشمس من الغرب آمن الناس كلهم، في ذلك اليوم: ﴿.. لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا.. ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وعنه: « إذا طلعت الشمس من مغربها فكل من آمن في ذلك اليوم لا ينفعه إيمانه » [٢].

النفخ بالصور:

وقد « ورد في الأخبار المتكاثرة المتظافرة من طرق العامة والخاصة أن اللّه تعالى خلق إسرافيل وخلق معه صورًا يعني قرنًا له طرفان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، وهو قابض عليه منتظر لأمر اللّه تعالى، فإذا أمره نفخ فيه » [٣]. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١ – ١٠٣].

حشر الإنس والجن وباقي الخلق:

يحشر الخلق يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [ق: ٤٤].

فيجمع الإنس والجن، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٢٨]. وقال: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٦٨].

ويحشر الوحش والبهائم، قال شبّر: « يحشر الخلق إلى أرض المحشر، قال تعالى:

---

(١) عبد اللّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٠٣، ٤٠٤). ولا يغيب عن الذهن ما ذكره بعض الغلاة من أن عليًا ﷺ هو « صاحب الميسم » أصول الكافي (١٩٢/١، ١٩٣)، كتاب التوحيد باب النوادر. ففسره المجلسي بأنه (دابة الأرض)! كما مرّ في فصل الغلاة. وانظر: مرآة المجلسي (٣٦٨/٢). وعبد اللّه بن شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٠٨).

(٢) عبد اللّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٠٤).

(٣) المصدر السابق (ص ٤٠٥).

﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، والمشهور بين المفسرين أن المراد بالحشر في الآيتين الحشر يوم القيامة... فيقتصّ للجماء من القرناء » [1].

الإيمان بالكوثر والحوض:

« عن ابن عباس قال: لما نزل على رسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١] قال له علي بن أبي طالب عليه السلام: ما هذا الكوثر؟ قال: « **نهر أكرمني الله به** »، قال علي عليه السلام: إن هذا النهر شريف فانعته لنا يا رسول الله! قال: « **نعم يا علي، الكوثر نهر يجري تحت عرش الله، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، حصاه من الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران، ترابه المسك الأذفر، قواعده تحت عرش الله ﷻ، ثم ضرب رسول الله يده في جنب علي أمير المؤمنين وقال: يا علي! إن هذا النهر لي ولك ولمحبيك من بعدي** » [2]. وروى الصدوق في الأمالي والعيون بإسناده إلى الرضا عليه السلام... عن رسول الله ﷺ قال: **من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله على حوضي** » [3].

« وفي مجالس المفيد عن أمير المؤمنين قال: والله لأذودن بيديّ هاتين القصيرتين عن حوض رسول الله أعداءنا، وليردنّه أحبابنا » [4].

وقد جاء عند أهل السنة بهذا المعنى أنه يذاد عن حوض النبي ﷺ بعض الناس من أمته، قال رسول الله ﷺ: « **ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول:! يا رب أصيحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح:** ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧]. **فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم** » [5]. وفي رواية: « **فأقول: فسحقًا** » [6]. نسأل الله العافية.

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤١٣).

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٤٨).

(٣) المجلسي: بحار الأنوار (٨/٣٤). (٤) المصدر السابق (ص ٤٤٩).

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧] رقم (٤٣٤٩).قال الإمام الخطابي: « إنما وقع – أي الارتداد – لبعض جفاة العرب، ولم يقع من أحد الصحابة المشهورين ». انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٨/٢٨٦).

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة المائدة، تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ =

الشفاعة:

وإذا كان موقف المعتزلة من مرتكب الكبيرة قد أوصلهم إلى إنكار الشفاعة لأهل الكبائر، وتأويل نصوصها بأنها ثابتة للتائبين لا المصرّين [1]، فإن الإمامية يخالفونهم في هذا فيثبتون الشفاعة لمرتكبي الكبائر:

فقد روى الشيعة قول النبي ﷺ: « .. **ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي** ». ثم قال عليه السلام: « **إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل** ». قال الحسين بن خالد: فقلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله فما معنى قول الله ﷻ: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ.. ﴾ [الأنبياء: ٢٨]؟ قال: لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه [2]. « عن الصادق عن آبائه عنه ﷺ قال: « **ثلاثة يشفعون إلى الله ﷻ فيشفّعون: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء** » [3].

ويرون أن « الفرق بين الشفاعة الصحيحة والشفاعة الباطلة هو الفرق بين الاعتقاد بالولاية والتدبير بإذن الله، والولاية والتدبير المستقل » [4].

- عدم الركون إلى الشفاعة من دون العمل:

الشفاعة هي أعظم أمل وآخر ملجأ للمؤمنين المذنبين هو الشفاعة، « ولكن في الوقت نفسه يلزم عدم الأمن من (المكر الإلهي) وأن يكونوا في حذر تام، حتى لا تصدر منهم تلك الأعمال التي تؤدي لسوء العاقبة وسلب الإيمان حال الاحتضار والموت » [5].

- شروط قبول الشفاعة:

أولًا: الإذن الإلهي، إذ « الشرط الأساس لشفاعة الشفيع أو قبول الشفاعة في حق المشفوع له: هو الإذن الإلهي كما جاء في سورة البقرة: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا

= شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧] رقم (٤٣٤٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم (٢٤٧)، وكتاب الفضائل، وباب إثبات حوض رآه ﷺ وصفاته ورقم (٢٢٩٥).

(١) وقد خالفهم في هذا أبو هاشم فأثبتها للمصرّين موافقًا الأشاعرة وجمهور أهل السنة. انظر: أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية (ص ٣٤٣، ٣٤٤).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار (٨/٣٤).

(٣) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٥٣).

(٤) المرجع السابق (ص ٥٠٤).

(٥) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٥٠٢).

بِإِذْنِهِۦ.. ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ويقول: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ [يونس: ٣]، ويقول أيضًا في سورة طه: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩] » (١).

ثانيًا: وهناك شروط خاصة في الشافعين: فهناك « خصائص المأذونين ومميزاتهم... هناك آيات أخرى يمكن التوصل من خلالها إلى شروط أكثر وضوحًا يلزم توافرها في الطرفين: الشفعاء والمشفوع لهم، ومنها الآية (٨٦) من سورة الزخرف حيث تقول: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦]... القدر المتيقّن من الشفعاء الذين يتوفر فيهم هذان الشرطان هم المعصومون عليهم السلام » (٢). ولكن مرّ أن الأنبياء والعلماء والشهداء يشفعون أيضًا.

ثالثًا: وهناك شروط في حق المشفوع لهم، إذ « يستفاد من بعض الآيات أن المشفوع لهم لا بد أن يكونوا مرضيين عند الله كما جاء في الآية [٢٨] من سورة الأنبياء حيث تقول: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ.. ﴾ [الأنبياء: ٢٨] » (٣).

وهنا تساؤل: إن كانوا مرضيين فما حاجتهم للشفاعة؟ لعل المعنى لمن ارتضى الله أن يشفعوا له، فيكون الضمير عائدًا إلى الشافعين لا المشفوع فيهم، أو كما أجاب اليزدي عن هذا التساؤل: « ليس المراد من كون المشفوع مرضيًا عند الله أن تكون أعماله كلها مرضية، فإنه لو كان كذلك لما احتاج للشفاعة، بل المراد أن يكون الشخص نفسه مرضيًا من حيث دينه وإيمانه، كما فسّر في الروايات بهذا المعنى » (٤).

ولذلك فمن شروط قبول الشفاعة عند الشيعة ألا يكون المشفوع فيه ناصبيًا: « عن الصادق عليه السلام إن المؤمن ليشفع لحميمه إلا أن يكون ناصبيًا، ولو أن ناصبيًا شفع له كل نبي مرسل وملك مقرب ما شفّعوا » (٥).

الصراط والميزان:

قال الصدوق في اعتقاداته: « الصراط حق، وأنه جسر جهنم، وأن عليه ممر جميع

---

(١) المرجع السابق (ص ٥٠٥).

(٢) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٥٠٦).

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٥٠٦).

(٥) المصدر السابق (ص ٤٥٥). والناصبي: ورد في تفسيره معنيان، أحدهما مضيّق، وهو من نصب العداء لآل البيت، ومعنى يتوسّع فيه بعض الشيعة: وهو يطلق على كل من خالفهم من أتباع الفرق الإسلامية، وفي رأسها أهل السنة والجماعة!.

الخلق، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] »[1]، وقد ذكر الصدوق في الأمالي أن الناس على الصراط أقسام: « منهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبوًا، ومنهم من يمر مشيًا، ومنهم من يمر متعلقًا قد تأخذ النار منه شيئًا، وتترك شيئًا »[2].

وجاء في الخبر بأن « الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف على الكافر... وهذا مثل مضروب لما يلحق الكافر من الشدة في عبوره على الصراط »[3].

أما الميزان، فقد ذكر مرارًا في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٨، ٩]. وقال: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

وهناك مدرستان عند الاثني عشرية تترددان بين الحقيقة والمجاز في التعامل مع نصوص الميزان يوم القيامة: فالمفيد يؤول الميزان، ولا يرى له وجودًا حسيًّا، فيقول: « والموازين هي التعديل بين الأعمال والجزاء عليها... فليس الأمر في معنى ذلك على ما ذهب إليه أهل الحشو من أن في القيامة موازين كموازين الدنيا لكل ميزان كفتان توضع الأعمال فيها؛ إذ الأعمال أعراض، والأعراض لا يصح وزنها، وإنما توصف بالثقل والخفة على وجه المجاز »[4].

وقال شبر: « فأصل الميزان مما لا شك فيه ولا شبهة تعتريه،وإنكاره كفر، وإنما الخلاف في معناها، فالذي عليه أكثر المفسرين والمتكلمين من العامة والخاصة الحمل على ظاهرها، وأن الله تعالى في القيامة ينصب ميزانًا له لسان وكفتان، فتوزن به أعمال العباد الحسنات والسيئات، ثم اختلف في كيفية الوزن؛ حيث إن الأعمال أعراض لا يجوز عليها الإعادة،

(١) الاعتقادات في دين الإمامية (ص ٧٠).

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٥٨، ٤٥٩).

(٣) المفيد: تصحيح اعتقادات الصدوق (ص ٨٩). وانظر: عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٥٧).

(٤) المفيد: تصحيح اعتقادات الصدوق (ص ٩٣).

ولا يكون لها وزن، ولا تقوم بأنفسها، فقيل توزن صحائف الأعمال، وقد روى العامة.. سئل رسول الله ﷺ عما يوزن يوم القيامة فقال: الصحف.... وقال الشيخ البهائي رحمه الله: الحقّ أن الموزون في الآخرة هو نفس الأعمال لا صحائفها » [1].

« وذهب جماعة من متكلمي الخاصة والعامة إلى أن الميزان كناية عن العدل والقضاء؛ لأن العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلا بالكيل والوزن في الدنيا، فجعل الوزن كناية عن العدل، والدليل على ذلك أن الميزان إنما يراد ليتوصل به إلى معرفة مقادير الشيء، ومقادير الثواب والعقاب لا يمكن إظهارها بالميزان؛ لأن أعمال العباد أعراض، وهي قد فنيت وعدمت، ووزن المعدوم محال... قال الشيخ المفيد رحمه الله: الموازين هي التعديل بين الأعمال والجزاء عليها ووضع كل جزاء في موضعه، وإيصال كل ذي حق إلى حقه » [2].

ولكن شبر رفض تأويل هذه الحقائق، فقال: « أقول: لا يمكن الخروج عن ظواهر الآيات والروايات بهذه الوجوه العقلية والمؤيدات الاعتبارية، والاعتبارات الوهمية التي هي أوهن من بيت العنكبوت، وإنه لأوهن البيوت... والأحوط والأولى الإيمان بالميزان ورد العلم بحقيقتها إلى الله وأنبيائه وخلفائه، ولا نتكلف علم ما لم يوضح لنا بصريح البيان والله العالم بالحال » [3].

وهذا القول من شبر يدل على نزعة واضحة تجاه الإيمان بالنصوص، مع تسليم حقيقة معرفتها لله تعالى، وهو منهج أهل السنة في التعامل مع الغيبيات.

واختلف أهل السنة هل توزن الأعمال، أم سجلّات الأعمال يوم القيامة، فالذي عليه جمهورهم أن الأعمال هي التي توزن، لقول النبي ﷺ: « **الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض** » [4]. وقوله ﷺ: « **كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم** » [5].

وتتحدث كتب العقائد الشيعية عن « تطاير الكتب وإنطاق الجوارح » [6]، وذلك

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٢٢، ٤٢٣).

(٢) المصدر السابق (ص ٤٢٤). (٣) المصدر السابق (ص ٤٢٥).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء.

(٥) أخرجه البخاري في التوحيد، رقم (٧١٢٤).

(٦) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٣٢).

مصداق قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣]، وقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ.. ﴾ [فصلت: ٢١]، وقوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥].

وهذه النصوص الواضحة البيّنة مما لا يسع أحدًا من المسلمين إنكاره ولا تأويله.

الإيمان بالجنة والنار:

« يجب الإيمان بالجنة والنار الجسمانيتين، على نحو ما تكاثرت به الآيات المتضافرة والأخبار المتواترة، وذلك من ضروريات الدين، لم يخالف فيه أحد من المسلمين، ومن أنكر وجودهما كالملاحدة أو أوّلهما بما يأتي كالفلاسفة فلا ريب في كفره » [(١)].

« قال الصدوق في العقائد: اعتقادنا في الجنة والنار أنهما مخلوقتان، وأن النبي ﷺ قد دخل الجنة ورأى النار حين عرج به، واعتقادنا أنه لا يخرج أحد من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة أو من النار » [(٢)].

وقد أكدت روايات الأئمة خلق الجنة والنار: فقد « روى الكشي في رجاله أنه قيل للرضا عليه السلام: إن فلانًا يزعم أن الجنة لم تخلق، قال: كذب، فأين جنة آدم، وعن ابن سنان قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام إن يونس يقول: إن الجنة والنار لم يخلقا، قال:فقال: ما له لعنه اللّه! فأين جنة آدم؟! »، وقال الصادق عليه السلام: « ليس من شيعتنا من أنكر أربعة أشياء: المعراج والمسألة في القبر، وخلق الجنة والنار، والشفاعة » [(٣)]. ولكن ورد عن بعض الشيعة قول بأن جنة آدم هي غير جنة اللّه يوم القيامة [(٤)]. واللّه تعالى أعلم.

قال ابن حزم رحمه اللّه تعالى: « ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد، وذهب جمهور المسلمين إلى أنهما قد خلقتا، وما نعلم لمن قال أنهما لم

---

(١) عبد اللّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٦٣) وقد أورد آراء الفلاسفة الإشراقيين: القائلين بأن الجنة والنار عالم متوسط بين المثال والظاهر كعالم الرؤيا في المنام، المشائيين: القائلين بأن الجنة والنار والثواب والعقاب من قبيل اللذات والآلام العقلية » قال العلامة المجلسي: « لا يخفى على من راجع كلامهم وتتبع أصولهم أن جلها لا يطابق ما ورد في شرائع الأنبياء، وإنما يمضغون ببعض أصول الشرائع وضروريات الملل على ألسنتهم في كل زمان حذرًا من القتل والتكفير من مؤمني أهل زمانهم » حق اليقين (ص ٤٦٤).

(٢) المصدر السابق (ص ٤٦٧).

(٣) عبد اللّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٦٥).

(٤) انظر: عبد اللّه شبر: حق اليقين (٤٦٥).

يخلقا بعد حجة أصلًا... والبرهان على أنهما مخلوقتان بعد إخبار النبي ﷺ أنه رأى الجنة ليلة الإسراء... وكذلك أخبر ﷺ أن النار اشتكت إلى ربها فأذن لها بنفسين، وأن ذلك أشد ما نجده من الحر والبرد » (١).

ثم ذكر أن القاضي منذر بن سعيد (٢) كان يذهب إلى أن الجنة والنار مخلوقتان إلا أنه كان يقول أنها ليست التي كان فيها آدم عليه السلام وامرأته، فردّ عليه ابن حزم بحجج كثيرة منها: أن « الله ﷻ وصف الجنة التي أسكن فيها آدم بأنها لا يجاع فيها ولا يعرى، ولا يظمأ فيها ولا يضحى، وهذه صفة الجنة بلا شك » (٣).

الجنة وأهلها:

وتذكر كتب أهل التشيع أن « أهل الجنة عشرون ومائة صف، هذه الأمة منها ثمانون صفًا » (٤)، وأهل الجنة يدخلون من أبوابها الثمانية على تقسيم بينته بعض روايات الأئمة:

« عن علي عليه السلام قال: إن للجنة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال واقفًا على الصراط، أدعو وأقول: رب سلم شيعتي، ومحبّي وأنصاري ومن تولاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتك، وشفعت في شيعتك، ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألفًا من جيرانه وأقربائه، وباب منه يدخل سائر المسلمين، ممن يشهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت ». قال ميرزا الأصفهاني: « وجه الدلالة أن من تولى أمير المؤمنين ونصره وحارب من حاربه بفعل أو قول تقبل شفاعته في سبعين ألف » (٥).

وهناك جدال بين الصدوق والمفيد حول أصناف الناس في الجنة، فقد ذكر الصدوق

---

(١) الفصل في الملل (٦٨/٤)، وانظر: ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية (٤٢٠/١).

(٢) قاضي القضاة بقرطبة، سمع الحديث، وكان يميل إلى رأي داود الظاهري ويحتج له، ولي قضاء الجماعة سنة (٣٣٩هـ)، وطالت أيامه، فعاش (٨٢) سنة، وحمدت سيرته، وكان بصيرًا بالجدل والنظر والكلام فطينًا بليغًا، ناصحًا قوّالًا للحق لا يخاف فيه لومة لائم، توفي في الأندلس سنة (٣٥٥هـ)، (الذهبي: تاريخ الإسلام ٢٦٦٨/١).

(٣) الفصل في الملل (٦٨/٤، ٦٩).

(٤) بحار الأنوار (١٣٠/٧)، وانظر: آية الله السيد عبد الحسين دستغيب: الدار الآخرة (ص ٩٢).

(٥) بحار الأنوار (٣٩/٨) نقلا عن أمالي الصدوق (ص ٣٩)، وانظر: ميرزا محمد تقي الأصفهاني: مكيال المكارم (٤٣٩/١). وجعفر سبحاني: في ظلال التوحيد (ص ٥٥٦).

في عقائده أن أهل الجنة « أنواع على مراتب، منهم المتنعمون بتقديس الله وتسبيحه وتكبيره في جملة ملائكته، ومنهم المتنعمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه والحور العين ». وقد رد عليه المفيد بأن القول بأناس لا يتلذذون في الجنة مأخوذ من قول النصارى الذين زعموا أن المطيعين في الدنيا يصيرون في الجنة ملائكة لا يطعمون ولا يشربون ولا ينكحون، وقد أكذب الله هذا القول في كتابه بما رغب العالمين فيه من الأكل والشرب والنكاح فقال: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ.. ﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢]... ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ [يس: ٥٥، ٥٦]، ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ.. ﴾ [البقرة: ٢٥].

فكيف استجاز من أثبت في الجنة طائفة من البشر لا يأكلون ولا يشربون ويتنعمون مما يتنعم به الخلق من الأعمال ويتألمون، وكتاب الله شاهد ضد ذلك والإجماع على خلافه... قال المجلسي بعد نقله... وأما استدلال الصدوق بقوله عليه السلام: « وصنف يعبدونه حبًّا له » على أنهم لا يتلذذون بالمآكل والمشارب والمناكح في الجنة؛ فهو ضعيف، إذ عدم كون الجنة مقصودة لهم عند العبادة لا تستلزم عدم تلذذهم بنعيمها في الآخرة » [(١)].

وهذا التيار وجد عند أهل السنة أيضًا، وشواهده كثيرة من أحوال بعض المحبّين:

فقد جاء في شعب الإيمان للبيهقي بعض أخبار هؤلاء، فقد قالت إحدى العابدات:

أنت أنسي ومنيتي وسروري ... قد أبى القلب أن يحبّ سواكا

يا عزيزي ومنيتي واشتياقي ... طال شوقي متى يكون لقاكا

ليس سؤلي من الجنان نعيم ... غير أني أريدها لأراكا

وسئلت العابدة رابعة العدوية – رحمها الله – عن السخاء فقالت: « أن تعبدوه حبًّا له، لا لطلب جزاء ولا مكافأة، ثم أنشأت تقول: لولاك ما طابت الجنان، ولا نعيم جنة الخلد، قوم أرادوك للجنان، وقلبي سواك لم يرد » [(٢)].

والحقيقة أن أقوال هؤلاء وأمثالهم لا تنفي وجود النعيم الحسّي في الجنة، ولا تجعلهم

---

(١) انظر: سوق المفيد لعبارة الصدوق: الاعتقادات (ص ٧٧، ٧٨)، والرد عليه (ص ١١٧، ١١٨)، دار المفيد (ط٢)، (١٤١٤هـ)، ونقل عنه المجلسي: بحار الأنوار (٨/٢٠٠ – ٢٠٠٢)، وعبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٤٣، ٣٤٤).

(٢) انظر: شعب الإيمان، للإمام البيهقي، العاشر من شعب الإيمان، باب في محبة الله عز وجل، معاني المحبة.

في عداد المنكرين له، ولكنها أحوال وأذواق محبة الله تعالى، إذا سيطرت على النفس فاستبدّت بها، فأخرجها عن المألوف من الخلق، فربما يعذر قائلها، وخصوصًا إذا لم يكن من طلبة العلم الشرعي، الذي يحجز المرء عن قول ما لا دليل عليه.

ولكن العجب ممن يردّد تلك الأقوال اليوم، ولا نرى عنده أحوال أولئك المحبين، فتراه يهش ويبشّ لحطام الدنيا الفاني، ثم ينكر على من اشتاق للجنة ونعيمها المادي!.

أهل الأعراف:

الأعراف « مكان ليس من الجنة ولا من النار » [1]. وفي القرآن الكريم سورة اسمها (الأعراف)، وقد ورد ذكر أهل الأعراف في معرض الحديث عن أهل الجنة والنار، في قوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٦، ٤٧].

أما في اعتقاد الإمامية، فإن « الأعراف يطلق على معان عديدة » [2]:

فبعض الروايات تذهب إلى أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، وقد جاء في الروايات أن الله تعالى « يسكن الأعراف طائفة من الخلق لم يستحقوا بأعمالهم الجنة على الثبات، ولم يستحقوا الخلود في النار، وهم المرجون لأمر الله » [3]. وهذا التفسير موافق لتفسير أهل السنة.

وبعيدًا عن نصوص أهل السنة؛ فإن بعض كتب الاثني عشرية تضيف إلى ذلك المعنى المشترك معنى خاصًا تعظيمًا للأئمة، يقول شبر: « اعتقادنا في الأعراف أنه سور بين الجنة والنار عليه رجال يعرفون كلًّا بسيماهم، والرجال هم النبي وأوصياؤه، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، وعند الأعراف المرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم » [4].

حكم الأطفال يوم القيامة:

أما أطفال المؤمنين، فقد قال الاثنا عشرية: « لا خلاف بين أصحابنا في أن أطفال

---

(١) المفيد: تصحيح اعتقادات الصدوق (ص ٨٦).

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٥٠٧ - ٥٠٩).

(٣) المصدر السابق (ص ٨٧).

(٤) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٥٠٧ - ٥٠٩).

المؤمنين يدخلون الجنة، كما دل عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الطور: ٢١، ٢٢] »[١].

أما أطفال الكفار، فقد قال الاثنا عشرية: « ذهب المتكلمون منّا إلى أن أطفال الكفار لا يدخلون النار »، لأن « تعذيب غير المكلف قبيح »، « فهم إما يدخلون الجنة، أو يسكنون الأعراف ». « وقيل: إن الله تعالى يعاملهم يوم القيامة بعلمه فيهم، فمن علم أنه يكون سعيدًا لو بقي أدخله الجنة، ومن علم منه الشقاوة أدخله النار، وقيل: إنهم يكونون خدّامًا لأهل الجنة »[٢].

« وذهب أكثر المحدثين منا إلى ما دلت عليه الأخبار الصحيحة الآتية أنهم يكلّفون في القيامة بدخول النار المؤججة لهم »، وهذا الذي « عليه أكثر المحدثين من الشيعة، ومنهم الكليني والصدوق، أن الله يكلفهم في القيامة بأن يؤجج لهم نارًا يأمرهم بدخولها، ويثيب المطيع ويعاقب العاصي، ويدل على ذلك جملة من الأخبار.. »[٣].

هذا تفصيل المسألة عند الاثني عشرية، أما عند أهل السنة والجماعة؛ فإن شبّر يخلط بين رأي أهل السنة ورأي أزارقة الخوارج، فيقول: « وأما أطفال الكفار؛ فقد أشرنا إلى الخلاف في حالهم، فقيل بتبعيتهم لآبائهم وأنهم في النار، كما عليه أكثر العامة[٤]، ولم يذهب إليه أحد من الإمامية »[٥]!.

وهذا الرأي الذي ينسبه شبر لأهل السنة والجماعة ليس لهم برأي، فقد قال ابن حزم: « اختلف الناس في حكم من مات من أطفال المسلمين والمشركين ذكورهم وإناثهم؛ فقالت الأزارقة من الخوارج: أما أطفال المشركين ففي النار »[٦].

فما رجّحه محدّثو الاثني عشرية في المسألة، هو الراجح أيضًا عند أهل السنة، لدلالة النصوص عليه.

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤١٩).

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤١٩)، وانظر: المجلسي: بحار الأنوار (٣/٢٠٠)، آية الله السيد عبد الحسين دستغيب: الدار الآخرة (ص ٩٨، ٩٩)، مؤسسة المنار (ط٢)، ترجمة لجنة الهدى.

(٣) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤١٩).

(٤) يعبر الشيعة بكلمة (العامة) عمن خالفهم في المذهب من المسلمين، وفي مقدمتهم أهل السنة والجماعة.

(٥) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤١٩).

(٦) الفصل في الملل والنحل (٤/٦٠).

قال الأشعري: « قولنا في أطفال المشركين أن الله تعالى يؤجج لهم في الآخرة نارًا، ثم يقول لهم: اقتحموها، كما جاءت بذلك الرواية » (١). « وهذا أجود ما قيل في أطفال المشركين، وعليه تتنزل جميع الأحاديث » (٢).

ويشهد لهذا القول حديث الإمام أحمد في المسند أنّ نبيّ الله ﷺ قال: **« أربعةٌ يوم القيامة؛ رجلٌ أصمّ لا يسمع شيئًا، ورجلٌ أحمق، ورجلٌ هرمٌ، ورجلٌ مات في فترةٍ. فأمّا الأصمّ فيقول: ربّ! لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا، وأمّا الأحمق فيقول: ربّ! لقد جاء الإسلام والصّبيان يحذفوني بالبعر، وأمّا الهرم فيقول: ربّي لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، وأمّا الّذي مات في الفترة فيقول: ربّ! ما أتاني لك رسولٌ. فيأخذ مواثيقهم ليطيعنّه، فيرسل إليهم: أن ادخلوا النّار، قال فوالّذي نفس محمّدٍ بيده! لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا »** (٣).

قال ابن حجر: « وقد صحّت مسألة الامتحان في حقّ المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقيّ في (كتاب الاعتقاد) أنّه المذهب الصّحيح » (٤).

- وعلاوة على ذلك فقد اختار بعض علماء أهل السنة - كبعض الاثني عشرية - نجاتهم مطلقًا يوم القيامة، ورجّحه ابن حزم فقال: « ذهب الناس إلى أنهم في الجنة، وبه نقول » (٥). وقال الإمام النووي: « وهو الصّحيح الّذي ذهب إليه المحقّقون » (٦). لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

وعن عائشة عن النّبيّ ﷺ قال: **« رفع القلم عن ثلاثٍ: عن النّائم حتّى يستيقظ، وعن الصّغير حتّى يكبر، وعن المجنون حتّى يعقل أو يفيق »** (٧).

ويشهد لنجاتهم قول النبي ﷺ: **« كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء »** (٨).

---

(١) أبو الحسن الأشعري: الإبانة (ص ٣٣).

(٢) كتب ورسائل ابن تيمية في العقيدة (٢٤٦/٤، ٢٤٧).

(٣) مسند أحمد، مسند المدنيين، حديث الأسود بن سريع رضي الله عنه رقم (١٦٢٥٣)، (٥١٨/١٢). دار الحديث - القاهرة. وإسناده صحيح.

(٤) فتح الباري (٤٦٢/٤).

(٥) الفصل في الملل والنحل (٦٠/٤).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

(٧) سنن النسائي، كتاب الطلاق، باب من لا يقع طلاقه من الأزواج (١٢٤/١١) رقم (٣٤٣٢)، وهو حديث صحيح.

(٨) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب سورة الروم، وأخرجه مسلم: باب معنى: كل مولود يولد على =

- وهناك قول وجيه، وهو التوقف فيهم، وتفويض أمرهم إلى الله تعالى، وهو قول ثابت في روايات السنة والشيعة أيضًا؛ وذلك لما ورد من أحاديث تنهى عن الحكم فيهم: ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ سئل عن أطفال المشركين فقال: « **الله أعلم بما كانوا عاملين** » [(١)].

ولذلك قال البغدادي في أصول الدين: « قال بعضهم: في الجنة، وقال بعضهم: في النار، وقال بعضهم: هم خدّام أهل الجنة [(٢)]، فإذا اختلف الناس فيهم فالسكوت أولى، فهم في مشيئة الله تعالى » [(٣)].

وهذه رواية شيعية مشابهة، تحض على التوقّف فيهم، فقد « روى الكليني في الصحيح عن زرارة قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في الأطفال الذين ماتوا قبل أن يبلغوا؟ فقال: سئل عنهم رسول الله فقال: « **الله أعلم بما كانوا عاملين** »، ثم أقبل علي فقال: يا زرارة! هل تدري ما عنى بذلك رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: لا، فقال: « **إنما عنى كفّوا عنهم، لا تقولوا فيهم شيئًا، وردّوا علمهم إلى الله** » [(٤)].

قال شبّر: « أقول هذا هو الأصل في الباب، وينبغي أن يعلم مجملًا أن الله تعالى منزّه عن الظلم والجور » [(٥)].

وهذا هو الرأي الأحوط والأورع؛ خصوصًا إذا علمنا أن النبي ﷺ نهى أمّنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها عن الحكم بدخول أطفال المؤمنين الجنة، رغم أن نجاتهم محل اتفاق تقريبًا بين المتكلمين سنة وشيعة - ففي الحديث: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله! طوبى لهذا؛ عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء، ولم يدركه. قال: **لا أو غير ذلك يا عائشة! إن**

= الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين رقم (٢٦٥٨)، ومعنى يمجّسانه: يجعلانه على دين المجوس عبدة النار.

(١) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين رقم (١٣١٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين رقم (٢٦٥٨).

(٢) عن الحسن أن سلمان قال: أولاد المشركين خدم لأهل الجنة ثم قال الحسن: ما يعجبون أكرمهم الله، وأكرم بهم. مصنف عبد الرزاق (١١٧/١١)، رقم (٢٠٠٧٩)، وهو حديث صحيح.

(٣) أصول الدين (ص ٢١٠).

(٤) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٢١).

(٥) المصدر السابق نفسه.

الله خلق للجنة أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم » (١).

ولذلك قال ابن عباس ﷺ وهو على المنبر: قال رسول الله ﷺ: **« لا يزال أمر هذه الأمة موائمًا - أو مقاربًا - ما لم يتكلّموا في الولدان والقدر »**. قال أبو حاتم: الولدان: أراد به أطفال المشركين (٢).

النار أعاذنا الله منها:

تصف الروايات جهنم، قال النبي ﷺ: **« حين خلق النار نفخت ألف عام حتى احمرّت، ثم نفخت ألف عام حتى ابيضّت، ثم نفخت ألف عام حتى اسودّت، وقد انتهوا الآن من نفخها »** (٣). وهذا الحديث يتضمن إثبات خلق النار كما يتضمن وصفها.

وفي بحار الأنوار: قال ﷺ: **« إن نار الدنيا أقل من نار الآخرة بسبعين درجة، ونار جهنم أشد من نار هذه الدنيا بسبعين درجة »** (٤).

واتفق أهل السنة والجماعة على أنه لا يخلد في النار إلا الكافرون المشركون.

ولكن يؤمن الشيعة وأهل السنة أنه يدخلها بعض عصاة المسلمين، فيعذبون ثم يدخلون الجنة بفضل الله وكرمه، قال المفيد: **« وقد يدخلها بعض من عرف بمعصية الله تعالى غير أنه لا يخلد فيها، بل يخرج منها إلى النعيم المقيم، وليس يخلد فيها إلا الكافرون »** (٥).

- جهود علماء الاثني عشرية في الردّ على الشبهات حول الجنة والنار:

ولقد حاول بعض كتّاب الشيعة أن يقربوا بعض مفاهيم الغيب للناس، بضرب

---

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب القدر، برقم (٢٦٦٢). وقد حاول ابن حزم أن يبعد هذا النص عن الاستشهاد قائلًا: « وهذان الخبران لا حجة لهم في شيء منهما إلا أنهما إنما قالهما رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه أنهم في الجنة » الفصل (٦٣/٤)، ولكن كلامه هذا يحتاج إلى دليل، فنحن نعلم أنه قد يولد المرء مسلمًا فإذا كبر ربما ارتد والعياذ بالله، وخبر الغلام الذي قتله الخضر دليل على هذا، وهو في صحيح مسلم.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، ذكر الإخبار عن الأمارة التي إذا ظهرت في العلماء زال أمر الناس عن سننه. قال الهيثمي: مجمع الزوائد (٧ /٢٠٢): « رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار رجال الصحيح ».

(٣) بحار الأنوار (٢٨٠/٨)، وانظر: آية الله السيد عبد الحسين دستغيب: الدار الآخرة (ص ١٤٥).

(٤) بحار الأنوار (١١٣/١٠٨).

(٥) المفيد: تصحيح اعتقادات الصدوق (٩٥ - ٩٧).

الأمثال من واقع الناس المعاش، وهذا أمر لا غضاضة فيه، بل به تثبت النفوس الحائرة، فيزداد العقل اقتناعًا، والقلب اطمئنانًا.

وعلى سبيل المثال؛ فإذا استغرب بعض الناس أن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوّطون، فيمكن أن يمثل لهم بحال « الجنين في بطن أمه يتغذى ولا يتغوط » (١).

وإذا استغربوا حال الجنة بلا شمس ولا قمر؛ ضرب لهم المثل بالغسق والشفق، بعيد غروب الشمس، وبعيد طلوع الفجر، « كساعة بين الطلوعين » (٢). فإذا سهل ذلك في الدنيا، فهو في الآخرة أسهل، ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وكذلك حاول بعض العلماء أن يردّ على الشّبه والأسئلة التي ترد على بعض قضايا الجنة والنار، وعلى سبيل المثال، شبهة: كيف يعاقب الإنسان على الذنب المحدود بزمن بعقاب خالد لا ينتهي؟ ألا يخالف ذلك مبدأ العدل الإلهي؟ يجيب اليزدي قائلًا: « إن هناك بعض الجرائم تعقبها آثار سيئة تمتد إلى مدة طويلة رغم قصر مدة الجريمة، فمثلًا لو فقأ الإنسان عينه هو أو عيون الآخرين فأعماها، فإن هذا الفعل يتم في مدة قصيرة جدًّا، ولكن نتيجته وهي العمى تمتد إلى نهاية العمر، وكذلك الذنوب الكبيرة لها آثارها الأخروية الأبدية، وإذا لم يتوفّر للإنسان في هذه الدنيا مستلزمات جبرانها، كالتوبة مثلًا، فإنه سوف يعيش آثارها السيئة، وإلى الأبد، فكما أن بقاء عمى الإنسان إلى نهاية العمر بجريمة لم تستغرق إلا لحظة واحدة لا ينافي العدل الإلهي، فكذلك الابتلاء بالعذاب الأبدي نتيجة لارتكاب الذنوب الكبيرة لا ينافي العدل الإلهي، وذلك نتيجة الذنب الذي ارتكبه المذنب عن سابق وعي وإصرار » (٣).

أما تفصيل الحديث عن نعيم الجنة وعذاب النار، فلا حاجة إلى التطويل فيه فقد تكفّلت بتفصيله آيات القرآن الكريم، ونصوص الحديث لدى السنة والشيعة مما لا يترتب عليه أي خلاف، نسأل الله الفردوس الأعلى من الجنة، ونعوذ بالله من النار.

دور التشيع في صياغة نصوص أحداث يوم القيامة:

تمتد يد التشيع لتصوغ أحاديث كثيرة تغلو في علي ﷺ والأئمة، ليس في الدنيا فقط

(١، ٢) الشيخ دستغيب: الدار الآخرة (ص ١٢٣).

(٣) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ١٦٩ - ١٧١).

بل يوم القيامة، بل إن وجوب الإيمان بمنزلة علي والأئمة يوم القيامة يكاد يكون من ضروريات الدين، شأنه شأن منازل النبي ﷺ ومواقفه في القيامة، قال شبر: « الإيمان بالوسيلة واللواء والحوض والشفاعة وسائر منازل النبي ﷺ وأهل بيته في القيامة، وقد تواترت بذلك الأخبار من طرق العامة والخاصة، بل كاد أن يكون من ضروريات الدين » (١).

وسنعرض فيما يلي لبعض هذه اللمسات الشيعية في روايات أحداث يوم القيامة:

- تؤكد الروايات أن عليًا قسيم الجنة والنار، حيث يقسم الناس إلى فسطاطين، فسطاط الجنة وفسطاط النار. فعن عليّ عليه السلام أنّه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **« يا علي! أنت قسيم الجنّة والنّار يوم القيامة، تقول للنّار: هذا لي، وهذا لك »** (٢).

وجاء « عن الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه جميع الخلائق، فيصعد عليه رجل فيقوم وعن يمينه ملك، وعن يساره ملك، ينادي الذي عن يمينه: يا معشر الخلائق! هذا علي بن أبي طالب يُدخل الجنة من يشاء، وينادي الذي عن يساره: هذا علي بن أبي طالب يُدخل النار من يشاء » (٣).

- ويظهر دور علي على الصراط: روى الشيخ الطوسي في أماليه من طرق المخالفين عن أنس عن النبي ﷺ قال: « **إذا كان يوم القيامة نصب الصراط على جهنم لم يجز عليه إلا من كان معه جواز من ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾** [الصافات: ٢٤] » يعني: عن ولاية علي بن أبي طالب (٤).

وذكر المفيد وغيره أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ق: ٢٤] لمحمد ﷺ وعلي عليه السلام، وأن النبي محمد ﷺ على يمين الصراط، وعلي على شماله (٥).

« وجاء في الخبر أنه لا يعبر الصراط يوم القيامة إلا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب من النار » (٦).

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٤١).

(٢) ابن بابويه: عيون أخبار الرّضا (ص ٢٣٩)، بحار الأنوار (١٩٤/٣٩).

(٣) الصدوق: علل الشرائع (١٦٤/١)، المجلسي: بحار الأنوار (٣٢٩/٧).

(٤) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٦٠).

(٥) المفيد: تصحيح اعتقادات الإمامية (ص ١٠٨)، وانظر: عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص٤٤٣، ٤٤٤).

(٦) الشيخ المفيد: تصحيح اعتقادات الصدوق (ص ٨٨).

- ولآل البيت مكانة يوم القيامة يغيب عنها كثير من الأنبياء والمرسلين، فقد « روى القمي في تفسيره عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة دعي محمد ﷺ فيكسى حلة وردية، ثم يقام عن يمين العرش، ثم يدعى بإبراهيم عليه السلام فيكسى حلّة بيضاء، فيقام يسار العرش، ثم يدعى بعلي أمير المؤمنين فيكسى حلة وردية فيقام على يمين النبي ﷺ، ثم يدعى بإسماعيل عليه السلام، فيكسى حلة بيضاء،فيقام عن يسار إبراهيم، ثم يدعى بالحسن، فيكسى حلة وردية، فيقام عن يمين أمير المؤمنين، ثم يدعى بالحسين، فيكسى حلة وردية، فيقام عن يمين الحسن، ثم يدعى بالأئمة فيكسون حللًا وردية، فيقام كل واحد عن يمين صاحبه، ثم يدعى بالشيعة فيقومون أمامهم، ثم يدعى بفاطمة ونسائها من ذريتها » [(١)].

في حين جاء في مصادر أهل السنة أن أول من يكسى يوم القيامة: إبراهيم عليه السلام: عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما عن النّبيّ ﷺ قال: « **أوّل من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام** » [(٢)].

- وتزعم إحدى الروايات أن عليًا يدخل الجنة قبل النبي الخاتم ﷺ، فقد جاء: عن السجاد عليه السلام عن آبائه عن علي قال: قال لي رسول اللّه: « **أنت أول من يدخل الجنة** » فقلت: يا رسول اللّه! أدخلها قبلك؟! قال: « **نعم، لأنك صاحب لوائي في الآخرة، كما أنك صاحب لوائي في الدنيا، وصاحب اللواء هو المتقدّم** » [(٣)].

- أما فاطمة الزهراء رضي الله عنها ؛ ففي حديث أبي جعفر: « ينادي المنادي وهو جبرائيل: أين فاطمة بنت محمد؟ أين خديجة بنت خويلد؟ أين مريم بنت عمران؟ أين آسية بنت مزاحم؟ أين كلثوم أم يحيى بن زكريا؟ فيقمن، فيقول اللّه تعالى: يا أهل الجمع! لمن الكرم اليوم؟ فيقول محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين: للّه الواحد القهار، فيقول اللّه تعالى: يا أهل الجمع! إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، يا أهل الجمع طأطأوا الرؤوس، وغضّوا الأبصار، فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة. فيأتيها جبرائيل بناقة من نوق الجنة » [(٤)].

ولو صحّ الخبر بهذا لكنّا من السعداء المصدّقين به، ولكن لم يصلنا بسند صحيح، بل

---

(١) عبد اللّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٤٢).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول اللّه تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥] رقم (٤٤٦٣)، ورواه مسلم في صفة الجنة ونعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة رقم (٢٨٦٠).

(٣) عبد اللّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٤٣، ٤٤٤).

(٤) عبد اللّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٥٦)، وانظر رواية أخرى (ص ٤٦٠).

إنه مردود برواية شيعية تخالفه، فقد روى الصدوق في الأمالي بإسناده عن أمير المؤمنين قال: قالت فاطمة لرسول الله ﷺ: يا أبتاه! أين ألقاك يوم الموقف الأعظم، ويوم الأهوال، ويوم الفزع الأكبر؟ قال: « **يا فاطمة! عند باب الجنة ومعي لواء الحمد، وأنا الشفيع لأمتي إلى ربي** »، قالت: يا أبتاه! فإن لم ألقك هناك، قال: « **القيني عند الحوض وأنا أسقي أمتي** » قالت: يا أبتاه! وإن لم ألقك هناك؟ قال: « **القيني عند الصراط وأنا قائم أقول: ربي سلّم أمتي** » قالت: فإن لم ألقك هناك؟ قال: « **القيني على شفير جهنم، أمنع شررها ولهبها عن أمتي** ». فاستبشرت فاطمة بذلك (١).

فانظر إلى الفرق بين هاتين الروايتين؛ رواية تجعل فاطمة وبنيها رضوان الله عليهم فوق الأنبياء والناس أجمعين، ورواية تجعل فاطمة رضي الله عنها كغيرها من البشر، تخشى يوم القيامة، وتسأل عن موقع النبي ﷺ في أهوال ذلك اليوم، والنبي ﷺ ينبئها أن همّه في ذلك اليوم ليس فاطمة وحدها، بل أمّته كلّها، يقول: « **ربي سلّم أمتي** ». وفاطمة رضوان الله عليها وبنوها مشمولة بدعائه هذا، ولا ريب.

وهذه الرواية تتفق مع رواية أهل السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] جعل ﷺ يدعو بطون قريش بطنًا بطنًا: « **يا بني فلان! أنقذوا أنفسكم من النار** »، حتى انتهى إلى فاطمة فقال: « **يا فاطمة ابنة محمد! أنقذي نفسك من النار، لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلّها ببلالها** » (٢).

ومن المعلوم أن فاطمة وآل بيت النبي ﷺ لم يكونوا يتّكلون على نسبهم الطاهر، بل كانوا يعملون ويحسنون العمل، ويكفي ما رواه الشيعة وبعض مفسّري أهل السنة في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧ - ١٢]. فقد ذكر البغوي عن مجاهد وعطاء عن ابن عباس أنها نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما، حين وفّيا بنذريهما، وتصدّقا بطعامهما. وهو قول الحسن البصري وقتادة رحمهما الله تعالى (٣).

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٥٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٣٣/٢)، ورواه الترمذي في سننه في تفسير القرآن (٢٠/٥) رقم (٣٢٣٧)، في تفسير سورة الشعراء. وقال عنه: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) انظر: البغوي (أبو محمد، الحسين بن مسعود، ت ٥١٦هـ): معالم التنزيل (٢٩٥/٨)، تحقيق محمد =

- وتمنح الروايات الشيعية أتباع المذهب الاثني عشري خصائص ليست لغيرهم. فإن « الناس يدعون بأسماء أمهاتهم يوم القيامة، إلا الشيعة فيدعون بأسماء آبائهم » [(١)]!.

وما سرّ هذا التفريق بين الشيعة وغيرهم؟ هل هو تلك الروايات الشيعية، التي تبيِّن أن نسل غير الشيعة مشوب مختلط، بخلاف الشيعة؟

فعن علي بن أسباط يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: « إن الله - تبارك وتعالى - يبدأ بالنظر إلى زوّار قبر الحسين بن علي عليهما السلام عشية عرفة. قال: قلت: قبل نظره إلى أهل الموقف؟ قال: نعم، قلت: وكيف ذاك؟ قال: لأن في أولئك أولاد زنا، وليس في هؤلاء أولاد زنا » [(٢)]. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: « .. إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا » [(٣)]!.

أما أهل السنة، فتقول رواياتهم: إن الناس ينسبون يوم القيامة لآبائهم، كحال الدنيا، سواء أكانوا فاجرين أم صالحين؛ لقوله ﷺ: « **الغادر يرفع له لواء يوم القيامة يقال: هذه غدرة فلان بن فلان** » [(٤)]، وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الذي فصّل فيه النبي ﷺ رحلة ما بعد الموت إلى نزول القبر: « **فيصعدون بها، فلا يمرّون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة، فيقولون: فلان ابن فلان** »، وكذلك روح الكافر: « **فيصعدون بها فلا يمرّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث، فيقولون فلان ابن فلان** » [(٥)].

= عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع (ط٤)، (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣١/١٩).

(١) الفصول المهمة في أصول الأئمة (ص ١٢٤).

(٢) الشيخ الصدوق: معاني الآثار (ص ٣٩١، ٣٩٢)، تحقيق علي أكبر غفاري، طبعة انتشارات إسلامي، المجلسي: بحار الأنوار (٨٥/٩٨)، والحر العاملي: وسائل الشيعة ٤٦٢/١٤، والنوري الطبرسي: مستدرك الوسائل (٢٨٣/١٠).

(٣) الكليني: الكافي (٢٨٥/٨)، بحار الأنوار (٣١١/٢٤)، وسائل الشيعة (٣٧/١٦). وسيأتي تفصيل هذه الأمور وتفسيرها في الفصل الخامس من الرسالة.

(٤) حديث صحيح أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بآبائهم، رقم (٥٨٢٣)، وأخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر (١٧٣٥).

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده عن البراء بن عازب وهو صحيح. وتمامه للفائدة: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله في جنازة رجل من الأنصار، وانتهينا إلى القبر ولم يلحد، فجلس رسول الله وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به الأرض، فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر. مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة؛ نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، =

– وتزعم روايات الشيعة أن أتباع الأئمة المبعدين عن الحوض يعودون إليه: « قال أبو جعفر عليه السلام: فبين وارد يومئذ ومصروف، فإذا رأى رسول الله ﷺ من يصرف عنه من محبّينا أهل البيت بكى، وقال: يا رب! شيعة علي، يا رب! شيعة علي، قال: فيبعث الله إليه ملكًا فيقول له: ما يبكيك يا محمد، قال فيقول: وكيف لا أبكي لأناس من شيعة أخي

= حتى يجلسوا منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا، حتى ينتهوا إلى سماء الدنيا فيستفتحون له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في علّيين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال:فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله وآمنت به وصدّقت، فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّ بصره، قال: ويأتيه رجلٌ من أحسن الناس وجهًا، حسن الثياب طيّب الرائحة، فيقول: أبشر بالذي يسرّك، فهذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك وجه الذي يأتي بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح.فيقول: ربّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي ». قال: « وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح فيجلسون منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: تتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفّود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح خبيثةٍ وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجّين في الأرض السّفلى.فتطرح روحه طرحًا، ثم قرأ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١]. تعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه.. هاه.. لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه.. هاه.. لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أن كذب فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرّها وسمومها، ويضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجلٌ قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت، فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: ربّ لا تقم الساعة ».

علي بن أبي طالب، أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النار، ومنعوا من ورود حوضي، قال: فيقول الله ﷻ له: يا محمد! إني قد وهبتهم لك، وصفحت لك عن ذنوبهم، وألحقتهم بك وبمن كانوا يتولون من ذريتك، وجعلتهم في زمرتك، وأوردتهم حوضك وقبلت شفاعتك فيهم » (١).

والله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب، فقد قال ﷻ: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

إن روايات أهل السنة تؤكد أنه يذاد عن حوض النبي ﷺ من بدّلوا دينهم، من أي الناس كانوا، ولو كانوا ممن رأى النبي ﷺ، ولا تقبل فيهم شفاعة، فقد قال ﷺ: « **ألا ليذادنّ رجالٌ عن حوضي كما يذاد البعير الضّالّ، أناديهم: ألا هلمّ!** » - وفي بعض الروايات: « **فأقول: يا ربّ! أصحابي، أصحابي، أصحابي** » وفي رواية « **أصيحابي** » - فيقال: « **إنّهم قد بدّلوا بعدك. فأقول:سحقًا، سحقًا** » (٢).

- وأثر التشيع واضح يتدخل حتى في الجنة، فقد جاء في بعض كتب الشيعة صفات الحور العين، وأنه « كتب الله بقلم القدرة على وجوههن بكلمات من نور على جانبه الأيمن: محمد رسول الله، وعلى الجانب الأيسر: علي ولي الله، وعلى الجبهة: الحسن، وعلى الذقن: الحسين » (٣)!.

وما أظن هذه المسحة الشيعية على أخبار يوم القيامة إلا من بقايا أقاويل الغلاة، الذين ما فتئ أئمة أهل البيت يحذّرون من كذبهم وافترائهم على ألسنتهم.

* * *

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٤٤٧، ٤٤٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم (٢٤٩).

(٣) دستغيب: الدار الآخرة (ص ٣٥).

الفَصۡلُ الرَّابِعُ

العقائد الخاصة بالشيعة الاثني عشرية

(وفيه مباحث):

ٱلمَبۡحَثُ ٱلأَوَّلُ: الإمامة.

ٱلمَبۡحَثُ ٱلثَّانِي: عصمة الأئمة.

ٱلمَبۡحَثُ ٱلثَّالِثُ: التقية.

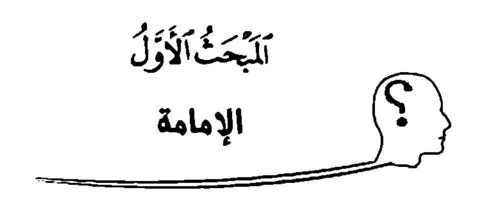
ٱلمَبۡحَثُ ٱلرَّابِعُ: البداء.

ٱلمَبۡحَثُ ٱلخَامِسُ: الرجعة.

ٱلمَبۡحَثُ ٱلسَّادِسُ: المهدي المنتظر: غيبته وأعماله.

ٱلمَبۡحَثُ ٱلسَّابِعُ: بعض الممارسات الاثني عشرية المرتبطة بالعقيدة.





أولاً: ضرورة وجود إمام:

« اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل، يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ » [١].

فوجوب وجود حاكم عادل وإمام متّبع شبه مجمع عليه بين المسلمين، ولا يعتدّ بمن خالفه، حيث إنه أغرق في المثالية، حيث قال أصحابه - وهم النجدات من الخوارج -: « لا يلزم الناس فرض الإمامة، وأن عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم » [٢].

وقد رأينا الناس لا ينصف بعضهم بعضًا مع وجود الحكّام والأمراء، وقد قال تعالى: ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ [النساء: ١٢٨]، فكيف يكون حالهم مع فقد من يرعى العدل والنظام بين الناس؟

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفّة فلعلّة لا يظلم [٣]

وعلى الرغم من هذا الاتفاق بين المسلمين على ضرورة وجود الإمام فإن أهل السنة رأوا أن هذا الوجوب شرعي يدخل في جملة ما أوجبه الشارع من أحكام شرعية فقهية.

قال اللقاني:

وواجب نصب إمام عدل ... بالشرع فاعلم لا بحكم العقل

---

(١) ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/٨٧) دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.

(٢) المصدر السابق نفسه، ويضاف إلى النجدات من الخوارج هشام بن عمر الفوطي البصري وأبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم من الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة. ولا يعتد برأيهم. انظر: في مذاهب الإسلاميين: د. عامر النجار (ص ٤١٤، ٤١٥).

(٣) البيت للمتنبي: انظر: تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري: خزانة الأدب وغاية الأرب (١/١٩٣)، دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٧م). تحقيق: عصام شعيتو، وانظر: القلقشندي: صبح الأعشى (٢/٢٠٧) دار الفكر - دمشق (١٩٨٧م) تحقيق يوسف علي الطويل.

فليس ركنًا يعتقد بالدين فلا تزغ عن أمره المبين [١]

فالإمامة عند أهل السنة والجماعة فرع فقهي شرعي، وليست ركنًا وأصلًا عقديًا.

وهنا يظهر الخلاف بين أهل السنة والشيعة الاثني عشرية، إذ ليست الإمامة عند الشيعة مسألة من مسائل الفروع كما هي عند أهل السنة والجماعة، بل هي أصل من أصول العقيدة التي تنبني على (التوحيد والعدل والمعاد والإمامة).

ويؤكد كتّاب الشيعة أن « الإمامة هي الأصل الرابع في معتقدات الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وهي أصل الخلاف بين الشيعة وسائر الطوائف الإسلامية » [٢].

ولأجل هذا يعرّف آل كاشف الغطاء الإمامة بأنها: « منصب إلهي كالنبوة » [٣]، ولذلك لا يتعين هذا الإمام إلا بنص من الله ورسوله أو إمام قبله، وأوّل هؤلاء الأئمة علي رضي الله عنه؛ قال مغنية: « يتعين الإمام بنصّ النبي أو بنص إمام معصوم، وإن النبي قد نص بالخلافة على علي بعده بلا فاصل » [٤].

وعدد الأئمة المنصوص عليهم محدد،وهم الاثنى عشر إمامًا من آل البيت، وهم أئمة طائفة الاثني عشرية، التي سميت بهذا الاسم نسبة إلى اعتقاد أتباعها بوجوب نصب هؤلاء الأئمة الاثني عشر، وإبطال بيعة ما سواهم من خلفاء وأئمة، يقول الزنجاني: « وحيث إن الإسلام دين عام وخالد كلّف به جميع البشر، وتعاليمه فطرية أبدية أراد الله بقاءه إلى آخر الدنيا، فلا بد أن ينصب إمامًا لحفظه في كل عصر وزمان؛ لكي لا يتوجه نقص الفرض المستحيل على الحكيم تعالى، ولأجله أمر الله نبيه بأن ينص على علي... ثم أحد عشر إمامًا من ولد علي ظاهرًا مشهورًا أو غائبًا مستورًا » [٥].

فالإمامة ليست فرعًا من الدين، بل هي أصل ركين مشابه للنبوة في وجوب الإيمان بها، يقول الصدوق: « واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده: أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام. واعتقادنا فيمن أقر

---

(١) اللقاني: جوهرة التوحيد مع شرحها للشيخ إبراهيم الباجوري (ص ٤٥٦ - ٤٦٤).

(٢) إبراهيم موسى الزنجاني: عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص ٧٢).

(٣) أصل الشيعة وأصولها (ص ٥٨).

(٤) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٧٨). وقوله (بلا فاصل): لإنكارهم خلافة الخلفاء الراشدين قبل علي رضي الله عنه.

(٥) إبراهيم موسى الزنجاني: عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص ٧٢).

بأمير المؤمنين عليه السلام وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة عليهم السلام: أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء عليهم السلام وأنكر نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله » [1].

ولذلك تحتل قضية الإمامة حيّزًا كبيرًا لدى كتّاب الشيعة الأوائل والمحدثين؛ فلهشام ابن الحكم كتاب (الإمامة)، وكتاب (الرد على من قال بإمامة المفضول مع وجود الفاضل) [2]، ولهشام الجواليقي كتاب (الإمامة)، ومؤمن الطاق له كتاب (الإمامة)، ولعلي بن إسماعيل بن ميثم التمار (الميثمي) كتاب (الإمامة) [3].

فالإمامة « هي جوهر العقيدة الشيعية على وجه العموم، والقاعدة الأساسية التي قام عليها البناء المذهبي لعقائد الاثني عشرية وغيرهم من فرق الشيعة، فمن هذه القاعدة انبثقت فكرة عصمة الأئمة عندهم، ونظرية العلوم السرية، وفكرة الظاهر والباطن، وعقيدة الرجعة والمهدية، ودعوى نزول الوحي على الإمام، وفكرة الخلق النوراني لروحه، وتفضيله على الأنبياء أحيانًا، ونظرية تفسير القرآن تفسيرًا باطنيًا رمزيًّا، ودعوى تحريفه ونقصه، ودعوى إكفار صحابة رسول الله ﷺ » [4]، ورضي عنهم.

وقد أدى هذا التضخيم في أمر الإمامة لدى الشيعة إلى ردة فعل علماء العقيدة من أهل السنة، حيث تم إدخالها وإقحامها في كتبهم العقدية والكلامية؛ لإيضاح رأي أهل السنة في الإمامة، وللرد على عقيدة الشيعة والخوارج فيها، ونقض شبهاتهم حولها، مع أن مسألة الإمامة ليست من مسائل علم الكلام، وإنما هي من مسائل علم الفقه لديهم.

ثانيًا: أدلة الاثني عشرية على إثبات الإمامة:

اعتمد الشيعة في إثبات الإمامة على أدلة نقلية وأدلة عقلية، كما استدلوا بما أسموه معجزات الأئمة لإثباتها.

- أولاً: الأدلة النقلية:

وهي تتمثل بآيات القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الأئمة المعصومين في نظر الشيعة.

---

(١) الصدوق: الاعتقادات في دين الإمامية (ص ٧٩).

(٢) مذهب أهل السنة والجماعة والزيدية جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، خلافًا للاثني عشرية.

(٣) انظر:الأستاذ الدكتور: السنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ٤٥، ٤٦)، وانظر: ابن النديم: الفهرست (ص ٢٦٣، ٢٦٤).

(٤) الأستاذ الدكتور: السنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ٤٦).

أ - تأويل نصوص القرآن الكريم:

استخدم الشيعة تأويل آيات القرآن لإثبات الأئمة وفضلهم، ووصلوا في ذلك إلى حد التكلّف الشديد، ولعل فعلهم هذا فتح المجال بعد ذلك للباطنية للإسراف في التأويل الباطني.

- **ومن أمثلة هذه التأويلات البعيدة عن أصول التفسير، ما يلي:**

- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]: أي الأئمة، ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧]: أي إمام: عن أبي بصيرٍ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ فقال: رسول الله ﷺ المنذر وعليٌّ الهادي (١).

وواضح التكلف والتعسف في هذا التفسير لكتاب الله، إذ كلمة (هاد) هنا جاءت في معرض الحديث عن الأنبياء عليهم السلام، فرسول الله منذر وهاد أيضًا، فقد قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

- وعن صالح بن سهلٍ الهمدانيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ [النور: ٣٥]: فاطمة عليها السلام، ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾: الحسن. ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾: الحسين. ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾: فاطمة كوكبٌ درّيٌّ بين نساء أهل الدّنيا. ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾: إبراهيم عليه السلام. ﴿ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾: لا يهوديّةٍ ولا نصرانيّةٍ. ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ ﴾: يكاد العلم ينفجر بها. ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾: إمامٌ منها بعد إمامٍ. ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾: يهدي الله للأئمّة من يشاء... ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا ﴾ [النور: ٤٠]: إمامًا من ولد فاطمة عليها السلام. ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾: إمامٍ يوم القيامة. و في قوله: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ [الحديد: ١٢]: أئمّة المؤمنين يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين وبأيمانهم حتّى ينزلوهم منازل أهل الجنّة (٢).

- وعن الحسن بن محبوبٍ قال: سألت أبا الحسن الرّضا عليه السلام عن قوله عز وجل: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣٣]

---

(١) أصول الكافي (٢٤٧/١) كتاب الحجة، باب أن الأئمة عليهم السلام هم الهداة.

(٢) أصول الكافي (٢٥١/١) كتاب الحجة، باب أن الأئمة نور الله عز وجل. حكم محقق أصول الكافي على هذه الرواية بالضعف، دون بيان سببه.

قال: إنّما عنى بذلك الأئمة عليهم السلام، بهم عقد الله عز وجل أيمانكم [(١)].

- عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦]: « يعني لو استقاموا على ولاية عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده عليهم السلام وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم ﴿ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾: يقول لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطّريقة هي الإيمان بولاية عليّ والأوصياء » [(٢)].

- وعن موسى بن جعفرٍ في قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك: ٣٠] قال: « إذا غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمامٍ جديدٍ » [(٣)].

- عن عبد الرّحمن بن كثيرٍ عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧] قال: « أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة، ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ قال: فلانٌ وفلانٌ [(٤)]، ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾: أصحابهم وأهل ولايتهم، ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾: أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة عليهم السلام » [(٥)].

- **كما حوّل الاثنى عشرية معاني آيات المواجهة بين الحق والباطل، والإيمان بالله والكفر به وبرسله واليوم الآخر إلى صراع بين مثبتي ولاية علي ومنكريها:**

- عن عبد الله بن جندبٍ أنّه كتب إليه الرّضا... ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الشورى: ١٣] من أشرك بولاية عليّ ﴿ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾: من ولاية عليّ، ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ ﴾ يا محمّد، ﴿ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣] من يجيبك إلى ولاية عليّ عليه السلام [(٦)].

- عن الحسين بن نعيم الصّحّاف قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢] فقال: « عرف الله إيمانهم بولايتنا، وكفرهم

---

(١) أصول الكافي (١/٢٧٣) كتاب الحجة، باب أنّ القرآن يهدي للإمام.

(٢) أصول الكافي (١/٢٧٧) كتاب الحجة باب أنّ الطّريقة الّتي حثّ على الاستقامة عليها ولاية عليّ.

(٣) أصول الكافي (١/٣٩٩) كتاب الحجة باب في الغيبة.

(٤) يقصدون بهما أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٥) الكليني: أصول الكافي (١/٤٨٢) كتاب الحجة باب في نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

(٦) أصول الكافي (١/٢٨٠، ٢٨١) كتاب الحجة باب أنّ الأئمّة ورثوا علم النّبيّ وجميع الأنبياء والأوصياء الّذين من قبلهم.

بها يوم أخذ عليهم الميثاق في صلب آدم عليه السلام وهم ذرٌّ » [١].

بل جعلوا عليًا رضي الله عنه النبأ العظيم:

« عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ [النبأ: ١، ٢]... فقال: هي في أمير المؤمنين صلوات الله عليه، كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: ما لله عز وجل آيةٌ هي أكبر منّي، ولا لله من نبأ أعظم منّي » [٢].

– عن محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام في قوله: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] قال: هم الأوصياء [٣]، وهذا تحريف واضح للمعنى.

– ومثله ما في تفسير العياشي، في تفسير قوله تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]: « الصلوات التي يجب المحافظة عليها هم: رسول الله وعلي وفاطمة وابناهما ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]: طائعين للأئمة » [٤].

ولا يخفى ما في هذه التفسيرات وأمثالها من فتح الباب للباطنية في تأويلهم للقرآن بالهوى وإسقاط التكاليف الشرعية.

– عن ابن أبي عميرٍ عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله جلّ وعزّ: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ.. ﴾ [البقرة: ٤٠] قال: بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠]: أوف لكم بالجنّة [٥]. مع أن المخاطبين في الآية بنو إسرائيل!.

– بل وصل الأمر في تكلّف بعض مفسري الشيعة في خدمة الإمامة إلى درجة الإسفاف والإساءة إلى آل البيت أنفسهم؛ كما ورد في تفسير نور الثقلين للحويزي في

(١) أصول الكافي (١/٤٧٩) كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، والحديث حسن. وارجع لهذا الباب ففيه عدة أحاديث تأول القرآن بغير ما ورد لإثبات الولاية.

(٢) أصول الكافي (١/٢٦٤)، كتاب الحجة باب أن الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الأئمة.

(٣) الكليني: أصول الكافي (١/٤٩٣) كتاب الحجة باب في نكت ونتف من التنزيل في الولاية. سكت عنه المحقق فلم يضعفه ولم يوثقه.

(٤) تفسير العياشي (١/١٢٧، ١٢٨)، والعياشي هو محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي (ت ٣٢٠)، ذكر ابن النديم في الفهرست أنه من فقهاء الإمامية، أوحد دهره وزمانه في غزارة العلم.

(٥) الكليني: أصول الكافي (١/٥٠٠) كتاب الحجة باب في نكت ونتف من التنزيل في الولاية. قال محققه حسن أو موثق.

تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا.. ﴾ [البقرة: ٢٦]: تقول إحدى الروايات مفسرة هذه الآية عن الإمام الصادق: « فالبعوضة أمير المؤمنين، وما فوقها رسول الله » [(١)]!.

- وعن عليّ بن جعفرٍ عن أخيه موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج: ٤٥] قال: « البئر المعطّلة الإمام الصّامت والقصر المشيد الإمام النّاطق » [(٢)]!

- وقد وصل الأمر عند بعض الغلاة من الشيعة إلى وضع آيات يزعم أنها من القرآن لتأييد الأئمة:

- « فعن الحسين بن محمّدٍ عن معلّى بن محمّدٍ، رفعه، في قول الله عز وجل: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٣]: « أبالنّبيّ أم بالوصيّ تكذّبان » نزلت في الرّحمن [(٣)].

- وعن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: « نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية على محمّدٍ صلى الله عليه وسلم هكذا: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ (آلَ محمّدٍ حقّهم) قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ (آلَ محمّدٍ حقّهم) رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٩] » [(٤)].

وإذا تتبعنا كتب التفسير الاثني عشري وجدنا « معظمها يحتوي على اتجاهات منحرفة في التأويل، وكم من لفظ قرآني حُرّف عن مدلوله الحقيقي إلى مدلولات لا وجود لها إلا في عقول أصحابها » [(٥)]. مما يدل على أن هذه الأقاويل من وضع الغلاة؛ ولذلك رأينا البهبودي يحذف كل هذه الروايات، ولا يثبتها في كتابه (صحيح الكافي)، كما مرّ في الفصل الثاني (مصادر تلقي العقيدة عند الاثني عشرية).

---

(١) تفسير البرهان (٧٠/١)، تفسير القمي (٣٥/١)، نور الثقلين (٣٧/١) لعبد علي جمعة العروسي الحويزي من محدثي القرن الحادي عشر (ت ١١١٢هـ) كان على مشرب الأخبارية سكن شيراز وحدّث بها من تلاميذه نعمة الله الجزائري وغيره. ولم تسلم هذه الروايات من انتقاد من قبل بعض كتاب الشيعة المعاصرين كسالم الصفار: نقد منهج التفسير والمفسرين المقارن (ص ٣٧٣).

(٢) الكليني: أصول الكافي (٤٩٥/١) كتاب الحجة باب في نكت ونتف من التنزيل في الولاية. قال محققه بتصحيحه.

(٣) أصول الكافي (٢٧٤/١) كتاب الحجة باب أنّ النّعمة الّتي ذكرها الله عز وجل في كتابه:الأئمّة.

(٤) الكليني: أصول الكافي (٤٩٢/١) كتاب الحجة باب في نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

(٥) د. رمزي نعناعة: بدع التفسير في الماضي والحاضر، من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، المملكة الأردنية الهاشمية (ص ٦٣).

ب - الاستدلال على الإمامة بالنصوص النبوية وروايات الأئمة:

سنسير مع نصوص الشيعة التي ورد فيها تعظيم أمر الإمامة والإمام، لنرى قيمة هذه المسألة عندهم، تلك النصوص التي أوردوها في كتب العقيدة، ككتاب (أصول الكافي) وغيره:

- تذكر الروايات وجوب وجود رجل من آل البيت على مر الزمن، لرد البدع، والمحافظة على الدين وأهله:

عن معاوية بن وهبٍ قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: قال رسول اللّه ﷺ: « **إنّ عند كلّ بدعةٍ تكون من بعدي يُكاد بها الإيمان وليًا من أهل بيتي موكّلًا به، يذبّ عنه ينطق بإلهامٍ من اللّه، ويعلن الحقّ وينوّره، ويردّ كيد الكائدين، يعبّر عن الضّعفاء، فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكّلوا على اللّه** » [1].

وتذكر الروايات أن الأرض لا تخلو من إمام، ولو خليت من إمام لساخت بأهلها:

عن أبي بصيرٍ عن أحدهما عليهما السلام قال: « إنّ اللّه لم يدع الأرض بغير عالمٍ، ولولا ذلك لم يعرف الحقّ من الباطل ». ونلاحظ أن هذا النص يشترط وجود العالم، ولا يشترط أن يكون العالم هو إمامًا معصومًا.

ولذلك وضعت رواية أخرى تشترط أن يكون هذا الشخص إمامًا دون بيان صفاته: عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: « أتبقى الأرض بغير إمامٍ، قال: لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت » [2].

وجاءت رواية تشترط العدالة في الإمام: عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: « إنّ اللّه أجلّ وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمامٍ عادلٍ » [3].

وهذا النص ليس كافيًا؛ لأنه لم يشترط أن يكون هذا الإمام العادل أحد أئمة الاثني عشرية؛ ولذلك جاءت الروايات الأخرى لتحدد المقصود من العالم، ومن الإمام العادل، وأنه أحد الأئمة: قال أبو الحسن عليه السلام: « إنّ الأرض لا تخلو من حجّةٍ، وأنا - واللّه! - ذلك الحجّة » [4].

---

(١) أصول الكافي (١٠٨/١) كتاب فضل العلم باب البدع.

(٢) أصول الكافي (٢٣٣/١) كتاب الحجة، باب أن الأرض لا تخلو من حجة.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) أصول الكافي (٢٣٣/١) كتاب الحجة، باب أن الأرض لا تخلو من حجة.

وجاء التأكيد على ضرورة وجوده مهما قلّ عدد سكان الأرض: فعن أبي عبد الله عليه السلام: « لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجّة » (١).

« ومما هو جدير بالذكر أن عقيدة الاثني عشرية في ضرورة وجود الحجة وما له من أثر في حفظ الكون والخليقة، وصون الشريعة قد ترددت في بعض دوائر التصوف بصورة أخرى، مما يدل على صلة فكرية بين التشيع والتصوف، ويمكن توضيح هذه الصلة بمقارنة عقيدة الاثني عشرية بفكرة ابن عربي عن الأبدال والأوتاد والقطب، فالأبدال عنده رجال سبعة « يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، والأوتاد رجال أربعة يحفظ الله بهم العالم من جهاته الأربع، والدنيا لا يمكن أن تخلو من الأبدال والأوتاد أبدًا »، والقطب عند ابن عربي هو الواحد الذي لا يموت أبدًا، إذ به يحفظ الله الإيمان... والقطب الحقيقي هو الروح المحمدي الممدّ لجميع الأنبياء والرسل من حين النشأة إلى يوم والقيامة » (٢).

- وتزعم بعض الروايات أن الإمامة شرط الإيمان؛ فقد جاء في خبر الشامي الذي أتى جعفرًا فقال له: أسلمت لله السّاعة. فقال أبو عبد الله عليه السلام: « بل آمنت بالله السّاعة، إنّ الإسلام قبل الإيمان، وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون، فقال الشّاميّ: صدقت، فأنا السّاعة أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا رسول الله ﷺ وأنّك وصيّ الأوصياء » (٣).

- وتوضح بعضها أن معرفة الإمام من معرفة الله تعالى، فقد رووا عن الباقر أبي جعفر عليه السلام: « إنّما يعبد الله من يعرف الله، فأمّا من لا يعرف الله، فإنّما يعبده هكذا ضلالًا، قلت: جعلت فداك! فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله ﷺ وموالاة علي عليه السلام، والائتمام به وبأئمّة الهدى عليهم السلام، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوّهم. هكذا يعرف الله عز وجل » (٤).

- وكما أن الإيمان بكل الأنبياء واجب، وإنكار نبي واحد يعدّ مكفّرًا، فكذلك يعتقد الشيعة أن معرفة الأئمة كلهم شرط الإيمان، وإنكار أحدهم كإنكارهم كلهم:

فقد رووا عن الأئمة: « لا يكون العبد مؤمنًا حتّى يعرف الله ورسوله، والأئمّة كلّهم

(١) أصول الكافي (١/٢٣٤) كتاب الحجة، باب أنّه لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجّة.

(٢) الأستاذ الدكتور: السنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ٦١، ٦٢)، عن ابن عربي: الفتوحات المكية (١/١٩٦ - ٢٠٨)، (٢/٨).

(٣) أصول الكافي (١/٢٢٦) كتاب الحجة، باب الاضطرار إلى الحجة.

(٤) أصول الكافي (١/٢٣٥) كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والرد عليه.

وإمام زمانه، ويردّ إليه ويسلّم له، ثمّ قال: كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأوّل! » [(١)].

وعن محمّد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: « رجلٌ قال لي: اعرف الآخر من الأئمّة ولا يضرّك أن لا تعرف الأوّل. قال فقال: لعن الله هذا، فإنّي أبغضه ولا أعرفه، وهل عرف الآخر إلا بالأوّل؟! » [(٢)].

- ويبلغ الغلو بالإمامة مبلغه عند الاثني عشرية عندما يؤكدون أن الإيمان بوصاية علي وإمامته أتت به كل شرائع الأنبياء السابقين: عن أبي الحسن قال: « ولاية علي عليه السلام مكتوبةٌ في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولًا إلا بنبوّة محمّدٍ ﷺ ووصيّه عليٍّ عليه السلام » [(٣)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: « ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيًا قطّ إلا بها » [(٤)].

أما من منظور أهل السنة فإن هذه الروايات تخالف ما تواتر من أن النبي ﷺ لم يكن يشترط الإيمان بالإمامة في قبول إسلام المسلمين، ولا إيمان المؤمنين، فقد بيّن حديث جبريل عليه السلام أركان الإسلام وأركان الإيمان، ولم يذكر فيها الإمامة [(٥)].

إن الله ﷻ قد ذكر أركان الدين في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ولم يذكر الإمامة.

وقد نجد بعض الروايات الاثني عشرية التي تجعل الإمامة فرعًا من فروع الدين، لا أصلًا من أصوله: فقد جاء في تفسير فرات: قال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله ﷺ يقول لما نزلت: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣]: « **قال جبرائيل: يا محمد، إن لكل دين أصلًا ودعامة، وفرعًا وبنيانًا، وإن أصل الدين**

---

(١) أصول الكافي (١/٢٣٥) كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والرد عليه. والمقصود بالأول: الإمام الذي قبل زمانه، وقيل المراد بالأول: الله ورسوله، وبالآخر الإمام. انظر: المازندراني (٥/١٥٧).

(٢) أصول الكافي (١/٤٣٥) كتاب الحجة، باب من ادّعى الإمامة وليس لها بأهلٍ، ومن جحد الأئمة أو بعضهم ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهلٍ، وقيل: المراد بالأول الله ورسوله، وبالآخر الإمام. انظر: المازندراني (٥/١٥٧).

(٣) أصول الكافي (١/٥٠٧). كتاب الحجة، بابٌ فيه نتفٌ وجوامع من الرّواية في الولاية، نص محقق أصول الكافي على أنه حديث مجهول.

(٤) أصول الكافي (١/٥٠٧). كتاب الحجة، بابٌ فيه نتفٌ وجوامع من الرّواية في الولاية.

(٥) انظر: منهاج السنة (١/٧٥ - ٧٧).

ودعامته قول: لا إله إلا الله، وإن فرعه وبنيانه محبتكم أهل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه » [1].

فهذا النص يخالف ما تذهب إليه الروايات الشيعية السابقة، حيث يجعل أصل الدين شهادة التوحيد، لا الولاية، ويعد محبة أهل البيت هي الفرع وهي مشروطة بمن وافق الحق منهم ودعا إليه [2].

ولذلك فلا قيمة لكل الروايات التي تحكم بكفر منكر الولاية أو تلك التي تزعم أن منكر الإمامة يعبد غير الله؛ كرواياتهم التي تزعم أن الباقر يقول: **« إنّما يعرف الله ﷻ ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منّا أهل البيت، ومن لا يعرف الله ﷻ ولا يعرف الإمام منّا أهل البيت فإنّما يعرف ويعبد غير الله هكذا - والله - ضلالًا »** [3].

وكذلك الرواية التي زعموها عن جعفر الصادق: **« نحن الّذين فرض الله طاعتنا لا يسع النّاس إلا معرفتنا ولا يعذر النّاس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمنًا ومن أنكرنا كان كافرًا، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالًّا حتّى يرجع إلى الهدى الّذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة، فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء »** [4].

وكذلك الرواية التي تزعم أن الشرك بالإمام شرك بالله: عن الإمام الصادق قال **« من أشرك مع إمامٍ إمامته من عند الله من ليست إمامته من الله كان مشركًا بالله »** [5]. وفسرها المجلسي بقوله: **« لأن من أشرك مع إمام الحق غيره فقد شارك الله في نصب الإمام، فإنه لا يكون إلا من الله، وإن اتبع في ذلك غيره فقد جعل شريكًا لله »** [6].

ومن هذا القبيل القول بإحباط عمل من لم يتبع الإمام:

عن ابن أبي نصرٍ عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله ﷻ: **﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ**

---

(١) تفسير فرات (ص ١٤٨، ١٤٩)، بحار الأنوار (٢٤٧/٢٣).

(٢) د. قفاري: أصول مذهب الشيعة (٥٣٥/٢).

(٣) أصول الكافي (٢٣٦/١) كتاب الحجة باب معرفة الإمام والرد عليه.

(٤) أصول الكافي (٢٤٣/١) كتاب الحجة باب فرض طاعة الأئمة.

(٥) أصول الكافي (٤٣٥/١) كتاب الحجة، باب من ادّعى الإمامة وليس لها بأهلٍ، ومن جحد الأئمة أو بعضهم ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهلٍ.

وقيل: المراد بالأول الله ورسوله، وبالآخر الإمام. انظر: المازندراني (١٥٧/٥).

(٦) مرآة العقول (١٩٥/٤).

بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠] قال: « يعني من اتّخذ دينه رأيه بغير إمامٍ من أئمّة الهدى » [١].

وعن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفرٍ عليه السلام يقول: « كلّ من دان الله بعبادةٍ يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبولٍ، وهو ضالٌّ متحيّرٌ، والله شانئٌ لأعماله.. والله يا محمّد! من أصبح من هذه الأمّة لا إمام له من الله جلّ وعزّ ظاهرًا عادلًا أصبح ضالًّا تائهًا، وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفرٍ ونفاقٍ » [٢].

– وهناك رواية تساوي بين وجوب الإيمان برسل الله تعالى والإيمان بالأئمة:

« عن محمّد بن مسلمٍ عن أحدهما عليهما السلام قال: قلت: إنّا لنرى الرّجل له عبادةٌ واجتهادٌ وخشوعٌ ولا يقول بالحقّ فهل ينفعه ذلك شيئًا، فقال: يا أبا محمّدٍ إنّما مثل أهل البيت مثل أهل بيتٍ كانوا في بني إسرائيل كان لا يجتهد أحدٌ منهم أربعين ليلةً إلا دعا فأجيب، وإنّ رجلًا منهم اجتهد أربعين ليلةً ثمّ دعا فلم يستجب له فأتى عيسى ابن مريم عليهما السلام يشكو إليه ما هو فيه ويسأله الدّعاء، قال: فتطهّر عيسى وصلّى ثمّ دعا الله عزّ وجلّ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا عيسى! إنّ عبدي أتاني من غير الباب الّذي أُوتَى منه، إنّه دعاني وفي قلبه شكٌّ منك، فلو دعاني حتّى ينقطع عنقه وتنتثر أنامله ما استجبت له، قال: فالتفت إليه عيسى عليه السلام فقال: تدعو ربّك وأنت في شكٍّ من نبيّه؟ فقال: يا روح الله وكلمته! قد كان والله! ما قلت، فادع الله لي أن يذهب به عنّي. قال: فدعا له عيسى عليه السلام، فتاب الله عليه وقبل منه، وصار في حدّ أهل بيته » [٣].

وفي رواية أخرى: « والله يا محمّد! من أصبح من هذه الأمّة لا إمام له من الله جلّ وعزّ ظاهرًا عادلًا أصبح ضالًّا تائهًا، وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفرٍ ونفاقٍ » [٤]. ولكن هذا النص يشترط ظهور الإمام وعدله، وهذا لم يتيسر إلا لعلي والحسن رضوان الله عليهما، فهذا الشرط غير متوفر في حياة الأئمة الباقين، وخصوصًا الإمام الثاني عشر الغائب المحجوب مما يقترب من ألف ومائتي سنة.

---

(١) أصول الكافي (١/٤٣٧) كتاب الحجة، باب فيمن دان الله عزّ وجلّ بغير إمام من الله ﷻ . وقال محققه: الحديث صحيح.

(٢) أصول الكافي (١/٤٣٧) كتاب الحجة، باب فيمن دان الله عزّ وجلّ بغير إمام من الله ﷻ . والحديث صحيح.

(٣) أصول الكافي (٢/٣٨٢) كتاب الإيمان والكفر باب الشك قال محققه: وهذا الحديث موثق.

(٤) أصول الكافي (١/٤٣٧) كتاب الحجة، باب فيمن دان الله عزّ وجلّ بغير إمام من الله ﷻ . والحديث صحيح.

وتتوعد الروايات بالميتة الجاهلية وميتة الكفر والنفاق لمن مات دون معرفة الإمام:

عن ابن أبي يعفورٍ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول رسول الله ﷺ: « **من مات وليس له إمامٌ فميتته ميتة جاهليّة** ». قال: قلت: ميتة كفرٍ؟ قال: ميتة ضلالٍ. قلت: فمن مات اليوم وليس له إمامٌ فميتته ميتة جاهليّة؟ فقال: نعم [(١)]. ونلاحظ أن السائل يستنطق إمامه ليكفّر منكر الإمامة، والإمام لا يقرّه على ذلك، فيقول: ميتة ضلال.

ولذلك جاءت رواية أخرى لتصل بالأتباع إلى ما يريدون من تكفير منكري الإمامة:

عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: « **من مات لا يعرف إمامه مات ميتةً جاهليّةً** » قال: نعم. قلت: جاهليّةً جهلاء أو جاهليّةً لا يعرف إمامه، قال: جاهليّة كفرٍ ونفاقٍ وضلالٍ [(٢)].

وقد ربط محمد جعفر شمس الدين بين الجاهلية والكفر فقال: « هو بالنتيجة يؤدي إلى الكفر بمعنى ترتب أثره عليه في الآخرة وهو الخلود في النار، وفي الدنيا وهو الضلال والنفاق » [(٣)].

- ويتفق أهل السنة والشيعة على صحة حديث: « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » [(٤)]. ويحتج به الشيعة على أهل السنة لإلزامهم بالإمامة. ولكن الحديث لم يشترط أن تكون البيعة لشخص معين، ولا لعدد معين من أئمة الاثني عشرية، ولا غيرهم، بل هو نص عام، وهو لا يستلزم كفر صاحبه، وليس من المكفّرات وأسباب الخلود في جهنم.

فأهل السنة لا يعدّون التقاعس عن البيعة أو إهمالها كفرًا بالله تعالى موجبًا الخلود في النار - كما أورد محدثو الشيعة - بل يعدّونه ضمن المنهيات، وأقصى ما هنالك أن تنزل بصاحبها إلى مرتبة الفسق والعصيان بارتكابه كبيرة من الكبائر. وليس كل فعل وصم صاحبه بالجاهلية مكفّرًا، فقد قال تعالى، ناهيًا عن تبرج النساء: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. ولم يعدّ أحد من العلماء ذلك التبرج الممقوت مكفّرًا، وكذلك قال ﷺ لأبي ذر: « **إنك امرؤ فيك جاهلية** » [(٥)]، وقال عن العصبية

(١) أصول الكافي (٤٣٩/١) كتاب الحجة، باب من مات وليس له إمامٌ من أئمة الهدى.

(٢) أصول الكافي (٤٣٩/١) كتاب الحجة، باب من مات وليس له إمامٌ من أئمة الهدى.

(٣) انظر: أصول الكافي (٤٣٩/١) كتاب الحجة، باب من مات وليس له إمامٌ من أئمة الهدى. حاشية رقم (٥).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (١٨٥١).

(٥) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، رقم (١٩)، ومسلم في كتاب الأيمان والنذور، باب إطعام المملوك مما يأكل، رقم (١٦٦١).

البغيضة والتفاخر المذموم بالقوميات: « ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ » (١)، ولم يحكم بكفر من قام بهذه القاذورات.

وتذكر الروايات أن مقياس التفضيل بين الأمم إنما هو موقفهم من الإمامة قبل كل المقاييس الأخرى (الأخلاقية والعقدية...)، فترى الروايات أن أمة ظالمة آمنت بالإمام خير من أمة عادلة أنكرته!:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: « قال الله تبارك وتعالى: لأعذّبنّ كلّ رعيّةٍ في الإسلام دانت بولاية كلّ إمامٍ جائرٍ ليس من الله، وإن كانت الرّعيّة في أعمالها برّةً تقيّةً، ولأعفونّ عن كلّ رعيّةٍ في الإسلام دانت بولاية كلّ إمامٍ عادلٍ من الله، وإن كانت الرّعيّة في أنفسها ظالمةً مسيئةً » (٢).

فالأعمال الصالحة - حسب هذه الرواية - ليست مقياسًا، بل الإمامة هي المقياس الأوحد، أما الأعمال فهناك تفسيرات خاصة بالشيعة رواها الكليني في باب (طينة المؤمن والكافر)؛ فعن علي بن الحسين عليهما السلام قال: « إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة عليين: قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة و [جعل] خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك، وخلق الكفار من طينة سجين: قلوبهم وأبدانهم، فخلط بين الطينتين، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن، ومن ههنا يصيب المؤمن السيئة ومن ههنا يصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه، وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه » (٣).

قال البرقعي - الإمام الشيعي الذي نقد روايات أصول الكافي - معلقًا على هذه الرواية وأمثالها: « أخبار هذا الباب توجب الجبر وسلب الاختيار من السعيد والشقي، خاصة الحديث الأول، وكذلك عالم الذر الذي أخذ الله فيه العهد من النطف حيث جميعها تخالف العقل والقرآن وهي مخالفة للاختيار والتكليف » (٤).

وهذه الرواية وأمثالها جعلت أهل السنة يقرنون الاثني عشرية بالمرجئة الذين يقولون:

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، رقم (٣٣٣٠).

(٢) أصول الكافي (١/٤٣٧) كتاب الحجة، باب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله ﷻ. وقال محققه: وهذا الحديث صحيح.

(٣) أصول الكافي (٢/٥) كتاب الإيمان والكفر، باب طينة المؤمن والكافر، وقال محققه: الحديث مرسل، وجاء في معناه عدة روايات في هذا الباب حكم المحقق عليها بالضعف أو الجهالة، وورد قريبًا منها (١/٤٥٣) في كتاب الحجة باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم، حكم المحقق بجهالتها أيضًا.

(٤) البرقعي: كسر الصنم (ص ٤٧٣).

(لا يضر مع الشهادتين ذنب)، فيقرر بعض علماء السنة « أن أكثر الشيعة يعتقدون أن حب علي حسنة لا يضر معها سيئة » [(١)]، فإذا كانت المرجئة يقولون: الإيمان هو المعرفة بالله، ولا يضر مع الإيمان ذنب، فإن الاثني عشرية يقولون: الإيمان معرفة الإمام وحبه؛ وقد عقد المجلسي بابًا تحت عنوان (ولايته - يعني عليًا عليه السلام - حصن من عذاب الجبار، وأنه لو اجتمع الناس على حبه ما خلق الله النار) [(٢)]، وجاء في حديثهم: « لا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين، ولا يدخل النار إلا من أبغضه من الأولين والآخرين » [(٣)].

ويخالف هذه الروايات السلبية روايات تؤكد على وجوب العمل والطاعة:

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: « لا تذهب بكم المذاهب فوالله! ما شيعتنا إلا من أطاع الله عز وجل » [(٤)]. أي « لا تحسبوا أن مجرد القول بالتشيع كاف في النجاة... من دون مشايعة لنا في عبادة الله تعالى » [(٥)].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: « يا معشر الشيعة - شيعة آل محمد - كونوا النّمرقة الوسطى... والله ما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة، ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعًا لله تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصيًا لله لم تنفعه ولايتنا. ويحكم لا تغترّوا، ويحكم لا تغتروا » [(٦)].

وعن خيثمة عن أبي جعفر: «.. يا خيثمة أبلغ موالينا أنّا لا نغني عنهم من الله شيئًا إلا بعمل، وأنهم لن ينالوا ولايتنا إلا بالورع » [(٧)].

وقال أبو عبد الله جعفر الصادق رحمه الله: « ما أقل والله من يتّبع جعفرًا منكم، إنما

---

(١) منهاج السنة (٣١/١). ومن العجب أن الاثني عشرية يلقبون أهل السنة بالمرجئة أيضًا، لأنهم أرجأوا بيعة علي إلى ما بعد الخلفاء الثلاثة. وقد جاءت بذلك رواية في أصول الكافي، انظر: شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني (٢٣٠/٢) حيث قال: ويطلق المرجئة على فرقة مقابلة للشيعة؛ لأنهم يؤخرون عليًا عليه السلام عن مرتبته، وعلى فرقة مقابلة للوعيدية، وهم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية.

(٢) بحار الأنوار (٣٢/٣٩). (٣) علل الشرائع (ص ١٦٢).

(٤) أصول الكافي (٧٩/٢) كتاب الإيمان والكفر باب الطاعة والتقوى.

(٥) الوافي شرح الكافي (٦٠/٣).

(٦) أصول الكافي (٨١/٢) كتاب الإيمان والكفر باب الطاعة والتقوى. النمرقة: الوسادة الصغيرة، والمراد لا تكونوا من المغالين في دينكم ولا من المقصرين فيه، كما الوسادة الوسطى ليست بالمرتفعة جدًا ولا المنخفضة جدًا. انظر: الوافي (٦٠/٣). والحديث سكت عنه المحقق.

(٧) أصول الكافي (١٨٢/٢) كتاب الإيمان والكفر باب زيارة الإخوان، سكت عنه المحقق.

أصحابي من اشتد ورعه وعمل لخالقه، ورجا ثوابه. فهؤلاء أصحابي » [(١)].

ج - المعجزات الحسية:

لقد طرق الشيعة باب المعجزات لتأييد أئمتهم، حتى سووا الأئمة بالأنبياء في ضرورة تأييدهم بالمعجزات، قال عبد الله شبر: « طرق معرفة النبي والإمام: لمعرفة ذلك الواسطة نبيًا كان أو إمامًا طرقٌ، أولها: المعجزة الخارقة للعادة... ثانيها: نص السابق على اللاحق، كما نص موسى وعيسى على خاتم الأنبياء ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦] وكما أخبر نبينا الصادق المصدق بإمامة الأئمة الاثني عشر » [(٢)].

ونقلت كتب الحديث الشيعية أخبارًا تتضمن معجزات منسوبة للأئمة، يستدل بها الشيعة على الإمامة، كما استدل على صدق الأنبياء بمعجزاتهم؛ ولذلك تعددت كتب معجزات أئمتهم ككتاب (عيون المعجزات) لحسين بن عبد الوهاب (من القرن الخامس) حيث يذكر معجزات الأئمة ومنها إحياء الموتى، وتكليم الحيوانات [(٣)].

ولذلك يعتقد الشيعة في أئمتهم القدرة على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء [(٤)]، وقد ذكر هاشم البحراني في كتابه (ينابيع المعاجز وأصول الدلائل) (٥٥٠) معجزة لأمير المؤمنين علي ﷺ وحده.

ولا أرى إصرار كتب الحديث الاثني عشرية على ذكر معجزات الأئمة إلا مؤكدًا كثرة شكوك الأتباع في أئمتهم، لغموض أحوالهم؛ ولذلك جاء باب المعجزات والكرامات محاولًا إبعاد الغموض عن الأئمة، وإقناع أتباع الأئمة بأئمتهم،كذلك لجأ الاثنا عشرية لوضع روايات تؤكد معجزات الأئمة لإثبات إمامتهم أمام خصومهم الداخليين وهم الشيعة من غير الاثني عشرية - على حد زعمهم -.

- أهم (معجزات) [(٥)] الأئمة:

- فالحجر ينطق بإمامة زين العابدين:

---

(١) أصول الكافي (٢/٨٢، ٨٣) كتاب الإيمان والكفر باب الطاعة والتقوى، قال محققه: والحديث موثق.

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٢٨).

(٣) حسين بن عبد الوهاب (من القرن الخامس): عيون المعجزات (ص ١٧، ٢٢، ٢٥، ٣٢) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (ط٣)، (١٤٠٣).

(٤) انظر: بحار الأنوار (٢٧/٢٩ - ٣١).

(٥) نذكر أن أهل السنة والجماعة يقصرون مصطلح (المعجزة) على ما يجريه الله تعالى على يد الأنبياء، أما الأولياء فلهم (الكرامة)، ولكن الاثني عشرية يخلطون بين المعجزات والكرامات في حق أئمتهم.

قالوا: « لما قتل الحسين أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين وقال له: قتل أبوك ﷺ وصلّي على روحه ولم يوص، وأنا عمك وصنو أبيك. فقال له زين العابدين: إنّ أبي يا عمّ صلوات اللّه عليه أوصى إليّ قبل أن يتوجّه إلى العراق، وعهد إليّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعةٍ، وهذا سلاح رسول اللّه ﷺ عندي فلا تتعرّض لهذا، فإنّي أخاف عليك نقص العمر وتشتّت الحال، إنّ اللّه ﷻ جعل الوصيّة والإمامة في عقب الحسين عليه السلام، فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتّى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك.

قال أبو جعفرٍ عليه السلام: وكان الكلام بينهما بمكّة فانطلقا حتّى أتيا الحجر الأسود، فقال عليّ بن الحسين لمحمّد بن الحنفيّة: ابدأ أنت فابتهل إلى اللّه ﷻ وسله أن ينطق لك الحجر ثمّ سل، فابتهل محمّدٌ في الدّعاء وسأل اللّه ثمّ دعا الحجر فلم يجبه، فقال عليّ ابن الحسين عليه السلام: يا عمّ لو كنت وصيًّا وإمامًا لأجابك. قال له محمّدٌ: فادع اللّه أنت يا ابن أخي وسله. فدعا اللّه عليّ بن الحسين عليهما السلام بما أراد، ثمّ قال: أسألك بالّذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق النّاس أجمعين لما أخبرتنا من الوصيّ والإمام بعد الحسين بن علي عليهما السلام قال: فتحرّك الحجر حتّى كاد أن يزول عن موضعه، ثمّ أنطقه اللّه ﷻ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ فقال: اللّهمّ إنّ الوصيّة والإمامة بعد الحسين بن علي عليهما السلام إلى عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ وابن فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ. قال: فانصرف محمّد بن عليٍّ وهو يتولّى عليّ بن الحسين عليهما السلام »[1].

- وتحويل الحصاة إلى عجين دليل على الإمامة:

قالوا: جاءت أمّ أسلم يومًا إلى النّبيّ ﷺ.. فقالت أمّ أسلم: بأبي أنت وأمّي يا رسول اللّه! إنّي قد قرأت الكتب وعلمتُ كلّ نبيٍّ ووصيٍّ، فموسى كان له وصيٌّ في حياته ووصيٌّ بعد موته، وكذلك عيسى. فمن وصيّك يا رسول اللّه؟ فقال لها: **« يا أمّ أسلم وصيّي في حياتي وبعد مماتي واحدٌ »**. ثمّ قال لها: **« يا أمّ أسلم! من فعل فعلي هذا فهو وصيّي، ثمّ ضرب بيده إلى حصاةٍ من الأرض، ففركها بإصبعه فجعلها شبه الدّقيق ثمّ عجنها ثمّ طبعها بخاتمه، ثمّ قال: من فعل فعلي هذا فهو وصيّي في حياتي وبعد مماتي »**.

فخرجت من عنده فأتيت أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: بأبي أنت وأمّي! أنت وصيّ رسول اللّه ﷺ؛ قال: نعم يا أمّ أسلم! ثمّ ضرب بيده إلى حصاةٍ ففركها فجعلها كهيئة الدّقيق ثمّ عجنها وختمها بخاتمه، ثمّ قال: يا أمّ أسلم! من فعل فعلي هذا فهو وصيّي،

(١) أصول الكافي (١/٤٠٩) كتاب الحجة، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة.

فأتيت الحسن عليه السلام وهو غلامٌ فقلت له: يا سيّدي أنت وصيّ أبيك؟ فقال: نعم يا أمّ أسلم! وضرب بيده وأخذ حصاةً ففعل بها كفعلهما، فخرجت من عنده فأتيت الحسين عليه السلام وإنّي لمستصغرةٌ لسنّه، فقلت له: بأبي أنت وأمّي أنت وصيّ أخيك؟ فقال: نعم يا أمّ أسلم، ائتيني بحصاةٍ ثمّ فعل كفعلهم، فعمّرت أمّ أسلم حتّى لحقت بعليّ ابن الحسين بعد قتل الحسين عليه السلام في منصرفه فسألته: أنت وصيّ أبيك، فقال: نعم، ثمّ فعل كفعلهم صلوات الله عليهم أجمعين [(١)].

- وتحويل العجوز إلى شابة فتيّة على يد الإمام زين العابدين:

عن حبابة الوالبيّة... قالت: « أتيت عليّ بن الحسين عليهما السلام وقد بلغ بي الكبر إلى أن أرعشت وأنا أعدّ يومئذٍ مئةً وثلاث عشرة سنةً، فرأيته راكعًا وساجدًا ومشغولًا بالعبادة فيئست من الدّلالة فأومأ إليّ بالسّبّابة فعاد إليّ شبابي ». وعاشت بعده فأدركت الباقر والصادق والكاظم والرضا » [(٢)].

- ومن معجزات موسى بن جعفر جلوسه على الجمر دون أن يحترق:

تقول الرواية أنه « لما حصل الخلاف بينه وبين أخيه عبد الله الأفطح حول الإمامة؛ أمر موسى بجمع حطب في وسط الدار وأرسل إلى أخيه عبد الله يسأله أن يصير إليه، فلما صار إليه ومع موسى جماعة من الإمامية، فلما جلس موسى أمر بطرح النار في الحطب فاحترق، ولا يعلم الناس السبب فيه حتى صار الحطب كله جمرًا، ثم قام موسى وجلس بثيابه في وسط النار وأقبل يحدث الناس ساعة، ثم قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس، فقال لأخيه عبد الله: إن كنت تزعم أنك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس » [(٣)].

ولو كان هناك نص صريح وصحيح في إثبات إمامة الرضا لما لجأ إلى المعجزات، ففي « غياب النصوص الواضحة والصريحة والعلنية على إمامة الرضا كان لا بد للإمامية من الاستعانة بسلاح المعاجز » [(٤)].

- وذكر الكليني قصة أخرى لإثبات إمامة موسى بن جعفر وأحقيته بها من أخوته الكبار بأن شخصًا جاء إلى موسى بن جعفر، فسأله عن الإمام من هو؟ فقال: إن أخبرتك

(١) أصول الكافي (٤١٧/١) كتاب الحجة، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة.
(٢) أصول الكافي (٤٠٧/١) كتاب الحجة باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة.
(٣) الأربلي: كشف الغمة (٧٣/٣).
(٤) أحمد الكاتب: تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (ص ٩٠)، (ط١)، (١٩٩٧م).

تقبل؟ قال: بلى جعلت فداك، قال: أنا هو.قال: فشيء أستدل به؟ قال: اذهب إلى تلك الشجرة - وأشار بيده إلى أم غيلان - فقل لها: يقول لك موسى بن جعفر: أقبلي.قال: فأتيتها فرأيتها والله تخدّ الأرض خدًّا حتى وقفت بين يديه، ثم أشار إليها فرجعت [١].

- ونطق العصا معجزة للأئمة:

فقد ورد أنه « جاء شخص إلى محمد بن علي الرضا، فقال: والله إني أريد أن أسألك مسألة، وإني والله لأستحيي من ذلك، فقال لي: أنا أخبرك قبل أن تسألني، تسألني عن الإمام؟ فقلت: هو والله هذا، فقال: أنا هو، فقلت: علامة؟ فكان في يده عصا فنطقت، وقالت: إن مولاي إمام هذا الزمان وهو الحجة » [٢].

والحقيقة أن هذه الأخبار لم يصحّ منها شيء عند أهل السنة والجماعة، بل إن الاثني عشرية أنفسهم يقرون بأن أخبار معجزات الأئمة روايات آحاد، لم تبلغ مبلغ التواتر، كما سنبين، ولذلك ساقوا الدليل العقلي لإثبات الإمامة.

- ثانيًا: الدليل العقلي على الإمامة:

يقول المفيد: « كما أنه لا طريق إلى المعرفة بالنبوة والرسالة الواردة عن الله جل اسمه إلا بنص نبي تقدم، أو معجز باهر للعقول حسب ما وصفناه... فإن قال قائل من أهل الخلاف: إن النصوص التي يرويها الإمامية موضوعة والأخبار بها آحاد، وإلا فليذكروا طرقها أو يدلوا على صحتها بما يزيل الشك فيها والارتياب. قيل له: ليس يضر الإمامية في مذهبها الذي وصفناه عدم التواتر في أخبار النصوص على أئمتهم ﷷ، ولا يمنع من الحجة لهم بها كونها أخبار آحاد لما اقترن إليها من الدلائل العقلية فيما سميناه وشرحناه من وجوب الإمامة وصفات الأئمة ﷷ، بدلالة أنها لو كانت باطلة على ما تتوهم الخصوم لبطل بذلك دلائل العقول الموجبة؛ لورود النصوص على الأئمة بما بيناه » [٣].

« وأشهر دليل عقلي للشيعة على وجوب الإمامة هو (نظرية اللطف)، وقد استعارها

---

(١) أصول الكافي (١/٢٥٣)، وإعلام الورى للطبرسي (ص ٣٠٢).

(٢) أصول الكافي (١/٣٥٣).

(٣) المفيد (٤١٣هـ): المسائل الجارودية (ص ٤٦، ٤٧)، دار المفيد بيروت، تحقيق الشيخ محمد كاظم مدير شانجي (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م). وهذا النص صريح يثبت عدم نضوج علم الحديث وروايته ومصطلحه زمن المفيد، كما بينا في فصل مصادر تلقي العقيدة.

الشيعة الاثنا عشرية من المعتزلة، ليثبتوا ضرورة وجود الأئمة، فقالوا: « الإمامة لطف عامّ، والنّبوّة لطف خاصّ لإمكان خلو الزّمان من نبيّ حيّ بخلاف الإمام، وإنكار اللّطف العامّ شرّ من إنكار اللّطف الخاصّ » [١]، و « مذهب الإمامية والمعتزلة وجوب اللطف على اللّٰه تعالى، وهو ما يقرب العبد إلى طاعة اللّٰه ويبعده عن معصيته بغير إلجاء أي إكراه ولا إجبار، إذ لا إكراه في الدين،.... المراد باللطف الواجب ما لا يتم التكليف بدونه كإرسال الرسل والأنبياء ونصب الأئمة والأوصياء [٢] عليهم السلام في كل زمان، لما يأتي من وجوب الأصلح على اللّٰه تعالى ووجوب نصب الحجج عقلًا ونقلًا » [٣].

وقد بيّن آدم متز وجولد تسيهر أن فكرة اللطف معتزلية بحتة، استعارها منهم الاثنا عشرية، وطوروها ووسعوها بما يتناسب مع عقيدة الإمامة [٤]. « حيث كانت كتب المعتزلة في الجملة عمدة المتأخرين من متكلمي الإمامية، فشيوخ الاثني عشرية المتأخرين كالمفيد والطوسي والموسوي والكراجكي أخذوا اللطف من المعتزلة، ولم تكن موجودة عند متقدمي الشيعة » [٥].

ولكن استدلال الشيعة بنظرية اللطف على ضرورة وجود الإمام جاء على غير فائدة، بل جر إليهم النقد اللاذع من مخالفيهم، فإذا استثنينا الإمام عليًا، وأضفنا الحسن والحسين على أحسن الأحوال، ثم فتشنا في حياة الأئمة بعدهم لم نر لهم سلطانًا ولا طاعة من الخلق، ولم يكن وجودهم رافعًا للفتن ولا مغيّرًا لمسار المجتمع، كالحال التي قام بها الأنبياء الكرام الذين يمكن أن تنطبق عليهم نظرية اللطف الإلهي. فالاثنا عشرية يريدوننا أن نؤمن بأئمة لا سلطان لهم ولا شوكة [٦]، وما مارسوه من دور التوجيه والتزكية والتعليم في الأمة لا يبرر الاعتقاد بإمامتهم ولا عصمتهم، فدورهم في ذلك

---

(١) الأستاذ الدكتور: السنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ٥٤)، واللفظ عند ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة (ص ٣)، والألفين (ص ٣).

(٢) لاحظ أنه يدلس على مذهب المعتزلة، فهم مع قولهم باللطف لم يقولوا أن نصب الأئمة من لوازمه، بل على العكس أنكروا عليهم القول بالأئمة، وخصوصًا الإمام الغائب الذي ليس من اللطف اختفاؤه ألفًا ومئتي عام، كما سنرى في الفصل القادم.

(٣) عبد اللّٰه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٠٨).

(٤) الأستاذ الدكتور: السنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ٥٥).

(٥) المرجع السابق نفسه، وانظر: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (١/١٠١)، والذهبي: المنتقى (ص ٣٣).

(٦) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (١/١٢١).

مشابه لما قام به سائر علماء المسلمين.

فإذا سألنا الشيعة: لماذا كان وجود الأئمة لطفًا؟ قالوا: « إن اللطف واجب على الله تعالى، ولا ريب أن وجود الإمام في كل زمان لطف من الله تعالى بعبيده؛ لأنه بوجوده فيهم يجتمع شملهم ويتصل حبلهم، وينتصف الضعيف من القوي والفقير من الغني، ويرتدع الجاهل ويتيقظ الغافل، فإذا عدم بطل الشرع وأكثر أحكام الدين وأركان الإسلام، كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقضاء ونحو ذلك، فتنتفي الفائدة المقصودة منها » (١).

فنسأل: هل حقق هؤلاء الأئمة بعد الحسين ﷺ شيئًا من مقاصد الإمامة وأعمالها؟ إن الشيعة أنفسهم يزعمون أن هؤلاء الأئمة كانوا محل البلاء والاضطهاد، ولم يستطيعوا أن يحققوا غاية وجود الإمامة؛ في حين حقق خلفاء الإسلام المرضيين الكثير من مقاصد الإمامة، بل لو تجاسرنا على المقارنة بين زمن عمر وعثمان من جهة، وزمن علي ذاته، أول أئمة الشيعة حسب زعمهم؛ لرأينا اللطف - ممثلًا بالعدل والأمن - محققًا في زمانهما أكثر من زمانه؛ لأمور خارجة عن طاقته ﷺ، « ومن المعلوم أن المصلحة واللّطف الذي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثّلاثة أعظم من المصلحة واللّطف الذي كان في خلافة علي زمن القتل والفتنة والافتراق » (٢).

ولقد حقق عمر بن عبد العزيز في زمن خلافته القصير اللطف الذي زعمه الشيعة، إذ صحح مسار الأمة ونشر العدل والأمن، وطبّق أحكام الدين، مع أنه لم يكن معصومًا، وكان في زمانه بعض أئمة الشيعة، ولم يحققوا ما حققه. فما ادعاه الشيعة من اللطف بوجود الأئمة لم يحصل، بل « إنما حصل تكذيب الناس لهم ومعصيتهم إياهم » (٣). على حدّ زعم الشيعة أنفسهم.

وقد كانت فكرة اختفاء الإمام وغيبته قاصمة الظهر لنظرية اللطف؛ إذ إن غياب الإمام مخالف لهذه النظرية، لعدم الانتفاع بالإمام الغائب، إن الاثني عشري اليوم يؤمن بوجود إمام لا وجود له في الحياة العامة، فهو غائب مما يقارب ألفًا ومائتي عام،

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٢٤).
(٢) منهاج السّنّة (١٠٤/٢).
(٣) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (١٣٢/١).

« ولا وصل إليه شيء من تعليمه وإرشاده ولا أمره ولا نهيه » [١]، « فلما تعذر إمكان الوصول إليه تعذر كذلك الانتفاع به » [٢].

ولذلك تناولت الفرق الإسلامية كلها - تقريبًا - الاثني عشرية بالنقد لقولها بفكرة غيبة الإمام، وقد كان أول من انتقد الاثني عشرية على ذلك المعتزلة، وهم أصحاب نظرية اللطف الأصلاء، فهذا القاضي عبد الجبار المعتزلي ينكر وجود اللطف في غيبة الإمام، ويقول: « كيف يجوز أن يغيب الإمام عن الأمة هذه المدة مع كونه لطفًا في الدين، ومع أن الحاجة إليه بهذه الشدة » [٣].

والحقيقة أن فكرة ولاية الفقيه التي لجأ إليها الشيعة اليوم، فيها من اللطف أكثر مما في فكرة الإمامة، وخصوصًا في عصر الغيبة الكبرى للإمام المهدي المنتظر، « فلو أجزنا إمكانية إقامة الدولة بالفقيه العادل أو بالعادل من المؤمنين، فإنه لا تبقى أية حاجة إلى افتراض وجود الإمام المعصوم دون أن يتفاعل مع الأمة خلال أكثر من ألف عام » [٤].

ثالثًا: غموض شخصية الإمام وشكوك الأتباع في أئمتهم:

لقد لفّ الغموض حقيقة الأئمة عبر الزمن، في حين كان الواجب ظهورها كالشمس لكل البشر حتى تتم عليهم الحجة، وما دام الغموض يلف شخصية الإمام - الذي يزعم الشيعة أن وجوده من الألطاف الواجبة على الله تعالى - فكيف يكون الإيمان به ركنًا من أركان الدين؟

« عن عبد الأعلى بن أعين قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: من لم يعرف شيئًا هل عليه شيءٌ؟ قال: لا ».

وقال أيضًا: « ما حجب الله عن العباد فهو موضوعٌ عنهم » [٥].

وهذا أكبر نقد ونقض يوجه إلى نظرية الإمامة عند الاثني عشرية؛ فما دامت الإمامة (منصبًا إلهيًا كالنبوة)، وما دام هذا الإمام بهذه الأهمية؛ فلا يجوز أن يكون غائبًا

---

(١) المصدر السابق (١٢١/١).

(٢) الأستاذ الدكتور: السنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ٥٣) وانظر: الرازي: الأربعين في أصول الدين (ص ٤٢٩).

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص ٧٥١).

(٤) أحمد الكاتب: تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (ص ٤٤٢)، (ط١)، (١٩٩٧م).

(٥) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب حجج الله على خلقه (٢١٥/١).

محجوبًا أو مشكوكًا فيه حتى بين أتباعه المقربين؛ لأن ذلك يناقض فكرة اللطف الإلهي الذي أوجبه الشيعة في عقيدتهم.

وقد بدأ الشك في الأئمة وغموض شخصياتهم في حياة كبار أئمتهم: عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: « يا ابن رسول الله ﷺ زعم ولد الحسن عليه السلام أن القائم منهم وأنهم أصحاب الأمر، ويزعم ولد ابن الحنفية مثل ذلك، فقال: رحم الله عمّي الحسن عليه السلام لقد غمد الحسن عليه السلام أربعين ألف سيف حين أصيب أمير المؤمنين عليه السلام، وأسلمها إلى معاوية، ومحمد بن علي سبعين ألف سيف قاتله، لو خطر عليهم خطر ما خرجوا منها حتى يموتوا جميعًا، وخرج الحسين صلوات الله عليه فعرض نفسه على الله في سبعين رجلًا، من أحق بدمه منا؟ نحن والله أصحاب الأمر، وفينا القائم، ومنا السفاح والمنصور، وقد قال الله: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٣٣] نحن أولياء الحسين بن علي عليهما السلام وعلى دينه » (١).

فإذا كان أقرب المقربين للأئمة وهم أولاد الأعمام، قد خفي عليهم وجود نص على الأئمة، فكيف بباقي الناس، هم والله! في جهل هذا الأمر - لو افترضنا وجوده - أعذر، فأين عقيدة اللطف إذن؟ والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وهذا النص يدل على عدم وضوح أسماء الأئمة عند الناس، « وبناء على ذلك فلم تكن هناك قائمة مسبقة بأسماء الأئمة القادمين، وإنما كانت هذه القضية متروكة للزمن » (٢).

وهذا يبين أن الروايات التي حددت وبيّنت أسماء الأئمة ومهامّهم قد وضعت فيما بعد؛ كرواية الكافي عن الصادق أبي عبد الله عليه السلام قال: « إن الوصية نزلت من السماء على محمد كتابًا، لم ينزل على محمد ﷺ كتاب مختوم إلا الوصية، فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمد هذه وصيتك في أمتك عند أهل بيتك، فقال رسول الله ﷺ: « أي أهل بيتي يا جبرئيل؟ » قال: نجيب الله منهم وذريته، ليرثك علم النبوة كما ورثه إبراهيم عليه السلام، وميراثه لعلي عليه السلام وذريتك من صلبه، قال: وكان عليها خواتيم، قال: قال: ففتح علي عليه السلام الخاتم الأول ومضى لما فيها، ثم فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثاني ومضى لما أمر به فيها (٣)، توفي

---

(١) محمد بن مسعود العياشي: تفسير العياشي (٢/٢٩١)، تفسير سورة الإسراء، المكتبة العلمية الإسلامية - طهران، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، وانظر: المجلسي: بحار الأنوار (٢٩/٤٥٢، ٤٥٣).

(٢) أحمد الكاتب: تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (ص ٦٣).

(٣) نلاحظ أن النص جعل ما أمر به الحسن مجملًا، لمرارة إقرارهم بصلح الحسن لمعاوية رضي الله عنهما.

الحسن ومضى فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثالث فوجد فيها أن قاتل فاقتل وتقتل واخرج بأقوام للشهادة، لا شهادة لهم إلا معك، قال: ففعل عليه السلام، فلما مضى دفعها إلى علي ابن الحسين عليه السلام قبل ذلك، ففتح الخاتم الرابع فوجد فيها أن اصمت وأطرق لما حجب العلم، فلما توفي ومضى دفعها إلى محمد بن علي عليه السلام ففتح الخاتم الخامس، فوجد فيها أن فسر كتاب الله تعالى وصدّق أباك وورّث ابنك واصطنع الأمة وقم بحق الله عز وجل، وقل الحق في الخوف والأمن ولا تخش إلا الله، ففعل، ثم دفعها إلى الذي يليه، قال: قلت له: جعلت فداك فأنت هو؟ قال: فقال: ما بي إلا أن تذهب يا معاذ فتروي علي، قال: فقلت: أسأل الله الذي رزقك من آبائك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك مثلها قبل الممات، قال: قد فعل الله ذلك يا معاذ ! قال: فقلت: فمن هو جعلت فداك؟ قال: هذا الراقد - وأشار بيده إلى العبد الصالح [1]، وهو راقد » [2].

وليس يخفى أن واضع هذه الرواية كان في زمن هذا الإمام الأخير موسى بن جعفر، ولم يكن فيما جاء بعده من أئمة، فلو كان الواضع متأخرًا في الزمن إلى عصر الإمام الثاني عشر، أو كانت الرواية صحيحة بوحي معصوم؛ لأكملت سرد أسماء باقي الأئمة الذين جاؤوا بعد موسى بن جعفر إلى المهدي الغائب المنتظر.

وقد حاولت الروايات وضع ضوابط يعرف بها الإمام، فجاءت هذه الضوابط غامضةً غير مضطردة:

عن ابن أبي نصرٍ قال: قلت لأبي الحسن الرّضا عليه السلام: « إذا مات الإمام بم يعرف الّذي بعده؟ فقال: للإمام علاماتٌ منها أن يكون أكبر ولد أبيه، ويكون فيه الفضل والوصيّة، ويقدم الرّكب فيقول: إلى من أوصى فلانٌ؟ فيقال: إلى فلانٍ، والسّلاح فينا بمنزلة التّابوت في بني إسرائيل، تكون الإمامة مع السّلاح حيثما كان » [3].

وقد لاحظ المجلسي عدم اطراد هذه الضوابط، فقال: « أي إذا كانت الإمامة في الولد، والحاصل أن هذه العلامة بعد الحسين عليه السلام [4]، ومع ذلك مقيد بما إذا لم يكن في

---

(١) قالوا: هو موسى بن جعفر.

(٢) الكليني: أصول الكافي (٢٧٩/١، ٢٨٠). وهذا النص يدلك على أن واضعه كان في زمان جعفر، ولذلك لم يستطع أن يفصل أسماء الأئمة بعد موسى بن جعفر.

(٣) أصول الكافي (٣٣٩/١) كتاب الحجة، باب الأمور التي توجب حجة الإمام. قال محققه وهذا الحديث صحيح.

(٤) فقد جاءت الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سمعه يقول: أبى الله أن يجعلها لأخوين بعد الحسن =

الكبير عاهة كما سيأتي، أو يقال: إنما ذكر الرضا العلامة لأولاده وأولاد أولاده، فلا ينافي تخلّفه فيمن تقدم » (١).

ومن حق المجلسي أن يضطرب في الجواب، فالشيعة يقولون بالإمامة للحسين بعد الحسن ﷺ، وهو أخوه وليس ولده، وقد كانت الإمامة في إسماعيل الولد الأكبر للإمام الباقر، ولم يكن به عاهة، ولكنه مات قبل أبيه، فصارت الإمامة عند الاثني عشرية لجعفر، وليس هو أكبر أولاد الباقر! فاضطر الاثنا عشرية للقول بالبداء لأجل ذلك.

واشتراط عدم العاهة أورده الكليني: عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال: إن الأمر في الكبير ما لم تكن فيه عاهة (٢). والعاهة: « الآفة البدنية؛ لأن الإمام مبرّأ من النقص في الخلقة... كعبد الله الأفطح فإنه كان بعد أبي عبد الله [الإمام الصادق] فإنه كان بعد أبي عبد الله أكبر ولده، لكن كان فيه عاهتان؛ الأولى: أنه أفطح الرجلين أي عريضهما [!!] والثانية: أنه كان جاهلًا، بل قيل فاسد المذهب » (٣). ولكن ما ذكره المجلسي عن الأفطح هو من داخل العقيدة الاثني عشرية، أما من خارجها فيقال: إن من الشيعة من رأى أن الإمام بعد جعفر هو عبد الله الأفطح، وسموا بالفطحية كما جاء في كتب الفرق (٤).

أما وجود السلاح عند الآباء، فمن أين يعلم أنه سلاح الأئمة الموروث، إن سلّمنا بوجوده.

وهناك علامات أخرى ذكرها الكليني، وليست مطردة في الأئمة بل مضطربة، كاشتهار إمامة الإمام بين الناس بالبيعة الظاهرة: « عن عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: المتوثّب على هذا الأمر المدّعي له ما الحجّة عليه؟ قال: يسأل عن الحلال والحرام. قال: ثمّ أقبل عليّ فقال: ثلاثةٌ من الحجّة لم تجتمع في أحدٍ إلا كان صاحب هذا الأمر: أن يكون أولى النّاس بمن كان قبله، ويكون عنده السّلاح، ويكون صاحب الوصيّة الظّاهرة الّتي

= والحسين ﷺ. أصول الكافي (٣٤٢/١) كتاب الحجة باب ثبات الإمامة في الأعقاب وأنّها لا تعود في أخ ولا عمّ ولا غيرهما من القرابات) - أشار المحقق إلى صحة هذا الحديث.

(١) مرآة العقول (٢٠٤/٣).

(٢) أصول الكافي (٣٣٩/١) كتاب الحجة، باب الأمور التي توجب حجة الإمام.

(٣) المجلسي: مرآة العقول (٢٠٧/٣).

(٤) النوبختي (الحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبد الله القمي من علماء القرن الثالث الهجري): فرق الشيعة (ص ٨٤). تحقيق د.عبد المنعم الحفني.

إذا قدمت المدينة سألت عنها العامّة والصّبيان إلى من أوصى فلانٌ؟ فيقولون: إلى فلان ابن فلانٍ » (١).

فالأئمة لم يثبت في حقهم هذا الشرط الذي ذكره الكليني، بل اختلف الشيعة أنفسهم في الأئمة وتفرقوا مذاهب شتى، ولم يكن بعض هؤلاء الأئمة يجرؤ على المناداة بالإمامة لنفسه خوف بطش الخلفاء - كما يدّعون - وكان يكتفي بالجواب لمن سأله عن إمامته وإمامة من بعده - كما تزعم الروايات -.

عن النّصر بن قابوس قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: « إنّي سألت أباك عليه السلام من الّذي يكون من بعدك؟ فأخبرني أنّك أنت هو، فلمّا توفّي أبو عبد الله عليه السلام ذهب النّاس يمينًا وشمالًا وقلت فيك أنا وأصحابي، فأخبرني من الّذي يكون من بعدك من ولدك؟ فقال: ابني فلانٌ » (٢).

وتقول الرواية إن الإمام كان يلجأ للتقية والتمويه حتى يحفظ حياة الإمام الذي بعده:

عن أبي أيّوب النّحويّ قال: « بعث إليّ أبو جعفرٍ المنصور في جوف اللّيل فأتيته فدخلت عليه وهو جالسٌ على كرسيٍّ وبين يديه شمعةٌ وفي يده كتابٌ. قال: فلمّا سلّمت عليه رمى بالكتاب إليّ وهو يبكي فقال لي: هذا كتاب محمّد بن سليمان يخبرنا أنّ جعفر بن محمّدٍ قد مات، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ثلاثًا، وأين مثل جعفرٍ؟ ثمّ قال لي: اكتب. قال: فكتبت صدر الكتاب ثمّ قال: اكتب إن كان أوصى إلى رجلٍ واحدٍ بعينه فقدّمه واضرب عنقه. قال: فرجع إليه الجواب أنّه قد أوصى إلى خمسةٍ: واحدهم أبو جعفرٍ المنصور [الخليفة!!] ومحمّد بن سليمان [والي المنصور على المدينة!!] وعبد الله [الأفطح الذي تبعه الفطحية ووصفه الاثنا عشرية بفساد العقيدة] وموسى وحميدة [وهي أم الكاظم] (٣). فهذه الرواية تفيد أن جعفرًا خبّأ وخلط الإمام الحقيقي، موسى الكاظم بين هؤلاء جميعًا، فأين الوضوح في شخص الإمام، ولماذا لا يعذر من لم يعرفه؟ والرواية تقول: ما حجب الله عن العباد فهو موضوعٌ عنهم » (٤).

---

(١) أصول الكافي (١/٣٤٠) كتاب الحجة باب الأمور التي توجب حجة الإمام. قال محققه: وهذا الحديث حسن.

(٢) أصول الكافي (١/٣٧٠) كتاب الحجة باب الإشارة والنص على أبي الحسن الرضا.

(٣) أصول الكافي (١/٣٦٧) كتاب الحجة باب الإشارة والنص على أبي الحسن الرضا. وانظر إلى تناقض هذه الرواية: إذ تذكر أن المنصور يبكي على جعفر ثم يأمر بقتل وصيه!

(٤) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب حجج الله على خلقه (١/٢١٥).

وعن ذريح قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الأئمّة بعد النّبيّ ﷺ؟ فقال: « كان أمير المؤمنين عليه السلام إمامًا ثمّ كان الحسن عليه السلام إمامًا ثمّ كان الحسين عليه السلام إمامًا، ثمّ كان عليّ ابن الحسين إمامًا، ثمّ كان محمّد بن عليّ إمامًا، من أنكر ذلك كان كمن أنكر معرفة الله تبارك وتعالى ومعرفة رسوله ﷺ، ثمّ قال قلت: ثمّ أنت جعلت فداك؟ فأعدتها عليه ثلاث مرّاتٍ فقال لي: إنّي إنّما حدّثتك لتكون من شهداء الله تبارك وتعالى في أرضه »[1].
فنلاحظ من هذا النص أن الإمام لم يصرح لسائله عن إمامته رغم تأكيده عليه السؤال ثلاثًا، فكيف يكون هذا الأمر الغامض محكّ الإيمان وركنه الركين؟

وكيف تذكر كتب الحديث شروط الأئمة وتقعّد لذلك القواعد، والأمر غير مستمر إلا لاثني عشر إمامًا، والإمام المتحدث بهذا هو سادسهم (الصادق)، في حين تذكر روايات أخرى أن النبي ﷺ هو الذي سمّى هؤلاء الأئمة الاثني عشر؟ لعمر الحق لو كان هذا ثابتًا لما اختلف الشيعة فيما بينهم حول أئمتهم، ولما قصر باقي المسلمين في بيعتهم قط.

ولذلك لا عجب أن يأتي الكليني بهذا النص، مبينًا حيرة الشيعة واختلافهم في إمامهم الغائب:

عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « كيف أنت إذا وقعت البطشة بين المسجدين، فيأرز العلم كما تأرز الحيّة في جحرها، واختلفت الشّيعة وسمّى بعضهم بعضًا كذّابين، وتفل بعضهم في وجوه بعضٍ؟ قلت: جعلت فداك ما عند ذلك من خيرٍ. فقال لي: الخير كلّه عند ذلك، ثلاثًا »[2].

وإذا كان العقل يرى أنه لا بد أن يكون من يدبر شؤون الرعية رجلًا رشيدًا، فإن نصوص الكافي لا تشترط السن للإمام، فقد يكون صغيرًا:

عن صفوان بن يحيى قال: قلت للرّضا عليه السلام: « قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفرٍ عليه السلام فكنت تقول: يهب الله لي غلامًا، فقد وهبه الله لك فأقرّ عيوننا فلا أرانا الله يومك، فإن كان كونٌ فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائمٌ بين يديه. فقلت: جعلت فداك! هذا ابن ثلاث سنين فقال: وما يضرّه من ذلك؟ فقد قام عيسى عليه السلام بالحجّة وهو ابن ثلاث سنين »[3].

(١) أصول الكافي (١/٢٣٦) كتاب الحجة باب معرفة الإمام والرد عليه.
(٢) أصول الكافي (١/٤٠٠) كتاب الحجة، باب في الغيبة. والحديث صحيح على ما ذكر المحقق.
(٣) أصول الكافي (١/٣٧٩) كتاب الحجة باب الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني - وهو محمد الجواد - وانظر: (١/٣٨٠) مثله.

« فإن من كان ابن سنتين كان في حكم الكتاب والسنة مستحقًّا أن يحجر عليه في بدنه، ويحجر عليه في ماله حتى يبلغ ويؤنس منه الرشد فإنه يتيم، وقد قال تعالى: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء: ٦] فمن لم تفوض له الشريعة أمر نفسه كيف تفوض له أمر الأمة؟! » (١).

شكوك وحيرة تلامذة الإمام بعد وفاته:

رغم كثرة الأحاديث التي تبين أن جعفرًا الصادق أخبر أتباعه بإمامة موسى الكاظم من بعده (٢) إلا أن الشيعة من بعده تاهوا واختلفوا، وكان منهم تلامذته الكبار الذين قام عليهم المذهب من بعده كهشام الجواليقي، وصاحب (شيطان) الطاق، والأحول، وزرارة بن أعين.. وإليك هذه الرواية توضح ذلك: عن هشام بن سالم قال: كنّا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد اللّه عليه السلام أنا وصاحب الطّاق، والنّاس مجتمعون على عبد اللّه بن جعفرٍ أنّه صاحب الأمر بعد أبيه. فدخلنا عليه أنا وصاحب الطّاق والنّاس عنده، وذلك أنّهم رووا عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه قال: إنّ الأمر في الكبير ما لم تكن به عاهةٌ، فدخلنا عليه نسأله عمّا كنّا نسأل عنه أباه فسألناه عن الزّكاة في كم تجب؟ فقال: في مائتين خمسةٌ، فقلنا: ففي مائةٍ؟ فقال: درهمان ونصفٌ. فقلنا: واللّه ما تقول المرجئة هذا (٣). قال: فرفع

---

(١) ابن تيمية: رسالة في (فضل أهل البيت وحقوقهم) جمع أبي تراب الظاهري (ص ٥١، ٥٢) دار وحي القلم (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

(٢) انظر: أصول الكافي (٣٦٥/١) كتاب الحجة باب الإشارة والنص على أبي الحسن موسى. وعلى سبيل المثال عن أبي صفوان الجمال:.. قال أبو عبد الله: إذا كان ذلك [موته] فهو صاحبكم وضرب بيده على منكب أبي الحسن الأيمن.. وعبد الله بن جعفر [أخو موسى الأكبر] جالس معنا. والحديث حسن. وعن سليمان بن خالدٍ قال: دعا أبو عبد اللّه عليه السلام أبا الحسن عليه السلام يومًا ونحن عنده فقال لنا: عليكم بهذا فهو واللّه صاحبكم بعدي. المصدر السابق (٣٦٧/١).

(٣) وجواب عبد الله بن جعفر عن مقدار الزكاة موافق لأهل السنة، الذين يسميهم الاثنا عشرية بالمرجئة؛ إذ في كل مائة ربع العشر. فما وجه تبرمهم وإنكارهم جواب عبد الله؟ وقد علمنا أن فقهاء أهل السنة والاثني عشرية متفقون على تحديد هذا المقدار ذاته للزكاة، ففي علل الشرائع للصدوق (٦٩/٢): « عن صباح الحذاء عن قثم عن أبي عبد الله قال: قلت له: جعلت فداك! أخبرني عن الزكاة كيف صارت من كل ألف درهم خمسة وعشرين درهمًا، لم يكن أقل منها أو أكثر ما وجهها؟ قال: إن الله تعالى خلق الخلق كلهم، فعلم صغيرهم وكبيرهم، وعلم غنيهم وفقيرهم، فجعل من كل ألف إنسان خمسة وعشرين مسكينًا، فلو علم أن ذلك لا يسعهم لزادهم؛ لأنه خالقهم وهو أعلم بهم ». وفي زبدة الأحكام للخميني: زكاة النقدين (ص ١١٦): « وهو في الذهب عشرون دينارًا، ويساوي (١٢/٦٩) غرامًا، وفيه نصف دينار، ويساوي (١/٧٢٨) غرامًا ».

يده إلى السّماء فقال: واللّه ما أدري ما تقول المرجئة. قال: فخرجنا من عنده ضلّالًا لا ندري إلى أين نتوجّه أنا وأبو جعفرٍ الأحول، فقعدنا في بعض أزقّة المدينة باكين حيارى لا ندري إلى أين نتوجّه ولا من نقصد، ونقول: إلى المرجئة؛ إلى القدريّة؛ إلى الزّيديّة؛ إلى المعتزلة؛ إلى الخوارج؛ فنحن كذلك إذ رأيت رجلًا شيخًا لا أعرفه يومئ إليّ بيده... فما زلت أتبعه وقد عزمت على الموت حتّى ورد بي على باب أبي الحسن عليه السلام ثمّ خلّاني ومضى فإذا خادمٌ بالباب فقال لي: ادخل رحمك اللّه! فدخلت فإذا أبو الحسن موسى عليه السلام فقال لي ابتداءً منه: لا إلى المرجئة ولا إلى القدريّة ولا إلى الزّيديّة ولا إلى المعتزلة ولا إلى الخوارج، إليّ إليّ، فقلت: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال: نعم. قلت: مضى موتًا؟ قال: نعم، قلت فمن لنا من بعده فقال: إن شاء اللّه أن يهديك هداك. قلت: جعلت فداك إنّ عبد اللّه يزعم أنّه من بعد أبيه. قال: يريد عبد اللّه أن لا يُعبد اللّه، قال: قلت: جعلت فداك فمن لنا من بعده؟ قال: إن شاء اللّه أن يهديك هداك. قال: قلت: جعلت فداك فأنت هو؟ قال: لا ما أقول ذلك. قال فقلت في نفسي: لم أصب طريق المسألة. ثمّ قلت له: جعلت فداك عليك إمامٌ؟ قال: لا، فداخلني شيءٌ لا يعلم إلا اللّه عزّ وجلّ إعظامًا له وهيبةً أكثر ممّا كان يحلّ بي من أبيه إذا دخلت عليه، ثمّ قلت له: جعلت فداك أسألك عمّا كنت أسأل أباك، فقال: سل تخبر ولا تُذِعْ فإن أذعتَ فهو الذّبح، فسألته فإذا هو بحرٌ لا ينزف، قلت: جعلت فداك شيعتك وشيعة أبيك ضُلّالٌ فألقي إليهم وأَدْعوهُم إليك وقد أخذت عليّ الكتمان؟ قال: من آنست منه رشدًا فألق إليه وخذ عليه الكتمان فإن أذاعوا فهو الذّبح. وأشار بيده إلى حلقه. قال فخرجت من عنده فلقيت أبا جعفرٍ الأحول فقال لي: ما وراءك؟ قلت: الهدى، فحدّثته بالقصّة. قال: ثمّ لقينا الفضيل وأبا بصيرٍ فدخلا عليه وسمعا كلامه وساءلاه وقطعا عليه بالإمامة، ثمّ لقينا النّاس أفواجًا فكلّ من دخل عليه قطع إلا طائفة عمّارٍ وأصحابه (١) وبقي عبد اللّه لا يدخل إليه إلا قليلٌ من النّاس، فلمّا رأى ذلك قال: «ما حال النّاس، فأخبر أنّ هشامًا صدّ عنك النّاس. قال هشامٌ: فأقعد لي بالمدينة غير واحدٍ ليضربوني » (٢).

فالقارئ لهذه الرواية - بطولها - يلحظ بسهولة ما تبيّنه من غموض يلف الإمام،

---

(١) هو عمار بن موسى الساباطي، كان من القائلين بإمامة عبد اللّه بن جعفر الأفطح، فسموا الفطحية.

(٢) أصول الكافي (٤١٢/١، ٤١٣) كتاب الحجة باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة. وانظر: الشيخ المفيد: الإرشاد (٢١٣/٢) الباب (١٦) ذكر طرف من دلايل أبي الحسن موسى، وانظر: حسين الشاكري: الإمام جعفر الصادق (٤٣/١)، دار الهادي (١٤١٧هـ).

حتى يتفرق الأتباع بعد موت الإمام السابق ضلالًا، وكيف كان الأتباع يشكّون حتى في وفاة الإمام السابق « فقلت: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال: نعم.قلت: مضى موتًا. قال: نعم ». ويخافون أن يكون له رجعة أو أنه هو المهدي المنتظر، وكيف أن الإمام يوصي أتباعه بالكتمان. فكيف لا يعذر منكر الإمامة إذن في هذه الظروف؟ وكم الفرق واسع بين الإمامة المزعومة، والنبوة المعلومة الواضحة، التي يحاول بعض الاثني عشرية قياس الإمامة عليها؛ حيث كانت دعوة كل نبي واضحة بيّنة، رغم ما قد يعترضه من إيذاء، ولا يصدق عاقل أن يعيش النبي ويموت أو يقتل دون أن تعرف دعوته وتشتهر معجزاته أمام الناس، لا أن تكون حكرًا على خاصته.

وهذا زرارة بن أعين أوثق رواة الشيعة عندهم وأكثرهم رواية، ومن أقرب المقربين إلى الإمامين الباقر والصادق، حتى قال عنه جعفر: « أحب أصحاب أبي إليّ حيًا وميتًا » [(١)]، مع مكانته هذه يجهل إمامه بعد موت جعفر، فيبعث ابنه ليعلم الإمام بعده، ويموت قبل رجوع ولده:

« عن جميل بن دراج وغيره، قال: وجّه زرارة عبيدًا ابنه إلى المدينة يستخبر له خبر أبي الحسن عليه السلام وعبد الله بن أبي عبد الله، فمات قبل أن يرجع إليه عبيد » [(٢)]. ولما وقع الموت في زرارة واشتد به، قال لعمته: « ناوليني المصحف، فأخذ المصحف وفتحه ووضعه على صدره وقال: يا عمة اشهدي أن ليس لي إمام غير هذا الكتاب » [(٣)]. فهذا يدل على أنه لم يعرف أيهما كان الإمام موسى بن جعفر أم عبد الله الأفطح بن جعفر، فلو كان هناك نص واضح تعرفه الأمة أكان يشك فيبعث ليستفسر؟

وإن كان هذا حال أقرب المقربين إلى الصادق فكيف بالأمة؟ ألا تعذر بجهلها بالأئمة لو ثبتت إمامتهم؟!

وكما شك أتباع جعفر المقربين بموته، وشكوا في وصيّه من بعده، كذلك شكوا في موت الإمام موسى الكاظم من بعده، ولما أكثر أتباع موسى في شكوكهم في موته قال لهم ابنه الإمام الرضا: « سبحان الله! يموت رسول الله ﷺ ولا يموت موسى!! » [(٤)].

---

(١) العاملي: أعيان الشيعة (١٩٦/٢٠، ١٩٧).

(٢) الطوسي: اختيار معرفة الرجال (٣٧٢/١).

(٣) الطوسي: اختيار معرفة الرجال (٣٧٣/١)، وانظر: الخوئي: معجم رجال الحديث (٢٣٩/٨).

(٤) أصول الكافي (٤٤٣/١) كتاب الحجة باب في أن الإمام متى يعلم أن الأمر قد صار إليه.

وكما كانوا يشكون في موت الأئمة، فإنهم كذلك كانوا يكثرون مساءلتهم؛ تخوفًا من أن يكون الأئمة يمارسون التقية عليهم!:

عن أبي جريرٍ القمّيّ قال قلت لأبي الحسن عليه السلام: « جعلت فداك قد عرفت انقطاعي إلى أبيك ثمّ إليك ثمّ حلفت له وحقّ رسول الله ﷺ وحقّ فلانٍ وفلانٍ حتّى انتهيت إليه بأنّه لا يخرج منّي ما تخبرني به إلى أحدٍ من النّاس وسألته عن أبيه أحيٌّ هو أو ميّتٌ؟ فقال: قد والله! مات... قد والله الّذي لا إله إلا هو هلك، قلت: هلاك غيبةٍ أو هلاك موتٍ؟ قال: هلاك موتٍ. فقلت: لعلّك منّي في تقيّةٍ؟ فقال: سبحان الله! قلت: فأوصى إليك؟ قال: نعم، قلت: فأشرك معك فيها أحدًا؟ قال: لا، قلت: فعليك من إخوتك إمامٌ؟ قال: لا، قلت: فأنت الإمام؟ قال: نعم »[1].

وعن محمّد بن إبراهيم بن مهزيار قال: « شككت عند مضيّ أبي محمّدٍ عليه السلام واجتمع عند أبي مالٌ جليلٌ فحمله وركب السّفينة »[2]. ومع ذلك فإن هذا الرجل الشكّاك صار وكيلًا على الأموال مكان أبيه.

وقد شكى الأتباع إلى الأئمة ريبتهم؛ فعن الحسين بن الحكم قال: « كتبت إلى العبد الصّالح عليه السلام [أي: المهدي الغائب] أخبره أنّي شاكٌّ، وقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وأنّي أحبّ أن تريني شيئًا،- فكتب عليه السلام: إنّ إبراهيم كان مؤمنًا وأحبّ أن يزداد إيمانًا وأنت شاكٌّ والشّاكّ لا خير فيه. وكتب: إنّما الشّكّ ما لم يأت اليقين فإذا جاء اليقين لم يجز الشّكّ. وكتب: إنّ الله عز وجل يقول: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٢] قال: نزلت في الشّاكّ[3].

والحقيقة أن تلك الشكوك لم تأت إلا من انعدام البينة على الأئمة المزعومين، فقد لف الغموض حياتهم.

وهذا الغموض كان السبب في تحول بعض الشيعة إلى الباطنية: عن الحسن بن الفضل ابن زيدٍ اليمانيّ قال: « كتب أبي بخطّه كتابًا فورد جوابه، ثمّ كتبت بخطّي فورد جوابه،

(١) أصول الكافي (١/٤٤٣) كتاب الحجة باب في أن الإمام متى يعلم أن الأمر قد صار إليه. قال محققه: والحديث حسن كالصحيح.

(٢) أصول الكافي (١/٥٩٤، ٥٩٥) كتاب الحجة، باب مولد الصاحب، سكت المحقق عنه.

(٣) أصول الكافي (٢/٣٨٠) كتاب الإيمان والكفر باب الشك، سكت عنه المحقق.

ثمّ كتب بخطّه رجلٌ من فقهاء أصحابنا فلم يرد جوابه، فنظرنا فكانت العلّة أنّ الرّجل تحوّل قرمطيًا » [١].

ومما زاد في الغموض والشكوك لدى الشيعة: ادعاء الإمامة داخل البيت الإمامي، فروايات الاثني عشرية تدعي أن محمد ابن الحنفية نادى بالإمامة لنفسه، ونافس ابن أخيه الحسن فيها، فظهرت فرقتان تدعوان إليه هما الكيسانية والمختارية [٢]، وكذلك نافس عبد الله الأفطح أخاه جعفرًا في الإمامة، فكانت فرقة الفطحية [٣]، وتدعي روايات الاثني عشرية أن جعفرًا أخا الإمام العسكري نافس ابن أخيه المهدي المنتظر في الإمامة:

عن « عليّ بن محمّدٍ عن الحسن بن عيسى العريضيّ أبي محمّدٍ قال: لمّا مضى أبو محمّدٍ عليه السلام ورد رجلٌ من أهل مصر بمالٍ إلى مكّة للنّاحية، فاختلف عليه فقال بعض النّاس: إنّ أبا محمّدٍ عليه السلام مضى من غير خلفٍ، والخلف جعفرٌ، وقال بعضهم مضى أبو محمّدٍ عن خلفٍ فبعث رجلًا يكنّى بأبي طالبٍ فورد العسكر ومعه كتابٌ، فصار إلى جعفرٍ، وسأله عن برهانٍ فقال: لا يتهيّأ في هذا الوقت. فصار إلى الباب وأنفذ الكتاب إلى أصحابنا فخرج إليه: آجرك الله في صاحبك فقد مات، وأوصى بالمال الّذي كان معه إلى ثقةٍ ليعمل فيه بما يجب وأجيب عن كتابه » [٤].

ويعرف الشيعة جعفرًا هذا أخا الحسن العسكري بأنه جعفر الكذاب؛ لأنه أعلن أن أخاه الحسن العسكري مات بلا عقب. فقد قال محقق أصول الكافي: « هو أخو الإمام الحسن العسكري ويعرف بالكذاب » [٥]. وقد ذكر أبو الأديان البصري خادم الإمام العسكري ورسوله إلى الشيعة في مختلف الأمصار؛ أن عامة الشيعة عزّوا جعفرًا بوفاة أخيه، وهنؤوه بإمامته، وكان معهم أحد سفراء المهدي المنتظر، وهو عثمان بن سعيد العمري، المشهور بالسمّان، ولولا خروج المهدي المنتظر، وهو طفل صغير ليصلّي على والده المسجّى، كما تزعم الرواية [٦] - لانطلت عليهم حيلة جعفر أخي الحسن العسكري!

---

(١) أصول الكافي (٥٩٧/١) كتاب الحجة، باب مولد الصاحب، سكت المحقق عنه.

(٢) انظر: النوبختي: فرق الشيعة (ص ٣٣). مع أننا نسلّم أن محمد بن الحنفية وباقي آل البيت بريئون من هذه الفرق جميعًا. وإنما ادعى هؤلاء اتباع هؤلاء الأئمة لتحقيق غاياتهم.

(٣) انظر: النوبختي: فرق الشيعة (ص ٨٤).

(٤) أصول الكافي (٦٠١/١) كتاب الحجة، باب مولد الصاحب.

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) الصدوق: كمال الدين (ص ٤٧٥). وفيها: « وإذا به على المغتسل، وإذا أنا بجعفر بن علي أخيه بباب =

وجاء في رواية أخرى الذم الشديد له؛ لأنه أنكر أن يكون هناك إمام بعد أخيه: « أو يقرن بالحسن؟! جعفرٌ معلن الفسق فاجرٌ ماجنٌ شرّيبٌ للخمور، أقلّ من رأيته من الرّجال وأهتكهم لنفسه خفيفٌ قليلٌ في نفسه.. »[1]. قال المحقق: « هو ابن الإمام الهادي أيضًا وشهرته بالكذاب، وقد غمّ الإمام الهادي عند مولده كما ذكر الصدوق »[2].

وقد زاد الطين بلّة نشوء فرقة شيعية تزعم أن الأئمة ثلاثة عشر، وهي الثلاث عشرية، ومن الغريب أن يروي أحاديثها اثنان من زعماء الفكر الشيعي، سليم بن قيس التابعي الذي يفتخر به الشيعة، والكليني المحدث الشيعي الكبير، وقادها حفيد أحد نواب الإمام المهدي المنتظر، فهذه الفرقة « استندت على بعض أحاديث كتاب سليم بن قيس الهلالي والكافي، بقيادة حفيد عثمان بن سعيد العمري، وهو أحمد بن هبة اللّٰه »[3].

وكذلك ظهرت فرقة أخرى تقول بأحد عشر إمام، وحجتهم أن « الحسن بن علي قد صحت وفاته، كما صحت وفاة آبائه بتواطؤ الأخبار التي لا يجوز تكذيب مثلها، وكثرة المشاهدين لموته، وتواتر ذلك عن الولي له والعدو، وهذا ما لا يجب الارتياب فيه، وصح بمثل هذه الأسباب أنه لا خلف له، فلما صح عندنا الوجهان ثبت أنه لا إمام بعد الحسن »[4] أي العسكري.

وهكذا كان الشك في موت أحد الأئمة، مع الغموض في شخصية الإمام الذي سيأتي من بعده أحد أسباب نشوء فكرة الوقف على الإمام القديم، وإنكار إمامة الحديث.

كما أن بعض الشيعة لجأوا إلى حل آخر أشد غرابة؛ هذا الحل هو إنكار إمامة الإمام القديم والحديث معًا. وعلى سبيل المثال: فإن وفاة الإمام الحسن العسكري دون ولد ظاهر تستمر الإمامة فيه أدت إلى تراجع بعض الشيعة عن القول بإمامة الحسن

= الدار والشيعة حوله يعزونه ويهنئونه، فقلت في نفسي: إن يكن هذا هو الإمام فقد بطلت الإمامة، لأني كنت أعرفه يشرب النبيذ، ويقامر في الجوسق، ويلعب بالطنبور، فتقدمت فعزيت وهنيت،...فدخل جعفر بن علي والشيعة من حوله، يقدمهم السمان والحسن بن علي فتقدم جعفر بن علي ليصلي على أخيه، فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة،... فجبذ برداء جعفر بن علي، وقال: تأخر يا عم فأنا أحق بالصلاة على أبي، فتأخر جعفر وقد اربدّ وجهه واصفر ».

(١) أصول الكافي (١/٥٨٠، ٥٨١)، كتاب الحجة بابٌ في مولد أبي محمد الحسن بن علي.

(٢) أصول الكافي (١/٥٨٠). حاشية رقم (٣).

(٣) أحمد الكاتب: تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (ص ١٠٨).

(٤) النوبختي: فرق الشيعة (ص ١٠٢).

العسكري نفسه، وهو الإمام الحادي عشر، وقال هؤلاء: « إن القول بإمامة الحسن كان غلطًا وخطأ » [(١)]. وبعد إسقاطهم إمامة الحسن العسكري، ورفضهم بيعة جعفر الذي وصموه بالكذاب؛ رجع بعضهم إلى القول « بإمامة محمد بن علي [الرضا] المتوفى في حياة أبيه، زعمت هذه الفرقة « أن الحسن وجعفرًا ادعيا ما لم يكن لهما » [(٢)].

وقد أحرج الاثني عشرية أنفسهم مرارًا في اشتراطهم أن تكون الإمامة في نسل الإمام القديم - منذ عهد الإمام الحسين، وقد تكرر ذلك في عدة حالات، وذلك حينما لا يظهر ولد للإمام - ومثالها الحسن العسكري -، وبعضها الآخر عندما يموت الإمام وولده طفل صغير لم يبلغ مبلغ الرجال، فقد كانوا « يضطرون إلى تنصيب طفل صغير في السابعة من عمره، وهو إمامهم محمد الجواد - الإمام التاسع - ولذلك وجدنا فرقتين من شيعة أبيه علي الرضا لم يعترفوا بإمامته، لأنهم استصبوه واستصغروه.... وكذلك اعتبروا ابنه علي الهادي إمامًا وهو في السادسة من عمره، وعلى قول آخر في الثامنة أي أنه كسابقه في سن الطفولة » [(٣)].

وكأن الشكوك والغموض الذي لفّ ولادة المهدي المنتظر لم تكف؛ فانضاف إليها أيضًا مشكلة الطفولة نفسها التي وقعت لمحمد الجواد وعلي الهادي من قبل؛ إذ إن عمر المهدي المنتظر حسب الروايات المختلفة لم يتجاوز سنّهما على أكبر التقديرات. وقد كان صغر سن هؤلاء الأئمة محل نقد شديد من مخالفي الاثني عشرية.

وقد حاول المفيد حل هذه المعضلة فقال: « إن قال قائل: كيف يصح لكم معشر الإمامية القول بإمامة الاثني عشر عليهم السلام وأنتم تعلمون أن فيهم من خلّفه أبوه وهو صبي صغير لم يبلغ الحلم ولا قارب بلوغه، كأبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم السلام وقد توفي أبوه وله عند وفاته سبع سنين، وكقائمكم الذي تدعونه وسنه عند وفاة أبيه عند المكثرين خمس سنين. وقد علمنا بالعادات التي لم تنتقض في زمان من الأزمنة أن من كان له من السنين ما ذكرناه، لم يكن من بالغي الحلم ولا مقاربيه، والله تعالى يقول:

---

(١) أحمد الكاتب: تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (ص ١١٥).

(٢) النوبختي: فرق الشيعة (ص ٩٩، ١٠٠). ومحمد بن علي: هو أبو جعفر بن علي الرضا، توفي سنة (٢٥٢هـ) في حياة أبيه.

(٣) انظر: علي أحمد السالوس:مع الاثني عشرية في الأصول والفروع موسوعة شاملة، وحول تفسير البيان بالذات (١/٥٢).

﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء: ٦]، وإذا كان اللّٰه تعالى قد أوجب الحجر على هذين النفسين في أموالهما؛ لإيجابه ذلك في جملة الأيتام، بطل أن يكونا إمامين؛ لأن الإمام هو الوالي على الخلق في جميع أمر الدين والدنيا...، من لا ولاية له على درهم واحد من مال نفسه ولا يؤمن على النظر لنفسه، ومن هو محجور عليه لصغر سنه ونقصان عقله لتناقض ذلك واستحالته، وهذا دليل على بطلان مذاهب الإمامية خاصة.

فالجواب عن ذلك... وجملة القول فيه أن الآية التي اعتمدها هؤلاء القوم في هذا الباب، خاصة وليست بعامة بدلالة توجب خصوصها وتدل على بطلان الاعتقاد لعمومها » [(١)]. فالمفيد ينفي إذن عموم هذه الآية، ويرى أن حكمها لا ينطبق على أئمة الاثني عشرية الصغار.

ويكفي في الرد على المفيد ما أثبتته روايات الشيعة أنفسهم من أن أولياء هؤلاء الصغار أوصوا إلى الثقات من أصحابهم برعايتهم والتصرف في أموالهم بالمعروف، ولو كان هؤلاء الصغار كاملي العقول في الصغر، وعليهم رداء العصمة لما فعل أولياؤهم فيهم ما يشكك في إمامتهم وعصمتهم؛ فعلي الهادي، وهو الإمام الطفل الصغير، أمر والده عبد اللّٰه بن المساور بحفظ ماله حتى يبلغ [(٢)]، وقد أشهد على هذه الوصية التي جاء فيها:

« شهد أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر أن أبا جعفر محمد بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أشهده أنه أوصى إلى علي ابنه بنفسه وأخواته، وجعل أمر موسى إذا بلغ إليه وجعل عبد اللّٰه بن المساور قائمًا على تركته من الضياع والأموال والنفقات والرقيق وغير ذلك إلى أن يبلغ علي ابن محمد. صير عبد اللّٰه بن المساور ذلك اليوم إليه، يقوم بأمر نفسه وإخوانه ويصير أمر موسى إليه، يقوم لنفسه بعدهما على شرط أبيهما في صدقاته التي تصدق بها، وذلك يوم الأحد لثلاث ليال خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين » [(٣)].

فما دام هذا الإمام الطفل عاجزًا عن حل مشاكله الاقتصادية في صغره، فكيف يحل معضلات البشر المختلفة؟

---

(١) المفيد: الفصول المختارة (ص ١٤٩ - ١٥١).

(٢) أحمد الكاتب: تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (ص ٩٣، ٩٤).

(٣) الكليني أصول الكافي (١/٣٢٥)، نسخة غفاري، وانظر: بحار الأنوار (١٢٢/٥٠).

لقد جاءت بعض الروايات لتؤكد أن ألسنة الأئمة كانت تنطق بالحق لهداية الناس، وتدل على رجاحة عقولهم منذ نعومة أظفارهم، تقول إحدى الروايات: « استأذن على أبي جعفر عليه السلام قومٌ من أهل النّواحي من الشّيعة فأذن لهم فدخلوا فسألوه في مجلسٍ واحدٍ عن ثلاثين ألف مسألةٍ فأجاب عليه السلام وله عشر سنين » (١). فلماذا لم يرتض والد هذا الإمام من طفله الصغير أن يرعى نفسه وأخواته، في حين ارتضى الشيعة له أن يرعى البشرية جمعاء؟!

وبسبب غموض شخصية الإمام عند أتباعه في كثير من الظروف جاءت الروايات بالمخرج لهم لتبين أقل ما يكفي من الإيمان بالأئمة في حال الجهل بهم:

عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال قلت له: « إن كان كونٌ - ولا أراني اللّه ذلك - فبمن أأتمُّ؟ قال: فأومأ إلى ابنه موسى عليه السلام قلت: فإن حدث بموسى حدثٌ فبمن أأتمُّ؟ قال: بولده.قلت: فإن حدث بولده حدثٌ وترك أخًا كبيرًا وابنًا صغيرًا فبمن أأتمُّ؟ قال: بولده، ثمّ قال: هكذا أبدًا. قلت: فإن لم أعرفه ولا أعرف موضعه؟ قال تقول: اللّهمّ إنّي أتولّى من بقي من حججك من ولد الإمام الماضي. فإنّ ذلك يجزيك إن شاء اللّه » (٢).

لقد أثبتت الروايات السابقة - وبعضها منصوص على صحتها عند القوم - كثرة شكوك الأتباع في أئمتهم؛ للغموض الشديد الذي لفّ حياتهم، وظروف تنصيبهم. وما كان على الأتباع أن يختلفوا في الأئمة، ولا أن يشكّوا فيهم، لوجود الروايات التي عددت أسماء الأئمة الاثني عشر بكل وضوح، وهي روايات مصحّحة عند الاثني عشرية أيضًا، فإما أن تكون روايات شكوكهم موضوعة، وهذا مستبعد، وإما أن تكون الروايات القادمة الناصّة على أسماء الأئمة موضوعة مخترعة بعد عهود الشكوك والغموض:

من هذه الروايات رواية على لسان الخضر عليه السلام أمام الإمام الأول علي بن أبي طالب تبين أسماء الاثني عشر إمامًا:

عن أبي جعفرٍ الثّاني عليه السلام قال: أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه الحسن بن علي عليهما السلام وهو متّكئ على يد سلمان، فدخل المسجد الحرام فجلس إذ أقبل رجلٌ حسن الهيئة... فقال الرّجل: « أشهد أن لا إله إلا اللّه، ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنّ محمّدًا رسول اللّه،

---

(١) أصول الكافي (٥٧٠/١) كتاب الحجة، باب مولد أبي جعفر محمد بن علي الثاني وقال محققه: والحديث حسن كالصحيح.

(٢) أصول الكافي (٣٦٦/١) كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي الحسن موسى.

ولم أزل أشهد بذلك، وأشهد أنّك وصيّ رسول الله ﷺ والقائم بحجّته وأشار إلى أمير المؤمنين، ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنّك وصيّه والقائم بحجّته وأشار إلى الحسن عليه السلام، وأشهد أنّ الحسين بن عليّ وصيّ أخيه والقائم بحجّته بعده، وأشهد على عليّ بن الحسين أنّه القائم بأمر الحسين بعده، وأشهد على محمّد بن عليّ أنّه القائم بأمر عليّ بن الحسين، وأشهد على جعفر بن محمّدٍ بأنّه القائم بأمر محمّدٍ، وأشهد على موسى أنّه القائم بأمر جعفر بن محمّدٍ، وأشهد على عليّ بن موسى أنّه القائم بأمر موسى بن جعفرٍ، وأشهد على محمّد بن عليّ أنّه القائم بأمر عليّ بن موسى، وأشهد على عليّ بن محمّدٍ بأنّه القائم بأمر محمّد بن عليّ، وأشهد على الحسن بن عليّ بأنّه القائم بأمر عليّ بن محمّدٍ، وأشهد على رجلٍ من ولد الحسن لا يكنّى ولا يسمّى حتّى يظهر أمره فيملأها عدلًا كما ملئت جورًا، والسّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

ثمّ قام فمضى فقال أمير المؤمنين: يا أبا محمّدٍ اتبعه فانظر أين يقصد. فخرج الحسن ابن علي عليهما السلام فقال: ما كان إلا أن وضع رجله خارجًا من المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله، فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأعلمته فقال: يا أبا محمّدٍ أتعرفه، قلت: الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم، قال هو الخضر عليه السلام »(١).

ومنها رواية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما تؤكد أنه كان يقتني نسخة من كتاب فاطمة رضي الله عنها فيه أيضًا ذكر الأئمة وما يحصل لهم من أحداث. ونص الكتاب:

« بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذا كتابٌ من الله العزيز الحكيم لمحمّدٍ نبيّه ونوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الرّوح الأمين من عند ربّ العالمين:... إنّي لم أبعث نبيًّا فأكملت أيّامه وانقضت مدّته إلا جعلت له وصيًّا، وإنّي فضّلتك على الأنبياء، وفضّلت وصيّك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك وسبطيك حسنٍ وحسينٍ، فجعلت حسنًا معدن علمي بعد انقضاء مدّة أبيه، وجعلت حسينًا خازن وحيي وأكرمته بالشّهادة

---

(١) أصول الكافي (١/٦٠٤) كتاب الحجة، باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم.وقال محققه: وهذا الحديث صحيح. وأنت تلاحظ في آخره نسجًا على منوال حديث أركان الدين الصحيح الذي فيه أن جبريل تشكّل في هيئة رجل (شديد بياض الثّياب شديد سواد الشّعر، لا يرى عليه أثر السّفر ولا يعرفه منّا أحدٌ) فسأل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعن الساعة وأماراتها، ثم انصرف. وفي آخره قال ﷺ: « يا عمر، أتدري من السّائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنّه جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم » أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان.

وختمت له بالسّعادة، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشّهداء درجةً، جعلت كلمتي التّامّة معه وحجّتي البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب، أوّلهم عليٌّ سيّد العابدين وزين أوليائي الماضين، وابنه شبه جدّه المحمود محمّدٌ الباقر علمي والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في جعفرٍ، الرّادّ عليه كالرّادّ عليّ، حقّ القول منّي لأكرمنّ مثوى جعفرٍ ولأسرّنّه في أشياعه وأنصاره وأوليائه، أتيحت بعده موسى فتنةٌ عمياء حندسٌ، لأنّ خيط فرضي لا ينقطع وحجّتي لا تخفى، وأنّ أوليائي يسقون بالكأس الأوفى، من جحد واحدًا منهم فقد جحد نعمتي، ومن غيّر آيةً من كتابي فقد افترى عليّ. ويلٌ للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدّة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي في عليٍّ وليّي وناصري، ومن أضع عليه أعباء النّبوّة وأمتحنه بالاضطلاع بها يقتله عفريتٌ مستكبرٌ يدفن في المدينة الّتي بناها العبد الصّالح [1] إلى جنب شرّ خلقي، حقّ القول منّي لأسرّنّه بمحمّدٍ ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه، فهو معدن علمي وموضع سرّي وحجّتي على خلقي، لا يؤمن عبدٌ به إلا جعلت الجنّة مثواه، وشفّعته في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النّار، وأختم بالسّعادة لابنه عليٍّ وليّي وناصري والشّاهد في خلقي وأميني على وحيي، أخرج منه الدّاعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن وأكمل ذلك بابنه (م ح م د) [2] رحمةً للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيّوب، فيذلّ أوليائي في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس التّرك والدّيلم، فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم، ويفشو الويل والرّنّة في نسائهم، أولئك أوليائي حقًّا بهم أدفع كلّ فتنةٍ عمياء حندسٍ، وبهم أكشف الزّلازل وأدفع الآصار والأغلال أولئك عليهم صلواتٌ من ربّهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدون » [3].

---

(١) أي ذو القرنين، فهم يرون أنه هو باني مدينة طوس التي دفن فيها موسى بن جعفر رحمهما الله، ولعلهم يقصدون بقولهم (يدفن إلى جنب شر خلقي) هارون الرشيد ﷺ، فإنه مدفون في طوس أيضًا، وهم يبغضونه.

(٢) هكذا يكتبون اسمه مقطعًا؛ لأن رواياتهم تحرم ذكر اسمه، كما سيأتي في مبحث المهدي المنتظر.

(٣) أصول الكافي (٦٠٦/١) كتاب الحجة، باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم. سكت عنه المحقق. وآخر الكتاب في إشكال؛ إذ يذكر ذلة الشيعة زمن القائم وصاحب الأمر المهدي: فيجيب المحقق قائلًا: « لا بد من توجيه هذا الحديث من أن الشيعة يذلون في زمان الحجة (عج) على أن المراد به زمن غيبته (عج) وإلا يكون مخالفًا لما هو من ضروريات عقيدتنا من أن الله سبحانه يديل به الباطل ويظهر الحق وتكون العزة لله ولرسوله وله (ع) ولشيعته في زمانه ويكونون هم حكام الأرض وينتقم الله بهم ولهم من كل ظالم ». أصول الكافي (٦٠٧/١) هامش حاشية رقم (١٢).

وجابر الأنصاري - كما تقول الروايات - لم يكتم خبر هذا الكتاب، بل نشره وأذاعه بين الشيعة، فهذا جابر بن يزيد الجعفي - أحد كبار رواة الشيعة - يقول: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٥٩] قلت: يا رسول الله! عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال عليه السلام: « **هم خلفائي يا جابر! وأئمة المسلمين بعدي؛ أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي ابن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي ابن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميّي وكنيّي حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان** » قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال عليه السلام: « **إي والذي بعثني بالنبوة، إنهم يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سر الله، ومخزون علمه، فاكتمه إلا عن أهله** »[1].

وكيف يكتم أمر عظيم من أمور العقيدة وأساس مهمّ من أمور الدين ؟

ومنها رواية عن أبي بصيرٍ عن أبي جعفر عليه السلام قال: « يكون تسعة أئمّةٍ بعد الحسين ابن عليٍّ تاسعهم قائمهم »[2].

والذي يظهر أن هذه النصوص وضعها الشيعة في عهود متأخرة للاحتجاج بها على مخالفيهم، ولم يكن لها وجود عند الأئمة الأوائل، فهذا علي رضي الله عنه أول أئمتهم لم يكن يستدل بالنص على إمامته في محاجة خصومه، كما روى ذلك علماء الشيعة أنفسهم، فهو يذكر أن الخلافة تكون بالشورى لا بالنص، وأنه إنما تولى الخلافة بالشورى لا بالنص كما تولى الذين من قبله، ويوضح أن أهل الشورى هم المهاجرون والأنصار، فيقول في

---

(١) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة (ص ٢٥٣). جماعة المدرسين، قم (١٤٠٥هـ)، تحقيق علي أكبر غفاري. وقد استشهد به محمد تقي اليزدي: دروس في العقيدة الإسلامية (ص ٣٣٦).

(٢) أصول الكافي (٦١٢/١) كتاب الحجة، باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم. وقال محققه: هذا الحديث حسن كالصحيح.

رسالة لمعاوية ﷺ: « فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام »؛ لأنه « بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشّاهد أن يختار ولا للغائب أن يردّ، وإنّما الشّورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إمامًا كان ذلك رضًا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين وولّاه ما تولّى » [1].

وجاء في نهج البلاغة أيضًا أن أمير المؤمنين عليًا ﷺ كان كارهًا للإمامة، ولو كانت بالنص عليه لما حق له أن يتبرم أو يتهرب منها، فقد قال - عندما دعاه الناس ليبايعوه -: « دعوني والتمسوا غيري، فإنّنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن تركتموني فإنّي كأحدكم، ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير منّي لكم أميرًا » [2].

ويقول: « واللّه ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة، ولكنّكم دعوتموني إليها، وحملتموني عليها.. » [3].

وقال المفيد: ومما حفظ العلماء من كلام أمير المؤمنين أنه قال: « أتيتموني فقلتم: بايعنا، فقلت: لا أفعل، فقلتم: بلى، فقلت: لا، وقبضت يدي فبسطتموها، ونازعتكم فجذبتموه، كذا، وتداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى ظننت أنكم قاتليّ، وأن بعضكم قاتل بعضًا لديّ فبسطت يدي فبايعتموني » [4].

« فهل يقول مثل هذا الكلام من يتطلع للخلافة، ويطوف بفاطمة على بيوت الصحابة يطالب بالبيعة... إلى آخر أساطير الشيعة في هذا الباب، وهل يبقى لدعوى النص على الإمامة وكفر من خالفه بعد هذا القول مكان؟! » [5].

ولو كانت إمامة علي ﷺ ثابتة بالنص لاستدل به عليها، ولما تهاون في تركها لغيره ما دامت ركنًا من أركان الدين أو أصلًا من أصوله - كما يزعمون - وهو فارس الإسلام الذي لا تلين له قناة.

وقد استدل الحسن بن الحسن بن علي ﷺ بذلك على عدم وجود النص فقال حين

---

(١) نهج البلاغة (ص ٣٦٦، ٣٦٧).
(٢) نهج البلاغة (ص ١٣٦).
(٣) نهج البلاغة (ص ٣٢٢).
(٤) الإرشاد (ص ١٣٠، ١٣١) ط: الأعلمي بيروت، و (ص ١٤٣، ١٤٤) ط: الحيدرية بالنجف.
(٥) د. القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٢/٨٤٧، ٨٤٨).

سأله رجل: ألم يقل رسول الله ﷺ: « **من كنت مولاه فعلي مولاه** »، قال لي: بلى، والله! لو يعني بذلك رسول الله ﷺ الإمارة والسلطان لأفصح لهم بذلك، فإن رسول الله ﷺ كان أنصح للمسلمين، فقال: « يا أيها الناس هذا ولي أمركم والقائم عليكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا » والله لئن كان الله ورسوله اختار عليًا لهذا الأمر، وجعله القائم به للمسلمين من بعده، ثم ترك عليٌّ ما أمر الله ورسوله لكان علي أول من ترك أمر الله ورسوله ». وفي رواية أخرى بزيادة: « ولو كان الأمر كما يقولون: إن الله ورسوله اختار عليًا لهذا الأمر وللقيام به على الناس بعد رسول الله ﷺ إن كان علي لأعظم الناس خطيئة وجرمًا في ذلك؛ إذ ترك أمر رسول الله ﷺ كما أمره ويعذر فيه إلى الناس » [(١)].

وقرر ابن المطهر الحلي - في معرض إنكاره بيعة أبي بكر الصديق رضوان الله عليه؛ لأنه طلب الإقالة من الخلافة - أن من طلب الإقالة من الإمامة فليس بإمام؛ إذ « لو كان إمامًا لم يجز له طلب الإقالة » [(٢)]. مع أن نصوص الشيعة السابقة تؤكد أن عليًا ﷺ أيضًا استعفى الناس من الإمامة.

فهذه النصوص الشيعية تؤكد ما ثبت عند أهل السنة أن النبي لم يوص لأحد، وتبين أن الروايات التي تؤكد الوصية إنما وضعت وافتريت في العهود الأخيرة، فهذه عائشة ﷺ تنفي الوصية، فقد جاء في صحيح البخاري أنّهم ذكروا عند عائشة أنّ عليًا - رضي الله عنه وعنها - كان وصيًا فقالت: متى أوصي إليه؟! وقد كنت مسندته ﷺ إلى صدري، أو قالت: حجري، فدعا بالطَّست، فلقد انخنث في حجري فما شعرت أنّه قد مات فمتى أوصي إليه » [(٣)].

وعنها ﷺ قالت: « ما ترك رسول الله ﷺ درهمًا ولا دينارًا، ولا شاة ولا بعيرًا، ولا أوصى بشيء » [(٤)]. كما صح إنكار الوصية عن ابن عباس ﷺ [(٥)].

---

(١) البيهقي: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص ٣٥٥، ٣٥٦)، دار الآفاق الجديدة - بيروت (١٤٠١هـ)، تحقيق أحمد عصام الكاتب.

(٢) ابن المطهر الحلي: منهاج الكرامة (ص ١٩٥).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الوصايا، وكتاب المغازي. ومسلم، كتاب الوصيّة، باب ترك الوصيّة لمن ليس له شيء يوصي فيه (١٢٥٧/٢) رقم (١٦٣٦)، والنّسائي، كتاب الأحباس، باب هل أوصى النّبيّ ﷺ (٢٤٠/٦)، وأحمد (٣٢/٦).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق أرقم بن شرحبيل عنه، مصنف ابن أبي شيبة (٢٠٧/١١) رقم (١٠٩٨٨).

ويشهد لهذا ما في صحيح البخاري عن ابن عباس ﵄ أن عليًا خرج من عند رسول الله في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئًا، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له: أنت واليه بعد ثلاث، وإلا ستكون عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه، فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ[1].

كما أن التاريخ يبين أن عليًا لم يأمر بالبيعة لأحد من بعده، وقد أشاروا عليه بالحسن، فقال: لا، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ. قالوا: ما تقول لربّك إذا أتيته، قال: أقول: « اللّهمّ تركتني فيهما ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم » [2].

ونحن نقرّ أن الحسن بن علي - رضوان الله عليهما - كان أهلًا للخلافة؛ ولذلك اختاره المسلمون، وشهور خلافته ختام مسك الخلافة الراشدة، ولكننا نؤكد أن عليًا ﵁ أراد للمسلمين أن يختاروا خليفتهم بأنفسهم من غير أي تدخل منه [3].

وهذا يؤكد أهمية الشورى في حياة الأمة، وأن آل البيت رضوان الله عليهم، وعلي في مقدّمتهم كان يدعو إلى الشورى، لا إلى النص، ولا إلى غصب السلطة. وهذا مما استفادته الأمة من القرآن الكريم ومن سنة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨].

ويسيء محمد جواد مغنية فهم مذهب أهل السنة في الشورى في بيعة الحاكم عندما يقول: « قال السنة إن الإمام يتعين بالانتخاب، ويكفي أن يبايعه شخص واحد حتى تتم

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ رقم (٤٤٤٧).

(٢) الخبر في مسند أحمد (٢/٢٤٢) رقم (١٠٧٨)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، والحديث في مجمع الزّوائد (٩/١٣٧). وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله رجال الصّحيح، ورواه البزّار بإسناد حسن. وانظر: د. القفاري: أصول مذهب الشيعة (٢/٢١٥).

(٣) انظر في نقد نظرية الوصاية: الأستاذ الدكتور: السنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ١١٢ - ١١٧).

له البيعة »[١]. وهذا منهج انتقائي، إذ يترك مغنية من أقوال علماء أهل السنة ما لا يروق له، ويستلّ من أقوالهم ما يوافق هواه.

ودليل ما أقول أننا إذا رجعنا إلى ما قاله الماوردي في (الأحكام السلطانية) حول انعقاد البيعة، فسنراه يجعل القول بانعقاد البيعة بشخص واحد آخر الأقوال، وهو قول ما فتئ علماء المسلمين يردّونه وينتقدونه، يقول الماوردي: « أمّا انعقادها باختيار أهل الحلّ والعقد، فقد اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتّى:

- فقالت طائفةٌ: لا تنعقد إلّا بجمهور أهل العقد والحلّ من كلّ بلدٍ ليكون الرّضاء به عامًّا والتّسليم لإمامته إجماعًا، وهذا مذهبٌ مدفوعٌ ببيعة أبي بكرٍ ﷺ على الخلافة باختيار من حضرها، ولم ينتظر ببيعته قدوم غائبٍ عنها.

- وقالت طائفةٌ أخرى: أقلّ من تنعقد به منهم الإمامة خمسةٌ يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة استدلالًا بأمرين: **أحدهما**: أنّ بيعة أبي بكر ﷺ انعقدت بخمسةٍ اجتمعوا عليها ثمّ تابعهم النّاس فيها، وهم: عمر بن الخطّاب وأبو عبيدة ابن الجرّاح وأسيد بن حضيرٍ وبشر بن سعدٍ وسالمٌ مولى أبي حذيفة ﷺ. **والثّاني**: عمر ﷺ جعل الشّورى في ستّةٍ ليعقد لأحدهم برضا الخمسة، وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلّمين من أهل البصرة.

- وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثةٍ يتولّاها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكمًا وشاهدين كما يصحّ عقد النّكاح بوليٍّ وشاهدين.

- وقالت طائفةٌ أخرى: تنعقد بواحدٍ؛ لأنّ العبّاس قال لعليٍّ رضوان اللّه عليهما: امدد يدك أبايعك فيقول النّاس: عمّ رسول اللّه ﷺ بايع ابن عمّه فلا يختلف عليك اثنان، ولأنّه حكمٌ وحكم واحدٍ نافذٌ »[٢].

وقد ردّ الإمام الغزالي هذا القول الأخير، الذي وصم مغنية أهل السنة به، وهو أن البيعة تنعقد بواحد، وأنكر أن يستشهد على صحته بمبايعة عمر بن الخطاب لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة، وقال: « ونحن نقول: لما بايع عمر أبا بكر ﷺ انعقدت الإمامة له (لا) بمجرد بيعته، ولكن لتتابع الأيدي إلى البيعة بسبب مبادرته، ولو لم يبايعه غير عمر وبقي كافة الخلق مخالفين أو انقسموا انقسامًا متكافئًا لا يتميز فيه غالب عن مغلوب لما

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٧٨).

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية (ص ٨، ٩).

انعقدت الإمامة، فإن شرط ابتداء الانعقاد قيام الشوكة وانصراف القلوب إلى المشايعة ومطابقة البواطن والظواهر على المبايعة، فإن المقصود الذي طلبنا له الإمام جمع شتات الآراء في مصطدم تعارض الأهواء، ولا تتفق الإرادات المتناقضة والشهوات المتباينة المتنافرة على متابعة رأي واحد إلا إذا ظهرت شوكته وعظمت نجدته وترسّخت في النفوس رهبته ومهابته. ومدار جميع ذلك على الشوكة، ولا تقوم الشوكة إلا بموافقة الأكثرين من معتبري كل زمان » (١).

وتشير بعض النصوص الشيعية والسنية على السواء إلى وجوب الشورى، وعلى أن الأمير إنما يولى لخيريته لا لوصاية ولا لنسب: فقد أورد الشيعة عن النبي ﷺ: « **إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأموركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها. وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها** » (٢).

وقد اتفقت رواية الشيعة وأهل السنة على حديث يقول فيه النبي ﷺ: « **من جاءكم يريد أن يفرق الجماعة، ويغصب الأمة أمرها، ويتولى من غير مشورة فاقتلوه** » (٣). وفي رواية أهل السنة: « **من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه** » (٤).

ولأهمية الشورى في اختيار الإمام والحزم والسرعة في ذلك بيّن علي ﷺ في رسالته لمعاوية ﷺ واجب الناس: « بعدما يموت إمامهم أو يقتل... ألا يعملوا عملًا ولا يحدثوا حدثًا، ولا يقدموا يدًا ولا رِجْلًا، ولا يبدأوا بشيء قبل أن يختاروا لأنفسهم إمامًا عفيفًا ورعًا عارفًا بالقضاء والسنة » (٥). وهذا ما فعله الصحابة الكرام بعد انتقال النبي ﷺ إلى

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالي: فضائح الباطنية (ص ١٧٧)، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م). وقد وافقه على ذلك ابن تيمية في منهاج السنة (١/ ٥٣٠). وانظر للتوسع محمد زكريا النداف: الأخلاق السياسية للدولة الإسلامية في الكتاب والسنة (ص ١٥١ - ١٥٣)، دار القلم - دمشق (٢٠٠٤م).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار (١٣٩/٧٤)، وأخرجه عند أهل السنة الترمذي بسند ضعيف، كتاب الفتن، باب منه، رقم (٢٣٦٦).

(٣) الصدوق: عيون أخبار الرضا (٦٧/١)، المجلسي: بحار الأنوار (٤٣٤/٢٩).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرّق أمر المسلمين وهو مجتمع، رقم (١٨٥٢).

(٥) بحار الأنوار (٥٥٥/٨)، سليم بن قيس (ص ١٨٢).

الرفيق الأعلى، حيث تشاوروا فاختاروا الخليفة قبل دفن نبيّهم ﷺ [١].

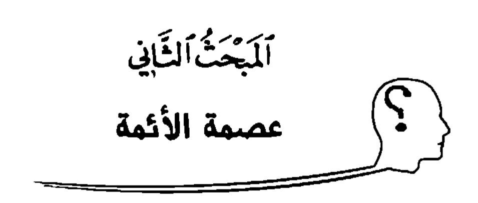
وقد جاءت رواية في بحار الأنوار لتبين أنه لم يكن هناك نص أيضًا للحسن من علي ﷺ، وأن الأمر يترك شورى بين المسلمين: « في كتاب صلح الإمام الحسن ﷺ مع معاوية أن يكون الأمر بعده شورى بين المسلمين » [٢].

ولكن الواقع جرى على غير ما أوصانا به الشرع الحنيف من وجوب الشورى؛ إذ أصرّ الشيعة في فكرهم وأمانيهم على وجوب البيعة للحسن ثم الحسين وزين العابدين ومن بعدهم من الأئمة الاثني عشر بالوراثة، وآل أمر الخلافة في واقع أهل السنة إلى الملك العضوض والاستبداد به؛ شهوةً للحكم وأثرةً؛ خلافًا لمنهج القرآن العظيم وهدي النبي الكريم، ووصية علي أمير المؤمنين.

* * *

(١) في حين يتهم كتّاب الشيعة صحابة النبي ﷺ بأنهم تهارشوا على الخلافة والنبي لم يدفن بعد! في حين نرى أن اتفاقهم على الخليفة قبل دفن النبي ﷺ هو عمل بمقتضى سنّة النبي، بل مقتضى فقه علي ﷺ.

(٢) بحار الأنوار (٦٥/٤٤).



« العصمة في كلام العرب (المنع) وعصمة الله عبده أن يعصمه مما يوبقه، عصمه يعصمه عصمًا منعه ووقاه » فمآلها إلى الوقاية والحفظ، « واعتصم بالله: امتنع بلطفه من المعصية » [١].

ويعرف الشيخ المفيد العصمة بأنها: « الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه، وهو لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية ولا يمنعه على وجه القهر، أي لا يكون له حينئذ داع إلى فعل المعصية وترك الطاعة مع القدرة عليها » [٢].

ويتبين من هذا التعريف أن الشيعة قد استعاروا فكرة اللطف المعتزلية لتخدم قولهم بعصمة الأئمة [٣].

ومن خلال هذا التعريف يوضح المفيد أن العصمة لا تكون مع وجود العجز أو القهر، بل تكون مع القدرة الكاملة على فعل المعصية وترك الطاعة.

وهذا التعريف لا يختلف عن رؤية أهل السنة للعصمة، غير أن أهل السنة يقصرون العصمة على الأنبياء عليهم السلام، دون الأئمة.

قال أهل السنة: العصمة « عدم خلق الله في المكلف الذنب مع بقاء القدرة والاختيار، وهي واجبة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الصغائر والكبائر والمكروه، بل ومن خلاف الأولى، ومن فعل المباح لمجرد الشهوة. وأما غيرهم فلا تنسب إليه العصمة،

---

(١) انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (عصم) (٤٠٣/١٢)، الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة (عصم)، (ص ١٤٦٩).

(٢) شرح عقائد الصدوق (ص ١١٤).

(٣) أنور الباز: عصمة الأئمة عند الشيعة، دار الوفاء (ط١)، (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م). وأصلها رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة (ص ٥٨، ٥٩).

بل يقال محفوظ » (١). فلا يصح إطلاق العصمة على أحد عند أهل السنة إلا على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

في حين يرى الاثنى عشرية أن العصمة تكون للأئمة كما تكون للأنبياء ﷺ، ويرون أن الأمّة كلّها معرّضة للخطأ والضّلال، والعاصم لها من الضّلال هو الإمام المعصوم.

ولهذا قالوا لا بد للأمة من رئيس معصوم يسدد خطأها، فلو جاز الخطأ عليه لزم له آخر يسدّده فيلزم التّسلسل، فحينئذ يلزم القول بعصمة الإمام؛ لأن الثقة عندهم بالإمام لا بالأمة.. وقالوا بأنه هو الحافظ للشرع، ولا اعتماد على الكتاب والسنة والإجماع دونه (٢).

غير أن في نصوص الشيعة ما يدل على أن العصمة غير مشترطة في الإمام، كقول علي رضي الله عنه: « لا بدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر.. يقاتل به العدو، وتأمن السّبل، ويؤخذ به للضّعيف من القوي، حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر » (٣).

وتجدر الإشارة - من باب المقارنة - إلى أن بعض المتصوفة ابتكروا فكرة الحفظ، وهي تقترب كثيرًا من فكرة العصمة، فإذا كان الاثنى عشرية يعتقدون عصمة الأئمة، فإن بعض المتصوفة يعتقدون بالحفظ للأولياء « فالقشيري يوجب للولي صفة الحفظ عن الذنوب في مقابلة صفة العصمة للنبي » (٤)، ويوضح المراد بالحفظ بقوله:« وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦] ». و « الفارق بين ما يعنيه القشيري بالعصمة وما يعنيه بالحفظ هو الفارق بين فكرة الوجوب والإمكان، فالعصمة تمنع من جواز وقوع الذنب، والحفظ لا يمنع منه » (٥)، وقد تطورت فكرة الحفظ من الإمكان إلى الوجوب العقلي على يد ابن عربي، وعند

---

(١) علي بن محمد المعروف بالموخر (كان حيًا عام ١١١٨هـ): مبلّغ الطالب إلى معرفة المطالب (ص ٢١٦)، (ط١)، (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م). تحقيق الشيخ حبيب بن الطاهر.

(٢) انظر: ابن المطهر: كشف المراد (ص ٣٩٠، ٣٩١)، وانظر: نهج المسترشدين (ص ٦٣)، وانظر: الألفين (ص ٥٦) وما بعدها، القزويني: الشيعة في عقائدهم (ص ٣٦٨، ٣٦٩)، الزنجاني: عقائد الإمامية (ص ٧٧)، هاشم معروف الحسيني: أصول التشيع (ص ١٣١، ١٣٢).

(٣) نهج البلاغة (ص ٨٢).

(٤) الدكتور: السنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ٣٩٦).

(٥) عن حاشية زكريا الأنصاري على القشيري (ص ١٨٤)، د. سنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ٣٩٦).

ذلك لا داعي لاستخدام كلمة الحفظ أصلًا، فوضعت كلمة العصمة التي ينادي بها الشيعة، وهجرت كلمة الحفظ التي اشتهر بها الصوفية، فيذكر ابن عربي أن: « من شرط الإمام الباطن أن يكون معصومًا » (١).

والحقيقة أن هذا الاتجاه لا يمثل كل أهل التصوف، حيث ذكر عنهم الإقرار بإمكان وقوع الذنوب من الأولياء، فقد قال القشيري: « فإن قيل: فهل يكون الولي معصومًا؟ قيل: أما وجوبًا كما يقال في الأنبياء؛ فلا، وأما أن يكون محفوظًا حتى لا يصر على الذنوب إن حصلت هنات أو آفات أو زلات؛ فلا يمتنع ذلك في وصفهم » (٢). قيل للجنيد: العارف يزني يا أبا القاسم؟ فأطرق مليًا، ثم رفع رأسه وقال: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨] » (٣). وهذا هو الذي يتفق مع منهج أهل السنة والجماعة، « فليس من شرط أولياء اللّه المتقين ألا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء، خطأً مغفورًا لهم... بل ولا من شرطهم ترك الكبائر » (٤).

وليس لدى الباحث تفسير لتشابه عقيدة بعض الصوفية مع الاثني عشرية في فكرة العصمة سوى أن المبالغة في الأئمة من الشيعة وفي الأولياء عند بعض الصوفية أوصل الطرفين إلى هذه العقيدة التي لا مستند لها من الأدلة الصحيحة.

أدلة الاثني عشرية على وجوب عصمة الأئمة ومناقشتها:

- إن أول ما يستند الشيعة عليه في إثبات العصمة هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. فقد فهم الاثنى عشرية من الآية أن الطهارة في الآية تدل على معنى العصمة.

- كما يستدلون بحديث الكساء الذي جاء مفسرًا هذه الآية، وقد ورد في كتب السنة والشيعة على السواء: قالت أمنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: « خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود (٥)، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل

---

(١) الفتوحات المكية (٣/١٣٨) حيث يقول:. وانظر: د. سنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ٣٩٧).

(٢) القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (٣٧٦ - ٤٦٥هـ): الرسالة القشيرية (ص ٥٢٣). تعليق الدكتور عبد الحليم محمود، تحقيق عبد الكريم عطا، دار علوم القرآن، دمشق (٢٠٠٠م).

(٣) القشيري: الرسالة القشيرية (ص ٥٢٤).

(٤) مجموعة الرسائل (١/٤٣، ٤٤).

(٥) المرط بكسر الميم وسكون الراء المهملة كساء من صوف أو خزّ، الجمع مروط كذا في القاموس. وقيل: =

معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] » [1].

وقد رأى بعض الباحثين من أهل السنة أنّ هذا الحديث يتعارض مع القرآن الذي يجعل كلمة الآل تطلق أولًا على الأزواج، في حين كان تطبيق النبي ﷺ له مقصورًا على علي وفاطمة وابنيهما ﷺ، دون أزواجه ولذلك يقول الدكتور عامر النجار: « عكف العلامة الشيخ إبراهيم سليمان الجبهان على دراسة هذا الحديث، وخرج بنتيجة هامة، وهي عدم صحته للأسباب التالية:

أولًا: لأن روايته عندنا لم تصل إلى حد التواتر، وليس كل ما صح سنده صح متنه،...

ثانيًا: لأن الروايات لم تتفق على تعيين الموضع الذي نزلت فيه الآية؛ إذ إن رواية مسلم تقول إنها نزلت في بيت عائشة، وفي السنن أنها نزلت في بيت أم سلمة، ووجود الاضطراب في الروايتين يمنع من الأخذ بهما...

ثالثًا: لأن القرآن الكريم لا يمكن أن يتعارض مع ما ثبت صدوره عن النبي ﷺ من قول أو تقرير أو عمل...

رابعًا: أن القرآن نزل بلغة العرب، وأهل بيت الرجل في لغة العرب هم زوجاته وأصوله وفروعه...

وقد بيّن الشيخ إبراهيم الجبهان أن حديث الكساء الذي تمسك به كل الشيعة وحاولوا من خلاله إثبات العصمة لعلي وأبنائه غير صحيح » [2].

ولكن الحق أحقّ أن يتّبع، فإن حديث الكساء « صحيح رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة، ورواه مسلم في صحيحه » [3]، ولا يجوز التعسف في إنكاره، ولو سار الجبهان وراء دعوى اضطراب بعض تفاصيل الأمور الفرعية في الروايات؛ لفتح مجالًا واسعًا لردّ كثير من صحاح السنة. فخلاف الرواة في بعض فروع الحادثة أمر كثير

= كساء من خز أو كتان. مرحّل كمعظّم، فيه تصاوير، والمراد تصاوير رحال الإبل. انظر: الشوكاني: نيل الأوطار (٢/٩٥) دار الجيل - بيروت.

(١) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ.

(٢) د. عامر النجار: في مذاهب الإسلاميين (ص ٥٢٢)، انظر: إبراهيم سليمان الجبهان: تبديد الظلام وتنبيه النيام (ص ١٤٧، ١٤٨، ٥٠٧ - ٥١٤)، (ط٢) نشر مكتبة الحرمين - الرياض (١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م).

(٣) منهاج السنة (٥/١٣).

الحدوث؛ لأن نسيان الفروع غير المهمة أمر من عادة البشر، ولا يؤثر في صحة الحديث، حيث « أن الرواة إنما يهتمون بحفظ جوهر القصة، دون تفاصيلها الجزئية » (١).

أما شبهة ردّ هذا الحديث لأنه ليس متواترًا، فإن في هذا طعنًا في غالب ما أتانا من أحاديث النبي ﷺ؛ إذ معظم الأحاديث من هذا النوع، والطعن في الآحاد الذي تلقّته الأمة بالقبول طعن في السنة؛ ولذلك فإن الرأي الصحيح المعتمد هو أن التواتر لا يشترط لقبول الحديث والعمل به ما دامت الأمة قد تلقّته بالقبول، وقد تلقّت الأمة صحيح البخاري وصحيح مسلم بالقبول، فلا يجوز إنكار الحديث لعدم تواتره (٢).

فالحديث إذن صحيح، ولكن توجيهه هو المهم، فإن الحديث لا يقتضي ثبوت العصمة أو اختصاص علي وفاطمة وابنيهما ﷺ بكلمة آل البيت، وهو ما تخوّف منه الجبهان؛ فإن « دعاء رسول الله ﷺ لأهل بيته بأن يذهب عنهم الرجز وأن يطهرهم منه تطهيرًا ليس معنى ذلك أن يعطيهم هذا حق العصمة، وأن لا يقع منهم ذنب، فالتطهير لا يعني العصمة على الإطلاق، فلا معصوم إلا النبي ﷺ » (٣).

فآية الطهارة ليس فيها إخبار بطهارة أهل البيت وذهاب الرجس عنهم، « وإنما فيها الأمر لهم بما يوجب طهارتهم وذهاب الرجس عنهم، فإن قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] كقوله تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦] وقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٦ - ٢٨]. فالإرادة هنا متضمنة للأمر والمحبة والرضا وليست هي

---

(١) انظر: تقي الدين العثماني: تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم (٢٢٩/٥) دار القلم - دمشق (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).

(٢) انظر حول مسألة حكم حديث الآحاد والعمل به: الباعث الحثيث للأستاذ المحقق أحمد محمد شاكر، وهو شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير (ص ٣٣) حيث يقول: « الحق الذي لا مرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين وممن اهتدى بهديهم وتبعهم على بصيرة من الأمر: أن أحاديث الصحيحين صحيحة كلها، ليس في واحد منها مطعن أو ضعف » دار الندوة الجديدة - بيروت (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

(٣) د. عامر النجار: في مذاهب الإسلاميين (ص ٦٣٨).

المشيئة المستلزمة لوقوع المراد، فإنه لو كان كذلك لكان قد طهر كل من أراد الله طهارته »(١).

ثم إن الآية جاءت في معرض الحديث عن أزواج النبي ﷺ أولًا، فالآية على أقل تقدير ليست خاصة بآل البيت، بل تشمل أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، بل كان السياق القرآني يتحدث عنهنّ قبل الآية وبعدها، ولم يقل أحد بعصمتهن. وقد بيّن زيد ﷺ أن أزواجه ﷺ من أهله: حين سأله سائل: « ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته »(٢). وهو مقتضى كلام العرب، فإن كلمة الأهل لغة تنصرف لأول وهلة إلى الأزواج(٣).

وقد جاء القرآن مؤكدًا ذلك؛ فقد قال تعالى في حق السيدة سارة زوجة إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٣].

وقال في قصة رجوع سيدنا موسى ﷺ بزوجته من مدين إلى مصر: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ [القصص: ٢٩](٤).

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/٢١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي ﷺ، رقم (٢٤٠٨)، وأخرجه أحمد في مسنده (٤/٣٦٧).

(٣) قال ابن منظور: « أهل الرجل وأهلته: زوجه » لسان العرب مادة (أهل)، وقال الراغب الأصبهاني: « فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم تجوّز فقيل أهل بيت الرجل من يجمعه وإياهم نسب، وتعورف في أسرة النبي ﷺ مطلقًا إذا قيل أهل البيت لقوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] وعبّر بأهل الرجل عن امرأته مفردات القرآن (ص ٢٩٥). وانظر: أنور الباز: عصمة الأئمة عند الشيعة (ص ٨٣ – ٨٥).

(٤) ويستدل الشيعة على أن المقصود بآل البيت هنا هم أهل الكساء فقط، بأن الضمير في الآيات السابقات ضمير النسوة (يا نساء النبي... تقتنت منكن، بيوتكن) في حين جاء في آية التطهير بضمير الجمع ﴿ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فلو كان الخطاب لنساء النبي لاستخدم نون النسوة، وهذا القول باطل؛ لأن الخطاب في الآيات السابقات جاء بلفظ (نساء)، وهو مؤنث وضميره نون النسوة، في حين جاء الخطاب في آية التطهير بكلمة أهل، وهي وإن كانت تدل على معنى نساء النبي، ولكنها تعامل معاملة الجمع المذكر؛ ولذلك وردت في قصة إبراهيم، وكان الخطاب لامرأة واحدة هي زوجه سارة بضمير الجمع، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [هود: ٧٣]، وكذلك خطاب موسى لزوجته: ﴿ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴾ [طه: ١٠] وقوله في قصة موسى أيضًا في سورة القصص: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ =

وما دامت كلمة الآل تطلق على الأزواج أولًا؛ فما الحكمة من نشر النبي ﷺ كساءه على علي وفاطمة والحسن والحسين، ورفضه إدخال أم سلمة فيه؟ الجواب أن كلمة أهل البيت تستعمل في العرف واللغة للأزواج أولًا بالذات، ولغيرهم تبعًا، فكانت أزواج النبي ﷺ داخلة في أهل البيت أولًا بالذات، وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ على سبيل الاحتمال؛ لأن سياق الآيات كان للأزواج فقط، ولكن كلمة أهل البيت تحتمل العموم، فأراد النبي ﷺ أن يتأكد هذا العموم في حق علي وفاطمة وابنيهما، فدعاهم وجلّلهم بكساء ليثبت لهم ما يثبت لأهل البيت، ودعا لهم بالتطهير، لذلك لم يدخل أم سلمة في الكساء؛ لكونها داخلة في أهل البيت قطعًا بدلالة سياق الآيات، فلم تكن هناك حاجة إلى الدعاء والاعتداد بها في جملة أهل البيت، فقال لها: « **أنت على مكانك، أنت على خير** » [1]، يعني أنك في مقامك السامق داخلة في معنى الآل أصالة، ولا حاجة لتأكيد الأصل، فالمعروف لا يحتاج إلى تعريف.

وكما أراد النبي ﷺ أن يتوسع معنى الآل ليضم صهر النبي وأحفاده؛ أراد أيضًا أن يوسعه فيضم عددًا من الصحابة الكرام منهم: سلمان وواثلة ﷺ، فقد قال ﷺ: « **سلمان منا آل البيت** » [2]. وقال واثلة بن الأصقع ﷺ: وأنا يا رسول الله! صلى الله عليك من أهلك، قال ﷺ: « **وأنت من أهلي** » قال واثلة ﷺ: وإنها من أرجى ما أرتجي [3].

وكما أدخل هؤلاء الصالحون في معنى الآل؛ أخرج منه من كفر وعصى، كما خرج أبو لهب، وكما خرج ابن نوح لما كفر: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦].

– كما يحاول الاثنا عشرية أن يستندوا إلى أي نص من نصوص القرآن الكريم، مهما كان بعيدًا عما يريدون، فيصلوا أنفسهم به بأوهى الخيوط، فيستدلون بقوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ

= مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص: ٢٩] ففي هذه الآيات كان الخطاب لامرأتين يقينًا، هما زوجة إبراهيم وزوجة موسى ﷺ، ومع ذلك خوطبتا بصيغة الجمع.

(١) تقي الدين العثماني: تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم (٥/٥٧).

(٢) مستدرك الحاكم (٣/٦٩١).

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٣/٤٩٢) دار المعرفة – بيروت (١٤١٢هـ).

عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤]. فقد صدّر المجلسي بهذه الآية بابه الذي عقده في بحاره بشأن العصمة بعنوان « باب.. لزوم عصمة الإمام » (١). والآية إنما تتحدث عن إمامة سيدنا إبراهيم عليه السلام، لا عن إمامة غيره من الناس، وهي تختلف عن مفهوم الإمامة عند الشيعة؛ إذ المقصود بها هنا النبوة (٢).

وهكذا يظهر أنه لا سند للشيعة في آية التطهير، ولا في حديث الكساء، ولا في آية ابتلاء إبراهيم بالكلمات، فلا يصح التدليل بها ولا بغيرها على العصمة.

وقد لجأ الشيعة أيضًا في تأكيد عصمة الأئمة إلى نصوص صريحة وضعوها ونسبوها للأئمة في الكافي وغيره، منها:

- عن سديرٍ قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ..: « فما أنتم؟ قال: نحن خزّان علم اللّه، نحن تراجمة أمر اللّه، نحن قومٌ معصومون، أمر اللّه - تبارك وتعالى - بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجّة البالغة على من دون السّماء وفوق الأرض » (٣).

- وجاء في عيون أخبار الرضا: عن ابن عباس قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: « **أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون** » (٤).

وهذه النصوص لا خلاق لها في ميزان أهل السنة.

الغلو في مفهوم العصمة:

لم يكتف الاثنا عشرية من مفهوم العصمة باستحالة فعل المعصية، بل المشهور عندهم

---

(١) بحار الأنوار (٢٥/١٩١)...

(٢) قال ابن عباس والسدي: إنه النبوة، قال: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤] « أي نبوتي »، وقال مجاهد: الإمامة، أي لا أجعل إمامًا ظالمًا يقتدى به، وقال قتادة وإبراهيم النّخعي وعطاء والحسن وعكرمة: لا ينال عهد اللّه في الآخرة الظّالمين فأمّا في الدّنيا فقد ناله الظّالم فأمن به وأكل وعاش.. قال الزّجّاج: وهذا قول حسن، أي لا ينال أماني الظّالمين؛ أي: لا أؤمنهم من عذابي. والمراد بالظّالم: المشرك..، وقال الربيع ابن أنس والضحاك، عهد اللّه الذي عهد إلى عباده: دينه، يقول: لا ينال دينه الظالمين، ألا ترى أنه قال: ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: ١١٣] يقول: ليس كلّ ذرّيّتك يا إبراهيم على الحقّ. وروي عن ابن عباس، أيضًا، ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤]، قال: ليس للظالمين عهد، وإن عاهدته فانقضه. انظر: تفسير الطبري (٢/ ٢٠) وما بعدها، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٢/١٠٨)، تفسير ابن كثير (١/١٧٢، ١٧٣).

(٣) أصول الكافي (١/٣٢٥)، كتاب الحجة بابٌ في أنّ الأئمّة بمن يشبهون ممّن مضى وكراهية القول فيهم بالنّبوّة.

(٤) الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا (١/٦٦) منشورات الشريف الرضي - قم (١٣٧٨هـ).

أن مفهوم عصمة الأئمة يتعدى ذلك إلى القول بعصمتهم عن السهو والنسيان، مع أن هذا القول المشهور والمنصور لديهم اليوم ليس بمجمع عليه بينهم، وليس هو قول متقدميهم، ناهيك أنه لا يستند إلى روايات قوية من أقوال الأئمة، بل على العكس جاء عنهم ما يدحض هذا الغلو.

وسنسوق هنا نصين لدى الاثني عشرية يثبتان أن العقيدة التي استقرت لديهم هي عصمة الأئمة عن السهو والنسيان في العهود المتأخرة والحاضرة:

- **النص الأول** من العهد الصفوي، يقول المجلسي: « اعلم أنّ الإماميّة اتّفقوا على عصمة الأئمّة عليهم السلام من الذّنوب، صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلًا لا عمدًا ولا نسيانًا ولا الخطأ في التّأويل ولا للإسهاء من اللّه سبحانه »[1].

- **النص الثاني** من أحد كتّاب الشيعة المعاصرين، يقول الشيخ المظفر: « ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمدًا وسهوًا. كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان؛ لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة، بلا فرق.

ليس على اللّه بمستنكر أن يجمع العالم في واحد »[2]

ولا يبالغ أهل السنة في عصمة الأنبياء حتى يصلوا إلى نفي النسيان والإسهاء عنهم[3]، فقد قال ﷺ: « **إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكّروني** »[4].

وهذا ما ينسجم مع أقوال الأئمة، فقد كانوا يؤكدون على بشريتهم وعدم اتصافهم بالعصمة من الذنوب والنسيان، بل يؤكدون أيضًا على أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لم يعصموا من النسيان إذا أراده اللّه منهم، فالإمام الرضا لعن من يقول بإنكار السهو في حق

(١) بحار الأنوار (٢١١/٢٥)، وانظر: مرآة العقول (٣٥٢/٤).

(٢) محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية (ص ٦٧).

(٣) انظر: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (١٣/١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب استقبال القبلة (١٠٥/١) دار الفكر - بيروت، ومسلم، باب السهو في الصلاة (٨٤/٢)، ومن أمثلة نسيان النبي ﷺ حديث ذي اليدين في صحيح البخاري وغيره، وفيه سهو النبي ﷺ في الصلاة؛ حيث سلّم في صلاة رباعية على رأس ركعتين، فنبّهه الصحابة الكرام فأتم الصلاة وسجد للسهو.

الأنبياء عليهم السلام، وقال: « إنّ الذي لا يسهو هو اللّه الذي لا إله إلا هو »[١].

وبناء على القول بعصمة الإمام من الخطأ والنسيان فقد أجاز المفيد « للإمام أن يحكم بعلمه كما يحكم بظاهر الشهادات، ومتى عرف من المشهود عليه ضد ما تضمنته الشهادة أبطل بذلك شهادة من شهد عليه، وحكم فيه بما أعلمه اللّه تعالى »[٢].

وهذا من الدعاوى العريضة التي جاء عن أهل السنة ما يناقضها في حق النبي الأعظم ﷺ، فقد صح الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول اللّه ﷺ قال: « **ثم إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار** »[٣].

ويردّ قول المفيد ما أكّدته روايات الاثني عشرية عن الأئمة الذين كانوا يقرّون ببشريتهم وتعرّضهم للخطأ، ولذلك كانوا يطلبون المشورة والنصيحة من الرعية، فقد جاء عن علي رضي الله عنه: « لا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالًا في حق قيل لي، ولا التماس إعظام النفس، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي »[٤].

بل جاء عن الأئمة ما يزيل فكرة العصمة من جذورها، إذ تنقل كتب الاثني عشرية عن الأئمة اعترافهم ببشريتهم وتعرّضهم للمعصية، كما تذكر استغفارهم وأوبتهم؛ ولذلك قال علي رضي الله عنه: « اللّهم وأستغفرك من كل ذنب خُنْتُ فيه أمانتي، أو بخست بفعله نفسي أو خطئت به على بدني، أو قدّمت فيه لذّتي أو آثرت فيه شهوتي، أو قهرت فيه من منعني. اللّهم وأستغفرك من كل ذنب سبق علي في علمك أني فاعله فدخلت فيه بإرادتي واجترحته بمحبتي أو أتيته بشهوتي، ثم أحلت عليك ربي، فلم أغالبك بفعلي إذ كنت كارهًا لمعصيتي، لكن سبق علمك في فحلمت عني فلم تدخلني فيه لمعصيتي، لكن سبق علمك فيّ فحلمت عني فلم تدخلني فيه جبرًا. ولم تحملني عليه قسرًا ولم تظلمني فيه

---

(١) بحار الأنوار (٢٥/٣٥٠)، وانظر: ابن بابويه: عيون أخبار الرّضا (ص ٣٢٦).

(٢) أوائل المقالات (ص ٧٣).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري وكرره، باب من أقام البينة بعد اليمين وقال النبي ﷺ: « لعل بعضكم ألحن بحجته من بعض » رقم (٢٥٤٣)، باب موعظة الإمام للخصوم رقم (٦٧٤٨)، وأخرجه مسلم، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم (١٧١٣).

(٤) نهج البلاغة (ص ٣٣٥).

شيئًا، فاغفر لي يا إلهي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » [(١)].

وقال زين العابدين في صحيفته السجادية مؤكدًا ضعفه بين يدي الله تعالى مقرًا بمساواته مع باقي البشر في الضعف والخضوع بين يديه سبحانه:

« **رب أفحمتني ذنوبي، وانقطعت مقالتي فلا حجة لي** » [(٢)]... « وما لي لا أبكي؟! ولا أدري إلى ما يكون مصيري، وأرى نفسي تخادعني، وأيامي تخاتلني وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت فمالي لا أبكي! أبكي لخروج نفسي، أبكي لحلول رمسي أبكي لظلمة قبري، أبكي لضيق لحدي، أبكي لسؤال منكر ونكير إياي، أبكي لخروجي من قبري عريانا ذليلًا، حاملًا ثقلي على ظهري، أنظر مرة عن يميني، ومرة عن شمالي إذ الخلائق في شأن غير شأني، ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٧]، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ [عبس: ٣٨ - ٤٠] » [(٣)].

وجاء في الغيبة للطوسي قوله: « إني أهل العقوبة... وأعترف لك حتى تعفو عني » [(٤)].

بل جاء عن الإمام جعفر الصادق رحمه الله تعالى: « إنّا لنذنب ونسيء، ثم نتوب إلى الله متابًا » [(٥)].

وقد حاول الأئمة أن يربطوا أتباعهم بالله تعالى، ويمنعوهم من تقديسهم والمبالغة فيهم: قال أبو الحسن عليه السلام لمحمد بن أبي نصر: أخبرني عنك لو أني قلت لك قولًا أكنت تثق به مني؟ فقلت له: جعلت فداك! إذا لم أثق بقولك فبمن أثق وأنت حجة الله على خلقه؟ قال: فكن بالله أوثق فإنك على موعد من الله، أليس الله عز وجل يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ.. ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال: ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا.. ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، فكن بالله عز وجل أوثق منك بغيره، ولا تجعلوا في أنفسكم إلا خيرًا، فإنه مغفور لكم » [(٦)].

---

(١) القضاعي: دستور معالم الحكم (ص ١١١ - ٢٦٦).

(٢) الإمام زين العابدين: الصحيفة السجادية (ص ٣٠٦)، برواية الأبطحي، طبعة جماعة المدرسين قم.

(٣) الإمام زين العابدين: الصحيفة السجادية (ص ٢٢٦).

(٤) الطوسي: الغيبة (ص ٥٠). (٥) بحار الأنوار (٢٠٧/٢٥).

(٦) أصول الكافي (٤٥٨/٢) كتاب الدعاء باب من أبطأت عليه الإجابة، قال محققه: والحديث هذا صحيح. ومعنى: (لا تجعلوا في أنفسكم إلا خيرًا): أي لا تظنوا بربكم إلا خيرًا.

وقال الإمام الرضا مبيّنًا حقيقة الإمام: « والإمام يولد ويلد ويصح ويمرض ويأكل ويشرب، ويبول ويتغوّط، وينكح وينام وينسى ويسهو، ويفرح ويحزن ويضحك ويبكي، ويحيا ويموت ويقبر ويزار، ويحشر ويوقف ويعرض ويسأل ويثاب ويكرم ويشفع، ودلالته في خصلتين: في العلم واستجابة الدعوة وكل ما أخبر به من الحوادث التي تحدث قبل كونها فذلك بعهد معهود إليه من رسول الله ﷺ توارثه عن آبائه (ع) ويكون ذلك مما عهد إليه جبريل من علام الغيوب » (١).

« وبالرغم من وضوح موقف أهل البيت (ع) من دعوى العصمة وتأكيدهم على الطبيعة البشرية العادية، واستغفارهم لله، فإن الإمامية حاولوا الالتفاف على ذلك، وقاموا بتأويل الروايات الثابتة والنافية للعصمة، بأنها صادرة عن الأئمة في مقام التعليم لعامة الناس، أو أنها صادرة تقيةً. وقاموا إلى جانب ذلك برواية مجموعة من الروايات التي تدعي العصمة بصراحة، وتشترطها في الإمام أو الأئمة، وهي روايات ضعيفة وغامضة وغير ذات دلالة.. لا قيمة لها؛ لأنها غير مسندة ولا ثابتة » (٢).

فإذا واجهنا الاثني عشرية بالخبر المرسل عن زين العابدين: « لا يكون الإمام منا إلا معصومًا » (٣)، ذكّرناهم بما جاء عن زين العابدين علي بن الحسين نفسه أنّه قال: « المعصوم هو من اعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن » (٤).

وهذا النص الأخير يطلعنا على تلك النظرة السليمة للعصمة، وربطها بهذا المعنى الإسلامي الجميل في تلك الفترة المبكرة من تاريخ التشيع؛ فالاعتصام بالقرآن والتمسك به هو العصمة والنجاة، وهذا المعنى ليس مقصورًا على أناس معينين، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١].

والباحث عن جذور فكرة عصمة غير الأنبياء يجد أنها سابقة لظهور الإسلام، فهي فكرة يهودية، حيث اعتقد اليهود « عصمة الحاخامات وتأليههم » (٥) في حين اتهموا

---

(١) عيون أخبار الرضا (١/١٩٣)، وهي موجودة في قرص المعجم الفقهي الذي أخرجه الاثنا عشرية. وهكذا وجدتها في نسختي الورقية (١/١٩٣) منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى (١٣٧٨) قم. وقد ناقشت الخلاف حول هذا النص في فصل العقائد العامة.

(٢، ٣) أحمد الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي (ص ٧٥، ٧٦).

(٤) ابن بابويه: معاني الأخبار (ص ١٣٢)، بحار الأنوار (٢٥/١٩٤).

(٥) أنور الباز: عصمة الأئمة عند الشيعة (ص ٦١).

الأنبياء الكرام بالعظائم؛ ولذلك ذمّهم اللّه تعالى، وذم معهم من شابههم من النصارى – بسبب تقديسهم الزعماء الدينيين، فقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ.. ﴾ [التوبة: ٣١]. وقد قلدهم غلاة الشيعة، عندما « أضفوا على الإمام صفات فاقت حتى صفات الأنبياء، فهو عندهم معصوم في كل شيء، بينما الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن اللّه » [١]. ومن ثمّ يرى بعض المحققين أن القول بعصمة الإمام دخلت إلى التشيع عبر أفكار ابن سبأ [٢]. في حين يرى معظم المحققين أن هشام ابن الحكم هو أول من أدخل فكرة العصمة إلى الأئمة [٣]، فقد سأله أحد رجال الشيعة: ما معنى قولكم: « إن الإمام لا يكون إلا معصومًا؟ » فقال هشام: سألت أبا عبد اللّه (جعفر الصادق) عن ذلك فقال: « المعصوم هو الممتنع باللّه من جميع محارم اللّه، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١] [٤].

وجاء في أمالي الصدوق عن محمد بن أبي عمير أنه قال: « ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي إياه شيئًا أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام... » [٥].

ولا ننسى أن هشام بن الحكم « هو أول من قرر عقائد الإمامية في صورة علمية منظمة، باذلًا جهده في إقامة الدليل عليها من الأحاديث والعقل، فحاول إثبات نظرية النص والعصمة إلى جانب الآراء الأخرى » [٦]. وينسب له كتّاب الفرق كالشهرستاني والبغدادي أنه « أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصمة الأئمة، ويفرق بينهما بأن النبي يوحى إليه فينبّه على وجه الخطأ فيتوب عنه، والإمام لا يوحى إليه فتجب عصمته »! [٧].

ويذكر الدكتور القفاري أنه بعد تأثر الشيعة بالفكر الاعتزالي اصطبغ مفهوم العصمة عندهم ببعض الأفكار الاعتزالية كفكرة اللطف الإلهي [٨]، وفكرة الاختيار

---

(١) د. محمد عمارة: الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية (ص ٨٣)، نهضة مصر (٢٠٠٠م).

(٢) انظر: كتب ورسائل ابن تيمية (٥١٨/٤). مكتبة ابن تيمية تحقيق عبد الرحمن محمد قاسم النجدي.

(٣) أنور الباز: عصمة الأئمة عند الشيعة (ص ٦٢).

(٤) والنص عن معاني الأخبار (ص ١٣٢)، بحار الأنوار (١٩٤/٢٥، ١٩٥).

(٥) أمالي الصدوق (٦٣٢).

(٦) د. ضياء الدين الريس: النظريات السياسية الإسلامية (ص ٩٤)، مكتبة دار التراث (ط٦)، (١٩٧٦م).

(٧) الملل والنحل (١٨٥/١)، وانظر: البغدادي: الفرق بين الفرق (ص ٥٠).

(٨) حول تأثر الشيعة بفكرة اللطف الإلهي عند المعتزلة انظر: أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية، د. عائشة يوسف المناعي (ص ٢٩٧)، (٣٠٧ – ٣٢٣).

الإنساني، كما نلاحظ هذا في تعريف المفيد (ت ٤١٣هـ) للعصمة حيث قال: « بأنها لطف يفعله اللَّه - تعالى - بالمكلف بحيث يمنع منه وقوع المعصية، وترك الطاعة مع قدرته عليها »[1].

فليس معنى العصمة أن يجبر اللَّه الإمام على ترك المعصية بل يفعل به ألطافًا يترك معها المعصية مختارًا. فتلحظ الاستعانة بمصطلحات المعتزلة لتحديد مفهوم العصمة.

ومسألة العصمة لم تقف عند حد نفي المعصية بل تجاوزت ذلك.. ففي القرن الرابع يقرر ابن بابويه القمي المعروف بالصدوق (ت ٣٨١هـ) عقيدة الشيعة في العصمة في كتابه (الاعتقادات) فيقول: « اعتقادنا في.. الأئمة.. أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا، ولا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهّلهم، ومن جهّلهم فهو كافر، واعتقادنا فيهم أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم وأواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل »[2].

فهو هنا ينفي المعصية، والجهل والنقص، ويثبت الكمال الذي يلازمهم من أول حياتهم إلى آخرها، ويكفّر من خالف ذلك.

وهذا طور وتطور آخر للعصمة، انتقلت إليه على يد الصدوق، ولكنه لم يصرح فيه بنفي السهو عن الأئمة - وهو ما سيتجاسر عليه المجلسي وشيوخ الشيعة المتأخرون فيما بعد - بل إنه - أي الصدوق - نصّ في كتابه (من لا يحضره الفقيه) صراحة على أنّ نفي السّهو عن النّبيّ ﷺ هو مذهب الغلاة والمفوّضة، يقول: « إنّ الغلاة والمفوّضة - لعنهم اللَّه - ينكرون سهو النّبيّ ﷺ يقولون: لو جاز أن يسهو في الصّلاة لجاز أن يسهو في التّبليغ؛ لأن الصلاة فريضة كما أن التبليغ فريضة.. وليس سهو النبي ﷺ كسهونا؛ لأن سهوه من اللَّه ﷻ، وإنّما أسهاه اللَّه ليعلم أنّه بشر مخلوق، فلا يتّخذ ربًّا معبودًا دونه، وليعلم النّاس بسهوه حكم السّهو، وكان شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد يقول: أوّل درجة في الغلو نفي السّهو عن النّبيّ ﷺ، وأنا أحتسب الأجر في تصنيف كتاب مفرد في إثبات سهو النّبيّ والرّد على منكريه »[3].

فهذا ابن بابويه، وهو رئيس الشّيعة كما يسمّونه - ينكر على من نفى السّهو عن

(١) المفيد: النكت الاعتقادية: (ص ٣٣، ٣٤)، تصحيح الاعتقاد (ص ١٠٦).
(٢) الاعتقادات (ص ١٠٨، ١٠٩).
(٣) من لا يحضره الفقيه (١/٢٣٤).

المصطفى ﷺ، فكيف بمن هو أقل منه كالأئمة؟! ويعدّ نفي السّهو علامة الغلو، ويشير إلى أن هذا القول من مذاهب الغلاة.. ويلمّح إلى ما ينطوي عليه نفي السهو من تشبيه المخلوق بالخالق جل شأنه.

فالراجح أن نفي السّهو أضافه الشّيعة المتأخّرون إلى مسألة العصمة، في تطور آخر لهذه القضية؛ ولذلك فإن نصوصهم الموضوعة سلفًا عن الأئمة تخالف ذلك، فأبو عبد الله جعفر الصادق كان يقول لمّا ذكر له السّهو:

« أو ينفلت من ذلك أحد؟! ربّما أقعدت الخادم خلفي [في] صلاتي » (١). أي يحصي عليه ركعات الصلاة.

والرضا يلعن من ينفي السهو عن النبي ﷺ - كما مرّ - ويقول: « **إن الذي لا يسهو هو الله سبحانه** » كما أن كتب الشيعة روت أخبارًا في سهوه ﷺ في صلاته (٢).

وهكذا فإن لمتكلمي الاثني عشرية اتجاهًا في مسألة العصمة، يخالف اتجاه الأئمة أنفسهم، وليس هذا بدعًا وغريبًا، فهناك مسائل شتى خالف المتكلمون فيها أئمتهم، واتخذوا التقية وتضعيف الروايات تكئة لصيانة ضرورات المذهب الذي رسّخوه أولًا في عقولهم. ولذلك قال محققو أهل السنة: « الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم » (٣). « ومذهب الشيعة هو مذهب الشيوخ لا مذهب الأئمة » (٤).

ومن الغريب أن الإمامية يحتجّون في إثبات العصمة واستحالة السهو في حق الأئمة بإجماع علمائهم، حيث يقولون: « إنّ أصحابنا الإماميّة أجمعوا على عصمة الأئمّة - صلوات الله عليهم - من الذّنوب الصغيرة والكبيرة عمدًا وخطأً ونسيانًا من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله ﷻ » (٥). رغم أنّ ادعاء الإجماع منقوض بمخالفة شيعة القرن الرّابع من قبلهم، وفي مقدمتهم شيخ الطائفة الصدوق وشيخه ابن الوليد أيضًا.

وإذا قيل لهم كيف ينعقد إجماعكم، وشيخكم الصّدوق ابن بابويه وشيخه ابن الوليد

(١) بحار الأنوار (٢٥/٣٥١). (٢) انظر: من لا يحضره الفقيه (١/٢٣٣)..

(٣) منهاج السنة (٢/٣٦٨). وتتمة النص تبين بعض الأمثلة على مخالفة الشيعة لأئمة أهل البيت: « فليس في أئمة أهل البيت - مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق - من كان ينكر الرؤية، أو يقول بخلق القرآن، أو ينكر القدر، أو يقول بالنص على علي أو بعصمة الأئمة الاثني عشر أو يسب أبا بكر وعمر ».

(٤) د. القفاري: أصول مذهب الشيعة (٢/٩٥٠).

(٥) بحار الأنوار (٢٥/٣٥٠، ٣٥١).

قد خالفا هذا المذهب، قالوا: « إن خروجهما لا يخل بالإجماع، لكونهما معروفي النسب » [١]. وهذه مسألة غريبة عويصة الفهم من مسائل الإجماع عندهم؛ إذ يخرق الإجماع قول رجل غير معروف النسب؛ لأنه ربما كان المهدي الغائب المنتظر، ولا يخرقه معروف النسب! لأنه يلغي احتمال وجود المهدي المنتظر ضمن أهل هذا الإجماع.

يقول د. القفاري: « ولك أن تعجب كيف يردون النصوص الصريحة في إثبات السهو والواردة في كتبهم عن الأئمة ويتعلقون بإجماع يكشف عن قول المعصوم الغائب على سبيل الظن والاحتمال؟! » [٢].

لذلك تحيّر المجلسي - وهو يروي النصوص التي تخالف إجماع أصحابه على استحالة السهو على الأئمة - فقال: « المسألة في غاية الإشكال؛ لدلالة كثير من الأخبار والآيات على صدور السّهو عنهم، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز » [٣].

تفويض الأمر إلى الأئمة:

من العقائد الخاصة والخطيرة التي يضمها الشيعة إلى عقيدتهم في عصمة الأئمة: اعتقادهم بأن اللّه تعالى فوّض الحكم في الأرض إلى النبي ﷺ والأئمة من بعده، يتصرفون فيها كما يشاؤون.

وتنطلق عقيدة التفويض عند الشيعة من فكرتين:

أولاهما: أن الأرض وخيراتها وما فيها ملك للأئمة:

عن أبي عبد اللّه جعفر الصادق: « إنّ الأرض كلّها لنا، فما أخرج اللّه منها من شيءٍ فهو لنا » [٤].

وعنه أيضًا: « إنّ جبرئيل عليه السلام كرى برجله خمسة أنهارٍ ولسان الماء يتبعه الفرات ودجلة ونيل مصر ومهران ونهر بلخ، فما سقت أو سقي منها فللإمام والبحر المطيف بالدّنيا للإمام » [٥].

---

(١) بحار الأنوار (٣٥١/٢٥).

(٢) د. القفاري: أصول مذهب الشيعة (٩٥٠/٢).

(٣) بحار الأنوار (٣٥١/٢٥)، وانظر: د. ناصر بن عبد اللّه القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٩٥٠/٢).

(٤) أصول الكافي (٤٧٤/١)، كتاب الحجة بابٌ في أن الأرض كلها للإمام عليه السلام. والحديث صحيح.

(٥) أصول الكافي (٤٧٦/١)، كتاب الحجة بابٌ في أن الأرض كلها للإمام عليه السلام. والحديث صحيح.

وقد حاول الشيعة الربط بين الأنبياء الذين مكّن لهم في الأرض والأئمة: فرووا عن جعفر الصادق أنه قال: « إنّ اللّه ﷻ فوّض إلى سليمان بن داود فقال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص: ٣٩] وفوّض إلى نبيّه ﷺ فقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧] فما فوّض إلى رسول اللّه ﷺ فقد فوّضه إلينا » (١).

ولكن سليمان عليه السلام هيمن بدينه على الأرض حتى أتته بلقيس بقومها وأسلمت بين يديه، في حين لم نجد شيئًا من أحوال الأئمة يدل على تفويض الأرض لهم، ولا ملكهم لمقاليدها، بل يذكر تاريخ الشيعة أنهم كانوا مضطهدين، إما فارّين، أو مسجونين، أو مظلومين؛ على حسب روايات الاثني عشرية.

والحقيقة أن النبي ﷺ ذاته لم يكن يدعو إلى ملك الدنيا، ولا للسيطرة عليها، بل كان صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله يحب المساكين ويعيش حياتهم، ويدعو أن يحشر معهم، وقد عرضت عليه الدنيا، فأباها، ونزل جبريل بخيار اللّه له بين أن يكون ملكًا رسولًا أو عبدًا رسولًا، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا، كما في مسند أحمد عند أهل السنة، وأصول الكافي عند الشيعة (٢).

ولهذا قال عبد اللّه بن عمر للحسين بن علي رضي الله عنه لما همّ بالخروج إلى العراق لقتال بني أمية: « لا تفعل فإنك لن تنجح في مسعاك؛ لأن النبي ﷺ خيّره اللّه بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وأنت ابنه » (٣).

فلو كان للأئمة ملك الدنيا وقواها، وكانوا مفوضين بطاقاتها، لأشبهوا حال نبي اللّه سليمان عليه السلام ، الذي قال: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ص: ٣٥].

وثانيتهما: أن الأئمة نائبون عن النبي ﷺ:

يرى الاثنا عشرية أن ما كان من سلطات للنبي فهي للأئمة من بعده؛ يقول الشيعة: « إن الإمام المعصوم يمتلك كل مناصب النبي ﷺ سوى النبوة والرسالة، وكما أن أحاديثه حجة في بيان الحقائق والتشريعات والأحكام والمعارف الإسلامية فكذلك تجب

---

(١) أصول الكافي (٣٢٣/١) كتاب الحجة باب التفويض إلى رسول اللّه ﷺ وإلى الأئمة عليهم السلام في أمر الدّين.

(٢) مسند أحمد (٢٣١/٢) رقم (٧١٦٠)، وقريب منه رواه الكليني: أصول الكافي (١٢٢/٢).

(٣) عبد اللّه المشيرفي: تلخيص عقائد الشيعة ومقارنتها بعقائد الصوفية (ص ٢٦).

طاعة أوامره وأحكامه في مختلف القضايا الحكومية » [١]. « ولذلك فإن الراد على الإمام راد على الله تعالى، وهو على حد الشرك بالله » [٢].

عن عبد الله بن سنانٍ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « لا والله ما فوّض الله إلى أحدٍ من خلقه إلا إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة، قال عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥] وهي جاريةٌ في الأوصياء عليهم السلام » [٣].

وعقيدة التفويض هذه كما وجدت عند الشيعة رأيناها أيضًا عند بعض غلاة الصوفية، إذ يروي ابن عربي عن بعضهم أنه قال لأصحابه: إن الله أعطاني التصرف خمسة عشرة سنة وتركناه تظرفًا، ويقول ابن عربي بعدها: « وأما نحن فما تركناه تظرّفًا وهو تركه إيثارًا، وإنما تركناه لكمال المعرفة » [٤].

وتأتي رواية لتثبت أنه لا يقيم الحدود إلا المعصوم، فهو وحده المفوض بإقامتها أو إلغائها: جاء في فروع الكافي: « لا يقيم الحد من لله عليه حدّ، فمن كان عليه حد مثل ما عليها فلا يقيم عليها الحد، فانصرف الناس يومئذ كلهم ما خلا أمير المؤمنين والحسن والحسين.. وانصرف فيمن انصرف يومئذ محمد بن أمير المؤمنين » [٥]. ويخالفه قول النبي ﷺ في فاطمة التي يدعي الشيعة عصمتها مع أولادها رضوان الله عليهم: **« لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »** [٦]، وحاشاها أن تسرق، ولكن هذا الحديث ينفي أن يكون أحد من المسلمين فوق الشرع وخارج نطاقه، وهذه عدالة الإسلام.

وعن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: من يقيم الحدود: **« السلطان أو القاضي؟ فقال: إقامة الحدود لمن إليه الحكم »** [٧].

---

(١) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٣٢٥).

(٢) د. محمد عمارة: الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية (ص ٨٤).

(٣) أصول الكافي (٣٢٣/١) كتاب الحجة باب التفويض إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة عليهم السلام في أمر الدّين.

(٤) فصوص الحكم (ص ١٢٩)، دار إحياء الكتب العربية (١٣٦٥هـ) تعليق د. أبو العلا عفيفي.

(٥) الكليني: الفروع من الكافي (١٨٧/٧) كتاب الحدود. وهذا النص قريب من نص إنجيلي يقول: في موقف مشابه: من كان منكم بلا خطيئة فليكن أول من يرجمها بحجر العهد الجديد، إنجيل يوحنا (٧/٨).

(٦) متفق عليه: صحيح مسلم: كتاب الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود رقم (١٦٨٨)، واللفظ له، وأخرجه البخاري: في الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع رقم (٦٤٠٥)، وبعدة روايات.

(٧) ابن بابويه: من لا يحضره الفقيه (٥١/٤)، تهذيب الأحكام (١٥٥/١٠)، وسائل الشيعة (٣٣٨/١٨).

وقال المفيد: « فأما إقامة الحدود فهو إلى سلطان الإسلام المنصوب من قبل الله، وهم أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام، ومن نصبوه لذلك من الأمراء والحكام، وقد فوضوا النظر فيه إلى فقهاء شيعتهم مع الإمكان »(١).

ولعل هذه النصوص تفسر غياب تطبيق الحدود في دول الشيعة، إذ أمر هذه الحدود متروك للإمام المعصوم، والإمام المعصوم غائب!

والحقيقة أن القرآن الكريم لم يشترط وجود إمام معصوم لإقامة الحدود، ولكن اشترط وجود الدولة المسلمة التي خاطبها الله تعالى بقوله: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨]، واشترط وجود جماعة من المؤمنين فقال: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢]، وقد أقام خلفاء المسلمين هذه الحدود طاعة لله ولرسوله، ومن هؤلاء الخلفاء علي رضي الله عنه.

وحسب هذا التفويض المزعوم تختلف الأحكام بين الأئمة، فرواية تقول إن أمير المؤمنين علي قال لفاعل قوم لوط: « اختر من إحدى ثلاث: ضربًا بالسيف، أخذ منك ما أخذ، أم هدم جدار عليك، أو حرقًا بالنار ». في حين تبين رواية أخرى أن حكم جعفر الصادق جاء مخالفًا لحكم أمير المؤمنين علي: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « سألته عن اللوطي، قال: يضرب مائة جلدة »(٢).

وخلافهما في هذه المسألة يدل على أنهما اجتهدا في أمر لم يكن معهما نص فيه، ولذلك اختلفت أحكامهما، وهذا ينقض القول بالعصمة والتفويض.

وما الحاجة إلى تفويض إقامة الحدود إلى الأئمة ما داموا قد أكدوا على أن « حلال محمد حلال أبدًا إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبدًا إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره »(٣).

والمدقق في تصرفات الأئمة يوقن أنهم لم يكونوا بمعصومين، فالحسن لم يكن يرى قتال أهل الشام، وكان ينهى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن ذلك، وكذلك فقد تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه، ولم يكن هذا رأي الحسين، فالحسن طاوع معاوية وأعطاه الخلافة

(١) المفيد: المقنعة (ص ١٣٠)، ووسائل الشيعة (٣٣٨/١٨).
(٢) انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٧٣/٧٦).
(٣) الكليني أصول الكافي (٥٨/١) تحقيق غفاري. كتاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقائيس.

مع وجود كثرة الأتباع والأجناد [١]، والحسين حارب الأمويين مع قلة جنده وتفرق أتباعه، فاختلافهما في أمر واحد دليل على اجتهادهما دون وجود العصمة « لأنه إن كان الذي فعله الحسن حقًّا واجبًا من موادعة معاوية وتسليمه له مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم، فما فعله الحسين من محاربة يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم حتى قتل وقتل أصحابه جميعًا باطل غير واجب؛ لأن الحسين كان أعذر في القعود عن محاربة يزيد من الحسن في القعود عن محاربة معاوية » [٢].

وهذا أحد الأئمة يعترض على فعل الإمام الحسن، ويعلل سبب سلب بنيه الإمامة بما فعله من الصلح مع معاوية: عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: رحم الله عمّي الحسن عليه السلام لقد غمد الحسن عليه السلام أربعين ألف سيف حين أصيب أمير المؤمنين عليه السلام، وأسلمها إلى معاوية » [٣].

وهذا النص يبين نقد إمام لأفعال إمام، وهذا يجتث فكرة العصمة من أصولها وقواعدها؛ لأن الاثني عشرية ترى أن اختلاف تصرفات الأئمة ليس تبعًا لاجتهاداتهم، بل لما اعتمدوا عليه من أوامر ربانية، فقد قررت رواية الكافي أن ما فعله الحسن كان بكتاب مختوم فيه أمر الله [٤]، وكذلك الحسين - كما يقول مغنية: « ظهرت شجاعته في وقعة كربلاء حيث أمر بمقاومة الظالمين، ولم تظهر الشجاعة من الأئمة الباقين؛ لأنهم أمروا بالصبر والمداراة » [٥]، فلو صحّت العصمة لما جاز أن يعترض إمام على إمام في فعل أمره الله تعالى به.

وقد جاءت الروايات لتؤكد أن أتباع الأئمة أيضًا لم يكونوا يرون عصمتهم، فقد لام الشيعة الحسن رضي الله عنه على تنازله عن الخلافة، فهذا سليمان بن ليلى من أتباع الحسن يدخل

---

(١) انظر حول صحة رأي الحسن رضي الله عنه: المرتضى سيرة أمير المؤمنين سيدنا أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه، للشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي دار القلم - دمشق (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، (ط٢)، (ص ٢٣٧). وهو كتاب قيّم يبين موقف علي وبنيه من صحابة النبي ﷺ ويوضح مكانتهم وسيرتهم كما يبينها أهل السنة.

(٢) النوبختي: فرق الشيعة (ص ٢٥، ٢٦).

(٣) محمد بن مسعود العياشي: تفسير العياشي (٢/٢٩١)، تفسير سورة الإسراء، وانظر: المجلسي: بحار الأنوار (٢٩/٤٥٢، ٤٥٣).

(٤) الكليني: أصول الكافي (١/٢٧٩، ٢٨٠).

(٥) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٢٣٥).

عليه ويقول له: « السلام عليك يا مذلّ المؤمنين! قال: وما علمك بذلك؟ قال: عمدت إلى أمر الأمة فحللته من عنقك، وقلّدت هذا الطاغية يحكم بغير ما أنزل اللّه » (١).

وينسب الكليني إلى بعض هؤلاء (المعصومين) ما يترفع عنه عامة الناس، ونحن ننزههم عنه، ونتهم الرواة. فيروي أن محمد الباقر بن علي بن الحسين (أبو جعفر) كان له حمام وقيّم على هذا الحمام، فكان « يدخل فيبدأ فيطلي عانته وما يليها، ثم يلف على طرف إحليله، ويدعوني فأطلي سائر بدنه، فقلت له يومًا من الأيام: الذي تكره أن أراه قد رأيته، فقال: كلا إن النورة سترة » (٢). فهل يليق بعاقل - ولو كان غير معصوم - أن يظهر لخادمه كما خلقه اللّه تعالى، ما عليه إلا هذا الطلاء! إننا ننزه سادة أهل البيت عن مثل هذا.

وقد ذكرت نصوص الشيعة عن الأئمة من الآراء ما تأباه العقول والعلوم، فقد رووا أن الصادق سئل عن المشوهين في الخلق، فقال: « هم الذين يأتي آباؤهم نساءهم في الطمث » (٣).

« وتلك المفاهيم من ألوان الجهل المركب التي اجتثها العلم الحديث الذي أثبت في أوّلياته أن البويضة لا وجود لها في الرحم خلال المحيض... فمن أين يأتي الولد أصلًا خلال الطمث؟ » (٤).

ورووا عن جعفر أيضًا: « إن اللّه خلق الأرض فأمر الحوت فحملتها، فقالت الحوت: حملتها بقوتي، فبعث اللّه حوتًا قدر شبر، فدخلت في منخرها فاضطربت أربعين صباحًا، فإذا أراد اللّه سبحانه أن يزلزل أرضًا نزلت تلك الحوت الصغيرة فزلزلت الأرض فرقًا » (٥).

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار (٥٢٢/٨)، والمفيد: الاختصاص (ص ٨٢). وهذا النص فيه من الطعن على الشيعة من أكثر من وجهة، فأولًا هم يقولون بعدم جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، فكيف جاز تصرف الحسن فأعطى الخلافة هينة لينة لمعاوية ﷺ؟ ثم هي دليل على عدم عصمة الأئمة؛ لأن الإمام الحسن خالف في تصرفه هذا تصرف من كان قبله ومن بعده، فلم يرتض الإمام على أن يبايع معاوية، وكذلك لم يرتض الحسين مبايعة يزيد بن معاوية، ثم هو دليل على أن أتباع الأئمة لم يكونوا يتعاملون معهم على أساس التعظيم واعتقاد العصمة، فقد رأينا صاحب الحسن كيف يكلمه كما يكلم أي شخص من عاديي البشر، فلماذا يريد الشيعة أن يتعاملوا مع هؤلاء الأئمة بغير ما تعامل به أصحابهم؟

(٢) الفروع من الكافي (٤٩٧/٦). (٣) الصدوق: علل الشرائع (ص ٨٢).

(٤) د. محمد عبد المنعم بري: الجذور اليهودية في كتاب علل الشرايع (ص ٤٠) طبعة جبهة علماء الأزهر.

(٥) الصدوق: علل الشرائع (ص ٥٥٤).

فهل يكون معصومًا من يقول بمثل هذا الكلام الذي جاءنا من التراث اليهودي المغلوط؟

وهكذا نجد أن الأئمة أنكروا العصمة وتبرأوا منها، وتصرفاتهم تخالفها، وكثير من روايات الاثني عشرية تناقضها.

وأخيرًا نتساءل: هل عصمة الأمة خير أم عصمة الأئمة؟

إن الأمّة معصومة بكتاب ربّها وسنّة نبيّها ﷺ، ولا تجمع الأمّة على ضلالة، وعصمة الأمّة مغنيةٌ عن عصمة الإمام؛ لأن الأمم السابقة قبلنا إذا بدلوا دينهم بعث اللّٰه نبيًا يبين لهم الحق، وهذه الأمّة لا نبي بعد نبيّها، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوّة، فلا يمكن لأحد منهم أن يبدّل شيئًا من الدّين إلا أقام اللّٰه من يبيّن خطأه فيما بدّله؛ ولذلك فإنّ اللّٰه - سبحانه - قرن سبيل المؤمنين بطاعة رسوله في قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النّساء: ١١٥].

فقول من ينسب العصمة في الأمة بحفظها من الضلال خير من قول من « يوجب عصمة واحد من المسلمين، ويجوّز على مجموع المسلمين - إذا لم يكن فيهم معصوم - الخطأ » (١).

وكل ما سطروه وملأوا به الصفحات من أدلة عقلية تؤكد الحاجة إلى معصوم قد تحققت بالرسول ﷺ؛ ولذلك فإن الأمة تردّ عند التنازع إلى ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة، ولا تردّ إلى الإمام، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]. « قال العلماء: إلى كتاب اللّٰه، وإلى نبيّه ﷺ، فإن قبض فإلى سنّته » (٢)، والأمة بهدي الكتاب والسنة لا تجتمع على ضلالة؛ لأنها لن تخلو من متمسك بهما إلى أن تقوم الساعة.

فإن الحجة على الأمة قامت بالرسل، قال تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، ولم يقل - سبحانه -: والأئمة (٣).

كما أن أدلّة الاثني عشرية العقليّة المعتمدة على قاعدة اللطف المعتزلية، والتي تؤكّد الحاجة إلى إمام معصوم، وأنّ الأمّة دونه لا إيمان لها ولا أمان؛ هذه الحجج هي أيضًا

---

(١) الذهبي: المنتقى (مختصر منهاج السنة)، (ص ٤١٠).

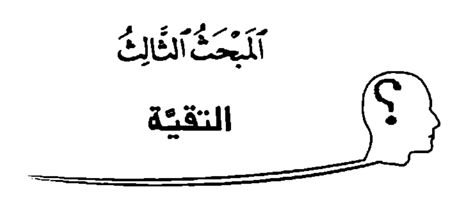
(٢) ابن عبد البرّ: التّمهيد (٢٦٤/٤). (٣) انظر: ابن تيمية: الفتاوى (٦٦/١٩).

تؤدّي في النّهاية إلى إبطال عصمة الأئمّة عندهم؛ لأنّ وجود أئمّتهم لم يحقّق مقاصد الإمامة التي يتحدّثون عنها، فلم يقيموا دولة العدل التي حلموا بها.

والواقع أنّه يكفي من ذلك انتهاء ظهور الإمام عندهم منذ سنة (٢٦٠هـ) - كما تقوله الاثنا عشريّة - فإنّ هذا الغائب الموعود أو المعدوم لم ينتفع به في دين ولا دنيا. وهذه ثلمة لا تسد، وفتق لا يرتق في المذهب الاثني عشري، لا يبقي ولا يذر لحججهم وزنًا ولا أثرًا"[١].

* * *

(١) انظر: د. القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٢٩٩/٢).



التقية: إظهار خلاف ما في الباطن [(١)]. وأكثر العرب ينطقون التقيّة « تقاة »، كما جاء هذا اللفظ في القرآن: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وإن كان نطقها تقيّة صوابًا كما قال الفراء [(٢)].

والتقية في الإسلام غالبًا إنما هي مع الكفار، قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨]. قال ابن جرير الطبري: « التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم » [(٣)].

فالتقية من منظور أهل السنة سلوك عملي، ورخصة مرتبطة بالضرورة والاضطرار، وليس عقيدة دائمة، ولا عزيمة مؤكّدة.

وجاء هذا التفسير لمفهوم التقية عند الشيعة في قول المفيد: « التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدين أو الدنيا » [(٤)].

وقد التزم كتّاب الشيعة المعاصرين في تعريفهم للتقية بما يوضح أنها ضرورة، وليست عزيمة دينية، فالتقية: « أن تقول أو تفعل غير ما تعتقد لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك، أو لتحتفظ بكرامتك... بقدر ما تصون به نفسك وتدفع الأذى عنك؛ لأن الضرورة تقدّر بقدرها » [(٥)].

ويرى مغنية أن التقية انتفت الآن فيقول مخاطبًا من أنكر على الشيعة القول بالتقية:

---

(١) انظر: النهاية لابن الأثير (١/١٩٣).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (ص ٢٠٥)، تفسير الطبري (٦/٣١٧)، انظر د. القفاري: أصول مذهب الشيعة (٢/٣٠٩).

(٣) تفسير الطبري (٦/٣١٦) (تحقيق شاكر)..

(٤) شرح عقائد الصدوق (ص ٢٦١) (ملحق بكتاب أوائل المقالات).

(٥) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٤٨، ٤٩).

« لعن الله من أحوجنا إليها، اذهب الآن أنّى شئت من بلاد الشيعة فلا تجد للتقية عندهم عينًا ولا أثرًا » (١).

وهناك روايات شيعية تدور حول معنى الاضطرار في التقية، وتوافق أهل السنة، ومن هذه الروايات:

عن زرارة عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: « التقيّة في كلّ ضرورةٍ، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به » (٢).

عن محمّد بن مسلمٍ عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: « إنّما جعلت التّقيّة ليحقن بها الدّم، فإذا بلغ الدّم فليس تقيّةٌ » (٣). أي لو استوجبت التقية الولوغ في دم حرام؛ كما لو أمره سلطان جائر أن يقتل إنسانًا محرّم القتل فلا يجوز له أن يمتثل أمره، ولو أدى عصيانه إلى أن يقتله السلطان. وهذه الرواية تنسجم مع ما ذكره أهل السنة في مسألة الإكراه؛ إذ قالوا: لا عبرة للإكراه في القتل والزنى. فلا يجوز للمكره عليهما أن يفعلهما ولو كانت النتيجة أن يقتل (٤).

ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام، قال معاذ بن جبل رضي الله عنه وتابعه مجاهد: « كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أن يتقوا من عدوهم » (٥).

وأجمع أهل السنة على أن التقية رخصة في حال الضرورة، قال ابن المنذر: « أجمعوا على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، أنه لا يحكم عليه بالكفر » (٦).

ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام فهو أفضل، فالعلماء « أجمعوا على أن من أكره

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٥٢).

(٢) أصول الكافي (٢/٢٢٢) كتاب الإيمان والكفر باب التقية قال محققه: والحديث حسن كالصحيح.

(٣) أصول الكافي (٢/٢٢٣) كتاب الإيمان والكفر باب التقية قال محققه: والحديث صحيح.

(٤) قال العز بن عبد السلام: « لا يتصور الإكراه على كفر القلب واكتسابه، ولا يحل بالإكراه زنًا ولا قتل ولا لواط ». القواعد الصغرى (فوائد في اختصار المقاصد)، (ص ١١٣)، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - دمشق الطبعة الأولى (١٤١٦هـ)، تحقيق: إياد خالد الطباع.

(٥) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٤/٥٧)، وانظر: تفسير البغوي (ص ٢٩٢)، دار المعرفة - بيروت، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، الشوكاني: فتح القدير (١/٣٣١).

(٦) فتح الباري (١٢/٣١٤).

على الكفر واختار القتل أنه أعظم أجرًا عند الله » [١].

إن الأصل في المسلم الصراحة والصدق والوضوح، وليس المخاتلة والنفاق والكذب، ولذلك أجمعت روايات أهل السنة و الشيعة على ذم صاحب اللسانين: « قال الله تبارك وتعالى لعيسى ابن مريم عليه السلام: يا عيسى ليكن لسانك في السر والعلانية لسانًا واحدًا وكذلك قلبك، إني أحذّرك نفسك وكفى بي خبيرًا، لا يصلح لسانان في فم واحد ولا سيفان في غمد واحد ولا قلبان في صدر واحد؛ وكذلك الأذهان ». ورووا عن النبي ﷺ: « **من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار** » ورووا عن أبي جعفر عليه السلام قال: « بئس العبد عبدًا يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهدًا ويأكله غائبًا، إن أعطي حسده وإن ابتلي خذله » [٢].

كما أن التقية في دين الإسلام دين الجهاد والدعوة؛ لا يمكن أن تمثل نهجًا عامًا في سلوك المسلم، ولا سمة من سمات المجتمع الإسلامي، بل هي - غالبًا - حالة فردية مؤقتة، مقرونة بالاضطرار، مرتبطة بالعجز، وتزول بزوال حالة الإكراه.

ولقد كان للتقية في التاريخ دور عملي يتجلى في خلاص الشيعة وغيرهم من العذاب الذي يقع عليهم من السلطات الحاكمة التي كانت تتوجس الشر من التشيع وتراه عدوًا سياسيًا يقضّ مضاجعها، إذ كان التشيع كما - بينا في تمهيد البحث - أرضًا خصبة لمعظم الثورات السياسية على الخلفاء بدءًا من ثورة الحسين رضي الله عنه... فكانت التقية درعًا واقية للشيعة من أعدائهم ووسيلة للتعامل بين الشيعة ومخالفيهم.

وهنا أحب أن أسجّل ملاحظتين مهمّتين حول اضطهاد الشيعة في التاريخ:

الأولى: ينبغي أن نتنبه إلى أن هذا العذاب والاضطهاد الذي مارسته السلطات الحاكمة لم يكن خاصًا بالشيعة وحدهم، بل كان عامًا في كل من خالف السلطان، وهذا شأن السلطة غالبًا في كل زمان ومكان، فقد اكتوى الزيدية بنار السلطة التي قتلت أئمتهم، ومع ذلك لم تشتهر عندهم التقية كما اشتهرت لدى الاثني عشرية، وكذلك اكتوى علماء وأئمة أهل السنة بنار السلطة، والتاريخ يذكر لنا مقتل سعيد بن جبير على يد الحجاج، وتعذيب الحكّام لعلماء أهل السنة كمالك وأحمد بن حنبل، وغيرهم كثير،

---

(١) فتح الباري (٣١٧/١٢).

(٢) أصول الكافي (٣٣٠/٢) كتاب الإيمان والكفر باب ذي اللسانين، ولم يصحح المحقق أي حديث منها، ورمى الأول بالضعف والثاني بالجهالة.

ومع ذلك أصر هؤلاء العلماء على الحق حتى نصروه ونشروه، ولم يلجأوا إلى التقية كما لجأ الاثنا عشرية.

الثانية: غلب على كتب التاريخ الشيعي التهويل والمبالغة في شأن الاضطهاد، فليس كل ما أورده الشيعة في كتبهم حول هذا الاضطهاد مسلّمًا به [(١)]، ولذلك فيجب التحقق التاريخي من كل حدث على حدة من المصادر التاريخية الموثوقة.

وعلى كلٍّ يؤكد كتّاب الشيعة على هذا الجانب العملي من التقية، مستدلين بما ورد في الشرع من نصوص تدل على ضرورتها في المحن والشدائد كقوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ ﴾ [آل عمران: ٢٨]. ولكن هل اقتصرت التقية في تاريخ الشيعة عند حد الضرورة والرخصة؟

التقية أساس من أسس مذهب الاثني عشرية:

إن مصادر الشيعة الاثني عشرية تؤكد أن التقية ليست مجرد رخصة، بل هي ركن من أركان الدين كالصلاة أو أعظم، وهي تعتمد على مئات الروايات التي تؤكد على عزيمة التقية وفرضيتها واستمرارها.

فقد نقلوا عن الصادق: « لو قلت أن تارك التقية كتارك الصلاة، لكنت صادقًا » [(٢)].

---

(١) وعلى سبيل المثال: تؤكد كتب الشيعة أن الأئمة بدءًا من الحسن بن علي إلى الإمام الحادي عشر جميعًا ماتوا قتلًا على أيدي الخلفاء الأمويين والعباسيين. فيقول الصدوق: الاعتقادات في دين الإمامية (ص ٧٢، ٧٣): « وعلي بن الحسين السيد زين العابدين عليه السلام سمه الوليد بن عبد الملك لعنه الله فقتله. والباقر بن علي عليه السلام سمه إبراهيم بن الوليد لعنه الله. والصادق عليه السلام سمه أبو جعفر المنصور الدوانقي لعنه الله فقتله [!!]. وموسى ابن جعفر عليه السلام سمّه هارون الرشيد لعنه الله فقتله [!!]. والرضا علي بن موسى عليه السلام فقتله المأمون لعنه الله بالسم [!!]. وأبو جعفر محمد بن علي عليه السلام قتله المعتصم لعنه الله بالسم [!!]. وعلي بن محمد عليه السلام قتله المتوكل لعنه الله بالسم [!!]. والحسن بن علي العسكري عليه السلام قتله المعتمد لعنه الله بالسم، وبقي الإمام المنتظر الغائب ». وهذه المزاعم يكذبها حسن تعامل الخلفاء مع الأئمة في كثير من الأحيان، انظر: ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة (٦٨٣/٢)، محمد زكريا النداف: المودة والمحبة بين الصحب والآل (ص ٦٥ - ٦٧) دار المعراج - دمشق، (ط١)، (٢٠٠٩م).

(٢) ابن إدريس: السرائر (ص ٤٧٩)، ابن بابويه: من لا يحضره الفقيه (٨٠/٢)، جامع الأخبار (ص ١١٠)، الحر العاملي: وسائل الشيعة (٩٤/٧)، بحار الأنوار (٤١٢/٧٥ - ٤١٤).

وقال الشيخ الصدوق: « اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة » (١).

وإذا كانت التقوى مناط التكريم عند الله تعالى بنص القرآن الكريم؛ فتأتي رواية شيعية لتقول: « إن أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية قبل خروج قائمنا » (٢).

وهكذا فإن الشيعة انتقلوا من التقية بوصفها ضرورة شرعية إلى التقية بوصفها واجبًا شرعيًا، فيمتدح فاعلها ولو من غير ضرورة، حتى جعلتها بعض روايات الشيعة تسعة أعشار الدين؟!!

وصرح علماؤهم بوجوبها حتى يخرج القائم آخر الزمان، قال شيخ الطائفة الصدوق: « التقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم عليه السلام، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى وعن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة عليهم السلام » (٣).

فليست التقية إذن مجرد ضرورة في روايات الشيعة، كما أراد الشيخ مغنية وغيره من المعاصرين أن يقنعونا، بل إنها تعد طبيعة ذاتية في بنية المذهب.

ورووا عن جعفر الصادق أنه قال: « إنكم على دينٍ من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله » (٤). وقوله: « أبى الله عز وجل لنا ولكم في دينه إلا التقية » (٥).

وهناك روايات كثيرة تعظم من أمر التقية وترفعها من مرتبة الضرورة إلى قمة التدين:

عن هشام بن سالم وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [القصص: ٥٤] قال: بما صبروا على التقيّة، ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ.. ﴾ [القصص: ٥٤] قال: الحسنة التقيّة، والسّيّئة الإذاعة (٦).

وجاءت رواية لتسلب الإيمان ممن لا يعمل بالتقية، وأخرى تجعل تاركها آثمًا:

عن معمّر بن خلادٍ قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن القيام للولاة؟ فقال: قال

---

(١) الاعتقادات (ص ١١٤).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار (٣٢١/٢٥)، علي النمازي: مستدرك سفينة البحار (٣٢١/٥) طبع جماعة المدرسين – قم (١٤١٩هـ).

(٣) الاعتقادات (ص ١١٤، ١١٥).

(٤) أصول الكافي (٢٢٢/١).

(٥) أصول الكافي (٢١٨/٢).

(٦) أصول الكافي (٢٢٠/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب التقية. قال محققه: والحديث حسن كالصحيح.

أبو جعفر عليه السلام: « التّقيّة من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقيّة له » (١).

وعن أبي عبيدة عن أبي جعفر عليه السلام قال قال لي: « يا زياد! ما تقول لو أفتينا رجلًا ممّن يتولانا بشيءٍ من التّقيّة؟ قال قلت له: أنت أعلم، جعلت فداك. قال: إن أخذ به فهو خيرٌ له وأعظم أجرًا ».

وفي روايةٍ أخرى: « إن أخذ به أوجر، وإن تركه - والله - أثم » (٢).

وقد كان الأئمة يمارسون التقية في حياتهم:

عن موسى بن أشيم قال: « كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجلٌ عن آيةٍ من كتاب الله عز وجل فأخبره بها، ثمّ دخل عليه داخلٌ فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر به الأوّل، فدخلني من ذلك ما شاء الله حتّى كأنّ قلبي يشرح بالسّكاكين، فقلت في نفسي: تركت أبا قتادة بالشّام لا يخطئ في الواو وشبهه وجئت إلى هذا يخطئ هذا الخطأ كلّه! فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبيّ، فسكنت نفسي فعلمت أنّ ذلك منه تقيّةٌ قال: ثمّ التفت إليّ فقال لي: يا ابن أشيم إنّ الله عز وجل فوّض إلى سليمان بن داود فقال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [ص: ٣٩] وفوّض إلى نبيّه ﷺ فقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧] فما فوّض إلى رسول الله ﷺ فقد فوّضه إلينا » (٣).

فقد روى الكليني أن « رجلًا من المنافقين، مات فخرج الحسين بن علي صلوات الله عليهما يمشي معه، فلقيه أحد شيعته فقال له الحسين رضي الله عنه: أين تذهب يا فلان؟ قال: فقال له مولاه: أفرّ من جنازة هذا المنافق أن أصلّي عليها، فقال له الحسين عليه السلام: انظر أن تقوم على يميني فما تسمعني أقول فقل مثله، فلما أن كبّرعليه وليه قال الحسين عليه السلام: الله أكبر، اللّهم العن فلانًا عبدك ألف لعنة مؤتلفة غير مختلفة، اللّهم أخز عبدك في عبادك وبلادك، وأصله حرّ نارك وأذقه أشد عذابك، فإنه كان يتولى أعداءك ويعادي أولياءك، ويبغض أهل بيت نبيك ﷺ » (٤). والحسين الشهيد الأبي الثائر على الظلم أعلى شأنًا من أن يحتاج إلى هذه التقية في صلاة جنازة، وهو الذي رفض بيعة يزيد، ووقف في

---

(١) أصول الكافي (٢٢٢/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب التقية، قال محققه: والحديث صحيح.

(٢) أصول الكافي (٢٢٢/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب التقية.

(٣) أصول الكافي (٣٢١/١) كتاب الحجة، باب التّفويض إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمّة عليهم السلام في أمر الدّين.

(٤) الكليني: الكافي (١٨٩/٣). باب الصلاة على الناصب، الطوسي: تهذيب الأحكام (١٩٧/٣).

وجه الحكم الأموي، دون خوف، ودفع في سبيل ذلك دمه ودم أبنائه وأحبابه ولم يتراجع، فما حاجته للتقية!

ومن التقية أن الإمام كان يذم بعض خلّص أتباعه، عن نصرِ الخثعميّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: « من عرف أنّا لا نقول إلا حقًّا فليكتف بما يعلم منّا، فإن سمع منّا خلاف ما يعلم فليعلم أنّ ذلك دفاعٌ منّا عنه » (١).

وبهذا يفسر الشيعة ذم جعفر لزرارة بن أعين، كما ورد عنه في أعيان الشيعة: « إنما أعيبك دفاعًا عنك، فإن الناس والعدو يسارعون إلى كل من قربناه وحمدنا أمره بإدخال الأذى عليه وقتله، ويحمدون كل من عبناه، ويكون ذلك دفع الشر عنه، وكان العيب كعيب السفينة » (٢).

ولكن هذه التقية توقع الباحثين في لبس شديد، وحيرة في مواقف الأئمة من بعض من حُسبوا عليهم؛ فقد لعن جعفر أناسًا آخرين كأبي الخطاب، فهل كان هذا اللعن تقية؟ وقد أعلن أبو الخطاب ما أعلن من هرطقات وكذب على لسان الأئمة؟

إن هذه الرواية التي تبرر نيل الأئمة من بعض أتباعهم هي التي وصلت بأحد الباحثين إلى أن يسوي بين أبي الخطاب الكذّاب الأفّاك - حسب كثير من روايات الاثني عشرية - وزرارة أحد أشهر رواة الشيعة!

قال د. علي سامي النشار: « أما تبرؤ جعفر منه - عني أبا الخطاب - فقد كانت هذه خطة جعفر الصادق؛ وهي إعلان التبري من بعض رجاله المخلصين حتى لا يضاروا أو يضار جعفر نفسه، وقد فعل هذا مع زرارة بن أعين كما رأينا من قبل » (٣).

وقد كان الأئمة كما تزعم الرواية يستخدمون التقية في شتم الشيخين:

« قيل للصادق عليه السلام: ما تقول في العمرين؟ فقال: إمامان عادلان قاسطان، كانا على الحق فرحمة الله عليهما، فلما خفّ المجلس سئل عن التأويل فقال: ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَيِمَّةً

(١) أصول الكافي: كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث (١/١١٩)، وهذا يدل على أن الكليني فهم أن من أسباب اختلاف الحديث بين الشيعة: التقية.

(٢) العاملي: أعيان الشيعة (٣٢/١٧٠ - ٢٢٢). وعيب السفينة: إشارة إلى ما فعله الخضر عليه السلام بسفينة المساكين الذين كانوا يعملون في البحر، قال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩].

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (ص ٢٣٧).

يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ.. ﴾ [القصص: ٤١]، ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن: ١٥]، وعدلا عن الحق وهو علي، فالرحمة وهو النبي ﷺ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] »[١].

وتنقل الروايات أن الأئمة كانوا يمارسون التقية مع أتباعهم:

عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه قال: كنت عند أبي جعفرٍ الثّاني عليه السلام إذ دخل عليه صالح بن محمّد بن سهلٍ، وكان يتولّى له الوقف، بقمّ فقال: يا سيّدي! اجعلني من عشرة آلافٍ في حلٍّ فإنّي أنفقتها. فقال له: أنت في حلٍّ، فلمّا خرج صالحٌ قال أبو جعفرٍ عليه السلام: أحدهم يثب على أموال حقّ آل محمّدٍ وأيتامهم ومساكينهم وفقرائهم وأبناء سبيلهم فيأخذه، ثمّ يجيء فيقول: اجعلني في حلٍّ! أتراه ظنّ أنّي أقول: لا أفعل؟! واللّه! ليسألنّهم اللّه يوم القيامة عن ذلك سؤالًا حثيثًا [٢].

إن هذه الروايات وأمثالها توضح أن التقية لم تكن مجرد حالة اضطرار، بل تؤكد على الإصرار على التقية.

ونحن لا نصدق هذه الروايات على كثرتها؛ لأنها تنتقص من قدر آل بيت النبي ﷺ، « وقد نزه اللّه المؤمنين من أهل البيت وغيرهم عن ذلك، بل كانوا من أعظم الناس صدقًا وتحقيقًا للإيمان، وكان دينهم التقوى لا التقية » [٣].

ولذلك ورد في إحدى الروايات ذم التوسع في التقية، واستخدامها في غير موضعها: فقد جفا الإمام الرضا جماعة من الشيعة وحجبهم فقالوا: يا ابن رسول اللّه ﷺ ما هذا الجفاء العظيم والاستخفاف بعد الحجاب الصعب؟ قال: لدعواكم أنكم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأنتم في أكثر أعمالكم مخالفون، ومقصرون في كثير من الفرائض، وتتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في اللّه، وتتقون حيث لا تجب التقية، وتتركون التقية حيث لا بد من التقية » [٤].

الأسباب الحقيقية للتقية الاثني عشرية:

ومن لا يرى للتقية سببًا إلا الاضطهاد سيستشكل تلك الروايات المؤكدة لاستمرار

---

(١) علي بن يونس العاملي: الصراط المستقيم في مستحقي التقديم (٧٣/٣).

(٢) أصول الكافي (٦٢٨/١) كتاب الحجة باب صلة الإمام.

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٤٧/٢).

(٤) الحر العاملي: وسائل الشيعة (٤٧٠/١١).

التقية، ولكن الحق يقول أن التقية ستستمر في فكر الشيعة؛ لأن لها أسبابًا أخرى مستمرة في فكر الشيعة، وهي أسباب فكرية لا علاقة لها بالاضطهاد:

السبب الأول: التناقض بين المذهب وأفعال الأئمة:

إن بداية التقية تأتي من التناقض الذي شعر به الشيعة بين ما يعتقدونه من غلو في حق الأئمة، وما يصرح به الأئمة أو يفعلونه مخالفًا لعقيدة الغلو، فالشيعة اعتقدوا أحقية علي ﷺ بالخلافة، وأنه قد نص عليه النبي ﷺ أمام الصحابة الكرام في حديث الغدير، وزعموا أن الصحابة قد تنكروا للنص النبوي. وبعد استقرار هذه العقائد والأفكار يفاجأ الشيعة بوقائع تخالف هذه العقائد، فيرون حسن تعامل علي ﷺ مع الخلفاء الثلاثة، وجهاده معهم ومناصرتهم! مثل هذه الوقائع تضع الشيعة في حيرة وارتباك، فكيف يعتقدون أولوية علي ﷺ بالخلافة، وينظرون إلى أولئك الخلفاء نظرتهم إلى الغاصبين للحقوق، ثم بعد ذلك يرون أمير المؤمنين الشرعي يبايعهم ويمشي في ركابهم. لا مخرج من هذا التناقض إلا أن يقول الشيعة أنه اتخذ التقية في عهد الشيخين.

وهذا مرفوض قطعًا، ما كان فارس الإسلام العظيم علي بن أبي طالب ﷺ يأبى الذل ويتقي في العقيدة [1].

السبب الثاني: التناقض بين المذهب بعد استقراره وبعض أقوال الأئمة وآرائهم:

لقد صارت التقية مشجبًا يلقون عليه كل نص لم يعرفوا تأويله أو عسر عليهم الجمع بينه وبين باقي النصوص الواردة على آل البيت، فحكموا أن هذا النص من باب التقية.

ففي النكاح جاءت عندهم روايات في تحريم المتعة، ففي كتبهم عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: « حرّم رسول الله ﷺ يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة » [2]. فقال الحر العاملي: « حمله الشيخ – أي الطوسي – وغيره على التقية يعني في الرواية؛ لأن إباحة المتعة من ضروريات مذهب الإمامية » [3].

وأنكر الشيعة التعصيب في الميراث، مع أن أحد رواته ابن عباس، وهو من آل بيت النبوّة! كما ذكر الحلي في شرائع الإسلام [4]، ولكنهم ردوا قول ابن عباس رضي الله عنهما:

---

(١) انظر: د. علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (ص ٢٢٣).

(٢) انظر: الطوسي: تهذيب الأحكام (٢/١٨٤)، الاستبصار (٣/١٣٢)، الحر العاملي: وسائل الشيعة (٧/٤٤١).

(٣) وسائل الشيعة (٧/٤٤١).

(٤) شرائع الإسلام للحلي (٢/١٨٠).

« ما أبقت الفرائض فلأولى عصبة ذكر » بأسلوب عجيب: « قال سفيان: أراه من قبل ابنه [ابن خادم ابن عباس] عبد الله بن طاوس، فإنه كان على خاتم سليمان بن عبد الملك »[1]. فقالوا إنه صور للناس صورة ابن عباس فتكلم بالتعصيب!!. ولكن جاء في رواية عن الأئمة ما يثبت التعصيب، كقولهم: كتب رجل إلى أبي جعفر يسأله عن رجل مات.. وقد مات مولاه مثله، وللمولى ابن وبنات فسأله عن ميراث المولى فقال:هو للرجال دون النساء ». فلم يجدوا مناصًا من التقية لإنكار هذا النص، فقال الحر العاملي: « وقد عرفت أنه محمول على التقية »[2].

السبب الثالث: الحفاظ على ضروريات المذهب بمخالفة العامة (أهل السنة):

تروي مصادر الشيعة عن علي ﷺ (أنه غسل رجليه في الوضوء، ولكن الشيعة لا يأخذون بهذا الحديث الذي ورد في كتاب من أشهر كتبهم الأربعة: في الاستبصار عن زيد بن علي عن جده علي بن أبي طالب قال: « جلست أتوضأ، فأقبل رسول الله ﷺ حين ابتدأت الوضوء، إلى أن قال، وغسلت قدمي، فقال لي: يا علي خلل بين الأصابع لا تخلل بالنار »[3].

ولكن الطوسي بعد أن أورد الخبر قال: « هذا خبر موافق للعامة (يعني أهل السنة) وقد ورد مورد التقية؛ لأن المعلوم الذي لا يتخالج منه الشك من مذاهب أئمتنا عليهم السلام القول بالمسح على الرجلين. ثم قال: إن رواة هذا الخبر كلهم عامة، ورجال الزيدية، وما يختصون به لا يعمل به »[4].

ألا يمكن الجمع بين الخبرين بالقول بجواز غسل الرجلين - على أقل تقدير - أليس هذا خيرًا من طرح الرواية لمجرد موافقتها للعامة أو لأن رواتها من غير الاثني عشرية؟

ولكن رمي الخبر على التقية هو الذي يتماشى مع مبدئهم بوجوب مخالفة الأمة وقولهم: « دعوا ما وافق القوم فإن الرشد في خلافهم »[5]. و « إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فخذوا بما يخالف القوم »[6].

وصدق من قال: (خالف تعرف).

---

(١) تهذيب الأحكام للطوسي (٢٦٢/٩). (٢) شرائع الإسلام للحلي (١٨٠/٢).

(٣، ٤) الاستبصار (٦٥/١، ٦٦).

(٥) الكليني: أصول الكافي، خطبة الكتاب، وسائل الشيعة (٨٠/٨).

(٦) وسائل الشيعة (٨٥/١٨)، وانظر: د. القفاري: أصول مذهب الشيعة (٤٤١/١).

السبب الرابع: عقيدة عصمة الأئمة:

اعتقد الاثنا عشرية بعصمة الأئمة، عن السهو الخطأ والنسيان، وهذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من تاريخهم وأحوالهم واختلافهم في الآراء الفقهية والمواقف السياسية، ولذلك فالروايات المنسوبة للأئمة مختلفة متناقضة جدًّا، فلا يوجد خبر من أخبارهم إلا وبإزائه ما يناقضه، كما اعترف بذلك شيخهم الطوسي، وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله. فهروبًا من تدمير فكرة العصمة قالوا بالتقية لتبرير هذا التناقض والاختلاف.

روى صاحب الكافي عن منصور بن حازم قال: « **قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر؟** فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان » (١).

وقد سبب هذا التضارب بين أقوال الأئمة ارتداد بعض المتشيعين عن التشيع: كما حدث مع سليمان بن جرير صاحب محمد الباقر؛ حيث قال مفسرًا لظاهرة التقية - كما ذكر النوبختي الشيعي -: « **لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم في الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف أبواب الدين، فأجابوا عنها، فحفظ عنهم شيعتهم جواب ما سألوه وكتبوه ودونوه، ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة لتقادم العهد وتفاوت الأوقات؛ لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد بل في سنين متباعدة وأشهر متباينة وأوقات متفرقة، فوقع في أيديهم في المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة متضادة، فلما وقفوا على ذلك منهم ردوا إليهم هذا الاختلاف والتخليط في جواباتهم وسألوهم عنه وأنكروا عليهم فقالوا: من أين هذا الاختلاف؟ وكيف جاز ذلك؟ قالت لهم أئمتهم: إنما أجبنا بهذا للتقية** » (٢). ونحن نبرّئ هؤلاء الأئمة من الكذب، ونرى أن الذين ادعوا التقية في هذه النصوص هم هؤلاء الأتباع أنفسهم ليخلّصوا أنفسهم من ورطة التناقض في الروايات، من غير أن تمسّ فكرة العصمة بسوء.

ولو أن هؤلاء الأتباع علموا أن الأئمة بشر يخطئون ويصيبون، ويغيّرون في آرائهم ويبدّلون، لما احتاجوا إلى التقية، ولعلموا أن الحياة ميدان تجارب، فقد يستصوب الإنسان اليوم ما خطّأه في أمسه، وقد تتغير الفتوى بتغير ظروفها، وكم رأينا من علماء المسلمين من رجع عن كثير من آرائه، فالإمام الشافعي غيّر كثيرًا من اجتهاداته الفقهية بانتقاله من

(١) أصول الكافي (١/٦٥). (٢) فرق الشيعة (ص ٥٦).

العراق إلى مصر، وكثيرًا ما ينقل عن الإمام أحمد بن حنبل روايات متعارضة في مسألة واحدة، وما احتاج علماء أهل السنة إلى تعليق تلك الآراء والروايات المتعارضة على مشجب التقية.

وقد أدرك بعض علماء الشيعة المعاصرين المبالغة في أمر التقية؛ ولذلك علت صيحاتهم تدعو إلى الاقتصاد في التقية ومحاولة ضبطها، يقول الخميني: « فلا ينبغي التمسك بالتقية في كل صغيرة وكبيرة.... أما إذا كان الإسلام كله في خطر فليس في ذلك متسع للتقية والسكوت، ماذا ترون لو أجبروا فقيهًا على أن يشرع ويبتدع؟ فهل ترون أنه يجوز له ذلك تمسكًا بقوله ﷺ: « التقية ديني ودين آبائي »؟! » [1].

ولكنه يشجع التقية من أجل تغلغل الشيعة في أنظمة حكم أعدائهم، فيقول: « وطبيعي أن يسمح الإسلام بالدخول في أجهزة الجائرين إذا كان الهدف الحقيقي من وراء ذلك هو الحد من المظالم » [2]. « مثل دخول علي بن يقطين [3]، ونصير الدين الطوسي [4] رحمهما الله » [5] في الحياة السياسية.

إن عقيدة التقية حاجز منيع يجب إزالته قبل أي محاولة للتقريب بين المذاهب الإسلامية، فلن يستقيم أي حوار أو نقاش أو تقريب ما دامت التقية دينًا؛ ولذلك نهيب بإخواننا الشيعة أن يتخلوا عن هذه التقية بجعلها أمرًا من الأمور الضرورية التي لجأت إليها هذه الطائفة، وشجع الناس عليها لملابسات كثيرة، فلما زالت هذه الملابسات كان من الواجب الرجوع إلى ما كان عليه المسلم من صراحة ووضوح، قال تعالى: ﴿ قُلْ

---

(١) الحكومة الإسلامية (ص ١٤٢).   (٢) الحكومة الإسلامية (ص ١٤٣).

(٣) كان وزيرًا للرشيد، ذكره الجزائري في الأنوار النعمانية (٣٠٨/٣). وقد هدم على مخالفي الشيعة سجنهم. انظر حول ذلك: الأنوار النعمانية (٣٠٨/٢)، العاملي: الانتصار (١٢٥/٩)، عبد الله عبد الله الموصلي: حقيقة الشيعة (ص ٢٢).

(٤) ذكر التاريخ أن نصير الدين الطوسي صاحب الباع الطويل في الفلسفة « كان يعمل الوزارة لهولاكو، واحتوى على عقله حتى أنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره به » الكتبي: فوات الوفيات (٢٥٠/٣)، وقد لعب دورًا مهمًا في « سقوط بغداد » حيث كان مرافقًا لهولاكو في زحفه إلى بغداد وهو الذي شجع هولاكو على غزوها، قال نظمي زاده مرتضى أفندي عن هولاكو: « وبتشويق من نصير الطوسي اتجه نحو بغداد ». كلشن خلفا (ص ١٢٧) ترجمة موسى كاظم نورس النجف (١٩٧١م).

فأي تقية في هذا؟!، وقد أضاع البلد هو وابن العلقمي - الشيعي - وزير الخليفة. انظر: د. محمد جاسم حمادي المشهداني: في محكمة التاريخ: ابن العلقمي والطوسي. دار القلم - دمشق (ط١)، (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

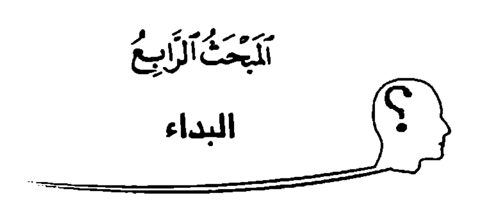
(٥) الحكومة الإسلامية (ص ١٤٢).

هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة تقتضي الوضوح والصدق في المواقف.

وقد حاول السيد الخوئي من المعاصرين أن يظهر للتقية معنًى إيجابيًا، وهو معنى مداراة أهل السنة في الأمور الخلافية، فهو يجعل التقية مستمرة دائمة، من غير أن تستعدي على الشيعة مخالفيهم، فيقول: «.. والصحيح عدم اختصاص التقية بوقت دون وقت... وإنما الحكمة في تشريعها هي المداراة وتوحيد الكلمة وإبراز الميزة بينهم وبين العامة، وعليه فهي تأتي في أمثال زماننا أيضًا، فيستحب حضور مساجدهم والصلاة معهم » [1]. ويا مرحبًا بهذا المعنى لو كان هو الوحيد من معاني التقية.

* * *

(١) السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ): كتاب الطهارة (٣١٨/٤، ٣١٩)، دار الهادي (١٤١٠هـ).



المَبْحَثُ الرَّابِعُ

البداء

البداء في اللغة يدور حول معنى الظهور. قال ابن منظور: « بدا الشيء يبدو بدوًا وبدوًّا وبداءً.... ظهر، وأبديته أنا أظهرته، وبداوة الأمر أول ما يبدو منه... وبادي الرأي ظاهره، ويقال: بدا لي بداء أي ظهر لي.... والبداء استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم... وقال الفراء: بدا لي بداء أي ظهر لي رأي آخر.... قال الجوهري: وبدا له في الأمر بداء، ممدودة، أي نشأ له فيه رأي » (١).

وفي معنى الظهور مطلقًا ورد قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

أما معنى استصواب الرأي فمنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْأَيَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يوسف: ٣٥].

وواضح أن البداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم، وكلاهما محال على الله سبحانه. ونسبته إلى الله سبحانه من أعظم الكفر.

وهذا المعنى المنكر يوجد في كتب اليهود، فقد جاءت نصوص صريحة في التوراة التي حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم، تتضمن نسبة البداء إلى الله – سبحانه – ففي العهد القديم: « ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كُلَّ تصوُّرِ أفكار قلبه إنما هو شريرٌ كلَّ يوم، فحزن أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسَّف في قلبه، فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته.. » (٢).

ويتفق السنة والشيعة على أن البداء في معناه اللغوي: (استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم) لا يصح إطلاقه في حق الله تعالى، قال ابن منظور: « وفي حديث الأقرع

---

(١) لسان العرب (١٤/٦٦)، مادة (ب د ا).

(٢) سفر التكوين (٦/٥ – ٧). وانظر تكرار هذا المعنى الباطل في: سفر الخروج (٣٢/١٢، ١٤)، وسفر قضاة (٢/١٨)، وسفر صموئيل الأول (١٥/١٠ – ٣٤)، وسفر صموئيل الثاني (٢٤/١٦)، وسفر أخبار الأيام الأول (٢١/١)، وسفر إرميا (٤٢/١٠)، وسفر عاموس (٧/٣)، وسفر يونان (٣/١٠) وغيرها.

والأبرص والأعمى [١]: (بدا لله ﷻ أن يبتليهم) أي: قضى بذلك، قال ابن الأثير: وهو معنى البداء ههنا، لأن القضاء سابق، والبداء استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم، وذلك على الله غير جائز » [٢].

يقول ابن المظفر: « والبداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى؛ لأنه من الجهل والنقص، وذلك محال عليه تعالى، ولا تقول به الإمامية » [٣].

قال الإمام جعفر الصادق: « من زعم أن الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم » [٤].

وقال: « إنّ الله لم يبد له من جهلٍ » [٥].

وسئل أيضًا: « هل يكون اليوم شيءٌ لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى قبل أن يخلق الخلق » [٦]. وقال: « ما بدا لله في شيءٍ إلا كان في علمه قبل أن يبدو له » [٧].

وهذه النصوص تبين لنا أن الشيعة ينزهون الله تعالى عن القول بالبداء الذي هو العلم بعد جهل، أو استصواب أمر بعد أن لم يكن يعلم، ولكن مع ذلك أوردوا روايات عن الأئمة تجعل الاعتقاد بالبداء من أفضل الاعتقادات والعبادات، حتى قال أئمتهم: « ما عُبِدَ الله بشيءٍ مثل البداء ». وفي رواية عن أبي عبد الله عليه السلام: « ما عظّم الله بمثل البداء » [٨].

كيف تسلل البداء إلى فكر الشيعة؟

إذا كان المعنى العام للبداء مرفوضًا باتفاق الشيعة وأهل السنة؛ فلماذا يصرّ الاثنا عشرية على جعل البداء - مهما كان تفسيره محتملًا للقبول - من مسائل الدين، وعدّ تعظيمه من تعظيم الدين؟

---

(١) الحديث أخرجه أهل السنة، فقد أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٢٧٧)، عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: « إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا... » وأخرجه مسلم، في أوائل كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٦٤).

(٢) لسان العرب (٦/١٤، ٦) مادة (ب د ا).

(٣) المظفر: عقائد الإمامية (ص ٦٩). محمد صالح المازندراني: شرح أصول الكافي (٢٣٢/٤).

(٤) محمد صالح المازندراني شرح أصول الكافي (٨٩/٦).

(٥ - ٧) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب البداء (١٩٨/١).

(٨) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب البداء (١٩٧/١).

وخصوصًا أن الذي بدأ بذكر هذا (البداء) من فرق الشيعة ليس الاثني عشرية، بل المختارية؛ إذ يذكر أصحاب المقالات أن السبب الذي جوّزت لأجله المختارية البداء على اللّٰه تعالى هو: أن مصعب بن الزبير أرسل جيشًا قويًا لقتال المختار وأتباعه، فبعث المختار إلى قتالهم أحمد بن شميط - أحد قادته، (قتل سنة ٦٧هـ) - مع ثلاثة آلاف من المقاتلة، وقال لهم: أوحي إلي أن الظفر يكون لكم، فهزم ابن شميط، فقال له أتباعه: أين الظفر الذي قد وعدتنا؟! فقال المختار: هكذا كان قد وعدني ثم بدا لربّكم، فإنه سبحانه وتعالى قد قال: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٩] (١).

فالمختار كان يدعي علم الغيب وما يحدث بالمستقبل، فكان إذا وقع خلاف ما أخبر به قال: قد بدا لربكم.

وإذا صح هذا الخبر، كان بمقدور الاثني عشرية أن يعلنوا براءتهم من لوثة البداء، كما تبرّؤوا من دعوة المختار.

ولكنهم التصقوا بالبداء، وترددت أصداؤه بينهم، فقد أشاع رواة أخبارهم أن أئمتهم « يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم الشيء » (٢)، فإذا نسبوا إلى الأئمة أخبارًا لم تقع قالوا: هذا من باب البداء.

جاء في بحار الأنوار في باب البداء « عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو جعفر وأبو عبد اللّٰه عليهما السلام: يا أبا حمزة إن حدثناك بأمر أنه يجيء من هاهنا فجاء من هاهنا، فإن اللّٰه يصنع ما يشاء، وإن حدثناك اليوم بحديث وحدثناك غدًا بخلافه، فإن اللّٰه يمحو ما يشاء ويثبت » (٣). وهذه فحوى كلمة المختار.

- وقد كان موت بعض من عيّنوا أئمة في حياة والديهم سببًا في تأكيد عقيدة البداء عند الشيعة:

فقد ذكروا أن محمد الباقر نصّ على إمامة أكبر أبنائه إسماعيل، وهو ما جاءت النصوص الشيعية لتؤكده، فالإمامة في أكبر أبناء الإمام، ولكن إسماعيل مات في حياة أبيه!، فاحتار الإمامية، فأنكر بعضهم وفاة إسماعيل بن الباقر، ووقفوا عليه، وقال بعضهم بالبداء، وهم

(١) الإسفراييني: التبصير في الدين (ص ٢٠)، وانظر: البغدادي: الفرق بين الفرق (ص ٥٠ - ٥٢).
(٢) أصول الكافي، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم الشيء (١/٢٦٠).
(٣) بحار الأنوار (٤/١١٩)، تفسير العياشي (٢/٢١٧)، البرهان (٢/٢٩٩).

الاثنا عشرية، وقولهم بالبداء جاء هروبًا من تكذيب الإمام الباقر أو الوقف عليه (١).

- وبعد مائة عام تكررت المشكلة عندما أعلن الهادي - كما ذكرت الروايات - إمامة ابنه محمد من بعده، ولكنه توفي في حياته، فكان الحل هو البداء، فأوصى الهادي إلى الحسن العسكري أبي محمد وقال له: يا بنيّ أحدث للّٰه تبارك وتعالى شكرًا، فقد أحدث فيك أمرًا (٢).

- وكان شيوخ الشّيعة يمنّون أتباعهم بأنّ الأمر سيعود إليهم، والدّولة ستكون لهم، حتى إنّهم حدّدوا ذلك بسبعين سنة في رواية نسبوها لأبي جعفر، فلمّا مضت السّبعون ولم يتحقّق شيء من تلك الوعود ضجّ الأتباع وضجروا من ذلك، فحاول مؤسّسو المذهب الخروج من هذا المأزق بالقول بأنّه قد بدا للّٰه سبحانه ما اقتضى تغيير هذا الوعد (٣).

- وقد كان التوقيت لخروج القائم - أيضًا - والإخلاف فيه من أهم أسباب عقيدة البداء، فعن عمرو بن الحمق قال: « دخلت على علي عليه السلام حين ضرب الضربة بالكوفة، فقلت: ليس عليك بأس إنما هو خدش، قال: لعمري إني لمفارقكم، ثم قال: إلى السبعين بلاء - قالها ثلاثًا - قلت: فهل بعد البلاء رخاء؟ فلم يجبني وأغمي عليه عليه السلام إلى أن قام، فقلت: يا أمير المؤمنين! إنك قلت: إلى السبعين بلاء فهل بعد السبعين رخاء؟ فقال عليه السلام: نعم، وإن بعد البلاء رخاء، ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٩] » (٤).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: « إن عليًا عليه السلام كان يقول: إلى السبعين بلاء، وكان يقول: بعد البلاء رخاء، وقد مضت السبعون ولم نر رخاء؟! فقال أبو جعفر عليه السلام: يا ثابت ! إن اللّٰه تعالى كان وقّت هذا الأمر في السبعين، فلما قتل الحسين عليه السلام اشتد غضب اللّٰه على أهل الأرض، فأخّره إلى الأربعين ومائة سنة، فحدّثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع السر، فأخّره اللّٰه ولم يجعل له بعد ذلك وقتًا عندنا ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٩]، قال أبو حمزة: وقلت ذلك لأبي عبد اللّٰه عليه السلام، فقال: قد كان ذلك » (٥).

---

(١) انظر: أحمد الكاتب: تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (ص ٩٦).

(٢) أصول الكافي (٣٨٤/١) كتاب الحجة باب الإشارة والنص على أبي محمد - وهو الحسن العسكري -. وانظر: أحمد الكاتب: تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (ص ٩٦).

(٣) انظر: تفسير العياشي (٢١٨/٢)، الطوسي: الغيبة (ص ٢٦٣)، المجلسي: بحار الأنوار (٢١٤/٤).

(٤) بحار الأنوار (٢٢٣/٤٢) عن الخرائج (١٨).

(٥) الغيبة (٢٦٣)، الكافي (٣٦١/١)، الغيبة للنعماني (ص ٢٩٣).

ولذلك قالوا بعد ذلك: « كذب الوقّاتون » (١).

- لقد كان من أهم أسباب تضخيم الشيعة لمسألة البداء هو مأزق التنبؤات التي كانت تنسب إلى الأئمة وأتباعهم، ثم يأتي الواقع فيكذب تلك التنبؤات؛ ولذلك جاء في الحديث: عن إبراهيم بن عمر اليمانيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « إذا قلنا في رجلٍ قولًا فلم يكن فيه وكان في ولده أو ولد ولده، فلا تنكروا ذلك، فإنّ الله تعالى يفعل ما يشاء » (٢).

وكما استخدم الاثنا عشرية البداء لتبرير تخلف وعود الأئمة، استخدموا تبريرات أخرى أبعد وأغرب، كما جاء في هذه الرواية عن أبي خديجة قال: « سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قد يقوم الرّجل بعدلٍ أو بجورٍ وينسب إليه ولم يكن قام به، فيكون ذلك ابنه أو ابن ابنه من بعده، فهو هو » (٣).

فهل يقبل العقل هذا المنطق؟ أيصح أن يقال عن رجل سارق لأن رجلًا من نسله بعد خمسين عامًا سيسرق؟ وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧]، ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وبالجملة فالذي أدخل الإمامية في سرداب البداء: زعمهم أن الأئمة يعلمون الغيب؛ فما أخبر به الأئمة لا بد أن يقع؛ ولذلك لجؤوا للبداء حتى لا يكذّبوا أئمتهم، « لكن مقالة البداء ارتدّت عليهم بأوخم العواقب... لأنهم بهذا المعتقد نزهوا المخلوق - وهو الإمام عن الخلف في الوعد، والاختلاف في القول، والتغير في الرأي، ونشأة رأي جديد، ونسبوا ذلك إلى عالم الغيب والشهادة!! » (٤).

وإذا كان كتّاب الفرق ينسبون القول بالبداء إلى اليهود،فإن من العجب أن كتّاب الشيعة يبرئون اليهود من هذه التهمة، ولكن ليوقعوهم في ما هو أشد، وهو إنكار معنى

---

(١) أصول الكافي (٤٣٠/١) كتاب الحجة باب كراهية التوقيت. قال المازندراني (٣١٦/٦) « مرة للتصديق الأول ومرة للتصديق الثاني وكلاهما حق ».

(٢) أصول الكافي (٦١٤/١) كتاب الحجة باب في أنّه إذا قيل في الرّجل شيءٌ فلم يكن فيه وكان في ولده أو ولد ولده فإنّه هو الّذي قيل فيه قال محققه: هذا الحديث صحيح.

(٣) أصول الكافي (٦١٥/١) كتاب الحجة باب في أنّه إذا قيل في الرّجل شيءٌ فلم يكن فيه وكان في ولده أو ولد ولده، فإنّه هو الّذي قيل فيه. سكت عنه المحقق، وهذا النص خلاف القرآن الكريم ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء: ١٥].

(٤) د. ناصر بن عبد الله القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١١٤١/٢).

قوله تعالى: ﴿ .. كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩] وكذلك يستخدمون هذا للرد على القائلين: إن الرب خلق الكون دفعة واحدة، وينقل عبد الله شبر عن المجلسي: « أنهم عليهم السلام بالغوا في البداء ردًّا على اليهود القائلين: إن الله قد فرغ من الأمر، وعلي النظّام وبعض المعتزلة القائلين إن الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن » [1].

يقول المازندراني: « واليهود أنكروا البداء، وقالوا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟... ﴾ [المائدة: ٦٤] وهم يعنون بذلك أنه تعالى فرغ من الأمر فليس يحدث شيئًا، ونقل عنهم أيضًا: أنه تعالى لا يقضي يوم السبت شيئًا، ويقرب منه قول النظّام من المعتزلة: إن الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن؛ معادن ونباتًا وحيوانًا وإنسانًا، ولم يتقدم خلق آدم على خلق أولاده، والتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكانها دون حدوثها ووجودها، وكأنه أخذ ذلك من الكمون والظهور من مذهب الفلاسفة. ونقل صاحب الكشاف عن الحسين بن الفضل ما يعود إلى هذا المذهب، وهو أن عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل، وذكر أن من آيات أشكلت عليه قوله عز من قائل: ﴿ .. كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩]، وقد صح أن « القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة » [2].

فقال الحسين: أما قوله: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩] فإنها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها، وهذه المذاهب عندنا باطلة؛ لأنه - تعالى - يحدث ما يشاء في أي وقت يشاء على وفق الحكمة والمصلحة كما دلت عليه روايات هذا الباب » [3].

ويحاول المثبتون للبداء أن يستندوا إلى أدلة من القرآن الكريم ونصوص من أحاديث أهل السنة، يقول الشيخ الوائلي:

« يعتقد الشيعة بالبداء مستفيدين ذلك من الكتاب والسنة: فالكتاب كقوله تعالى: ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٩]. وأما السنة فمثل ما رواه البخاري في الصحيح عن النبي ﷺ أن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا لله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا.. إلخ » [4].

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ١٠٦).

(٢) جاء في صحيح البخاري بلفظ: (يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلك أو ذر). كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، رقم (٤٧٨٨).

(٣) شرح أصول الكافي (٤/٢٣٥).

(٤) الشيخ أحمد الوائلي: هوية التشيع (ص ١٠١)، والحديث أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل رقم (٣٢٧٧).

وقد ردّ أهل السنة على استدلال الشيعة بهذه النصوص القرآنية والنبوية، يقول الآمدي « أما الآية فالمراد بها إنما هو محو المنسوخ وإثبات محمود ومحو السيئات بالحسنات كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤] ومحو الحسنات بالردة على ما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ... ﴾ [البقرة: ٢١٧]، أو محو المباحات وإثبات الطاعات على ما قاله أهل التفسير، أو محو ما يشاء من الآجال أو الأرزاق وإثبات غيرها، ويجب الحمل على ذلك جمعًا بينه وبين الأدلة القاطعة الدالة على امتناع الجهل في حق الله تعالى » [(١)].

أما معنى « بدا لله أن يبتليهم » كما ورد في الحديث، فيقول العسقلاني في شرحه: (أي سبق في علم الله، فأراد إظهاره، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافيًا؛ لأن ذلك محال في حق الله تعالى وقد أخرجه مسلم... بلفظ: « أراد الله أن يبتليهم »، فلعل التغيير فيه من الرواة... وأولى ما يحمل عليه أن المراد: قضى الله أن يبتليهم، وأما البداء الذي يراد به تغير الأمر عما كان عليه فلا) [(٢)].

ولا يجوز أن يتمسك الشيعة بآية الرعد وحديث « بدا لله أن يبتليهم » دون تذكر النصوص التي تؤكد على علم الله المطلق، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقوله: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقوله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢].

روايات الاثني عشرية في البداء وموقف علمائهم منها:

ويستند الشيعة إلى روايات كثيرة عن الأئمة تثبت هذا البداء، وتضخم مكانته، وتجعله من المسائل العقدية المهمة، وتورث القلب إشكالات حول معناه، ومن هذه الروايات:

---

(١) الآمدي (ت ٦٣١): إحكام الأحكام (١٢٢/٣). دار الكتاب العربي - بيروت، (١٤٠٤هـ)، (ط١)، تحقيق السيد الجميلي.

(٢) فتح الباري (٥٠٢/٦).

عن زرارة بن أعين عن أحدهما عليهما السلام قال: « ما عبد الله بشيء مثل البداء ». وفي رواية عن أبي عبد الله عليه السلام « ما عُظّم الله بمثل البداء » [١].

وعن مالكٍ الجهنيّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: « لو علم النّاس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه » [٢].

وعن مرازم بن حكيم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: « ما تنبّأ نبيٌّ قطّ حتّى يقرّ للّه بخمس خصالٍ بالبداء والمشيئة والسّجود والعبوديّة والطّاعة » [٣].

وعن هشام بن سالمٍ وحفص بن البختريّ وغيرهما عن أبي عبد الله عليه السلام قال في هذه الآية: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ.. ﴾ [الرعد: ٣٩] قال فقال: « وهل يمحى إلا ما كان ثابتًا، وهل يثبت إلا ما لم يكن؟ ».

وعن أحمد بن محمّد.. الأنباريّ قال: « كنت حاضرًا عند مضيّ أبي جعفرٍ محمّد ابن علي عليهما السلام فجاء أبو الحسن عليه السلام فوضع له كرسيٌّ فجلس عليه وحوله أهل بيته وأبو محمّدٍ قائمٌ في ناحيةٍ فلمّا فرغ من أمر أبي جعفرٍ التفت إلى أبي محمّدٍ عليه السلام فقال: يا بنيّ أحدث للّه - تبارك وتعالى - شكرًا فقد أحدث فيك أمرًا » [٤].

ذلك أن الأصل في الإمامة أن تكون في الولد الأكبر، فلما مات الأكبر وهو أبو جعفر، تحولت إلى أخيه أبي محمد، وقد كان أبو الحسن قد قال: « عهدي إلى الأكبر من ولديّ » [٥].

وعن أبي هاشمٍ الجعفريّ قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام (بعد ما مضى ابنه أبو جعفرٍ، وإنّي لأفكّر في نفسي أريد أن أقول: كأنّهما - أعني أبا جعفرٍ وأبا محمّدٍ - في هذا الوقت كأبي الحسن موسى وإسماعيل ابني جعفر بن محمّدٍ عليهما السلام، وإنّ قصّتهما كقصّتهما؛ إذ كان أبو محمّدٍ المرجى بعد أبي جعفر عليه السلام فأقبل عليّ أبو الحسن قبل أن أنطق فقال: نعم يا أبا هاشمٍ بدا للّه في أبي محمّدٍ بعد أبي جعفر عليه السلام ما لم يكن يعرف له كما بدا له في موسى بعد مضيّ إسماعيل ما كشف به عن حاله، وهو كما حدّثتك

(١) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب البداء (١/١٩٧).

(٢) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب البداء (١/١٩٩).

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) أصول الكافي (١/٣٨٤) كتاب الحجة باب الإشارة والنص على أبي محمد - وهو الحسن العسكري -.

(٥) أصول الكافي (١/٣٨٤) كتاب الحجة باب الإشارة والنص على أبي محمد.

نفسك وإن كره المبطلون، وأبو محمّدٍ ابني الخلف من بعدي.. ».

وعن زرارة عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: « سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ.. ﴾ [الأنعام: ٢] قال: هما أجلان: أجلٌ محتومٌ، وأجلٌ موقوفٌ » (١).

وعن الفضيل بن يسارٍ قال: سمعت أبا جعفرٍ عليه السلام يقول: « العلم علمان فعلمٌ عند الله مخزونٌ لم يطلع عليه أحدًا من خلقه، وعلمٌ علّمه ملائكته ورسله، فما علّمه ملائكته ورسله فإنّه سيكون لا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلمٌ عنده مخزونٌ يقدّم منه ما يشاء ويؤخّر منه ما يشاء ويثبت ما يشاء » (٢).

وعن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « إنّ للّه علمين: علمٌ مكنونٌ مخزونٌ لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء، وعلمٌ علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه فنحن نعلمه » (٣).

عن الفضيل بن يسارٍ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: « لهذا الأمر وقتٌ؟ فقال: كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون. إنّ موسى عليه السلام لمّا خرج وافدًا إلى ربّه واعدهم ثلاثين يومًا، فلمّا زاده الله على الثّلاثين عشرًا قال قومه: قد أخلفنا موسى، فصنعوا ما صنعوا. فإذا حدّثناكم الحديث فجاء على ما حدّثناكم به فقولوا: صدق الله، وإذا حدّثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدّثناكم به فقولوا: صدق الله، تؤجروا مرّتين » (٤).

موقف علماء الاثني عشر من هذه الروايات:

علماء الشيعة في سجال فيما بينهم حول البداء الذي ورد في هذه الروايات، إذ ينكر بعضهم البداء إنكارًا عظيمًا، رغم وجود هذه الروايات التي تثبته، وبعضهم يثبته ويجعله من العقائد التي لا يمكن التنازل عنها، وبعضهم يؤول معناه.

- **الموقف الأول: إنكار روايات البداء:**

- فالشيخ الصدوق رفض الاعتراف بحديث البداء في حق جعفر الصادق وأخيه إسماعيل من الأساس؛ ولذلك قال مخاطبًا الزيدية: « بم قلتم: إن جعفر بن محمد قد نص على إسماعيل بالإمامة؟ وما ذلك الخبر؟ ومن رواه؟ ومن تلقّاه بالقبول؟ وإنما هذه

(١) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب البداء (١/١٩٧).

(٢) أصول الكافي (١/٣٨٥) كتاب الحجة باب الإشارة والنص على أبي محمد.

(٣) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب البداء (١/١٩٨).

(٤) أصول الكافي (١/٤٣٠) كتاب الحجة باب كراهية التوقيت. قال المازندراني (٦/٣١٦) « مرة للتصديق الأول، ومرة للتصديق الثاني، وكلاهما حق ».

حكاية ولّدها قوم قالوا بإمامة إسماعيل ليس لها أصل، لأن الخبر بذكر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام قد رواه الخاص والعام » [1].

« وقد أغمض الصدوق عينيه عن هذه الأحاديث وأراح نفسه من عناء مناقشتها والرد عليها، وأهملها بالمرة، بالرغم أنها كانت مورد إجماع المحدثين السابقين واللاحقين » [2].

وذكر المازندراني (شارح أصول الكافي) أن تلك الروايات التي تحدثت عن البداء هي أحاديث آحاد، مما سهّل لبعض علماء الشيعة إنكارها؛ ولذلك نقل عن المحقق الطوسي [3] قوله: « إنهم - يعني الاثني عشرية - لا يقولون بالبداء، وإنما القول بالبداء ما كان إلا في رواية رووها عن جعفر الصادق عليه السلام أنه جعل إسماعيل القائم مقامه، فظهر من إسماعيل ما لم يرتضه منه فجعل القائم موسى، فسئل عن ذلك فقال: (بدا للّه في أمر إسماعيل). وهذه رواية، وعندهم أن الخبر الواحد لا يوجب علمًا ولا عملًا » [4].

قال المازندراني: « ليس خبر الواحد حجة في أصول الدين إذ لا يوجب العلم، ولا في فروع الدين لأنه لا يقوم به الحجة ولا يوجب العمل... وأقول: ليس إنكار البداء خاصًّا بالمحقق الطوسي (قدس سره)، بل كل من وجدنا له قولًا ممن يعتبر قوله من العلماء، واطلعنا على رأيه في الآراء وافق المحقق الطوسي في نفي البداء وتبرئة الإمامية عن القول به، منهم السيد المرتضى رحمه الله في الذريعة، وشيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في العدة والتبيان » [5].

- الموقف الثاني: تأويل البداء:

ولكثرة ورود الروايات التي ذكرت البداء، فإن بعض علماء الاثني عشرية عزّ عليهم اطّراح كل تلك الروايات، ولأجل ذلك التزموا تأويلها بمعانٍ متنوعة:

١ - فاحترامًا لروايات البداء فإن « العلامة المجلسي أوجب ظاهرًا التلفظ به تأدّبًا، لا الاعتقاد بمعناه تعبّدًا؛ لأنه أيضًا أوّله تأويلًا. فإن قيل: فما تقول فيما ورد في أخباركم من لفظ البداء؟. قلنا: كلامنا في إطلاق هذا اللفظ على اللّه - تعالى - نظير كلامنا في

---

(١) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة (ص ٦٩) تحقيق علي أكبر غفاري، (١٤٠٥هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي - قم. ويقال له (إكمال الدين وإتمام النعمة) انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٤/ ٨٠).

(٢) أحمد الكاتب: تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (ص ١٠٧).

(٣) وهو نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ)، بخلاف الطوسي صاحب الغيبة (ت ٤٦٠هـ) الذي يقول بالبداء.

(٤، ٥) محمد صالح المازندراني: شرح أصول الكافي (٤/ ٢٣٢، ٢٣٣).

إطلاق الغضب والرضا والأسف، كما قال: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ.. ﴾ [الزخرف: ٥٥]، والنسيان في قوله: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ.. ﴾ [التوبة: ٦٧] وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٦]. أمثال ذلك يجب تأويله بما يوافق المذهب والعقل، والجامع لجميع ذلك أنه تعالى يعامل معاملة الراضي والغاضب والناسي والمحزون والنادم على ما فعل. لا أنه تعالى متصف بهذه الصفات واقعًا » [1].

٢ - كما أوّل بعضهم البداء بالنسخ:

يقول أصحاب هذا الاتجاه: إن التغيّر حصل في المعلوم دون العلم، فالعلم الإلهي ثابت أزلًا أبدًا، وهذا الاتجاه يجعل البداء من باب النسخ، فكما هناك نسخ فالبداء مثله. ويمثل هذا الاتجاه الصدوق والشريف المرتضى، حيث إن البداء عندهم كالنسخ عند غيرهم [2].

قال المازندراني منتصرًا لهذا الرأي: « والنسخ أيضًا داخل في البداء - كما صرح به الصدوق في كتابي التوحيد والاعتقادات - ومن أصحابنا من خص البداء بالأمر التكويني، وأخرج النسخ عنه، وليس لهذا التخصيص وجه يعتد به، وإنما سميت هذه المعاني بداء؛ لأنها مستلزمة لظهور شيء على الخلق بعد ما كان مخفيًا عنهم » [3].

وقد بيّن الزبيدي رحمه الله أن النسخ للحكم ليس هو البداء، فقال: « النسخ للحكم ليس ببدء كما توهمه الجهلة من الرافضة واليهود، وإنما هو تبديل حكم بحكم يقدر قدره وعلم قد تم علمه » [4].

كما أن الآمدي انتقد من خلط من الشيعة بين البداء والنسخ فقال: « ولما خفي الفرق بين البداء والنسخ على اليهود والرافضة منعت اليهود من النسخ في حق الله تعالى، وجوزت الروافض البداء عليه لاعتقادهم جواز النسخ على الله تعالى، مع تعذر الفرق عليهم بين النسخ والبداء،... وكشف الغطاء عن ذلك يتحقق بالفرق بين النسخ والبداء فنقول: إذا عرف معنى البداء وأنه مستلزم للعلم بعد الجهل والظهور بعد الخفاء وأن ذلك مستحيل في حق الله تعالى على ما بيناه في كتبنا الكلامية، فالنسخ ليس

(١) المصدر السابق (٢٣٢/٤ - ٢٣٥).

(٢) د. عائشة يوسف المناعي: أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية (ص ٦٤).

(٣) قال المازندراني في شرحه على أصول الكافي (٢٣٥/٤).

(٤) محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس (٣٣/١٠) مكتبة الحياة - بيروت.

كذلك فإنه لا يبعد أن يعلم الله - تعالى - في الأزل استلزام الأمر بفعل من الأفعال للمصلحة في وقت معين واستلزام نسخه للمصلحة في وقت آخر، فإذا نسخه في الوقت الذي علم نسخه فيه فلا يلزم من ذلك أن يكون قد ظهر له ما كان خفيًا عنه، ولا أن يكون قد أمر بما فيه مفسدة ولا نهى عما فيه مصلحة، وذلك كإباحته الأكلَ في الليل من رمضان وتحريمه في نهاره » (١).

وإذا كنا قد ذكرنا أن بعض آراء الشيعة في الأئمة قد تلاقت مع بعض أفكار المتصوفة في الأولياء، فإن هذا لا يعني أنهم يوافقونهم في المسائل الأخرى، فإن من أهل التصوف السنّي من أعلن النكير على الشيعة لقولهم بالنسخ بالأخبار، قال الشيخ المحاسبي (٢)، المعاصر للإمام أحمد، رحمهما اللّه تعالى: « ولا يجوز النسخ في أخباره تعالى عما كان ويكون، فيكون بذلك منصرفًا من الصدق إلى الكذب، ومن الحق إلى الهزل، واللعب، وإنما ينسخ أخباره الكذّاب أو المخبر بالظن فيرجع عن قوله إلى أن يكذب نفسه... وقد جوّز فريق (٣) من الروافض في أخبار اللّه جل شأنه التناسخ [يعني النسخ]، وهذا الكفر. لا يجوز أن ينسخ اللّه خبره » (٤)، وقال: « فالناسخ والمنسوخ لا يجوز أن يكونا إلا في الأحكام، في الأمر والنهي والحدود والعقوبات، وفي أحكام الدنيا » (٥).

٣ - وهناك اتجاه يؤول البداء بمعنى الإظهار (٦).

---

(١) الآمدي: إحكام الأحكام (٣/١٢١، ١٢٢).

(٢) الحارث المحاسبي: من أشهر رجال التصوف في القرن الثالث الهجري، صاحب كتاب (رسالة المسترشدين) في التصوف، و (رسالة العقل)، و (رسالة فهم القرآن). انظر: تقديم حسين القوتلي لرسالتي العقل وفهم القرآن، دار الفكر (١٣٩١هـ / ١٩٧١م).

(٣) لاحظ دقة عبارة المحاسبي وإنصافه لخصومه، رحمه الله، حيث لم ينسب المقولة بنسخ الأخبار لكل الشيعة، وإنما عبّر بكلمة « فريق» ، وهو ما أثبته البحث، من وجود خلاف بينهم في تفسير البداء، وأن فريقًا منهم فقط فسروه بالنسخ، وليس كلهم، ناهيك عن أن من الشيعة من أنكر البداء مطلقًا.

(٤) الحارث المحاسبي: فهم القرآن (ص ٣٣٣، ٣٣٤). تحقيق وتقديم حسين القوتلي، دار الفكر (١٣٩١هـ / ١٩٧١م). مطبوعة مع رسالة أخرى هي العقل.

(٥) المرجع السابق (ص ٢٥١). تحقيق وتقديم حسين القوتلي، دار الفكر (١٣٩١هـ / ١٩٧١م). تحت عنوان: البداوات وحدوث الإرادة.

(٦) الدكتور أحمد الوائلي: هوية التشيع (ص ١٠١)، انظر معاني البداء في حق اليقين لعبد اللّه شبر (ص ١١٠، ١١١)، وقد ذكر أهم وجوه تفسير البداء عند الشيعة، وهي (الرد على اليهود) وقد اختاره المجلسي، ثم معنى النسخ وقد اختاره الداماد، فقالوا: إن (البداء نسخ تكويني)، وتخصيص العام وتقييد المطلق، والظهور بعد الخفاء).

فالمفيد يحاول تأويل البداء بالظهور من اللَّه تعالى، قال المفيد: « والذي اعتمدناه في معنى البداء أنه الظهور »(١)، وكذلك الشيخ الطوسي يفسر « (بدا للَّه فيه) بمعنى: بدا من اللَّه فيه »(٢). وقال الوائلي: « والبداء عند الشيعة بمعنى الإظهار لا بمعنى أن اللَّه يعلم بعد جهل، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا »(٣).

ولكن « التأويل للبداء بظهور الأمر للناس من اللَّه لا يسوغ كل هذه المغالاة في البداء وجعله من أعظم الطاعات وأصول الاعتقادات، كما أن لفظ البداء يحمل معنى باطلًا في لغة العرب التي نزل بها القرآن، فكيف يعد أصلًا في الدين وهو بهذه المثابة، ويلتمس له تأويل ومخرج؟! »(٤).

٤ - تفسير البداء بالتغيير الحاصل في القضاء المعلق:

يحاول الخوئي أن يقرب معنى البداء بناء على فهمه للقضاء الإلهي حيث يقسم القضاء إلى أقسام:

- **الأول**: قضاء اللَّه الذي لم يطلع عليه أحدًا من خلقه، والعلم المخزون الذي استأثره لنفسه. ولا ريب في أن البداء لا يقع في هذا القسم، بل ورد في روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام أن البداء إنما ينشأ من هذا العلم.

- **الثاني**: قضاء اللَّه الذي أخبر نبيه و ملائكته بأنه سيقع حتمًا. ولا ريب في أن هذا القسم - أيضًا - لا يقع فيه البداء، وإن افترق عن القسم الأول بأن البداء لا ينشأ منه.

ويشهد لهذا روايتان مرّتا سابقًا:

الأولى: عن الإمام محمد الباقر يقول فيها: « العلم علمان: فعلمٌ عند اللَّه مخزونٌ لم يطلع عليه أحدًا من خلقه، وعلمٌ علّمه ملائكته ورسله، فما علّمه ملائكته ورسله فإنّه سيكون لا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلمٌ عنده مخزونٌ يقدّم منه ما يشاء ويؤخّر منه ما يشاء ويثبت ما يشاء »(٥).

والثانية: عن ابنه جعفر الصادق يقول فيها: « إنّ للَّه علمين: علمٌ مكنونٌ مخزونٌ لا يعلمه

---

(١) الشيخ المفيد: تصحيح اعتقادات الصدوق (ص ٥١، ٥٢).

(٢) الطوسي: الغيبة (ص ٥٥).

(٣) د. أحمد الوائلي: هوية التشيع (ص ١٠١).

(٤) د. ناصر بن عبد اللَّه القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١١٤٧/٢).

(٥) أصول الكافي (٣٨٥/١) كتاب الحجة باب الإشارة والنص على أبي محمد.

إلا هو، من ذلك يكون البداء، وعلمٌ علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه فنحن نعلمه » [(١)].

- **الثالث:** قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته بوقوعه في الخارج، إلا أنه موقوف على أن لا تتعلق مشيئة الله بخلافه. وهذا القسم هو الذي يقع فيه البداء: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٩]، ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ﴾ [الروم: ٤]. وقد دلت على ذلك روايات كثيرة، منها هذه الرواية عن جعفر الصادق قال: « إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتبة إلى سماء الدنيا، فيكتبون ما يكون من قضاء الله تعالى في تلك السنة، فإذا أراد الله أن يقدم شيئًا، أو يؤخره، أو ينقص شيئًا أو زيد أمر الملك أن يمحو ما يشاء ثم أثبت الذي أراد » [(٢)].

وخلاصة القول لدى الخوئي: أن القضاء الحتمي المعبر عنه باللوح المحفوظ، وبأم الكتاب، والعلم المخزون عند الله، يستحيل أن يقع فيه البداء. وكيف يتصور فيه البداء؟! وأن الله سبحانه عالم بجميع الأشياء منذ الأزل، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء [(٣)].

روى الصدوق في (كمال الدين وتمام النعمة، واعتقادات الإمامية) عن جعفر الصادق قال: « من زعم أن الله ﷻ يبدو له في شيء اليوم لم يعلمه أمس فابرأوا منه » [(٤)].

ويتحدث الخوئي عن ثمرة الإيمان بالبداء على هذا المعنى قائلًا:

« فالقول بالبداء: هو الاعتراف الصريح بأن العالم تحت سلطان الله وقدرته في حدوثه وبقائه، وأن إرادة الله نافذة في الأشياء أزلًا وأبدًا. بل وفي القول بالبداء يتضح الفارق بين العلم الإلهي وبين علم المخلوقين. فعلم المخلوقين - وإن كانوا أنبياء أو أوصياء - لا يحيط بما أحاط به علمه تعالى، فإن بعضًا منهم وإن كان عالمًا - بتعليم الله إياه - بجميع عوالم الممكنات لا يحيط بما أحاط به علم الله المخزون الذي استأثر به لنفسه، فإنه لا يعلم بمشيئة الله تعالى - لوجود شيء - أو عدم مشيئته إلا حيث يخبره الله تعالى به على نحو الحتم.

والقول بالبداء: يوجب انقطاع العبد إلى الله، وطلبه إجابة دعائه منه، وكفاية مهماته، وتوفيقه للطاعة، وإبعاده عن المعصية. فإن إنكار البداء والالتزام بأن ما جرى به قلم التقدير كائن لا محالة - دون استثناء - يلزمه يأس المعتقد بهذه العقيدة عن إجابة

---

(١) أصول الكافي: كتاب فضل التوحيد، باب البداء (١٩٨/١).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار (١٢/٩٤)، وأصلها في تفسير القمي (ص ٣٤٣).

(٣) السيد الخوئي: رسالتان في البداء (ص ٣٥).

(٤) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة (ص ٦٩)، الاعتقادات في دين الإمامية (ص ٤١).

دعائه. فإن ما يطلبه العبد من ربه إن كان قد جرى قلم التقدير بإنفاذه فهو كائن لا محالة، ولا حاجة إلى الدعاء والتوسل. وإن كان قد جرى القلم بخلافه لم يقع أبدًا، ولم ينفعه الدعاء والتضرع. وإذا يئس العبد من إجابة دعائه ترك التضرع لخالقه، حيث لا فائدة في ذلك، وكذلك الحال في سائر العبادات والصدقات التي ورد عن المعصومين عليهم السلام أنها تزيد في العمر أو في الرزق، أو غير ذلك مما يطلبه العبد. وهذا هو سر ما ورد في روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام من الاهتمام بشأن البداء. فقد روى الصدوق في كتابه: التوحيد بإسناده عن زرارة، عن أحدهما عليهما السلام، قال: « ما عبد الله عز وجل بشيء مثل البداء »(١).

وهذا الفهم لقضية البداء يقترب كثيرًا من فهم أهل السنة للقضاء المبرم الذي لا يتغير، وهو الذي يتناوله قوله تعالى في الآية ذاتها: ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٩]، والقضاء المعلّق الذي جعل الله له ارتباطًا بالأسباب وهو الذي يكون محل قوله تعالى: ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد: ٣٩]، كما ثبت في زيادة العمر والرزق للعبد الذي وصل رحمه كما في الصحيح. قال ابن حجر عند شرحه (باب من بسط له في الرزق لصلة الرحم) من صحيح البخاري: « فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٩]، فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى، فلا محو فيه البتة، ويقال له: القضاء المبرم، ويقال للأول: القضاء المعلق ». وقال المباركفوري: « الحاصل أن القضاء المعلق يتغير، وأما القضاء المبرم فلا يبدل ولا يغير »(٢).

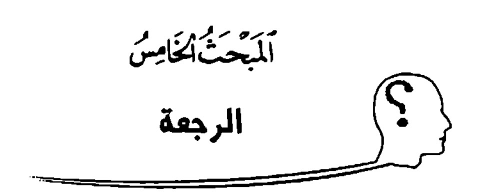
فتصبح مسألة البداء على هذا الفهم ممكنة الاتفاق حولها، أما على المعنى الذي يوحي به كثير من تلك الروايات لو أخذت دون تأويل، فإنها تكون من نواقض الإيمان والعياذ بالله تعالى، وما دام القوم قد أوّلوا تلك النصوص - كما فعل المازندراني والخوئي - فنقبل ذلك، ونتعامل مع رواياتهم على أساس هذا التأويل، وإن كان هذا الفهم والتأويل يلزم الشيعة بالقول بأن علوم الأئمة ليست علومًا حتمية؛ لأنها ليست من (أم الكتاب) وإنما مما يقبل المحو والإثبات، وهذا أمر ينبغي عليهم التبصّر به والتأكيد عليه.

* * *

---

(١) رسالتان في البداء (ص ٤٣، ٤٤).

(٢) ابن حجر: فتح الباري (١٠/٤١٦)، المباركفوري: تحفة الأحوذي (٦/٢٩٠) دار الكتب العلمية - بيروت.



الرجعة في اللغة الانصراف، يقال رجع يرجع رجوعًا: انصرف، وفلان يؤمن بالرجعة أي بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت (١). وهذا الذي ذكره علماء اللغة هو المقصود بالرجعة الشيعية التي ذكر المفيد إجماع الإمامية على وجوبها فقال: « أجمعت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف » (٢).

وقال أيضًا: « وقد جاء القرآن بصحة ذلك وتظاهرت به الأخبار، والإمامية بأجمعها عليه إلا شذاذًا منهم تأولوا ما ورد فيه مما ذكرناه على وجه يخالف ما وصفناه » (٣). وقد ذكر الإجماع بعد المفيد المجلسي وعبد اللّه شبر الذي يقول (٤): « قد عرفت من الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة وكلام جملة من المتقدمين والمتأخرين من شيعة الأئمة الطاهرين أن أصل الرجعة حق لا ريب فيه، ولا شبهة تعتريه، ومنكرها خارج عن ربقة المؤمنين، فإنها من ضروريات مذهب الأئمة الطاهرين، وليست الأخبار الواردة في الصراط والميزان ونحوهما مما يجب الإذعان به أكثر عددًا وأوضح سندًا وأصرح دلالة وأفصح مقالة من أخبار الرجعة » (٥).

ومن أشهر الآيات التي يستدل بها الإمامية على الرجعة قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل: ٨٣]. والآية كما يقول مفسرو أهل السنة في يوم الجزاء والحساب، يوم يقوم الناس لرب العالمين (٦)، إلا أن الشيعة يجعلونها

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري، القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة (ر. ج. ع).

(٢) المفيد: أوائل المقالات (ص ٤٦).

(٣) المصدر السابق (ص ٧٨).

(٤) عبد اللّه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٢٩٧).

(٥) المصدر السابق (ص ٣٣٧).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٠)، تفسير البغوي (٤٣٠/٣)، ابن الجوزي: زاد المسير (١٩٤/٦)، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٢٣٨/١٣)، البحر المحيط لأبي حيان (٩٨/٧)، تفسير ابن كثير (٣٩٣/٣)، الشوكاني: فتح القدير (١٥٣/٤، ١٥٤) وغيرها.

في عقيدتهم في الرجعة؛ ولذا قال شيخهم شبر بأنها فسرت في أخبارهم في الرجعة [١].

وقد كانت عقيدة الرجعة سرًا من أسرار المذهب الشيعي؛ ولذلك قال أبو الحسين الخياط - أحد شيوخ المعتزلة [٢] « بأنهم قد تواصوا بكتمانها وألا يذكروها في مجالسهم ولا في كتبهم إلا فيما قد أسروه من الكتب ولم يظهروه » [٣].

وقد وجد الدكتور القفاري في كتب الاثني عشرية ما أشار إليه الخياط من التواصي بكتمان أمر الرجعة، حيث روت بعض كتب الشيعة عن أبي جعفر قوله: « لا تقولوا الجبت والطاغوت، ولا تقولوا الرجعة، فإن قالوا لكم: فإنكم قد كنتم تقولون ذلك فقولوا: أما اليوم فلا نقول » [٤].

وفي رواية أخرى ينسبونها للصادق: « لا تقولوا الجبت والطاغوت وتقولوا الرجعة، فإن قالوا: قد كنتم تقولون؟ قولوا: الآن لا نقول، وهذا من باب التقية التي تعبّد الله بها عباده في زمن الأوصياء » [٥].

ويرى بعض الباحثين أن عقيدة الرجعة تسربت عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية [٦] فقد كان لابن سبأ اليهودي - كما تنقل ذلك كتب الشيعة وأهل السنة على السواء - دور التأسيس لمبدأ الرجعة، إلا أنها رجعة خاصة بعلي، وهي قريبة من فكرة الغيبة، حيث ينفي وقوع الموت على علي أصلًا؛ كحال الاثني عشرية مع المهدي المنتظر. فقد قال السبئية لمن نعى عليًا: « كذبت يا عدوّ الله! لو جئتنا - والله! - بدماغه خربة فأقمت على قتله سبعين عدلًا ما صدقناك، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، وإنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض » [٧]. ولما لم يجد العناد شيئًا في إنكار موت علي ﷺ اشتهر القول بالرجعة صراحة عن فرقة ابن سبأ (السبئية)، وقد نسب إليهم المجلسي القول برجعة علي ﷺ [٨].

---

(١) تفسير شبر (ص ٣٦٩).

(٢) كان حيًا قبل سنة (٣٠٠هـ). انظر: معجم المؤلفين (٥/٢٢٣).

(٣) الانتصار (ص ٩٧).

(٤) بحار الأنوار (٥٣/٣٩).

(٥) بحار الأنوار (٥٣/١١٥، ١١٦).

(٦) انظر: جولد سيهر: العقيدة والشريعة (ص ٢١٥)، أحمد أمين: فجر الإسلام (ص ٢٧٠).

(٧) المقالات والفرق (ص ٢٠) تحقيق الدكتور محمد جواد مشكور - طهران (١٩٦٣م). وقريبًا منه النوبختي: فرق الشيعة (ص ٢٣).

(٨) بحار الأنوار (٥١/٢١٠). إضافة إلى رواية تذكره باسمه كما ذكرت في الأصل.

وقد بيّن الشهرستاني ارتباط الرجعة بالفكر اليهودي، فقال: « أما جواز الرجعة: فإنما وقع لهم من أمرين: **أحدهما**: حديث عزير عليه السلام إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه. **والثاني**: حديث هارون عليه السلام إذ مات في التيه وقد نسبوا موسى إلى قتله بالواحة، قالوا: حسده لأن اليهود كانوا أميل إليه منهم إلى موسى واختلفوا في حال موته، فمنهم من قال: إنه مات وسيرجع، ومنهم من قال: غاب وسيرجع » (١).

والحقيقة أن مسألة الرجعة تأتي من أوهام النفس التي ترفض موت الأحبة والعظماء، ولذلك فلا عجب أن تنتشر بين الشيعة وقد اشتهروا بالتعلق بالأئمة. فهي ليست فكرة خاصة بهم، بل هي وهم يصيب الناس عند فقد أحبتهم، ولذلك ذكر ابن الأثير: أن هذا مذهب قوم من العرب في الجاهلية معروف عندهم (٢).

وكذلك فإن الصدمة العظمى للصحابة الكرام بموت رسول الله ﷺ جعلت بعضهم يسير بعاطفته - كعمر رضي الله عنه - فيزعم أن النبي ﷺ لم يمت، وأنه ذهب لمناجاة ربّه وسيعود. وقد زالت هذه الأماني والخيالات حين تلا عليهم أبو بكر الصديق قول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: « من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت » (٣)، وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقد نقلت كتب السنة وجود فكرة الرجعة عند بعض أصحاب علي رضي الله عنه، فقد جاء في مسند أحمد « أن عاصم بن ضمرة (وكان من أصحاب علي رضي الله عنه) قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن عليًا يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه » (٤).

وهذا جابر الجعفي الذي امتدحته روايات الشيعة يقول بالرجعة؛ جاء في تفسير القمي (٥)

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل (٢٠٩/١)، وانظر: د. فتحي الزغبي: غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام (اليهودية والمسيحية والمجوسية) (ص ٤٣٠)، (ط١)، (١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م).

(٢) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث (٢٠٢/٣).

(٣) البغدادي (عبد القاهر بن طاهر ت ٤٢٩هـ): الفرق بين الفرق (ص ١٢)، دار الآفاق الجديدة - بيروت، (ط٢)، (١٩٧٧م).

(٤) مسند أحمد (٣١٢/٢) رقم (١٢٦٥)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وانظر: طبقات ابن سعد (٣٩/٣).

(٥) تفسير القمي (١٤٧/٢).

أن أبا جعفر قال: « رحم الله جابرًا بلغ فقهه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥]، يعني الرجعة » [١].

وقد أدرك أهل السنة مقولة جابر الفاسدة، ولذلك لم يرووا عنه، وقد اعترف بها شبر فقال: « روى مسلم في صحيحه بإسناده.. إلى الجراح بن مليح قال: سمعت جابرًا يقول:عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر محمد الباقر عن النبي ﷺ تركوها كلها... لأنه كان يؤمن بالرجعة » [٢].

لمن تكون الرجعة؟

ويعتقد الاثنا عشرية أن الراجعين إلى الدنيا « فريقان؛ **أحدهما**: من علت درجته في الإيمان، وكثرت أعماله الصالحات، وخرج من الدنيا على اجتناب الكبائر الموبقات، فيريه الله ﷻ دولة الحق ويعزه بها ويعطيه من الدنيا ما كان يتمناه، **والآخر**: من بلغ الغاية في الفساد، وانتهى في خلاف المحقّين إلى أقصى الغايات، وكثر ظلمه لأولياء الله واقترافه السيئات، فينتصر الله - تعالى - لمن تعدى عليه قبل الممات، ويشفي غيظهم منه بما يحله من النقمات، ثم يصير الفريقان من بعد ذلك إلى الموت، ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من دوام الثواب والعقاب » [٣].

وإذا رجعنا إلى روايات الشيعة التي تذكر الرجعة نرى أن ممن يحكم الشيعة برجوعهم السيدة عائشة رضي الله عنها حتى يجلدها - أي القائم المهدي - الحدّ!، وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة [٤]. وأبو بكر وعمر « يصلبهما ويحرقهما »! [٥]. وكذلك « يظهر الحسين عليه السلام في اثني عشر ألف صدّيق واثنين وسبعين رجلًا من أصحابه يوم كربلاء، فيالك عندها من كرّة زهراء بيضاء. ثم يخرج الصديق الأكبر أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وينصب له القبة بالنجف، ويقام أركانها: ركن بالنجف، وركن بهجر، وركن بصنعاء، وركن بأرض طيبة، لكأني أنظر إلى مصابيحه تشرق في السماء

---

(١) قال ابن كثير في تفسير الآية: يقول تعالى آمرًا رسوله صلوات الله وسلامه عليه بيلاغ الرسالة، وتلاوة القرآن على الناس، ومخبرًا بأنه سيرده إلى معاد وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة، ومعنى ﴿ فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [القصص: ٨٥] أي: افترض عليك أداءه إلى الناس (تفسير ابن كثير ٤١٩/٣).

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٣٦).

(٣) المفيد: أوائل المقالات (ص ٧٨).

(٤) المجلسي: بحار الأنوار (٢٤٢/٢٢)، الصدوق:علل الشرائع (ص ٣٠٣) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - لبنان.

(٥) الأنوار النعمانية (٨٥/٢).

والأرض، كأضواء من الشمس والقمر، فعندها تبلى السرائر، و ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ٢].

بل والنبي الأعظم ﷺ: تقول الرواية السابقة برجعته!: « ثم يخرج السيد الأكبر محمد رسول الله ﷺ في أنصاره والمهاجرين، ومن آمن به وصدقه واستشهد معه، ويحضر مكذبوه والشاكون فيه والرادون عليه والقائلون فيه أنه ساحر وكاهن ومجنون، وناطق عن الهوى، ومن حاربه وقاتله حتى يقتصّ منهم بالحق، ويجازون بأفعالهم منذ وقت ظهر رسول الله ﷺ إلى ظهور المهدي » (١).

وإذا كان هذا حاصلًا - على حدّ زعم هذه الروايات - فما فائدة قيام الساعة بعد ذلك، وقد حشر كل هؤلاء الخلق؟!!

وتذكر إحدى الروايات بعض أفعال من يرجعون إلى الدنيا؛ من سفكٍ للدماء في أقدس الأماكن وأطهرها، قال أبو عبد الله: « كأني بحمران بن أعين وميسر بن عبد العزيز يخبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة »!! (٢).

وهذه الرواية جعلت الدكتور القفاري يقول: « ولا شك بأن تحديد موضع القتل العام بالمسجد الحرام يدل دلالة أكيدة أن المقصود بالقتل هم المسلمون، وأن هذا ما تحلم به الإمامية.. وهذا الخبر وأمثاله يعطينا - بغضّ النظر عن العنصر الخرافي فيه - صورة لتفكير تلك الزمر الشيعية التي وضعت تلك الروايات، وأهدافها ومخططاتها، فهي « إسقاطات » لرغبات مكبوتة، ونوازع مقهورة لفرقة تتربص بالأمة الدوائر.

كما أن هذه الأخبار السرية قد توضح لنا بعض ما جرى في التاريخ من قيام القرامطة بقتل حجاج بيت الله داخل الحرم (٣).

وأنها كانت تتخذ من مثل هذه الأخبار المنسوبة لآل البيت سندًا لها لدفع تلك العناصر التخريبية للقيام بدورها الدموي » (٤).

إن فكرة الرجعة إلى الدنيا بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن، وباطلة بدلالة

(١) المجلسي: بحار الأنوار (٥٣/١٢ - ١٦). (٢) بحار الأنوار (٥٣/٤٠).
(٣) انظر خبر ذلك (في حوادث سنة ٣١٧هـ) في: المنتظم لابن الجوزي (٦/٢٢٢) وما بعدها، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/١٦٠)، وتاريخ ابن خلدون (العبر): (٣/١٩١).
(٤) د. ناصر بن عبد الله القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٢/١١٠٧).

آيات عديدة من كتاب الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]. فقوله سبحانه: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ صريح في نفي الرجعة مطلقًا (١). وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: ٣١]. وقال سبحانه: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [ابراهيم: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ١١، ١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨].

وقد مر قول الحسن في إنكاره رجعة أبيه علي ﷺ: « كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه » (٢).

كما أن القول بالرجعة بعد الموت إلى الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ينافي طبيعة هذه الدنيا وأنها ليست دار جزاء، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

كما أن الإيمان بالرجعة يضعف جانب الإيمان بيوم البعث والجزاء، ويبدو أن هذا من أهداف واضع هذا المبدأ (٣).

ولما كثر النقد للشيعة من أجل هذه المسألة، كان من الشيعة من يهون من أمر الرجعة، ويراها أمرًا منازعًا فيه بسبب الاختلاف في الدليل، فقد « قال فريق من الإمامية: إن الله سيعيد إلى هذه الدنيا قومًا من الأموات ويرجعهم بصورهم التي كانوا عليها وينتصر بهم

(١) انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية (ص ٢٠١).

(٢) مسند أحمد (٣١٢/٢) رقم (١٢٦٥)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وانظر: طبقات ابن سعد (٣٩/٣).

(٣) انظر: د. ناصر بن عبد الله القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١١٢١/٢، ١١٢٢).

لأهل الحق من أهل الباطل، وهذا هو معنى الرجعة.وأنكر الفريق الآخر ذلك، ونفاه نفيًا باتًا، ونقل هذا الاختلاف الشيخ الإمامي الثقة أبو علي الطبرسي عند تفسير الآية (٨٣) من سورة النمل ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل: ٨٣] »[١].

ويقول الشيخ الوائلي: أما « موضوع الرجعة عندهم فهو مجرد فهم من كتاب الله تعالى لبعض الآيات ولمضمون تلك الآيات، ذلك بالإضافة إلى روايات كثيرة تدعم تلك المضامين، وهي: أعني الرجعة ليست من ضروريات الإسلام عندهم.... البعض قد يفهم من عقيدة الشيعة القول بالتناسخ فيقول في ذلك، والقول بالتناسخ باطل، ومن دان بالتناسخ فهو كافر؛ لأن في التناسخ: إبطال الجنة والنار... فالمسألة في الرجعة إذن لا تعدو فهمًا من كتاب الله تعالى بإمكان وقوع رجعة في فترة معينة، وكل ذلك لا يستوجب هذه الجلبة والضوضاء في كتب السنة »[٢].

يقول السيد محسن الأمين عن الرجعة: « أمر نقلي إن صح النقل به لزم اعتقاده وإلا فلا »[٣]. ولذلك قال الشيخ أبو زهرة حينما اطلع على هذه الآراء: « ويظهر أن فكرة الرجعة على هذا الوضع ليست أمرًا متفقًا عليه عند إخواننا الاثني عشرية، بل فيهم فريق لا يعتقده »[٤].

وما دام الخلاف بسبب النقل ثبت أم لم يثبت، فكيف أطلق عدد من علماء الشيعة القول بأن الإجماع منعقد على وجود الرجعة، وقد مرّ قول المفيد: « أجمعت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف »[٥]. ونقل ذلك عن المجلسي وعبد الله شبر[٦]؟ أهكذا يسهل على هؤلاء العلماء أن يدخلوا في الإجماع ما يشتهون بسبب نصوص مشكوك في ثبوتها؟

والآن وبعد ألف وأربعمائة عام ألم يتحقق الأمر، وهل تبقى عقيدة هكذا معلقة حتى يثبت النقل أو لا يثبت، أم أنها التقية، أم أن هذا التردد من المتأخرين في الرجعة يعدّ تطورًا جديدًا من تطورات العقائد الشيعية أو استحياءً من بعضها؟!

---

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٥٤)، وانظر مجمع البيان.

(٢) د. أحمد الوائلي: هوية التشيع (ص ١٠٢) دار الصفوة - بيروت (١٤١٤هـ).

(٣) الشيعة بين الحقائق والأوهام (ص ٤٩١)، (ط٢)، (١٩٧٥م).

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية في بحث جعفر الصادق.

(٥) المفيد: أوائل المقالات (ص ٤٦).

(٦) انظر: عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٢٩٧).

المَبْحَثُ السَّادِسُ

المهدي المنتظر غيبته وأعماله

إن فكرة المهدي المصلح المنتظر من المسائل العقدية التي تناولها الشيعة والسنة، ولكن أهل السنة يجعلونها من مسائل الفروع العقدية، أما الشيعة الاثنا عشرية فليست مسألة المهدي عندهم مجرد « بشرى نبوية تطمينية وردت في بعض أخبار الآحاد تبشّر المسلمين بأن خليفة من آل البيت الكرام سوف يحكم هذه الأمة بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، مما صنفه بعض أهل السنة ضمن دلائل النبوة التي تتحدث عن غيب المستقبل، أو هي عقيدة فرعية عند المتأخرين منهم، ولكنها أصل من أصول الاعتقاد... لأنها تتصل بأصل من أصول الإيمان وهو الإمامة » (١).

فالشيعة يرون الإيمان بالمهدي من أصول الدين، ويرون إنكاره كفرًا وضلالًا: يقول الشيخ الصدوق: « مثل من أنكر القائم عليه السلام في غيبته مثل إبليس في امتناعه في السجود لآدم » (٢).

لأنهم يرون إنكار المهدي كإنكار الرسول والأئمة: « من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني » (٣).

إن « جمهور علماء أهل السنة يرونه محمد بن عبد الله من ذرية الحسن بن علي ابن فاطمة، الذي سيولد قبيل ظهوره كما يولد أي مولود من جيله قرب نهاية الزمان، بينما يرى الشيعة الإمامية أنه محمد بن الحسن العسكري الذي ولد في مطالع النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ما بين عامي (٢٥٢ - ٢٦٠هـ)، ثم غاب غيبته الصغرى وهو طفل، ثم غاب غيبته الكبرى التي سوف تستمر حتى يأذن الله بظهوره في آخر الزمان » (٤). ولذلك فإن الشيعة الاثني عشرية يعظمونه وينتظرونه ويعيشون على

---

(١) المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعة الإمامية دراسة حديثية نقدية، د.عداب محمود الحمش، دار الفتح للنشر والتوزيع، الأردن، عمان (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، (ص ٤١١، ٤١٢).

(٢) الصدوق: إكمال الدين (ص ١٣).

(٣) الصدوق: إكمال الدين (ص ٣٩٠).

(٤) د. عداب محمود الحمش: المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعة الإمامية، دراسة حديثية نقدية (ص ٤١٢)، دار الفتح للنشر والتوزيع، الأردن، عمان (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

ذكراه آناء الليل وأطراف النهار، باعتباره مخلّص الشيعة من الظلم الذي وقع بهم على مر الزمان.

جذور فكرة المهدي الغائب المنتظر:

والحقيقة أن فكرة وجود المهدي المنتظر وما يشابهها فكرة قديمة؛ فقد آمن بها اليهود، فهم « بأسرهم مجمعون على أن في التوراة بشارة بواحد بعد موسى ﷺ » (١). كما « احتلت فكرة المخلّص مكانًا بارزًا في العقيدة المسيحية، حيث يعتقد النصارى مجيء المسيح ﷺ إلى هذا العالم مرة أخرى للدينونة: « سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقًا إلى السماء » (٢).

وهذه الفكرة أيضًا من عقائد الزرادشتية الذين يؤمنون بخروج مخلّص لهم (٣)، فقد أخبر كتابهم (زند أوستا) ظهور (أشيزريكا) الرجل العالم الذي يظهر بالعدل » (٤). كما يؤمن البوذيون بمجيء بوذا، وبعد فتح المسلمين للهند ابتكر بعض الهنود شخصية فيشنو الذي سيخلص الهند من فاتحيها المسلمين. ووعد جنكيز خان قومه المغول برجعته إلى الدنيا (٥).

« والملاحظ بصفة أساسية أن فكرة المخلص في كافة حالاتها تبدو وليدة الشعور بالضيق والمرارة وعدم الرضا عن الواقع الأليم الذي يقهر الجماعة ويغلبها على أمرها، ويحول دون تحقيق النظم العادلة في الدين والسياسة، وهذه الملاحظة هي التي ستفسر لنا سر انتشار العقيدة المهدية في الأوساط الشيعية المختلفة » (٦).

ولقد ابتدأ تضخّم فكرة المهدي في الفكر الشيعي بالكيسانية، إذ أنشد شاعرهم وهو يتحدث عن إمامهم محمد ابن الحنفية:

وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيّب لا يرى فيـــهم زمانًا ... برضوى عنده عسل وماء (٧)

---

(١) د. سنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ٤٠٠).
(٢) إنجيل متى (٢٧/٢٤)، أعمال الرسل (١/١٠، ١١).
(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (ص ٢٢٨).
(٤) الشهرستاني: الملل والنحل (٢١٩/١).
(٥) انظر: الأستاذ الدكتور السنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ٤٠١، ٤٠٢).
(٦) الأستاذ الدكتور: السنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ٤٠٢).
(٧) الأبيات لكثير عزة (ت ١٠٥هـ) كثير بن عبد الرحمن. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٢).

ويقول أيضًا:

ما مت يا مهدي يا ابن المهتدي أنت الذي نرضى به ونرتجي
أنت ابن خير الناس من بعد النبي أنت إمام الحق لسنا نمتري
بيّن لنا وانصح لنا يا ابن الوصي بيّن لنا من ديننا ما ينبغي [١]

وهذا « إعلان بالغيبة الكيسانية، وستنتقل الفكرة بنفسها إلى الإمامية الاثني عشرية، ينسبونها إلى الإمام الثاني عشر » [٢].

ولا شك أن الكيسانية استلهموها من اليهود؛ لأن « السبئية بدأت تختلط بالكيسانية في الكوفة، ويبن لنا كثير [عزة] المصدر اليهودي ببساطة حين يقول:

هو المهدي خبّرناه كعب أخو الأحبار في الحقب الخوالي » [٣]

وإذا طالعنا الفكر اليهودي فإننا سنرى بوضوح أصل هذه الأفكار: ففي سفر الملوك « وكان كلام الرب له (إيليا) قائلًا: انطلق من هنا واتجه نحو المشرق واختبئ عند نهر كريث الذي هو مقابل الأردن فتشرب من النهر، وقد أمرتُ الغربان أن تعولك هناك، فانطلق وأعمل حسب كلام الرب ، وذهب فأقام عند نهر كريت الذي هو مقابل نهر الأردن، وكانت الغربان تأتي إليه بخبز ولحم صباحًا ومساء وكان يشرب من النهر » [٤].

وإذا كانت التوراة الحاضرة تقول: « العذراء تحبل وتلد ابنًا، وتدعو اسمه عمانويل، زبدًا وعسلًا يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير،... ويكون في ذلك اليوم أن الإنسان يربي عجلة بقر وشاتين ويكون أنه من كثرة صنعها اللبن يأكل زبدًا، فإن كل من أبقى في الأرض يأكل زبدًا وعسلًا » [٥]، فإن ابن سبأ كان يقول: « واللّه لينبعن لعليٍّ في مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلًا والأخرى سمنًا، ويغترف منهما شيعته » [٦].

وقد رأينا من كتّاب الشيعة من يحاول أن يجد مصدرًا للمهدي المنتظر في مصادر أهل السنة، ويستند إلى أحاديث كثيرة؛ فعلى من يقارن بين عقائد أهل السنة والاثني عشرية أن يلاحظ الفرق بين الفكرتين؛ فكرة المهدي السنيّة، وفكرة الغيبة والرجعة

---

(١) أبو خلف القمي: المقالات والفرق (ص ٢٩).
(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (ص ٧٤).
(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (ص ٧٤، ٧٥).
(٤) سفر الملوك الأول (٢/١٧ - ٦).
(٥) سفر أشعياء (١٤/٧، ١٥ - ٢٢).
(٦) الفرق بين الفرق (٢٢٥/١).

الشيعية، فالمهدي عند أهل السنة رجل صالح يكون زمن نزول عيسى عليه السلام ليس له ذاك التهويل والتضخيم الموجود عند الشيعة، كما أنه لم يولد حتى الآن، والإيمان به فرع عقدي، لا أصل جوهري، في حين أن الشيعة الاثني عشرية تعتقد أن الإيمان بالمهدي من أصول المذهب الشيعي، وأنه قد ولد منذ ما يقارب ألفًا ومائتي عام، وينتظرون خروجه في أي لحظة اليوم، يخرج ليثأر للشيعة وينتقم ويقتل ويذبح. وبذلك تكون فكرة المهدية الشيعية أقرب إلى الرجعة اليهودية، وأبعد عن فكرة المهدي عند أهل السنة.

ومما يجدر ملاحظته أن روايات الاثني عشرية تبيّن تعلّق رجال الشيعة الأوائل بالأئمة السابقين، لدرجة أنهم كانوا لا يصدّقون أخبار وفاة هؤلاء الأئمة، وينسبون الغيبة إليهم، ومن ثمّ كثرت فرق الواقفة عند الشيعة.

ومن أشهر الروايات التي تبيّن هذه الحقيقة رواية أبي جريرٍ القمّيّ « قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك! قد عرفت انقطاعي إلى أبيك ثمّ إليك ثمّ حلفت له وحقّ رسول الله ﷺ وحقّ فلانٍ وفلانٍ [1] حتّى انتهيت إليه بأنّه لا يخرج منّي ما تخبرني به إلى أحدٍ من النّاس وسألته عن أبيه أحيٌّ هو أو ميّتٌ؟ فقال: قد والله! مات فقلت: جعلت فداك إنّ شيعتك يروون أنّ فيه سنّة أربعة أنبياء [2]. قال: قد والله الّذي لا إله إلا هو هلك، قلت: هلاك غيبةٍ أو هلاك موتٍ؟ قال: هلاك موتٍ فقلت: لعلّك منّي في تقيّةٍ؟ فقال: سبحان الله! » [3].

فأنت تلاحظ شكوك الأئمة بوفاة أئمتهم، وتفكيرهم بغيبة الأئمة، وهذا قبل الإمام الثاني عشر، آخر الأئمة في عقيدة الاثني عشرية. فإذا كانت تلك الحيرة تنتهي بظهور إمام من الأئمة، فكيف عندما لا يكون هناك إمام ظاهر؟ عندئذ ستتضخم فكرة الغيبة، لتكوّن لنا فكرة المهدي المنتظر.

---

(١) قال ﷺ: « من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت » أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف، رقم (٢٤٨٢)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، رقم (٣١٠٥).

(٢) وهم يقصدون غيبة بعض الأنبياء، كغيبة موسى في الطور، وإبراهيم عن النمرود كما ذكروا، ويوسف عليه الصلاة والسلام عن أبيه وأهله. انظر: منتخب الأنوار المضيئة للسيد بهاء الدين النجفي (ص ١٢٨، ١٢٩)، إكمال الدين (ص ٤٨١).

(٣) أصول الكافي (١/٤٤٣) كتاب الحجة، باب في أن الإمام متى يعلم أن الأمر قد صار إليه. قال محققه: والحديث حسن كالصحيح.

الغموض الذي يلف فكرة المهدي عند الشيعة:

هناك خلافات كثيرة وغموض كثيف يلف فكرة المهدي في روايات الشيعة، فهناك خلاف في اسم والدته، وفي عمره عند وفاة والده، وفي مكان اختفائه، وهل هو الثاني عشر أم الثالث عشر من الأئمة.

فقد اختلفت تلك الروايات في:

- تحديد تاريخ ولادته في اليوم والشهر والسنة.
- واختلفت تبعًا لذلك في تحديد عمره عند وفاة أبيه بين سنتين إلى ثماني سنوات.
- واختلفت في طريقة الحمل: في الرحم أم في الجنب، وفي الولادة: من الفرج أم من الفخذ.
- واختلفت الروايات في تحديد لونه بين البياض والسمرة.
- كما اختلفت في أمه: بين جارية اسمها نرجس، أو سوسن، أو صقيل، أو خمط، أو ريحانة، أو مليكة، أو حرة اسمها: مريم بنت زيد العلوية.
- كما اختلفت في طريقة نموه؛ هل هي خارقة للعادة، أم لا [(١)].

وقد قام بعض الباحثين بدراسة أحاديث المهدي المنتظر، ونظر في حال رجال الأسانيد في الروايات الشيعية، وبيّن ضعف أولئك الرواة في كتب (الرجال والجرح والتعديل) الشيعية [(٢)].

ولكن قضية المهدي المنتظر لا تخضع عند الشيعة للموازين العقلية ولا النقلية، بل هي مسألة مسلّم بها، حيث «لا توجد قضية خارج البحث والاجتهاد مثل تلك القضية» [(٣)]. ولذلك يستوي فيها الإخباريون مع الأصوليين، فلا مجال للنقد والتمحيص فيها، ولا مكان للنقاش حولها.

وهنا تظهر ازدواجية عجيبة! «إن بعض المثقفين من عامة الناس يتلذذ بنقد عقائد الفرق الأخرى، والاستهزاء برجالها الضعاف والوضّاعين ورواياتها غير المعقولة، ولكن عندما يتعلق الأمر بقضية تخص طائفته فإنه يغمض عينيه ويتذرع بالجهل وعدم الاختصاص، ويرفض أن يشغل عقله قليلًا، ويفضل أن ينام على ما ورثه من خرافات وأساطير» [(٤)].

---

(١) انظر: أحمد الكاتب: تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (ص ٢٠٦).

(٢) د. عداب محمود الحمش: المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعة الإمامية دراسة حديثية نقدية (ص ٤٤٣ - ٤٧٧).

(٣) أحمد الكاتب: تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (ص ٢٠٥).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٠٦).

وهذا ينطبق على الشيعة في عقيدة المهدي المنتظر، فإن « من يطلع على التراث الشيعي الضخم في مجال الرواية والدراية ويرى اعتناء العلماء منذ القرون الأولى بتقييم الرواة ودراسة الأحاديث وغربلتها وتمييز القوي من الضعيف... يصاب بالدهشة لإهمال العلماء طوال التاريخ لدراسة الروايات التاريخية الواردة حول إثبات ولادة ووجود الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، واعتمادهم في ذلك على قاعدةٍ ما أنزل اللَّه بها من سلطان تقول: (الضعيف يقوي بعضه بعضًا) واعتبار مسألة الولادة والوجود أمرًا مفروغًا منه مسلّمًا، لا يحتاج إلى مراجعة أو نقاش » (١).

ولذلك استخدموا الطرق الفلسفية الكلامية، و « أراحوا أنفسهم من تهمة الاعتماد على هكذا روايات ضعيفة، وقالوا في البداية: إننا نثبت وجود الإمام الثاني عشر بالطرق الفلسفية العقلية الاعتبارية النظرية، ولسنا بحاجة إلى الروايات التاريخية، وإنما نأتي بها من باب الإسناد والتعضيد والتأييد، وألقوا عن أنفسهم عناء المناقشة العلمية لتلك الروايات والتأكد من سندها والنظر في متنها » (٢).

« لقد أنفق محقق كبير مثل السيد مرتضى العسكري سنوات طويلة من عمره لكي يثبت في مجلدين أو ثلاثة أن عبد اللَّه بن سبأ أسطورة وهمية اختلقها بعض المؤرخين.... ولكنه لم يبذل واحدًا بالمئة أو الألف من تلك الجهود لبحث حقيقة وجود الإمام الثاني عشر أو يدرس تلك الروايات التي تتحدث عن ولادته » (٣).

ويعلل الاثنا عشرية الغموض الناتج عن تناقض الروايات التي تتحدث عن المهدي بالحال السياسية والاضطهاد الذي كان يهدد وجوده، ويستغلون هذا الغموض لترسيخ هذه العقيدة ذاتها؛ حيث يلفّون شخصية المهدي المنتظر بالهيبة والعظمة، فله عدة أسماء: (المهدي، محمد، القائم، الغائب، صاحب الدار، الحجة، صاحب الزمان، الخائف، الخلف، الناحية المقدسة).

ولا يصح بحالة من الأحوال أن ينادى المهدي المنتظر باسمه: فعن داود بن القاسم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الخلف من بعدي الحسن فكيف لكم بالخلف من

---

(١) المصدر السابق (٢٠٤، ٢٠٥).

(٢) أحمد الكاتب: تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (ص ٢٠٤).

(٣) أحمد الكاتب: تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (ص ٢٠٥)، وانظر الفكرة ذاتها: د. عداب محمود الحمش: المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعة الإمامية، دراسة حديثية نقدية (ص ٤٢٢).

بعد الخلف؟ فقلت: ولم جعلني الله فداك؟ فقال: إنّكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه، فقلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجّة من آل محمّدٍ عليهما السلام » [١].

ويروون عن الصادق أنه قال: « صاحب هذا الأمر لا يسمّيه باسمه إلا كافرٌ » [٢]. ولذلك لا عجب أن الكليني بعد أن ذكر آباءه بأسمائهم سماه (صاحب الدار)، وعندما أراد ذكر اسمه ذكر حروفه مقطعة (م ح م د) [٣]. وهذا التقديس في حق المهدي لم يطلب في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. بل إن النبي الخاتم ﷺ ذكر اسمه محمد بالقرآن بلفظ صريح واضح.

وللمهدي صفات أسطورية خاصة لا توجد عند باقي البشر، فشعر صدر الإمام الغائب أخضر:

عن ضوء بن عليّ العجليّ عن رجلٍ من أهل فارس سمّاه، قال: أتيت سامرّاء ولزمت باب أبي محمّدٍ عليه السلام.... فكشفت عن غلامٍ أبيض حسن الوجه وكشف عن بطنه فإذا شعرٌ نابتٌ من لبّته إلى سرّته أخضر ليس بأسود فقال: هذا صاحبكم، ثمّ أمرها فحملته، فما رأيته بعد ذلك حتّى مضى أبو محمّدٍ عليه السلام[٤].

الخلاف في المهدي هل هو الثالث عشر أم الثاني عشر؟

تعتقد الشيعة الاثنى عشرية أن أئمتهم اثنا عشر إمامًا، أوّلهم علي وآخرهم المهدي المنتظر، ويحتجّ الاثنا عشريّة على أهل السنة بأن هذا العدد قد ورد في روايات أهل السنة كما ورد في روايات الشيعة، وقد صح عند أهل السنة عن جابر بن سمرة قال: « **يكون اثنا عشر أميرًا... كلّهم من قريش** » هذا لفظ البخاري [٥]، وفي صحيح مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفة** » « **كلّهم من قريش** ». وفي رواية: « **لا يزال هذا الدّين عزيزًا منيعًا إلى اثني عشر خليفة** »، وفي لفظ آخر: « **لا يزال أمر النّاس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا** » [٦]،

---

(١) أصول الكافي (٣٨٦/١) كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي محمد - الحسن العسكري -.

(٢) أصول الكافي (٣٩٢/١) كتاب الحجة، باب النهي عن الاسم.

(٣) أصول الكافي (٣٨٦/١) كتاب الحجة، باب الإشارة والنص إلى صاحب الدار (ع).

(٤) أصول الكافي (٣٨٨/١) كتاب الحجة، باب في تسمية من رآه (ع).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (١٢٧/٨).

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب النّاس تبع لقريش والخلافة في قريش (١٤٥٢/٢، ١٤٥٣).

وعند أبي داود: « **لا يزال هذا الدّين قائمًا حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم تجتمع عليهم الأمّة** » (١).

« وكلّ هذه الأوصاف لا تنطبق على من تدّعي الاثنا عشريّة فيهم الإمامة، فلم يتولّ الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين علي والحسن مدّة قليلة، ولم تجتمع في عهدهما الأمة، كما لم يقم أمر الأمة في مدة أحد من هؤلاء الاثني عشر - في نظر الشيعة أنفسهم - بل ما زال أمر الأمة فاسدًا » (٢).

وقد وقع خلاف في روايات الشيعة حول المهدي؛ من هو ومن يكون، فقد روي عن علي الهادي - جد المهدي المنتظر على حسابهم - قال: « أبو محمد: ابني، الحسن العسكري - أنصح آل محمد غريزة، وأوثقهم حجة، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، وإليه ينتهي عرى الإمامة وأحكامها » (٣). هذا دليل على أنه لا إمام بعد الحسن العسكري الحادي عشر.

وكذلك ورد في كتاب سليم بن قيس أن عدد الأئمة ثلاثة عشر إمامًا (٤). وكذلك ورد في أصول الكافي ما يدل على أن عدد الأئمة ثلاثة عشر إمام: عن أبي جعفر قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: « **إني واثني عشر إمامًا من ولدي وأنت يا علي زرّ الأرض - يعني أوتادها وجبالها - بنا أوتد اللّٰه الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا** » (٥).

وهذا الحديث لم يذكر عليًا رضي الله عنه ضمن الأئمة الاثني عشر، مع أن الشيعة يعدّونه أول الأئمة الاثني عشر، ويكون عددهم معه ثلاثة عشر إمامًا.

وقد جاء الطوسي بعد الكليني فروى هذا الحديث بما يرفع الإشكال، فغير العدد الذي فيه إلى ما يتفق مع اعتقاد الشيعة: « إني وأحد عشر من ولدي » (٦)! وهذا تحريف واضح للرواية.

---

(١) سنن أبي داود، أوّل كتاب المهدي (٤٧١/٤).

(٢) د. ناصر بن عبد اللّٰه القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٨١٥/٢، ٨١٦). ويفسر ابن تيمية: منهاج السنة (٢٠٦/٤)، الحديث بأن هؤلاء الخلفاء هم الخلفاء الراشدون الأربعة - رضوان اللّٰه عليهم - ثم من جاء بعدهم من الأمويين إلى زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله. وبعد ذلك حصل النقص.

(٣) الكليني: الكافي (٣٢٧/١). بتحقيق غفاري.

(٤) انظر: هاشم معروف الحسني: دراسات في الحديث والمحدثين (ص ١٩٧).

(٥) الكليني: الكافي (٥٣٤/١).

(٦) الغيبة (ص ٩٢).

وكذلك فإن اسم المهدي المنتظر عند الشيعة يختلف عن الاسم الذي تذكره بعض روايات السنة والشيعة، فقد جاء في الحديث: « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلًا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا » (١)، والرسول ﷺ كما هو معلوم اسمه: محمد بن عبد الله، والمهدي عندهم اسمه محمد بن الحسن، فكيف يكون اسمه على اسم النبي، واسم أبيه على اسم أبي النبي ﷺ؟!

حاول أبو الحسن الأربيلي حل هذه الإشكالية فقال،: « كان لرسول الله ﷺ سبطان أبو محمد الحسن وأبو عبد الله الحسين، ولما كان الحجة من ولد الحسين أبي عبد الله - الحجة يعني المنتظر من أولاد الحسين أبي عبد الله - وكانت كنية الحسين أبا عبد الله، فأطلق النبي ﷺ على الكنية لفظ الاسم، لأجل المقابلة بالاسم في حق أبيه، وأطلق على الجد لفظة الأب، فكأنه قال: اسمه اسمي فأنا محمد وهو محمد، وتواطئ كنية جده - الحسين هو أبو عبد الله » (٢). ولعمر الحق! لو سار الناس في التعريف بأسمائهم على قول الأربيلي لما استقر اسم إنسان، وصارت الأسماء ألعوبة على ألسنة البشر!

ومن الإشكالات أيضًا أنه ورد في نصوص الشيعة أن المهدي ليس واحدًا، بل هناك عدد من المهديين: فقد ورد: « يا علي، إنه سيكون بعدي اثنا عشر إمامًا، من بعدهم اثنا عشر مهديًا » (٣).

---

(١) رواه بهذه اللفظ أبو داود، كتاب المهدي، رقم (٤٢٨٢)، وسنده حسن. وابن حبان في صحيحه (١٥/٢٣٦). والحاكم: المستدرك (٤/٤٨٨)، ورواه من الشيعة بهذه الصيغة: ابن طاوس (ت ٦٦٤هـ): الملاحم والفتن (ص ٢٨٢)، القاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣هـ): شرح الأخبار (٣/٣٨٦). وقال محققه محمد الحسيني الجلالي: ومن الملاحظ أن الحديث الذي نقله صاحب عقد الدرر لم يكن فيه جملة (يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي) ولكن الذي لا يمكن إنكاره كثرة الأحاديث الواردة والمتضمنة لهذه الجملة. ورواه فقط بلفظ: (يواطئ اسمه اسمي) دون (واسم أبيه اسم أبي) الترمذي، كتاب الفتن، باب المهدي، رقم (٢٢٣٠)، وأحمد في مسنده (١/٣٧٦). ومن الشيعة: الفتال النيسابور في روضة الواعظين (ص ٢٦١). وقال الكنجي في كفاية الطالب (ص ٤٨٥): « ولا يرتاب اللبيب أن هذه الزيادة لا اعتبار بها مع اجتماع الأئمة على خلافها ». وانظر: بحار الأنوار (٥١/١٠٣).

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة (٢/٤٤٣).

(٣) الغيبة (ص ٩٧)، علي بن يونس العاملي: الصراط المستقيم (٢/١٥٢).

ولادة المهدي:

وقد ورد في الكافي: أنه « لما مات الحسن العسكري سنة ستين ومائتين ضجت (سرّ من رأى) ضجة واحدة: مات ابن الرضا، وبعث السلطان إلى داره من يفتشها ويفتش حجرها وختم على جميع ما فيها، وطلبوا أثر ولده، وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل، فوضعت تلك الجارية في حجرة ووكل بها بعض النسوة، ثم أخذوا بعد ذلك في تهيئته... فلما فرغوا من ذلك بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل للصلاة عليه، فلما دنا أبو عيسى منه كشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتاب... ثم قال: هذا الحسن بن علي بن محمد الرضا، مات حتف أنفه على فراشه، حضره من حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته.. ثم صلى عليه.. وبعد دفنه أخذ السلطان والناس في طلب ولده وكثر التفتيش في المنازل والدور، وتوقفوا عن قسمة ميراثه، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي وهم عليها الحمل ملازمين لها حتى تبين بطلان الحمل، فلما بطل الحمل عنهن قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر »[1].

وهذه الرواية يستشهد بها الاثنا عشرية ليثبتوا وفاة الحسن العسكري، ولكن الرواية نفسها تذكر عقمه وعدم وجود مولود له، وتقسيم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر، ولكن الشيعة لا يأخذون بهذا الشطر من الرواية، فيثبتون وجود مولود ذكرٍ للحسن العسكري. فقد جاء في رواية أخرى أن أحد رجال الشيعة - وهو أحمد بن إبراهيم - توجّه سنة (٢٦٢هـ) - أي بعد وفاة الحسن العسكري بسنتين - إلى بيت الحسن العسكري وسأل خديجة بنت محمد بن علي الرضا عن ولد الحسن العسكري، فأكّدت وجود ولدٍ للحسن، وسمّته له فقال: « فأين الولد؟ قالت: مستور، فقلت: إلى من تفزع الشيعة؟ قالت: إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام »[2].

وهذه الرواية وأمثالها لم تقنع معظم الناس حتى من الشيعة أنفسهم « حتى قال بعضهم: إنا قد طلبنا الولد بكل وجه فلم نجده، ولو جاز لنا دعوى أن للحسن ولدًا خفيًا لجاز مثل هذه الدعوى في كل ميت من غير خلف »[3].

---

(١) أصول الكافي (١/٥٠٥)، إكمال الدين (ص ٤١، ٤٢).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ١٣٨).

(٣) المقالات والفرق (ص ١١٤، ١١٥)، فرق الشيعة (ص ١٠٣، ١٠٤).

ولذلك كثرت فرقهم بعد موت الإمام الحسن العسكري، فقد ذكر القمي والنوبختي من كتّاب فرق الشيعة أنهم افترقوا من بعده إلى فرق عديدة أنكر أكثرها وجود الولد أصلًا [(١)].

ولما كان جعفر أخو الحسن العسكري قد أنكر وجود عقب لأخيه، ولذلك اقتسم مع والدته ميراثه، كان محل تكذيب وتشنيع عظيمين، يقول الطوسي: « لاتفاق الكل على أن جعفرًا لم يكن له عصمة كعصمة الأنبياء، فيمتنع عليه لذلك إنكار حق ودعوى باطل، والغلط غير ممتنع منه » [(٢)]. وهكذا ينكر الطوسي خبر جعفر لعدم عصمته، فهل هذه حجة صحيحة؟ وهل كانت خديجة بنت علي الرضا التي أثبتت ولادة المهدي معصومة؟ وهل كان النوّاب الأربعة – الذين زعموا النيابة عن المهدي الغائب – معصومين؟!

ولموقف جعفر المتميز ضد محاولات الرموز الشيعية اختراع ولد لأخيه الحسن؛ ضاق الشيعة ذرعًا به، حتى لقبوه بـ (جعفر الكذاب) [(٣)]، ويرى الدكتور ناصر القفاري أنه قد يكون شيوع إطلاق لقب (الصادق) على جعفر بن محمد الباقر، وتمييزه بذلك بين آبائه وأقرانه مصدره الشيعة، نكاية بحفيده جعفر [(٤)].

كما وضعوا روايات نسبوها إلى النبي ﷺ، تزعم أنه هو الذي سمّى الأول جعفر ابن محمد بالصادق وسمى الثاني حفيده جعفر بالكذاب، وتنبأ بما سيفعل من إنكار إمامة ابن أخيه، حيث تقول الرواية عنه ﷺ: « **إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب فسموه الصادق، فإن كان الخامس من ولده اسمه جعفر يدّعي الإمامة اجتراء على الله وكذبًا، فهو عند الله جعفر الكذاب المفتري على الله ﷻ، والمدّعي ما ليس له بأهل، المخالف على أبيه، والحاسد لأخيه، ذلك الذي يروم كشف ستر الله عند غيبة ولي الله ﷻ** » [(٥)].

كما زعموا روايات نسبت لأوائل أهل البيت تندد بجعفر، تقول الرواية: « كأني بجعفر الكذاب قد حمل طاغية زمانه، على تفتيش أمر ولي الله المغيب في حفظ الله جهلًا

---

(١) المقالات والفرق (ص ١٠٢ – ١١٦)، فرق الشيعة (ص ٩٦ – ١١٢). وانظر: الدكتور القفاري: مذهب الشيعة (١٠٩٤/٢).

(٢) الغيبة (ص ٧٥).

(٣) انظر: ابن بابويه: إكمال الدين (ص ٣١٢)، سفينة البحار (١٦٢/١)، مقتبس الأثر (٣١٤/١٤).

(٤) د. ناصر بن عبد الله القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١٠٩٦/٢).

(٥) الصدوق: إكمال الدين (ص ٣١٩).

منه بولادته، وحرصًا على قتله إن ظفر به؛ طمعًا في ميراث أبيه حتى يأخذه بغير حقه » [١].

مع أنه لم يكن جعفر وحيدًا في إنكاره لوجود ولد للحسن العسكري، بل يظهر من روايات الشيعة أن الإنكار كان من أهل بيت الحسن العسكري أنفسهم وبني عمومته، فقد جاء في توقيع عن المنتظر عندهم يقول: « أما ما سألت عنه أرشدك الله من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمنا. فاعلم أنه ليس بين الله ﷻ وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني، وسبيله سبيل ابن نوح، وأما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل أخوة يوسف.. » [٢].

وهكذا نرى من خلال روايات الاثني عشرية أنفسهم كثرة الشكوك في المهدي، ترى ألا تعذر الأمة إن لم تعتقد بوجوده؟

علة اختفاء المهدي:

تذكر الروايات أن للإمام غيبة صغرى وكبرى، فالصغرى تبدأ من ولادته (منتصف شعبان ٢٥٥هـ)، وتنتهي في بداية غيبته الكبرى التي بدأت في (١٥ شعبان ٣٢٨هـ)، وما تزال مستمرة حتى اليوم، فما علّة هذا الاختفاء؟

يروي الشيعة عن جعفر الصادق أنه قال: « إن للقائم عليه السلام غيبة قبل أن يقوم، قلت: ولم؟ قال: إنه يخاف، وأومأ بيده إلى بطنه، يعني القتل » [٣].

وهذا ما أكّدته أقوال علماء الاثني عشرية، قال الطوسي: « لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه من القتل؛ لأنه لو كان غير ذلك لما جاز له الاستتار » [٤].

ولكن فكرة الخوف بعيدة جدًّا عن أخلاق أهل البيت، وحبهم للشهادة في سبيل الله، كحال الحسين - رضوان الله عليه - ويرد على تعليلهم هذا أنه « قد توفر الأمن التام للإمام في أثناء قيام بعض الدول الشيعية فلماذا لم يخرج إليهم، ويأنسوا بطلعته، ويستفيدوا من علمه، وسلاحه، وقوته » [٥]، وقد قامت دول شيعية كثيرة كالفاطمية

---

(١) إكمال الدين (ص ٣١٢)، سفينة البحار (١٦٢/١).

(٢) إكمال الدين (ص ٤٥١)، الاحتجاج (٢٨٣/٢) ط: النجف (١٣٨٦هـ)، و (ص ٤٦٩، ٤٧٠) ط: بيروت (١٤٠١هـ)، سفينة البحار (١٦٣/١)، مقتبس الأثر (٣١٦/١٤).

(٣) أصول الكافي (٣٣٨/١)، الغيبة للنعماني (ص ١١٨)، إكمال الدين (ص ٤٤٩).

(٤) الغيبة (ص ٢٠٣).

(٥) انظر: د. ناصر بن عبد الله القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١٠٣٨/٢ - ١٠٨١، ١٠٨٢).

والبويهية والقرامطة والصفوية، وكان آخرها الثورة الشيعية في إيران، والتي اتخذت من المذهب الاثني عشري هوية ومصدرًا، فلم لم يظهر الغائب؟

وتذكر بعض الروايات تعليلًا آخر، هو امتحان قلوب الشيعة: عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله يقول: « إن للغلام غيبة قبل أن يقوم.. وهو المنتظر وهو الذي يشك في ولادته، منهم من يقول: مات أبوه بلا خلف، ومنهم من يقول: حمل، ومنهم من يقول: إنه ولد قبل موت أبيه بسنتين وهو المنتظر، غير أن الله ﷻ يحب أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون » [1].

سفراء الإمام في الغيبة الصغرى:

تذكر نصوص الشيعة أن النيابة في الغيبة الصغرى منذ ولادته كانت أولًا عند جدّته، كما ورد في رواية مرّت: « قلت لها: فأين الولد؟ قالت: مستور، فقلت: إلى من تفزع الشيعة؟ قالت: إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام » [2].

ثم جاءت نيابة الرجال الأربعة، حيث تذكر الروايات أن القائم الغائب كان يكتفي في الغيبة الصغرى بمراسلة أتباعه عن طريق أحد سفرائه الأربعة، الذين تولّى كل واحد منهم السفارة بعد موت صاحبه، وهؤلاء السفراء - حسب ترتيبهم الزمني - هم:

- عثمان بن سعيد العمري الأسدي (المشهور بالسمّان لأنه كان يبيع السمن)، وهو أولهم، وكان وكيلًا للإمام الهادي، والإمام العسكري، ثم الإمام المهدي.

- ولده أبو جعفر، الحسين بن عثمان العمري، بقي في منصبه خمسين سنة (ت ٣٠٤ أو ٣٠٥هـ).

- أبو القاسم، الحسين بن روح بن بحر النوبختي (ت ٣٢٦هـ).

- علي بن محمد السمري (ت ٣٢٩).

ولكن هذه النيابة انتهت، إذ « لما حضرت السمري الوفاة سئل أن يوصي فقال: لله أمر هو بالغه. فالغيبة التامة هي التي وقعت بعد مضي السمري » [3]، « وفيها انقطعت اتصالات السفارة بين الإمام وشيعته » [4].

---

(١) أصول الكافي (٣٣٧/١).

(٢) الطوسي: الغيبة (ص ١٣٨). مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، (ط١)، (١٤١١هـ).

(٣) الطوسي: الغيبة (ص ٢٤١، ٢٤٢).

(٤) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٢٥٣).

وقد جاء في توقيع عن السمري منسوب إلى المهدي: « بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمريّ، اسمع أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فأجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله - تعالى ذكره - وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جورًا » (١).

وقد كانت هناك دعاوى لوجود سفراء بلغوا العشرين، ولكن جاءت توقيعات بلعنهم جميعًا، وكل هذه التوقيعات تأتي باسم النواب الأربعة، وفي مقدمتهم عثمان العمري، تقول تلك التوقيعات: محمد بن علي بن بلال ملعون، الشلمغاني ملعون، العبرتائي ملعون،.. إلخ. وهكذا لعن العشرون، وبقي الأربعة، الذين وجدوا من الشيعة من يصدقهم.

وكان لهؤلاء السفراء الأربعة وكلاء يتهارشون ويتنافسون على المال حتى لعن بعضهم بعضًا، وادعى بعضهم السفارة للإمام المنتظر دون وساطة السفراء الأربعة، وأنكر بعضهم سفارة بعض. فهذا محمد بن علي الشلمغاني، كان وكيلًا عن النائب الثالث الحسين بن روح، ثم انشق عنه وادعى النيابة لنفسه، وقال: « ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح في هذا الأمر إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف... فلم تلتفت الشيعة إلى هذا القول وأقامت على لعنه والتبرؤ منه » (٢).

ولذلك يرى بعض الباحثين أن كل أبواب المهدي المزعوم وسفرائه ومراسلاته أتباعه كذبٌ فاضح كانت وراءه أيد خبيثة تخطط في الظلام لتمزيق هذه الأمة وإضلالها، أو كانت لعبة سياسية لصرف وحرف الشيعة المتحمسين الثائرين عن ثوراتهم وتحركاتهم ضد الحكام، تحت دعوى حرمة الخروج على الحاكم حتى ظهور المهدي المنتظر (٣).

ولما كان من المستحيل استمرار الكذب على كل الناس طول الزمان؛ خرج بعد إعلان انتهاء البابية على يد السمري توقيعٌ من توقيعات المهدي يقول: « أما الوقائع

---

(١) ابن بابويه: إكمال الدين (ص ٥١٦). الطوسي: الغيبة (ص ٢٥٧).

(٢) الطوسي: الغيبة (ص ٣٩٣)، المجلسي: بحار الأنوار (٣٥٩/٥١).

(٣) د. عداب محمود الحمش: المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعة الإمامية، دراسة حديثية نقدية (ص ٥٣٢).

الحادثة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة اللّٰه » (١)، وبهذا أعلن انقطاع الصلة المباشرة بالمهدي، وفوض أمر النيابة عن المنتظر إلى علماء الاثني عشرية (رواة حديثهم وفقهائهم).

حيرة الشيعة في غيبة الإمام المهدي:

هناك نصوص تذكر شكوك وحيرة الشيعة حال غيبة إمامهم:

تنسب إحدى الروايات إلى جعفر الصادق قوله: « إن بلغكم عن صاحبكم غيبة فلا تنكروها » (٢). وفي رواية أخرى: « إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها، يرتاب فيها كل مبطل، فقلت: ولم جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه، فقلت فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج اللّٰه - تعالى ذكره - إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره، كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من حرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى وقت افتراقهما » (٣).

وسأله أحدهم فقال: « أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: لا، فقلت: فولدك؟ فقال: لا، فقلت: فولد ولدك؟ فقال: لا، قلت: فولد ولد ولدك؟ قال: لا، قلت: فمن هو؟ قال: الذي يملأها عدلًا كما ملئت ظلمًا و جورًا، لعلى فترة من الأئمة يأتي، كما أن النبي ﷺ بعث على فترةٍ من الرسل » (٤).

وجاء في أخبارهم ما يدل على حيرتهم في شأن المهدي، تقول الرواية: « لا يكون الأمر الذي ينتظر حتى يبرأ بعضكم من بعض ويتفل بعضكم في وجوه بعض، فيشهد بعضكم على بعض بالكفر ويلعن بعضكم بعضًا » (٥). فانظر إلى اللطف في الكفر واللعن!

مع أن رواياتهم تخبر أن المخلصين من أتباعه لن يرتابوا، تقول الرواية: « لو علم اللّٰه أنهم يرتابون ما غيب حجته طرفة عين » (٦).

---

(١) الكافي، مع شرحه مرآة العقول (٤/٥٥)، إكمال الدين (ص ٤٥١)، الطوسي: الغيبة (ص ١٧٧)، الطبرسي: الاحتجاج (ص ١٦٣)، وسائل الشيعة (١٨/١٠١).

(٢) النعماني (محمد بن إبراهيم): الغيبة (ص ١٨٦).

(٣) انظر: إبراهيم الموسوي الزنجاني: عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص ١٥٢). وقد نسب الرواية لنصير الطوسي في تجريد العقائد.

(٤) شرح المازندراني (٦/٢٣٣).

(٥) النعماني: الغيبة (ص ١٣٧، ١٣٨)، بحار الأنوار (٥٢/١١٤، ١١٥).

(٦) أصول الكافي (١/٣٣٣)، النعماني: الغيبة (ص ١٠٧).

وخوف ملالة الأتباع من الوعود على مرّ العهود فقد جعلت الروايات انتظار المهدي من أحب الأعمال إلى اللّه، ولذلك فـ « المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان »[(١)]، وجعلت لمن مات مؤمنًا بالإمام حيث غيبته أجر ألف شهيد من البدريين!! فقد رووا عن علي بن الحسين قال: « من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه اللّه ﷻ أجر ألف شهيد من شهداء بدرٍ وأحد »[(٢)]!!

ومن أجل تثبيت قلوب الأتباع والرد على مخالفيهم، قام علماء الشيعة بقياس غيبة الإمام على غيبات الأنبياء، فقد قال بهاء الدين النجفي: « أما علموا أن اللّه تعالى أخفى شخص إبراهيم عليه السلام وولادته في زمن نمرود (حتى كان نمرود) يقتل أولاد رعيته في طلبه، فلما علم اللّه حصول المصلحة في إظهاره أظهره اللّه تعالى، كما هو المشهور في قصته، ثم أنجاه من النار بقدرته. وكذلك موسى عليه السلام وحكايته مشهورة، وفي القرآن المجيد مذكورة. وكذا يوسف عليه السلام مع قرب موضعه من أبيه، وظهوره بعد خفائه... وأقرب الأحوال شبهًا بأحواله في تقلّبه وتصرفه وانتقاله، أحوال موسى عليه السلام »[(٣)].

وقد رصدوا لهذا القياس روايات منها: « عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إن للقائم منا غيبة يطول أمدها. فقلت له: يا ابن رسول اللّه! ولم ذلك؟ قال: لأن اللّه ﷻ أبى إلا أن تجري فيه سنن الأنبياء في غيباتهم، وإنه لا بد له يا سدير! من استيفاء مدد غيباتهم، قال اللّه تعالى: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق: ١٩] »[(٤)].

وعندما ووجه الشيعة بمن يستغرب حياة المهدي طول هذه الفترة الطويلة، التي ما زالت تمتدّ حتى اليوم، استخدم بعض كتّابهم المعاصرين شيئًا من المبالغات التي صاغوها بقوالب علمية، أسندوها إلى بعض كتّاب الغرب، يقرر محمد حسين آل كاشف الغطا أن « أكابر فلاسفة الغرب قالوا بإمكان الخلود في الدنيا للإنسان.. قال بعض كبار علماء أوروبا: لولا سيف ابن ملجم لكان علي بن أبي طالب من الخالدين؛ لأنه قد جمع جميع صفات الكمال والاعتدال »[(٥)]!!، كما قاسوا بقاء مهديّهم على

---

(١) بحار الأنوار (١٢٢/٥٢) وانظر: د. ناصر بن عبد اللّه القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١٠٤٢/٢).

(٢) كمال الدين وتمام النعمة (ص ٣١٥)، بحار الأنوار (١٢٥/٥٢).

(٣) السيد بهاء الدين النجفي: منتخب الأنوار المضيئة (ص ١٢٨، ١٢٩).

(٤) كمال الدين وتمام النعمة (ص ٤٨١). والحقيقة أن تفسير الآية بهذا الشكل فيه تعسف وتلاعب.

(٥) محمد حسين آل كاشف الغطا: أصل الشيعة (ص ٧٠).

بقاء عيسى ابن مريم عليه السلام (١)، بل إنّ بعضهم عقد المقارنة بين حياة المهدي طول هذه المدة بإبليس الذي أنظره الله إلى يوم يبعثون! (٢).

وعلى كلّ فإن تعليلات الشيعة القديمة والحديثة لم تجد نفعًا، فقد بقي من الشيعة من يشك في غيبة المهدي، وخصوصًا في القرون الأولى لغيبته، وقد بيّن ذلك الشيخ الصدوق في كتابه (كمال الدين وتمام النعمة)، حيث يقول: « إن الذي دعاني إلى تصنيفي هذا أني لما قضيت وطري من زيارة مولانا الإمام أبي الحسن الرضا - صلوات الله عليه - رجعت إلى نيسابور وأقمت فيها، فوجدت أكثر المختلفين إليّ من الشيعة قد حيّرتهم الغيبة، ودخلت عليهم في أمر القائم عليه السلام الشبهة، وعدلوا عن طريق الحق » (٣).

ويقول صاحب كتاب الغيبة: « أيّ حيرة أعظم من هذه الحيرة التي أخرجت من هذا الأمر الخلق الكثير والجمّ الغفير؟ ولم يبق عليه ممن كان فيه إلا النزر اليسير، وذلك لشك الناس وضعف يقينهم، وقلة ثباتهم على صعوبة ما ابتلي به المخلصون » (٤).

ثم كيف يختلف الناس في المهدي وهو صاحب الشأن العظيم، وقد ورد من النصوص أن الله تعالى يحفظ أولياءه من الريبة فيه؟!

عن المفضّل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « أقرب ما يكون العباد من الله - جلّ ذكره - وأرضى ما يكون عنهم، إذا افتقدوا حجّة الله - جلّ وعزّ - ولم يظهر لهم ولم يعلموا مكانه، وهم في ذلك يعلمون أنّه لم تبطل حجّة الله - جلّ ذكره - ولا ميثاقه، فعندها فتوقّعوا الفرج صباحًا ومساءً، فإنّ أشدّ ما يكون غضب الله على أعدائه إذا افتقدوا حجّته ولم يظهر لهم، وقد علم أنّ أولياءه لا يرتابون، ولو علم أنّهم يرتابون ما غيّب حجّته عنهم طرفة عين، ولا يكون ذلك إلا على رأس شرار النّاس » (٥).

كما استثمر بعضهم فكرة غياب المهدي للطعن على الأمة المسلمة، ممثلة بالصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ومن تبعهم بـإحسان، « فيوجهون هذا الحقد الناتج من هذا الشعور إلى سب ولعن خير جيل عرفته البشرية »، فيقولون: إن « الإمام الغائب مقموع مقهور مزاحم في حقه، قد غلب قهرًا » (٦)، وأنه بسبب غيبته - كما يزعمون - « جرى

(١) عقائد الإمامية (ص ١٠٨).
(٢) الحائري: إلزام الناصب (٢٨٣/١).
(٣) كمال الدين وتمام النعمة (ص ٣).
(٤) النعماني: كتاب الغيبة، المقدمة.
(٥) أصول الكافي (٣٩٢/١)، كتاب الحجة باب نادر في حال الغيبة، سكت عن درجته المحقق.
(٦) كمال الدين (ص ١٢).

على شيعته من أعداء اللّه ما جرى من سفك الدماء ونهب الأموال.. » [١]. قال الجزائري: « إني كلما أشكلت عليّ مسألة أوجبت على نفسي لعنهم؛ لأنهم سبب في استتار الحجة » [٢].

ادعاء لقاء المهدي في غيبته الكبرى:

جاء في توقيع عن السمري - آخر النواب - عن المهدي المنتظر يمنع اللقاء به بعد الغيبة الكبرى، إذ يقول: «.. وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر » [٣]. وهذا يعني أن لقاء المهدي قد انقطع بالغيبة الكبرى سنة (٣٢٩هـ).

ولكن شيوخ الشيعة - فيما بعد - لم تقتنع بالإعلان عن الانقطاع التام عن المنتظر، وكثرت الدعاوى عندهم في الاتصال بالمنتظر، ولقائه والأخذ عنه (مع أن النص يقطع بكذب وافتراء مدّعي المشاهدة واللقاء) فها هو شيخهم ابن المطهر الملقب بالعلّامة يدّعي اللقاء بالمهدي، وأنه نسخ له كتابًا في ليلة واحدة [٤].

ويستدل هؤلاء على استمرار المشاهدة للمهدي بنص أورده الكليني في الكافي: « لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولا بد له في غيبته من عزلة، وما بثلاثين من وحشة » [٥]، ويفسر النوري الطبرسي هذا النص بأنه: في « كل عصر يوجد ثلاثون مؤمنًا وليًا يتشرفون بلقائه » [٦]، بل قالوا: إن بعض المجتهدين يتمكن من لقاء الغائب ويأخذ منه بعض الأحكام الشرعية، وقد لا يستطيع أن يعلن عن هذا اللقاء؛ لأمر الإمام له بالكتمان، فهو حينئذ يدعي حصول الإجماع على هذا الحكم، وإن لم يوجد إجماع في الحقيقة [٧].

وقد ألف بعض شيوخهم مصنفات في حكايات وأحداث من اجتمع بهذا المنتظر، كما فعل المجلسي (ت ١١١١هـ) في البحار، ثم جاء بعده النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)

---

(١) كمال الدين (ص ١٢). وانظر: د. ناصر بن عبد اللّه القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١٠٤٥/٢).

(٢) شرح الصحيفة السجادية (ص ٣٧).

(٣) ابن بابويه: كمال الدين (ص ٥١٦)، الطوسي: الغيبة (ص ٢٥٧).

(٤) بحار الأنوار (٣٦١/٥١).

(٥) النوري الطبرسي: جنة المأوى (٣٢٠/٥٣) (مطبوع مع بحار الأنوار).

(٦) المرجع السابق نفسه.

(٧) النوري الطبرسي: جنة المأوى (٣٢٠/٥٣).

فكتب في ذلك كتابًا سماه « جنة المأوى فيمن فاز بلقاء الحجة ومعجزاته في الغيبة الكبرى »، وقد أورد فيه تسعًا وخمسين حكاية، فيها دعوى اللقاء بالمنتظر [(١)].

وتدعي بعض روايات الشيعة ظهور المهدي لأفراد من الشيعة في موسم الحج:

عليّ بن محمّدٍ عن أبي أحمد بن راشدٍ عن بعض أهل المدائن قال: « كنت حاجًّا مع رفيقٍ لي فوافينا إلى الموقف، فإذا شابٌّ قاعدٌ عليه إزارٌ ورداءٌ وفي رجليه نعلٌ صفراء، قوّمت الإزار والرّداء بمئةٍ وخمسين دينارًا وليس عليه أثر السّفر، فدنا منّا سائلٌ، فرددناه، فدنا من الشّابّ، فسأله، فحمل شيئًا من الأرض وناوله، فدعا له السّائل واجتهد في الدّعاء وأطال، فقام الشّابّ وغاب عنّا، فدنونا من السّائل فقلنا له: ويحك ما أعطاك؟ فأرانا حصاة ذهبٍ مضرّسةً قدّرناها عشرين مثقالًا، فقلت لصاحبي: مولانا عندنا ونحن لا ندري! ثمّ ذهبنا في طلبه فدرنا الموقف كلّه فلم نقدر عليه، فسألنا كلّ من كان حوله من أهل مكّة والمدينة، فقالوا: شابٌّ علويٌّ يحجّ في كلّ سنةٍ ماشيًا » [(٢)].

وقد أورد الكليني هذا الخبر في باب (باب في تسمية من رآه عليه السلام - أي المهدي -) ولا يوجد فيه دليل على أن هذا الشخص هو الإمام المنتظر، ولكن كثرة التفكير من الشيعة به جعلهم يجزمون بأنه هو. وهذا يذكرنا ببعض الأحداث والقصص التي ينسبها بعض الناس للخضر عليه السلام.

الخلاف في التوقيت لخروج المهدي المنتظر:

وتختلف روايات الاثني عشرية اختلافًا بيّنًا في التوقيت لخروج المهدي المنتظر:

عن الأصبغ بن نباتة: «.. فقلت يا أمير المؤمنين وكم تكون الحيرة والغيبة؟ قال ستّة أيّامٍ أو ستّة أشهرٍ أو ستّ سنين... فقلت: ثمّ ما يكون بعد ذلك، فقال: ثمّ يفعل اللّه ما يشاء، فإنّ له بداءاتٍ وإراداتٍ وغاياتٍ ونهاياتٍ » [(٣)].

قال المازندراني مرتبكًا في شرح هذه الرواية: « أي تقديرات متعددة في أوقات الزمان وإرادات حادثة إن شاء أظهره وإن شاء أخفاه بحسب المصالح المعلومة له تعالى، ولتقديراته وإراداته غايات ونهايات » [(٤)].

---

(١) انظر: أغا بزرك: الذريعة (٥/١٥٩).

(٢) أصول الكافي (١/٣٩١) كتاب الحجة، باب في تسمية من رآه (ع).

(٣) أصول الكافي (١/٣٩٧) كتاب الحجة، باب في الغيبة.

(٤) شرح المازندراني (٦/٢٣٣).

وتبين إحدى الروايات أن خروج المهدي بعيد، ولكن المصلحة تقتضي أن يعلّل الأتباع بقرب الفرج: عن « عليّ بن يقطينٍ قال: قال لي أبو الحسن ﷺ: الشّيعة تربّى بالأمانيّ منذ مائتي سنةٍ. قال: وقال يقطينٌ لابنه عليّ بن يقطين: ما بالنا قيل لنا فكان، وقيل لكم فلم يكن؟ قال: فقال له عليٌّ: إنّ الّذي قيل لنا ولكم كان من مخرجٍ واحدٍ، غير أنّ أمركم حضر فأعطيتم محضه فكان كما قيل لكم، وإنّ أمرنا لم يحضر فعلّلنا بالأمانيّ، فلو قيل لنا: إنّ هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتي سنةٍ أو ثلاثمائة سنةٍ، لقست القلوب، ولرجع عامّة النّاس عن الإسلام، ولكن قالوا: ما أسرعه وما أقربه؛ تألّفًا لقلوب النّاس وتقريبًا للفرج »[1]. وهذا نص عجيب، إذ ينسب روايات الأئمة إلى الكذب، وهذه الوسيلة الدنيئة مبررة بالغاية النبيلة: تهدئة قلوب الشيعة وتثبيتهم على عقيدة الإمام الغائب.

وهناك رواية تعلل اختلاف التاريخ بغضب الله تعالى على أهل الأرض:

عن أبي حمزة الثّماليّ قال: سمعت أبا جعفرٍ ﷺ يقول: « يا ثابت إنّ الله – تبارك وتعالى – قد كان وقت هذا الأمر في السّبعين، فلمّا أن قتل الحسين – صلوات الله عليه – اشتدّ غضب الله تعالى على أهل الأرض، فأخّره إلى أربعين ومائةٍ، فحدّثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع السّتر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتًا عندنا و ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٩] قال أبو حمزة: فحدّثت بذلك أبا عبد الله ﷺ فقال: قد كان كذلك »[2].

وجاء في كتاب سليم بن قيس: « ثم استمر طيلة أربعة عشر قرنًا حتى يبعث الله الإمام المهدي الذي يقوم بإذن الله من عند بيت الله الحرام، وينتقم من مخربي بيت النبوة في مدينة الرسول ﷺ »[3].

وبسبب تناقض تلك الروايات جاءت رواية تتهم كل من يؤقت لخروج القائم بالكذب: عن عبد الرّحمن بن كثيرٍ قال: « كنت عند أبي عبد الله ﷺ إذ دخل عليه مهزمٌ فقال له: جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الّذي ننتظر متى هو؟ فقال: يا مهزم كذب الوقّاتون، وهلك المستعجلون ونجا المسلّمون »[4].

---

(١) أصول الكافي (١/ ٤٣٠) كتاب الحجة، باب كراهية التوقيت، وانظر: الغيبة للنعماني (ص ١٩٨)، الغيبة للطوسي (ص ٢٠٧، ٢٠٨)، بحار الأنوار (٥٢/ ١٠٢).

(٢) أصول الكافي (١/ ٤٢٩) كتاب الحجة، باب كراهية التوقيت.

(٣) كتاب سليم بن قيس (ص ٤٨٣)، تحقيق محمد باقر الأنصاري.

(٤) أصول الكافي (١/ ٤٢٩) كتاب الحجة، باب كراهية التوقيت.

والحقيقة أن فكرة الغيبة الطويلة لم ترد في مذهب الأئمة الأوائل، فقد أنكرها بعضهم، فقد جاء في (رجال الكشي) أن عليًا الرضا قيل له: إن قومًا وقفوا على أبيك ويزعمون أنه لم يمت، قال: « كذبوا وهم كفار بما أنزل الله ﷻ على محمد ﷺ، ولو كان الله يمد في أجل أحد لمدّ الله في أجل رسول الله ﷺ » (١).

كما أنها مرفوضة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فقد قال سبحانه وتعالى للنبي ﷺ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، ويقول ﷻ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧]، ويقول سبحانه: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [الواقعة: ٦٠].

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال في آخر عمره: « **أرأيتم ليلتكم هذه، فإن على رأس مئة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد** » (٢).

نيابة فقهاء الاثني عشرية المجتهدين عن الإمام المنتظر:

لقد مرّ أن آخر توقيعات المهدي في الغيبة الصغرى جاءت قائلة: « أما الوقائع الحادثة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم، وأنا حجة الله » (٣). فقد جاء هذا البيان ليعرف الشيعة كيف يتصرفون بعد غيبة الإمام غيبته الكبرى.

وبالفعل صار المحدّثون والفقهاء يقومون بممارسة الإفتاء والإرشاد لأتباعهم، متخذين موقفًا سلبيًا من السياسة والقضاء ضمن الدول التي كانوا يعيشون فيها؛ ذلك أن روايات الأئمة تحذرهم من التحاكم إلى القضاء العام للأمة،إذ جاءت رواية عن جعفر الصادق تقول: « إياكم أن تحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفسّاق، اجعلوا بينكم رجلًا ممن قد عرف حلالنا وحرامنا، فإني قد جعلته قاضيًا، وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضًا إلى السلطان الجائر » (٤). والمقصود من الفساق - حسب زعمهم - القضاة الذين نصبهم ولاة الأمور في ذلك الوقت (٥).

---

(١) رجال الكشي (ص ٤٥٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السمر في العلم (٣٧/١)، ومسند أحمد (١٢١/٢ - ١٣١)، وانظر في الرد على غيبة الإمام: منهاج السنة لابن تيمية (٦٥/٢).

(٣) الكافي مع شرحه مرآة العقول (٥٥/٤)، الصدوق: كمال الدين (ص ٤٥١)، الغيبة للطوسي (ص ١٧٧)، الاحتجاج للطبرسي (ص ١٦٣).

(٤) الطوسي: تهذيب الأحكام (٣٠٣/٦)، العاملي: وسائل الشيعة (١٣٩/٢٧).

(٥) انظر: الخميني: الحكومة الإسلامية (ص ٩٠).

كما جاءت الروايات تحذّرهم من اللجوء إلى الثورة المسلّحة ضد الحكومات التي يخضعون لسلطانها. تقول إحدى الروايات: « كل راية ترفع قبل راية القائم ﷺ صاحبها طاغوت »(١). « وإن كان رافعها يدعو إلى الحق »(٢).

ولكن مع مرور الوقت قويت شوكة الشيعة في بعض الفترات التاريخية، إذ صار لهم حظوة لدى بعض السلاطين، ثم أعلن مذهبهم عند ظهور الدول الشيعية - كالدولة الصفوية - فحينها أصبح لفقهاء الاثني عشرية منعة تمكّنهم من فرض الأحكام بإلزام وقوة، فصار لهم (الولاية العامة) فدخل الفقهاء المجتهدون (المراجع والآيات) دهاليز وأبواب السياسة والقضاء من أوسع الأبواب. مع أن نصوص الأئمة كانت تأمرهم بترك السياسة إلى أن يظهر القائم: « ألبدوا ما ألبدنا، فإذا تحرّك متحرّكنا فاسعوا إليه ولو حبوًا، والله لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد »(٣).

يقول المظفر: « عقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط، أنه نائب للإمام عليه السلام في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق، له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس، والرادّ عليه راد على الإمام، والراد على الإمام راد على الله - تعالى - وهو على حد الشرك بالله كما جاء في الحديث عن صادق آل البيت عليهم السلام. فليس المجتهد الجامع للشرائط مرجعًا في الفتيا فقط، بل له الولاية العامة، فيرجع إليه في الحكم والفصل في القضايا، وذلك من مختصاته لا يجوز لأحد أن يتولاها دونه إلا بإذنه، كما لا تجوز إقامة الحدود والتعزيرات إلا بأمره وحكمه. ويرجع إليه في الأموال التي هي من حقوق الإمام ومختصاته.

وهذه المنزلة أو الرئاسة أعطاها الإمام عليه السلام للمجتهد الجامع للشرائط؛ ليكون نائبًا عنه في حال الغيبة ولذلك يسمى (نائب الإمام) »(٤).

ولكن هذه النيابة لم تكن لشخص واحد، بل كانت لعدد من علماء الشيعة المجتهدين،

---

(١) أصول الكافي مع شرح المازندراني (١٢/٤١٠)، النعماني: كتاب الغيبة (ص ١١٤، ١١٥)، بحار الأنوار (٢٥/١١٤).

(٢) مرآة العقول (٤/٣٧٨)، وحكم المجلسي على هذه الرواية بالصحة، انظر: د. ناصر بن عبد الله القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٢/٨٩٦).

(٣) محمد بن إبراهيم النعماني: كتاب الغيبة (ص ١٩٤) تحقيق علي أكبر غفاري، مكتبة الصدوق - طهران، بحار الأنوار (٥٢/١٣٥).

(٤) عقائد الإمامية (ص ٥٧).

الذين ارتقوا عند أتباعهم إلى درجة الآيات والمراجع الكبرى.

وهكذا وصل الفكر الشيعي إلى ما وصله الفكر السني في ترك القضايا الفقهية للمجتهدين.

تطور الفكر الشيعي من نيابة الفقهاء عن المهدي إلى نظرية ولاية الفقيه:

ولكن الفكر الشيعي لم يتوقف هنا، بل تابع المسير في مسألة نيابة المجتهدين، فوصل - رغم الصراع الداخلي بين الأخباريين والأصوليين، بل بين الأصوليين أنفسهم - إلى فكرة (ولاية الفقيه)، وهي تركّز السلطة في شخصية كبير الفقهاء.

يقول أحمد الكاتب: « وبالرغم من أن الفكر الشيعي لا يعتبر الفقيه معصومًا، إلا أن الإمام الخميني أعطى للفقيه الحاكم باعتباره (نائبًا عن المعصوم) الولاية المطلقة، وكل صلاحيات الإمام والرسول الأعظم، واعتبر الولاية شعبة من ولاية اللّه، وسمح له بتجاوز الدستور وإرادة الأمة.

وهذا ما دفعني لإجراء مراجعة فقهية استدلالية لنظرية (ولاية الفقيه) التي كنت أؤمن بها من قبل، ودراستها من جديد، وقد حصلت لديّ بعض التفاصيل الجزئية التي اختلفت فيها مع الإمام؛ من حيث تحديد الصلاحيات، والفصل بين السلطات واستناد نظرية ولاية الفقيه على الشورى وإرادة الأمة.

وقبل أن أكتب الدراسة بشكلها النهائي ارتأيت أن أعمل لها مقدمة تاريخية تغطي تاريخ المرجعية منذ بداية (الغيبة الكبرى)؛ وذلك من خلال دراسة كتب الفقه القديمة وتاريخ العلماء، لكي أرى مَنْ مِنَ العلماء كان يؤمن بنظرية (ولاية الفقيه) وكيف انعكست على موقفه السياسي وماذا قام به من أعمال؟. فاكتشفت فجأة أن العلماء السابقين لم يكونوا يؤمنون بنظرية ولاية الفقيه، أو بالأحرى لا يعرفونها مطلقًا، وإن بعضهم، - كالشيخ عبد الرحمن بن قبة والشيخ الصدوق والعلامة الحلي - كتب في الرد عليها عندما طرحها الشيعة الزيدية كمخرج لأزمة (الغيبة)، وإن أول من كتب فيها هو الشيخ النراقي في عوائد الأيام قبل نحو مائة وخمسين عامًا، ووجدت أن العلماء السابقين كانوا يؤمنون بنظرية (الانتظار للإمام المهدي الغائب)، ويحرّمون العمل السياسي أو الثورة أو إقامة الحكومة وممارسة مهامها في عصر الغيبة، وذلك لفقد شرطي العصمة والنص في الإمام.

لقد كنت فيما مضى أصطدم ببعض العلماء الذين يحرمون العمل السياسي

أو الاقتراب منه، وكنت أسمع بعض المشايخ وهو يردد الحديث المعروف: « كل راية تخرج قبل ظهور المهدي فهي راية ضلالة وصاحبها طاغوت ». ولكنني كنت أعتبر هذا الحديث ضعيفًا وغير مهم، ولم أكن أدرك عمق الفكر السلبي الذي كان يخيم على الحوزة ويضرب بجذوره إلى أعماق التاريخ، ويتمتع بفلسفة كلامية عريضة!

وهنا تساءلت مع نفسي: إذا كانت نظرية ولاية الفقيه حادثة مؤخرًا وغير معروفة من العلماء السابقين، فماذا يا ترى ترك (النواب الأربعة الخاصون) من فكر سياسي لعصر (الغيبة الكبرى)؟ » [١].

وعلى كلٍّ فإن نظرية ولاية الفقيه هي التي انتصرت واقعيًا، هذه النظرية التي شكّلت الدعامة الأساسية لدولة إيران المعاصرة على يد زعيم الثورة (روح الله الخميني) الذي كان يبشّر بها قبل بدء الثورة في المراجع الشيعية، فما كان كتابه (الحكومة الإسلامية) إلا تبيانًا لهذه النظرية ألقاها على طلاب النجف عام (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) تحت عنوان (ولاية الفقيه)، قبل انتصار ثورته بعقد من الزمان [٢].

فقد « أصر الخميني على أن يتم الاقتراع - على الدستور - داخل المساجد، وتحت إشراف اللجان الثورية، وأن تظل الدولة تحت ولاية الفقيه الخميني في غياب المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر، على أن تنتقل منه إلى فقيه آخر، وفي حال تعذر العثور على فقيه تنتقل إلى لجنة من خمسة فقهاء، وقد منح الدستور الجديد الفقيه سلطات مطلقة، منها سلطة تعيين قائد القوات المسلحة وحق إعلان الحرب وعقد السلم، وحق إلغاء انتخابات الرئاسة » [٣].

وهكذا تصبح هذه الدولة دولة دينية (ثيوقراطية) من الدرجة الأولى.

ونلاحظ اليوم أن هذه الدولة تشهد صراعًا داخليًا خفيًا، وأحيانًا معلنًا بين التيار الإصلاحي والمحافظ، ويساهم في إذكاء هذا الصراع ازدواجية الحكم، لوجود سلطتين، سلطة دينية متمثلة بالآيات والمراجع، وزعيمها المرشد الأعلى، وسلطة سياسية واقعية ممثلة بالحكومة، وفي أعلى هرمها رئيس الدولة. وتنتقد فيها الحكومة ورئيسها بكل

---

(١) أحمد الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، المقدمة.

(٢) انظر للخميني: الحكومة الإسلامية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، المقدمة.

(٣) د. آمال السبكي: تاريخ إيران السياسي بين ثورتين (١٩٠٦ - ١٩٧٩م) (ص ٢٤٣، ٢٤٤)، سلسلة عالم المعرفة رقم (٢٥٠) الكويت (١٩٩٩م).

سهولة، في حين لا يجرؤ أحد على انتقاد السلطة الدينية.

نقد ولاية الفقيه:

لقد أنكر عدد لا بأس به من مراجع الشيعة ولاية الفقيه، حتى إن آية الله شريعتمداري الذي تفضّل على الخميني بإعطائه درجة (آية الله) في النجف، وآية الله الخوئي، وآية الله حسن طباطبائي القمي، والشيخ محمد جواد مغنية، وغيرهم [١]. وأرى أن الاسترسال في بيان أصول وأدلة هذه النظرية ونقدها يبعدنا عن مقصود البحث في مسائل الاعتقاد، فأحيل إلى الأستاذ محمد مال الله الذي جمع وتتبع الروايات التي اعتمدها أصحاب هذه النظرية وقام بتمحيصها ونقدها في كتابه (نقد ولاية الفقيه) [٢] فمن أحبّ التوسع فليرجع إليه.

أعمال المهدي المنتظر بين أهل السنة والاثني عشرية:

لقد سرد محمد جواد مغنية أحاديث المهدي كما رواها أهل السنة، ثم قال: « هذا المهدي الذي أثبته الإمام المناوي وصحاح السنة وكثير من مؤلفاتهم هو بالذات المهدي المنتظر الذي قالت به الإمامية » [٣]. فهل صحيح أن شخصية المهدي المنتظر عند الشيعة موافقة لشخصية المهدي عند أهل السنة؟

يرى أهل السنة أنه المهدي هو رجل من عامة المؤمنين، ولكنه من النسل النبوي الشريف، ويملأ الأرض عدلًا بعد أن ملئت جورًا لقول النبي ﷺ: **« لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلًا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا »** [٤].

ولكن قائم الشيعة يأتي بالقتل والسفك والجلد والهدم والنقمة لا بالخير والرحمة، فهو:

١ - يقيم الحد على أم المؤمنين عائشة: عن أبي جعفر قال: « أما لو قام قائمنا، وردت

---

(١) محمد مال الله: نقد ولاية الفقيه (ص ٥)، تقديم د. نظام الدين الأعظمي، (ط٢)، (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

(٢) محمد مال الله: نقد ولاية الفقيه، وانظر أيضًا: د. فاروق عبد السلام: ولاية الفقيه.

(٣) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٩١).

(٤) رواه بهذه اللفظ أبو داود، كتاب المهدي، رقم (٤٢٨٢)، وسنده حسن. وابن حبان في صحيحه (١٥/٢٣٦). والحاكم: المستدرك (٤/٤٨٨)، ورواه من الشيعة بهذه الصيغة: ابن طاوس (ت ٦٦٤هـ): الملاحم والفتن (ص ٢٨٢)، القاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣هـ): شرح الأخبار (٣/٣٨٦). ورواه فقط بلفظ: (يواطئ اسمه اسمي) دون (واسم أبيه اسم أبي) الترمذي، كتاب الفتن، باب المهدي، رقم (٢٢٣٠)، وأحمد في مسنده (١/٣٧٦). ومن الشيعة: الفتال النيسابور في روضة الواعظين (ص ٢٦١).

إليه الحميراء [(١)]، حتى يجلدها الحدّ، وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة » [(٢)].

٢ - يبعثه الله نقمة: عن أبي جعفر قال: « إن الله بعث محمدًا رحمة، وبعث القائم نقمة » [(٣)].

٣ - يقتل ذراري قتلة الحسين: قيل للرضا: يا ابن رسول الله ما تقول في حديث روي عن الصادق أنه قال: « إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين بفعل آبائها؟، قال: هو كذلك، قلت: وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء: ١٥] قال: ذراري قتلة الحسين يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها » [(٤)].

ومن يرضى من أمة محمد ﷺ بمقتل سيد شباب الجنة؟ إنا نبرأ إلى الله من قاتليه، ونتمنى أن يعود بنا الزمان لننصره ونقتل دونه، ولا نخذله كما خذله مدعو حبه والتشيع له.

٤ - يهدم أربعة مساجد في الكوفة: عن أبي جعفر أيضًا قال: « إذا قام القائم سار إلى الكوفة فهدم بها أربعة مساجد » [(٥)].

٥ - يخرج « موتورًا غضبان أسفًا.. يجرّد السيف على عاتقه » [(٦)]، ويكون نقمة على العرب: « ويل لطغاة العرب من شر قد اقترب » [(٧)]. وقد نقلوا عن جعفر الصادق أنه

---

(١) يقصدون بالحميراء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وتتهم روايات الاثني عشرية أمّ المؤمنين عائشة بأنها اتهمت ماريّة القبطية بالزنى فبرّأها الله تعالى. انظر: تفسير الصافي (٤٢٣/٣)، المجلسي: بحار الأنوار (١٥٤/٢٢)، تفسير شبّر (ص ٣٣٨).
في حين تنقل كتب الحديث والتفسير لدى أهل السنة أن عائشة هي التي تعرّضت لحادثة الإفك من قبل المنافقين ومن استمع إليهم. انظر: صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا، رقم (٢٥١٨)، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٩٦/١٢) وما بعدها) ونصّ التنزيل لا يدعم رأي الاثني عشرية لأنه يقرر أن الذين جاؤوا بالإفك جماعة (عصبة)، وزعيمهم رجل تولّى كبره، وليس امرأة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُم مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١].
(٢) المجلسي: بحار الأنوار (٢٤٢/٢٢)، الصدوق: علل الشرائع (ص ٣٠٣) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - لبنان.
(٣) بحار الأنوار (٣١٥/٥٢).
(٤) المجلسي: بحار الأنوار (٢٩٥/٤٥)، تفسير الصافي (١٧٧/٢)، وسائل الشيعة (١٣٩/١٦).
(٥) بحار الأنوار (٣٣٩/٥٢).
(٦) بحار الأنوار (٣٦١/٥٢).
(٧) النعماني: كتاب الغيبة (ص ١٩٤) تحقيق علي أكبر غفاري، مكتبة الصدوق - طهران. بحار الأنوار (١٣٥/٥٢).

قال: « ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح »[(١)]. فالمهدي عند الشيعة « ليس شأنه إلا السيف، لا يستتيب أحدًا، ولا يأخذه في الله لومة لائم »[(٢)].

٦ - يخرج أبا بكر وعمر من قبريهما « ويصلبهما ويحرقها »[(٣)]. وقد جاء تفصيل ما سيفعله المهدي المزعوم بالشيخين وأحبابهما في هذه الرواية المزعومة:

عن جعفر الصادق: حيث يقول القائم عند قبر النبي ﷺ: **« كل من أحب صاحبي رسول الله ﷺ وضجيعيه، فلينفرد جانبًا، فتتجزأ الخلق جزأين أحدهما موالٍ والآخر متبرئ منهما.... فيأمر المهدي عليه السلام ريحًا سوداء فتهب عليهم فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية. ثم يأمر بإنزالهما فينزلان إليه، فيحييهما بإذن الله تعالى ويأمر الخلائق بالاجتماع، ثم يقص عليهم قصص فعالهما.... ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت بمظالم من حضر، ثم يصلبهما على الشجرة، ويأمر نارًا تخرج من الأرض فتحرقهما والشجرة ثم يأمر ريحًا فتنسفهما في اليم نسفًا »**[(٤)].

٧ - يخرّب المهدي المنتظر حواضر الإسلام كالزوراء، تقول الرواية:

« ثم يسير المهدي عليه السلام إلى الكوفة وينزل ما بين الكوفة والنجف، وعنده أصحابه في ذلك اليوم ستة وأربعون ألفًا من الملائكة وستة آلاف من الجن، والنقباء ثلاثمائة وثلاثة عشر نفسًا. قال المفضل: يا سيدي كيف تكون دار الفاسقين في ذلك الوقت؟ قال: في لعنة الله وسخطه تخربها الفتن وتتركها جمّاء، فالويل لها ولمن بها كل الويل من الرايات الصفر، ورايات المغرب، ومن يجلب الجزيرة ومن الرايات التي تسير إليها من كل قريب أو بعيد. والله لينزلن بها من صنوف العذاب ما نزل بسائر الأمم المتمردة من أول الدهر إلى آخره، ولينزلن بها من العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت بمثله، ولا يكون طوفان أهلها إلا بالسيف، فالويل لمن اتخذ بها مسكنًا، فإن المقيم بها يبقى لشقائه، والخارج منها برحمة الله... ثم ليخربها الله بتلك الفتن وتلك الرايات، حتى ليمر عليها المار فيقول: ههنا كانت الزوراء »[(٥)].

---

(١) النعماني: كتاب الغيبة (ص ٢٣٦)، الأنوار العمانية (٣٤٩/٥٢).

(٢) محمد بن إبراهيم النعماني: كتاب الغيبة (ص ٢٣٣).

(٣) الأنوار النعمانية (٨٥/٢).

(٤، ٥) المجلسي: بحار الأنوار (٥٣/ ١٢ - ١٦). وانظر أخبار المهدي في حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبر (ص ٣١٩ - ٣٣٠).

٨ - يقتل المهدي المنتظر عشرات الآلاف من فرقة الزيدية، ولا تشفع لهم قراءة القرآن:

« ويبايعه سائر العسكر... إلا أربعين ألفًا أصحاب المصاحف المعروفون بالزيدية، فإنهم يقولون: ما هذا إلا سحر عظيم، فيختلط العسكران، فيقبل المهدي عليه السلام على الطائفة المنحرفة، فيعظهم ويدعوهم ثلاثة أيام، فلا يزدادون إلا طغيانًا وكفرًا، فيأمر بقتلهم فيقتلون جميعًا، ثم يقول لأصحابه: لا تأخذوا المصاحف، ودعوها تكون عليهم حسرة كما بدّلوها وغيّروها وحرفوها ولم يعملوا بما فيها »(1)!!

وإذا كان كذلك فعل الاثني عشرية بالزيدية، وهم طائفة من الشيعة، فكيف يكون حال باقي الأمة الإسلامية، المتّهمة بالنصب؟ لا بد أنه سيكون أدهى وأمرّ.

ولسائل أن يسأل: ما أثر هذه النصوص وأمثالها على سلوك المواطن العامي الشيعي في فترات الفتن السياسية التي عصفت وما تزال تعصف بالبلاد الإسلامية، ألن يكون لهذه النصوص آثار توقد نار الحقد والكراهية لمخالفي الإمامية، وتثير رياح الانتقام والإجرام؟!

إن هذه النصوص التي أوردها الشيعة في حق المهدي لا يمكن أن يوافق عليها أهل السنة والجماعة، فمن كانت هكذا أفعاله حريّ به أن يكون (الأعور الدجّال) لا (المهدي المنتظر)، وحاشا المهدي أن تلحق به هذه الأفعال الشنيعة؛ من كراهة العرب - وهم أساس الرسالة - وشتمهم وقتلهم وسفك الدماء، وقتل الذراري والأطفال، وإخراج الموتى من قبورهم وإحراقهم، ناهيك أن يكون من هؤلاء زوج النبي الأكرم ﷺ وصاحباه رضي الله عنهم.

إن المحلّل المتبصّر يجد لهذه الروايات اعتبارات نفسية لا تخفى، فلقد « ساعدت المحن والفواجع التي أنزلها بنو أمية وبنو العباس بالعلويين على تعلق جمهور الشيعة بأسطورة المهدي المنتظر »(2). فهذه الظلامات التي رسخ في أذهان الشيعة أن الأئمة وأتباعهم قد تعرضوا لها على مر السنين جعلتهم يؤمّلون بالنصر على خصومهم في الدنيا قبل الآخرة بظهور المهدي المنتظر، الذي ينشر القتل والرعب في العرب.

وستؤدي هذه النصوص دورها في تفريغ شحنات الغضب والحزن والغيظ، وتنشر الأمل بين الشيعة ليثبتوا على عقائدهم. وستقوم هذه الروايات بتخديرهم بالأماني، حتى

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار (١٢/٥٣ - ١٦). وانظر أخبار المهدي في حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبر (ص ٣١٩ - ٣٣٠).

(٢) الأستاذ الدكتور السنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ٤٠٨).

قالوا في أخبارهم: « إن الشيعة تربّى بالأماني منذ مائتي سنة » (١). وقد قالوا: « لقد تركنا أسواقنا انتظارًا لهذا الأمر حتّى ليوشك الرّجل منّا أن يسأل في يده.. إنّ القائل منكم إذا قال: (إن أدركت قائم آل محمّدٍ نصرته) كالمقارع معه بسيفه والشّهادة معه شهادتان » (٢).

وفي رواية عن محمد الباقر: « ألبدوا ما ألبدنا، فإذا تحرّك متحرّكنا فاسعوا إليه ولو حبوًا » (٣).

وإذا قارنّا هذه النصوص الاثني عشرية التي تتحدث عن المهدي ورجعة أعدائه وأنصاره بنصوص التوراة التي تخبر عن انتصارات اليهود في التاريخ على أعدائهم، وقتلهم لملوك الأمم الأخرى، واستعبادهم لشعوبها، سنرى تشابهًا واضحًا، حيث يؤكد بعض الباحثين أن هذه المجازر التي تفيض في العهد القديم « أسطورية ولا وجود لها في الحقيقة ». كان الهدف من كتابتها ووضعها تفريغ شحنات الغضب والحقد اليهودي جرّاء ما أصاب اليهود من حرمان وتشرد وشتات (٤).

ولكن الفرق الوحيد بين هاتين المجموعتين من النصوص أن الأولى اعتمدت على منهج الرجوع إلى الوراء في مجاهيل التاريخ، والثانية اعتمدت على الهروب إلى سرداب المستقبل؛ وكلاهما لا سلطان للعلم في الخوض في غمارهما إلا بوحي معصوم.. وهيهات.

٩ - وتزعم بعض الروايات أن المهدي يخرج بكتاب جديد غير القرآن: ففي رواية عن محمد الباقر: « واللّه لكأني أنظر إليه - بين الركن والمقام - يبايع الناس على كتاب جديد، على العرب شديد.. » (٥). وفي رواية أخرى: « يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد » (٦).

---

(١) أصول الكافي (٣٦٩/١)، الغيبة للنعماني (ص ١٩٨)، الغيبة للطوسي (ص ٢٠٧، ٢٠٨)، بحار الأنوار (١٠٢/٥٢).

(٢) روضة الكافي (٨٠/٨). فضل أهل البيت وشيعتهم وإن عليًا عليه السلام أفضل الناس بعد النبي ﷺ.

(٣) النعماني: كتاب الغيبة (ص ١٩٤)، تحقيق علي أكبر غفاري، مكتبة الصدوق - طهران، بحار الأنوار (١٣٥/٥٢).

(٤) انظر: أحمد عبد المقصود إبراهيم الجندي: أشعار الحرب والسلام في العهد القديم (ص ٥٧) ماجستير في الآداب قسم الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة. وانظر في نصوص أخبار اليهود وما فعلوه في الشعوب المجاورة: محمد زكريا النداف: السياسة الأخلاقية للدولة الإسلامية، ماجستير كلية دار العلوم (ص ٢٩ - ٣٤).

(٥) النعماني: كتاب الغيبة (ص ١٩٤)، تحقيق علي أكبر غفاري، مكتبة الصدوق - طهران، بحار الأنوار (١٣٥/٥٢).

(٦) النعماني: كتاب الغيبة (ص ٢٣٣).

وإذا كان من علماء الشيعة من يؤكد أن « القرآن الكريم لن يفقد صحته واعتباره أبدًا » [١]، فإن الإيمان بوجود هذا الكتاب الجديد مع الإمام ينسف عقيدة الإيمان بسلامة القرآن وخلوده وبقائه لقيام الساعة.

١٠ - وسيغير القائم بعض أحكام القرآن كقانون الميراث: فيذكر عن الصادق أنه يقول: « إن الله آخى بين الأرواح في الأظلة قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام، فلو قد قام قائمنا أهل البيت أورث الأخ الذي آخى بينهما في الأظلة ولم يرث الأخ من الولادة » [٢].

و « يحكم بثلاث لم يحكم بها أحد قبله، يقتل الشيخ الزاني، ويقتل مانع الزكاة، ويورث الأخ أخاه في الأظلة [٣]، وأنه يقتل من بلغ العشرين ولم يتفقه في الدين » [٤]! وهذا نسف للشريعة الإسلامية.

١١ - كما أن في بعض الروايات حول المهدي المنتظر ما يشم منه المرء رائحة الفكر الماسوني، والدعوة إلى وحدة الأديان، التي يتشدق بها بعض الناس اليوم: « إذا قام القائم قسم بالسوية، وعدل في الرعية، واستخرج التوراة وسائر كتب الله تعالى من غار بأنطاكية، حتى يحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن » [٥]. فأين نسخ القرآن للشرائع السابقة؟!

« ثم يبتدئ بالصحف التي أنزلها الله على آدم وشيث، وتقول أمة آدم وشيث: هبة الله هذه، والله! هي الصحف حقًّا...ثم يقرأ صحف نوح وصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والزبور...وما أسقط منها وبدل حرف منها » [٦].

وهذا هدم لشرائع الإسلام، فإن الإسلام لم يجز لأحد أن يحكم بغير شريعة القرآن [٧]. قال تعالى: ﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة: ٤٢]، ثم بيّن أن الحكم بينهم مشروط بأن لا يخالف القرآن الكريم الذي أنزله الله؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنِ

(١) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٣١٠).
(٢) الاعتقادات (ص ٨٣).
(٣) ابن بابويه: الخصال (ص ١٦٩)، بحار الأنوار (٣٥٩/٥٢).
(٤) بحار الأنوار (١٥٢/٥٢).
(٥) النعماني: الغيبة (ص ١٥٧)، وانظر: بحار الأنوار (٣٥١/٥٢).
(٦) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٢١).
(٧) انظر: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (١٢٧/٣)، الذهبي: المنتقى (ص ٣٤٣).

ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

١٢ – والأثر الشعوبي العنصري، واضح في دعوة هذا القائم المنتظر، فعن أبي عبد الله قال: « اتق العرب، فإن لهم خبر سوء أما أنه لم يخرج مع القائم منهم أحد » [(١)].

١٣ – وكذلك الأثر اليهودي أجلى وأوضح: فالقائم، وهو العربي صاحب السلالة العربية الأصيلة – يدعو الله باللغة العبرية! قال أبو عبد الله عليه السلام: « إذا أذن الإمام دعا الله باسمه العبراني الأكبر » [(٢)].

ومع المهدي المنتظر سيوف آل داود: عن الصادق وقد سأله رجل عند الكعبة:..... قال: فضحك أبي عليه السلام وقال: فلذلك كفّ، فوددت أنّ عينك تكون مع مهديّ هذه الأمّة والملائكة بسيوف آل داود بين السّماء والأرض تعذّب أرواح الكفرة من الأموات وتلحق بهم أرواح أشباههم من الأحياء » [(٣)]. وتذكر رواية للنعماني أن « أصحاب القائم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا أولاد العجم » [(٤)]. بينما تقول رواية في بحار الأنوار: « إذا قام قائم آل محمد استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرين رجلًا، خمسة وعشرين من قوم موسى الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أصحاب الكهف، ويوشع وصي موسى، ومؤمن آل فرعون، وسلمان الفارسي، وأبا دجانة الأنصاري ومالك الأشتر » [(٥)].

تعلّق الشيعة بقائم الزمان واستغاثتهم به:

ذكر الصدوق عن جعفر الصادق رواية تقول: « ما من طفل إلا وهو يرى الإمام

(١) الطوسي: الغيبة (ص ٤٧٦)، المجلسي: بحار الأنوار (٣٣٣/٥٢).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار (٣٦٨/٥٢)، تفسير العياشي (٦٧/١)، الشيخ علي الكوراني: معجم أحاديث المهدي (٣٢/٥).

(٣) أصول الكافي (٢٩٩/١) كتاب الحجة باب في شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها. قال محقق أصول الكافي: الحديث ضعيف على المشهور بالحسن بن العباس.

(٤) الغيبة للنعماني (ص ٢١٤).

(٥) بحار الأنوار (٣٤٦/٥٢)، وقد نبّه الدكتور القفاري إلى خطأ الروايات من حيث العدد، إذ إنه ذكر أن مجموع العدد (٢٧) ولما فصّل زاد العدد إلى (٣٧)، ولذلك جاءت رواية في تفسير العياشي (٣٢/١)، قال: « وخمسة عشر من قوم موسى » فيتوافق بهذا مع المجموع الكلي (٢٧)، أما في تفسير البرهان (٤١/٢) فقد زاد واوًا لتلتئم العبارة فقال: « سبعة وعشرين رجلًا وخمسة وعشرين من قوم موسى.. ».

ويناجيه، فبكاؤه لغيبته عنه وضحكه إذا أقبل عليه » [١]، وهكذا ينشأ الصغار على حب المهدي وكأنه معهم.

ويصفون الإمام الغائب بأنه « كالشمس خلف الغيوم حيث يستفاد من نورها وشعاعها » [٢]، ويرون أن منهم من رآه « وقد وفّق الكثير من الأفراد للقاء الإمام عليه السلام، وإن ظهر بصورة رجل مجهول، واستفادوا منه الكثير في قضاء حوائجهم، ومعالجة مشكلاتهم المادية والمعنوية، ويعتبر بقاؤه حيًّا عاملًا كبيرًا ومؤثرًا في زرع الطمأنينة وشيوع الأمل بين الناس؛ ليحاولوا إصلاح أنفسهم وإعدادها لظهوره » [٣]. وهذه الأخبار تخالف ما نقلوه عن المنتظر نفسه: « وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة... فهو كذاب مفتر » [٤].

فتعلق الشيعة بالمهدي لا حدود له؛ ولذلك فهم يستغيثون به في نوازلهم وينادونه مناداة من يسمعهم: قال الشهرودي - وهو أحد علمائهم: « لا يخفى علينا أنه عليه السلام، وإن كان مخفيًّا عن الأنام ومحجوبًا عنهم،ولا يصل إليه أحد، ولا يعرف مكانه، إلا أن ذلك لا ينافي ظهوره عند المضطر المستغيث به الملتجئ إليه، الذي انقطعت عنه الأسباب، وأغلقت دونه الأبواب، فإنه إغاثة الملهوف، وإجابة المضطر في تلك الأحوال وإصدار الكرامات الباهرة، والمعجزات الظاهرة، هي من مناصبه الخاصة. فعند الشدة وانقطاع الأسباب من المخلوقين، وعدم إمكان الصبر على البلايا دنيوية أو أخروية، أو الخلاص من شر أعداء الإنس والجن، يستغيثون به، ويلتجئون إليه » [٥].

ولقد « راجت العقيدة بأن المهدي في غيبته ينقذ المشرفين على الموت من أوليائه » [٦].

هل تضخيم فكرة المهدوية يساوي مدة إقامة المهدي المنتظر في الأرض؟

ها هم المعتقدون بغيبة المهدي المنتظر يضعون أكفهم على خدودهم منذ ما يزيد على ألف ومائة عام، ينتظرون أن يخرج قائمهم لسنوات معدودات - كما تذكر الروايات - فيغير وجه الدنيا.

---

(١) الصدوق: علل الشرائع (ص ٥٨٤) باب في النوادر.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار (٩٢/٥٢).

(٣) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٣٥٥).

(٤) ابن بابويه: كمال الدين (١٩٣/٢)، الطوسي: الغيبة (ص ٢٥٧).

(٥) الإمام المهدي وظهوره (ص ٣٢٥).

(٦) الأستاذ الدكتور السنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها (ص ٤٠٨) عن الخرائج والجرائح (ص ١٥٨).

وقد ضخّموا فكرة المهدوية حتى جعلوها أساسًا من أسس الدين الإسلامي، وركنًا من أركانه الأساسية، ومن غير الإيمان به لا إيمان، فهل يوازي هذا التضخيم الدور الذي سيقوم به المهدي في الأرض عند ظهوره؟ وهذا التهويل الذي أطلقه الشيعة حول المهدي هل يساوي السنوات التي سيعيشها ظاهرًا حاكمًا على وجه البسيطة؟

لقد اختلفت الروايات في مدة إقامة المهدي المنتظر، فعن الصادق قال: « يملك القائم سبع سنين تكون سبعين سنة من سنيّكم هذه ».... وعن الباقر عليه السلام قال: « يملك القائم ثلاثمائة سنة، ويزداد تسعًا كما لبث أهل الكهف في كهفهم »[1].

« أفيليق بنا أبناء هذه الأمة أن نعتقد عقيدة تضعف همة رجالها وتجعلهم يستكينون تحت مقارع الظلم والعسف والجور آلاف السنين، ليأتي المهدي المنتظر، فيسعد بعدله جيلًا من أجيال هذه الأمة! »[2].

* * *

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٢٩٠، ٢٩١).

(٢) د. عداب محمود الحمش: المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعة الإمامية، دراسة حديثية نقدية (ص ٥٣٢).

المَبْحَثُ السَّابِعُ

بعض الممارسات الشيعية المرتبطة بالعقيدة

إن تعلق الشيعة بأئمتهم تعلق كبير، فإذا كانت روايات أهل السنة تذكر عرض أعمال المسلمين على النبي ﷺ في قبره، فإن روايات الاثني عشرية تذكر عرض أعمال العباد على الأئمة:

عن عبد الله بن أبانٍ الزّيّات، وكان مكينًا عند الرّضا عليه السلام قال قلت للرّضا عليه السلام: « ادع الله لي ولأهل بيتي، فقال: أولست أفعل، والله إنّ أعمالكم لتعرض عليّ في كلّ يومٍ وليلةٍ، قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عز وجل: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ... ﴾ [التوبة: ١٠٥] قال: هو والله! عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام » (١).

ولأجل هذا التعلق العاطفي فإن لهم ممارسات سلوكية مرتبطة بالعقيدة، ومن هذه الممارسات:

أولاً: الاستعاذة والتوسل والاستغاثة بالأئمة:

يجيز الإمامية التوسل والاستغاثة والاستعاذة بالبشر، يقول الإمام الخميني: « قد يقال: إن الشرك طلب الحاجات من الأموات؛ لأنه لا نفع ولا ضرر من نبي أو إمام ميتين، إن هما إلا كالجمادات، والجواب على هذا التوهم: **أولًا**: لم تبينوا لنا معنى الشرك والكفر حتى نعتبر كل ما نريده حسب رأيكم شركًا، وبعد أن اتضح أن الشرك هو طلب شيء من أحد غير الله باعتبار أنه رب، وما عدا ذلك فليس شركًا؛ لا فرق في ذلك بين الحي والميت، حتى إن طلب الحاجة من الحجر والمدر ليس شركًا، وإن كان عملًا لغوًا باطلًا. **ثانيًا**: نحن نستمد من أرواح الأنبياء والأئمة المقدسة التي منحها الله القدرة » (٢).

وكتبهم زاخرة بهذه الأصناف من التوسلات والاستعاذات والاستغاثات:

عن داود الرقي قال: إني كنت أسمع أبا عبد الله عليه السلام « أكثر ما يلح به في الدعاء

---

(١) أصول الكافي (١/٢٧٦، ٢٧٧) كتاب الحجة باب عرض الأعمال على النبي والأئمة.

(٢) الخميني: كشف الأسرار (ص ٥٦). تحت عنوان طلب الحاجة من الأموات.

على الله بحق الخمسة؛ يعني رسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم » (١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: من دخل على سلطان يهابه فليقل: « بالله أستفتح، وبالله أستنجح، وبمحمد ﷺ أتوجه، اللّهم ذلل لي صعوبته، وسهّل لي حزونته، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب » (٢).

وعن سماعة قال: « قال لي أبو الحسن عليه السلام: إذا كان لك يا سماعة إلى الله ﷻ حاجة فقل: اللّهم إني أسألك بحق محمد وعلي، فإن لهما عندك شأنًا من الشأن وقدرًا من القدر، فبحق ذلك الشأن وبحق ذلك القدر أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تفعل بي كذا وكذا. فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن إلا وهو يحتاج إليهما في ذلك اليوم » (٣).

وجاء في بيان إحدى الصلوات الخاصة: ركعتان، يقرأ في كل ركعة الحمد إلى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، ثم يقول مائة مرة: « اللّهم إياك نعبد وإياك نستعين، ثم يتم قراءته الفاتحة، ويقرأ بعدها الإخلاص مرة واحدة، ثم يدعو عقيبها فيقول: اللّهم عظم البلاء، وبرح الخفاء، وانكشف الغطاء، وضاقت الأرض ومنعت السماء، وإليك يا رب المشتكى، وعليك المعول في الشدة والرخاء، اللّهم صل على محمد وآل محمد الذين أمرتنا بطاعتهم، وعجل اللّهم فرجهم بقائمهم، وأظهر إعزازه، يا محمد! يا علي! يا علي! يا محمد! اكفياني فإنكما كافياني، يا محمد! يا علي! يا علي! يا محمد! انصراني، فإنكما ناصراني، يا محمد! يا علي!، يا علي! يا محمد!، احفظاني فإنكما حافظاني، يا مولاي يا صاحب الزمان! ثلاث مرات، الغوث الغوث، أدركني أدركني، الأمان الأمان » (٤).

ونلاحظ كيف تسوّي هذه الرواية في الاستغاثة بين النبي ﷺ وعلي رضي الله عنه، وفي بعض المرات تقدّم عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وما كان لأحد من البشر أن يتقدم

---

(١) أصول الكافي (٢/٥٨٠).

(٢) أصول الكافي (٢/٥٢٥) كتاب الدعاء، باب الدعاء للكرب والهم والحزن والخوف، قال محققه: الحديث موثق.

(٣) أصول الكافي (٢/٥٢٩) كتاب الدعاء، باب الدعاء للكرب والهم والحزن والخوف، قال محققه: الحديث صحيح.

(٤) الحر العاملي: وسائل الشيعة (٨/١٨٥)، النوري الطبرسي: مستدرك الوسائل (٦/٣١٠).

على النبي ﷺ وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١]، فنهانا اللَّه في هذا النص التقدّم على اللَّه ورسوله في الذكر أو في الحكم والأمر.

وتثبت إحدى الروايات أن النبي ﷺ نفسه توسل بنفسه وبالأوصياء من بعده! فقد رووا عن جعفر الصادق: كان رسول اللَّه ﷺ يقول: « **نعم، لنعم المجيب أنت ونعم المدعو ونعم المسؤول، أسألك بنور وجهك وأسألك بعزتك وقدرتك وجبروتك، وأسألك بملكوتك ودرعك الحصينة وبجمعك وأركانك كلها، وبحق محمد وبحق الأوصياء بعد محمد أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تفعل بي كذا وكذا** » [(١)].

وقد جاء عن الشيعة التوسل بالأنبياء والملائكة أيضًا إلى جانب التوسل بالنبي ﷺ وآل بيته:

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين - صلوات اللَّه عليه - يقول إذا فرغ من الزوال: « اللّهم إني أتقرب إليك بجودك وكرمك، وأتقرب إليك بمحمد عبدك ورسولك، وأتقرب إليك بملائكتك المقربين وأنبيائك المرسلين، وبك، اللّهم أنت الغني عني وبي الفاقة إليك، أنت الغني وأنا الفقير إليك..أقلتني عثرتي وسترت علي ذنوبي، فاقض لي اليوم حاجتي، ولا تعذبني بقبيح ما تعلم مني » [(٢)].

كما هناك رواية تفيد توسل الأنبياء بالأئمة؛ فقد جاء في بحار الأنوار: « إنّ دعاء الأنبياء استجيب بالتّوسل والاستشفاع بهم صلوات اللَّه عليهم أجمعين » [(٣)].

كما جاء في كتب الشيعة الاستغاثة بالجن في السفر:

وفي الخصال لابن بابويه بإسناده عن علي قال: « ومن ضلّ منكم في سفر وخاف على نفسه فليناد: يا صالح أغثني، فإن في إخوانكم من الجن جنيًّا يسمى صالحًا يسبح في البلاد لمكانكم محتسبًا نفسه لكم، فإذا سمع الصوت أجاب وأرشد الضال منكم وحبس عليه دابته » [(٤)].

---

(١) أصول الكافي (٥٤٩/٢) كتاب الدعاء، باب دعوات موجزات لجميع الحوائج للدنيا والآخرة، سكت عنه المحقق.

(٢) أصول الكافي (٥١٣/٢) كتاب الدعاء، باب الدعاء في أدبار الصلوات، قال محققه: حسن كالصحيح.

(٣) وهذا أحد أبواب بحار الأنوار (٣١٩/٢٦).

(٤) الخصال (٦١٨/٢)، وسائل الشيعة (٣٢٥/٨).

وهذا، فيما يبدو، من موروثات أهل الجاهلية الأولى، كما يدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦].

قال أهل العلم: « كانت عادة العرب في جاهليتها إذا نزلت مكانًا يعوذون بعظيم ذلك المكان؛ أن يصيبهم بشيء يسوءهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامته وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم، كما قال قتادة: ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي: إثمًا، وازدادت الجن عليهم بذلك جرأة... فإذا عاذوا بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك » (١).

ويرى كتّاب الشيعة أن التوسل لا يضر بالإيمان والتوحيد، وأنه من باب الأخذ بالأسباب، الذي لا ينافي التوحيد، وأنه « لو كان التوسل بمعنى أن الله - تعالى - جعل الولي وسيلة للتوصل إلى رحمته - تعالى - وقد أمر تعالى الناس أن يتوسلوا بهذا الولي فهذا توسلٌ، كما أنه لا ينافي التوحيد فإنه يعتبر من شؤون التوحيد في العبادة والطاعة، إذ إنه يتم بأمره تعالى » (٢).

أما عن حكمة التوسل فهي « التعريف بالمستويات والدرجات الرفيعة لعباده الصالحين... وأن يمنع من حصول الغرور والاعتداد للبعض بعبادته، حيث يعتقد في نفسه الوصول إلى أرفع الدرجات وأنه يتمتع بأسمى الكمالات الإنسانية، وقد ظهرت هذه الحالة ومع الأسف لأولئك الذين حرموا من نعمة ولاية أهل البيت - عليهم الصلاة والسلام - والتوسل بهم » (٣).

والحقيقة أنه بالرجوع لما كتبه الأئمة أنفسهم نرى أنهم ربطوا قلوبهم بالله تعالى، ولم يستغيثوا بغير الله تعالى، ولم يسألوا سواه، فقد أوصى علي ﷺ (كما جاء في نهج البلاغة، ابنه الحسن عليه السلام قائلًا:

« واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك بالدعاء وتكفّل لك

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٥٤، ٤٥٥)، وانظر: تفسير الطبري (٢٩/١٠٨)، فتح القدير (٥/٣٠٥)، وقد جاء هذا المعنى في كتب التفسير عند الشيعة: انظر: البرهان (٤/٣٩١)، تفسير الصافي (٥/٢٣٤، ٢٣٥)، تفسير شبر (ص ٥٣٥).

(٢) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ١٥٦، ١٥٧).

(٣) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ١٥٧).

بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، **ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه**، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعاجلك بالنقمة ولم يعيّرك بالإنابة، ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة ولم يناقشك بالجريمة، ولم يؤيسك من الرحمة، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة » (١).

وجاء في مناجاة الإمام علي بن الحسين زين العابدين في صحيفته السجادية:

« ولي إليك حاجة، قصر عنها جهدي، وتقطعت دونها حيلتي، وسولت لي نفسي رفعها إلى من يرفع حوائجه إليك، ولا يستغني في طلباته عنك، وهي زلة من زلل الخاطئين، وعثرة من عثرات المذنبين، ثم انتبهت بتذكيرك لي من غفلتي، ونهضت بتوفيقك من زلتي، ونكصت بتسديدك من عثرتي، وقلت: **سبحان ربي! كيف يسأل محتاج محتاجًا**، وأنى يرغب معدم إلى معدم، فقصدتك يا إلهي بالرغبة، وأوفدت عليك رجائي بالثقة بك » (٢).

وهذا ما ينسجم مع قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله ﷺ لابن عمّه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: « **إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله** » (٣).

تفصيل مذهب أهل السنة في التوسل:

يقسم التوسل إلى أنواع كثيرة (٤):

- فمنها ما هو حرام وشرك باتفاق: وهو أن يكون اعتقاد المتوسّل أن المعطي هو الله،

---

(١) نهج البلاغة (ص ٤٧)، من وصية أمير المؤمنين علي لولده الحسن رضي الله عنه.

(٢) الصحيفة السجادية (ص ٨٥).

(٣) صحيح أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب منه، رقم (٢٥١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده (١/٣٠٣) ونصه: عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: « يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف ».

(٤) انظر: الشيخ تقي الدين العثماني: تكملة فتح الملهم (٥/٣١٦ - ٣١٩).

ولكنه تعالى فوّض الأمر إلى عباده الصالحين المتوسل بهم، أو أن يطلب المتوسل من الله أن يفوّض الأمر إلى المتوسل فيه لينجز له ما يريد، وهذا شرك باتفاق في مذهب أهل السنة والجماعة.

- ومنها ما هو جائز باتفاق: وهو التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته، أو بالأعمال الصالحة، أو التوسل بمعنى الطلب من المتوسّل بهم من الصالحين أن يدعوا له. وفي هذا المعنى قول عمر في الاستسقاء: « اللّهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون »[1]. وكان يتوسل بالعباس بن عبد المطلب ﷺ أي: يطلب منه الدعاء للمسلمين.

- ومنه ما هو مختلف فيه بين العلماء: وهو التوسل إلى الله تعالى بذوات الصالحين، بعيدًا عن المعاني الفاسدة التي ذكرناها في النوع الأول، بل بمعنى: اللّهم إني أحب عبدك الصالح فلان، وبما أنه محبوب لديك فإني أستجلب رحمتك بعلاقتي به، كقولك: (اللّهم إني أتوسل إليك بعبدك فلان).

وقد صرّح ابن تيمية بمنعه، وألّف في ذلك كتابه (التوسل والوسيلة).

في حين يرى بعض أهل العلم إلى الجواز، ويرى من أجاز هذا النوع من التوسل بأنه « بهذا المعنى لا يرجع إلا إلى التوسل بالأعمال الصالحة الذي انعقد الإجماع على جوازه »[2]. أو يرجع إلى التوسل إلى الله تعالى بحب الله لمحمد ﷺ، وهو جائز باتفاق؛ لأنه توسل بصفة من صفات الله - تعالى - وهي المحبة.

ويشهد لهذا حديث السائل عن الساعة، حيث أجاب ﷺ عن سؤال النبي ﷺ ماذا أعددت لها؟ قائلًا: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: « **أنت مع من أحببت** »... قال أنس ﷺ - راوي الحديث -: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم[3].

وقد ثبت هذا النوع بالسنة في بعض الروايات: عن عثمان بن حنيف ﷺ أن رجلًا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني قال: « **إن شئت دعوت وإن شئت**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا رقم (٩٦٤).

(٢) تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم (٣١٧/٥).

(٣) صحيح البخاري: كتاب المناقب: مناقب عمر ﷺ رقم (٣٦٩٩)، ومسلم في البر والصلة، باب المرء مع من أحب (٢٦٣٩).

صبرت فهو خير لك ». قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن الدفع ويدعو بهذا الدعاء: « اللّهم! إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللّهم فشفعه فيّ » (١).

قال الشوكاني في تحفة الذاكرين بعد نقله حديث الأعمى وطرقه: « والحديث صحيح، وصححه ابن خزيمة،... وفيه دليل على جواز التوسل برسول الله ﷺ إلى الله ﷻ، مع اعتقاد أن الفاعل هو الله ﷻ، وأنه المعطي المانع » (٢).

وقد أقر ابن تيمية بالحديث، ولكنه أوّله قائلًا: « وحديث الأعمى لا حجّة لهم فيه، فإنه صريح في أنه توسل بدعاء النبي وشفاعته » (٣). كما أنه رأى أن ذلك محصور في حياة النبي ﷺ، مستدلًا بأن عمر لم يتوسل في خلافته في الاستسقاء بالنبي بل بعم النبي.

ولكن يردّ هذين التأويلين ما ورد في رواية الطبراني « عن عثمان بن حنيف ﷺ أن رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفان ﷺ، في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف ﷺ، فشكا ذلك إليه، فقال عثمان بن حنيف: ائت الميضأة، ثم ائت المسجد، فصلّ فيه ركعتين، ثم قل: « اللّهم إني أسألك وأتوجه إليك

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب رقم (٣٥٧٨)، وصحيح ابن خزيمة (٢/٢٢٥)، وأخرجه أحمد في المسند (٣/١٣٨) رقم (١٧٢٨٠). وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط محقق المسند.

(٢) تحفة الذاكرين (ص ١٦٢).

(٣) التوسل والوسيلة (ص ٦٤)، وجاء في كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٢٧/١٣٣): « هذا طلب من النبي وأمره أن يسأل الله أن يقبل شفاعة النبي له في توجهه بنبيه إلى الله هو كتوسل غيره من الصحابة به إلى الله، فإن هذا التوجه والتوسل هو توجه وتوسل بدعائه وشفاعته ». وقال: « وأما قول القائل: أسألك أو أقسم عليك بحق ملائكتك أو بحق أنبيائك أو بنبيك فلان أو برسولك فلان أو بالبيت الحرام أو بزمزم والمقام أو بالطور والبيت المعمور ونحو ذلك فهذا النوع من الدعاء لم ينقل عن النبي ﷺ ولا أصحابه ولا التابعين لهم بإحسان، بل قد وجد من العلماء كأبي حنيفة وأصحابه كأبي يوسف وغيره من العلماء على أنه لا يجوز مثل هذا الدعاء، فإنه أقسم على الله بمخلوق، ولا يصح القسم بغير الله، وإن سأله به على أنه سبب ووسيلة إلى قضاء حاجته، أما إذا سأل الله بالأعمال الصالحة وبدعاء نبيه والصالحين من عباده فالأعمال الصالحة سبب للإثابة والدعاء سبب للإجابة فسؤاله بذلك سؤال بما هو سبب لنيل المطلوب، وهذا معنى ما يروى في دعاء الخروج إلى الصلاة اللّهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا. وكذلك أهل الغار الذين دعوا الله بأعمالهم الصالحة، فالتوسل إلى الله بالنبيين هو التوسل بالإيمان بهم وبطاعتهم كالصلاة والسلام عليهم ومحبتهم وموالاتهم أو بدعائهم وشفاعتهم وأما نفس ذواتهم فليس فيها ما يقتضي حصول مطلوب العبد، وإن كان لهم عند الله الجاه العظيم والمنزلة العالية بسبب إكرام الله لهم وإحسانه إليهم وفضله عليهم ».

بمحمد نبي الرحمة... إلخ » « وقال الطبراني عقبه: والحديث صحيح »[١].

ومع ذلك حاول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن يتلمّس العذر في ترك هذه الرواية قائلًا: « وإنما غايتها أن يكون عثمان بن حنيف ظن أن الدعاء يدعى ببعضه دون بعض، فإنه لم يأمره بالدعاء المشروع بل ببعضه، وظن أن هذا مشروع بعد موته، ولفظ الحديث يناقض ذلك، فإن في الحديث أن الأعمى سأل النبي أن يدعو له، وأنه علّم الأعمى أن يدعو وأمره في الدعاء أن يقول: « اللّهم فشفعه فيّ » وإنما يدعى بهذا الدعاء إذا كان النبي داعيًا شافعًا له، بخلاف من لم يكن كذلك، فهذا يناسب شفاعته ودعاءه للناس في محياه في الدنيا ويوم القيامة إذا شفع لهم »[٢].

ورغم التهويل والتضخيم الذي يدور حول قضية التوسل اليوم، فأرى أن الخلاف فيها مما يعذر فيه العلماء بعضهم بعضًا، ولا يكفّر ولا يفسّق بعضهم بعضًا، إذا لم نقل إن الخلاف فيها أقرب إلى أن يكون فقهيًا أو لفظيًا، فابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ - وهو حامل لواء المانعين لهذا النوع من التوسل يقول: « السؤال بالمعظّم كالسؤال بحق الأنبياء، فهذا فيه نزاع، وقد تقدم عن أبي حنيفة وأصحابه أنه لا يجوز ذلك، ومن الناس من يجوّز ذلك.... نعم لو سأل اللّٰه بإيمانه بمحمد ومحبته له وطاعته له واتباعه لكان قد سأله بسبب عظيم يقتضي إجابة الدعاء، بل هذا أعظم الأسباب والوسائل »[٣].

الدعاء بلا توسل هو الأصل، ووجوب منع التوسل إذا سبب خللًا في العقيدة:

ومما يجدر التنبيه إليه أن التوسل لم يكن هو الأصل المعمول به في أدعية الصحابة ولا التابعين، وأن أحاديث التوسل التي صحت عند أهل السنة فإنها لا تعدو أن تكون استثناء من الأصل الذي هو سؤال اللّٰه تعالى دون توسل.

فمن المعلوم لنا أن اللّٰه تعالى قال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ﷺ معلمًا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: « إذا سألت فاسأل اللّٰه، وإذا استعنت فاستعن باللّٰه »[٤]. في حين تجعل روايات الشيعة وعمل كثير

---

(١) الهيثمي: مجمع الزوائد (٢/٢٧٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١/٢٧٥).
(٣) مجموع الفتاوى (١/٢١٢).
(٤) صحيح أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب منه، رقم (٢٥١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده (١/٣٠٣).

من أهل زماننا الحديث عن التوسل والاستغاثة بالأنبياء والصالحين وبالأئمة هي الأصل، مكان التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته الحسنى، والأعمال الصالحة.

ولذلك ورد عن بعض الأئمة كراهة بعض صيغ التوسل؛ لأنها موهمة؛ قال الكاساني: « ويكره للرجل أن يقول في دعائه: أسألك بحق أنبيائك ورسلك [(١)]، وبحق فلان، لأنه لا حقّ لأحد على الله ﷻ جل شأنه » قال الحصكفي: « كره قوله بحق رسلك وأنبيائك وأوليائك أو بحق البيت، لأنه لا حقّ للخلق على الخالق تعالى » [(٢)]. قال ابن عابدين شارحًا: « لأنه لا حق للخلق على الخالق، قد يقال: إنه لا حقّ لهم وجوبًا على الله تعالى، لكن الله ﷻ جعل لهم حقًّا من فضله أو يراد بالحق الحرمة والعظمة فيكون من باب الوسيلة، وقد قال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]... وجاء في رواية: « **اللّهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي إليك فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا..** الحديث » [(٣)]... أقول: لكن هذه كلها احتمالات مخالفة لظاهر المتبادر من هذا اللفظ، ومجرد إيهام اللفظ ما لا يجوز كاف في المنع كما قدمناه، فلا يعارض خبر الآحاد طاعة، والله أعلم أطلق أئمتنا المنع على أن إرادة هذه المعاني مع هذا الإيهام فيها الإقسام بغير الله تعالى وهو مانع آخر، تأمل، نعم ذكر العلامة المناوي في حديث « اللّهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة » عن العز بن عبد السلام أنه ينبغي كونه مقصورًا على

---

(١) وما جاء عن توسل آدم بحق النبي محمد عليهما الصلاة والسلام فهو خبر ضعيف جاء في مجمع الزوائد (٢٥٣/٨). روي عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: « لما أذنب آدم ﵇ الذنب الذي أذنبه رفع رأسه إلى العرش فقال: أسألك بحق محمد إلا غفرت لي، فأوحى الله إليه: وما محمد، قال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فرأيت فيه مكتوبًا (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدرًا ممن جعلت اسمه مع اسمك. فأوحى الله إليه: يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك ولولا هو ما خلقتك ». قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم.

(٢) علاء الدين الكاساني: بدائع الصنائع (١٢٦/٥)، الحصكفي: الدر المختار (٣٩٧/٦).

(٣) أخرج ابن أبي شيبة، وابن ماجه هذا الحديث: رقم (٧٧٨)، باب المشي إلى الصلاة: عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ: « من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللّهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا، فاني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت؛ أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك ». قال في مصباح الزجاجة (٩٨/١) « هذا إسناد مسلسل بالضعفاء: عطية هو العوفي وفضيل بن مرزوق والفضل بن الموفق كلهم ضعفاء لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل ابن مرزوق فهو صحيح عنده وذكره رزين ورواه أحمد بن منيع ».

النبي وأن لا يقسم على الله بغيره وأن يكون من خصائصه... ونازع العلامة ابن أمير حاج في دعوى الخصوصية وأطال الكلام على ذلك في الفصل الثالث عشر آخر شرحه على المنية فراجعه » (١).

- أما إن فشا بين العامة استخدام التوسل بالطرق الممنوعة كاعتقاد التفويض؛ فإنهم يمنعون منه كما جاء في إمداد الفتوى: « إن التوسل بالمقبولين عند الله في الدعاء سواء كانوا أحياء أو أمواتًا جائز،... نعم إذا ظهر في ذلك غلو في عامة الناس، ومنعوا من أجل ذلك، فالمنع في مثل ذلك صحيح أيضًا، ولكن الاعتقاد بأن الله تعالى تجب عليه الإجابة بالتوسل، أو أن هؤلاء المقربين المتوسل بهم يرجى منهم الإعانة، أو أن أسماءهم كأسماء الله تعالى فإن كل ذلك زيادة على الشرع » (٢). ويدخل في هذا المعنى ما يرد اليوم من استغاثات بالنبي ﷺ أو بالحسين كقولهم يا محمد، يا علي، يا حسين، فهذه الاستغاثات تخالف الأصل الذي هو سؤال الله تعالى وحده، وتعد مدخلًا للشرك والعياذ بالله تعالى. ناهيك على أنها سوء أدب مع الله القائل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

ثانيًا: تعظيم القبور وتجصيصها والطواف حولها:

لقد ورد عن الأئمة النهي عن رفع القبور وتجصيصها:

عن عبد الأعلى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « إنّ أبي عليه السلام استودعني ما هناك، فلمّا حضرته الوفاة قال: ادع لي شهودًا فدعوت له أربعةً من قريشٍ فيهم نافعٌ مولى عبد الله ابن عمر فقال اكتب: هذا ما أوصى به يعقوب بنيه يا بنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدّين فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون، وأوصى محمّد بن عليٍّ إلى جعفر بن محمّدٍ وأمره أن يكفّنه في برده الّذي كان يصلّي فيه الجمعة وأن يعمّمه بعمامته **وأن يربّع قبره ويرفعه أربع أصابع** » (٣).

---

(١) حاشية ابن عابدين رد المحتار على الدر المختار (٣٩٧/٦).

(٢) أشرف علي التهانوي: إمداد الفتاوى (٣٧٢/٤). نقله إلى العربية الشيخ تقي الدين العثماني: تكملة فتح الملهم (٣١٨/٥، ٣١٩).

(٣) أصول الكافي (٣٦٣/١)، كتاب الحجة باب الإشارة والنص على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق.

هذه وصية الأئمة المنسجمة مع الأوامر النبوية.

في حين نرى كل قبور الأئمة مشرفة مرفوعة مجصصة ومزخرفة، يطوف بها الأتباع بلا نكير من أحد.

بل تذكر الروايات جواز الطواف على القبور واستقبالها بالدعاء:

فقد جعل النوري من أبواب مستدرك الوسائل: باب جواز الطواف على القبور، وذكر أن ممن فعل ذلك فاطمة رضي الله عنها: « ودخلت فاطمة عليها السلام المسجد، وطافت بقبر أبيها وهي تبكي وتقول: إنا فقدناك فقد الأرض وابلها »[1].

وجاء في الزيارة الخامسة من زيارات الأئمة في بحار الأنوار:

وتقول عند كل إمام زرته إن شاء الله: السلام عليك يا ولي الله، السلام عليكم يا حجة الله... وقل: بأبي وأمي يا آل المصطفى، إنا لا نملك إلا أن نطوف حول مشاهدكم، ونعزي فيها أرواحكم، على هذه المصائب العظيمة الحالة بفنائكم والرزايا الجليلة النازلة بساحتكم، التي أثبتت في قلوب شيعتكم القروح، وأورثت أكبادَهم الجروح، وزرعت في صدورهم الغصص. فنحن نشهد الله أنا قد شاركنا أولياءكم وأنصاركم المتقدمين في إراقة دماء الناكثين والقاسطين والمارقين، وقتلة أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة يوم كربلاء، بالنيات والقلوب، والتأسف على فوت تلك المواقف، التي حضروا لنصرتكم، وعليكم منا السلام، ورحمة الله وبركاته. ثم اجعل القبر بينك وبين القبلة وقل: اللّهم يا ذا القدرة التي صدر عنها العالم مكونًا مبروءًا عليها، مفطورًا تحت ظل العظمة، فنطقت شواهد صنعك فيه بأنك أنت الله لا إله إلا أنت، مكونه وبارئه، وفاطره.... إلخ[2].

وهذه الروايات المجيزة للطواف بالقبور مخالفة لما ورد في الكافي: « لا تشرب وأنت قائم ولا تبل في ماء نقيع، ولا تطف بقبر، ولا تخل في بيت وحدك »[3]. ولذلك جعل الحر العاملي عنوان أحد أبواب كتابه وسائل الشيعة: « باب عدم جواز الطواف بالقبور »[4]. فجاء النوري - صاحب فصل الخطاب ومستدرك الوسائل - ليفسره بقوله « المراد

(١) مستدرك الوسائل: كتاب الحج، باب جواز الطواف بالقبور (١٠/٣٦٦).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار (٩٩/١٦٧).

(٣) الكليني: فروع الكافي (٦/٥٣٤). والخبر في علل الشرائع وبحار الأنوار.

(٤) وسائل الشيعة (١٠/٤٥٠).

بالطواف (الحدث) في هذه الأخبار » [١] أي النهي عن تنجيس القبور؛ لأن الطوف هو الحدث من الطعام - الغائط -! « فلا بأس بالطواف حول قبورهم عليهم السلام » [٢]!

وقد كان المجلسي من قبل قد فسّر علة النهي بقوله: « يحتمل أن يكون النهي عن الطواف بالعدد المخصوص الذي يطاف بالبيت... يحتمل أن يكون يراد بالطواف المنفي هنا التغوط » [٣].

ويرى المجلسي أنّ « استقبال القبر أمر لازم، وإن لم يكن موافقًا للقبلة.. واستقبال القبر للزّائر بمنزلة استقبال القبلة، وهو وجه اللّه، أي جهته التي أمر النّاس باستقبالها في تلك الحالة » [٤].

مع أنه ورد عن الأئمة النهي من النبي عن اتخاذ القبر قبلة ومسجدًا: عن أبي جعفر محمد الباقر يقول: إنّ رسول اللّه ﷺ قال: « **لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجدًا، فإنّ اللّه ﷻ لعن الذين اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » [٥]، وهذا الحديث ثابت عند أهل السنة أيضًا: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال ﷺ: « **لعن اللّه اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » [٦].

ومن الطريف أن عليًا رضي الله عنه كما ثبت في كتب أهل السنة والشيعة - كان من مهامه هدم القبور المشرفة: فقد روى أهل السنة أن عليًا رضي الله عنه قال لأبي الهياج الأسدي: « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول اللّه ﷺ؟ أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوّيته » [٧].

وهذا موافق لما رواه الأئمة في النهي عن تجصيص القبور ورفعها: روى الكليني عن أبي عبد اللّه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: « بعثني رسول اللّه ﷺ إلى المدينة فقال: لا تدع صورة إلا محوتها ولا قبرًا إلا سوّيته » [٨]، وفي رواية أخرى: « بعثني رسول اللّه ﷺ في هدم القبور وكسر الصّور » [٩].

---

(١) مستدرك الوسائل: كتاب الحج، باب جواز الطواف بالقبور (١٠/٣٦٦).
(٢) مستدرك الوسائل: كتاب الحج، باب جواز الطواف بالقبور (١٠/٣٦٧).
(٣) بحار الأنوار (١٠٠/١٢٦). (٤) بحار الأنوار (١٠١/٣٦٩).
(٥) ابن بابويه: علل الشّرائع (ص ٣٥٨)، بحار الأنوار (١٠٠/١٢٨).
(٦) البخاري: كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور.
(٧) أخرجه مسلم في الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر (٩٦٩).
(٨) فروع الكافي (٢/٢٢٧)، وسائل الشّيعة (٢/٨٦٩).
(٩) فروع الكافي (٢/٢٢٦)، وسائل الشّيعة (٢/٨٧٠).

فلو خرج علي ﷺ من قبره أسيسمح للشيعة بما يفعلونه عند قبره وقبر ذريته من بعده، أم سيطبق وصية النبي ﷺ التي أوصاه بها، وخالفها من يزعمون أنهم أتباعه وأحبابه؟

وعن جعفر الصادق قال: « نهى رسول الله ﷺ أن يصلَّى على قبر أو يقعَد عليه أو يبنَى عليه »[١] وعنه أيضًا: « لا تبنوا على القبور.. فإنّ رسول الله ﷺ كره ذلك »[٢]. وعنه أيضًا عن آبائه عن رسول الله ﷺ: « نهى أن يجصّص المقابر »[٣].

ولكن لن يعجز علماء الشيعة عن تأويل هذه النصوص وأمثالها، فقد زعم الحرّ العاملي أنّ هذا النهي يشمل كل قبر « غير قبر النبي ﷺ والأئمة ﷺ، وأن هذا النّهي لمجرّد الكراهة »[٤]، ولكنه لم يوضح من أين جاء هذا التخصيص، فالتخصيص أو صرف النهي من التحريم إلى الكراهة يحتاج لدليل.

وينبغي ملاحظة أمر مهم أن عامة الاثني عشرية في مجال الزيارات يتبعون مذهب الأخباريين، فكثير من الأصوليين في هذه المواقع كالأخباريين؛ لأنه مقام العاطفة الجياشة؛ ولذلك فمن تتبع كتب الزيارات التي يتلوها عوام الشيعة يعلم أن رأي الأخباريين هو الطاغي والغالب عليها.

وكيف لا يبالغ الشيعة في زيارة القبور والطواف فيها، وخصوصًا قبور الأئمة، وقد ورد في فضلها أعظم مما ورد في فضل الحج إلى بيت الله الحرام:

عن أبي الحسن موسى ﷺ قال: « من زار قبر ولدي علي كان له عند الله كسبعين حجة مبرورة، قال: قلت: سبعين حجة؟ قال: نعم وسبعين ألف حجة، قال: قلت: سبعين ألف حجة؟ قال: رب حجة لا تقبل. من زاره وبات عنده ليلة كان كمن زار الله في عرشه؟ قال: نعم [!!!]. إذا كان يوم القيامة كان على عرش الرحمن أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة الذين هم من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ وأما الأربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين - صلوات الله عليهم - ثم يمد المضمار فيقعد معنا من زار قبور الأئمة ﷺ، إلا أن أعلاهم درجة وأقربهم حبوة زوّار ولدي علي ﷺ »[٥].

---

(١) الطوسي: تهذيب الأحكام (١٣٠/١)، وسائل الشيعة (٨٦٩/٢).

(٢) تهذيب الأحكام (١٣٠/١ - ٦١٢)، وسائل الشّيعة (٨٧٠/٢).

(٣) ابن بابويه: من لا يحضره الفقيه (١٩٤/٢)، أمالي الصّدوق (ص ٢٥٣)، وسائل الشّيعة (٨٧٠/٢).

(٤) وسائل الشّيعة (٨٦٩/٢) باب كراهة البناء على القبر في غير قبر النّبيّ والأئمّة.

(٥) الكليني: الكافي (٥٨٥/٤)، عيون أخبار الرضا (٢٩٠/١)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، =

وقد عقد لذلك المجلسي بابًا عن زيارة الحسين بعنوان: « باب أن زيارته واجبة مفترضة مأمور بها، وما ورد من الذم والتأنيب والتوعد على تركها » وذكر فيه أربعين حديثًا من أحاديثهم (١).

وهناك « رقاع » تكتب، وتوضع على قبور الأئمة؛ لأن قبور الأئمة وأضرحتهم عندهم مناط الرجاء ومفزع الحاجات. قالوا: « إذا كان لك حاجة إلى الله ﷻ فاكتب رقعة على بركة الله، واطرحها على قبر من قبور الأئمّة إن شئت، أو فشدّها واختمها واعجن طينًا نظيفًا واجعلها فيه، واطرحها في نهر جارٍ، أو بئر عميقة، أو غدير ماء، فإنّها تصل إلى السّيّد عليه السلام [أي: المهدي المنتظر]، وهو يتولّى قضاء حاجتك بنفسه » (٢).

وجاء في الكافي وغيره: « إنّ زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجّة، وأفضل من عشرين عمرة وحجّة » (٣).

أما عن زيارة الحسين يوم عرفة حين يكون الحجاج في عرفة: فتذكر الرواية أن « من أتى قبر الحسين عارفًا بحقّه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجّة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات.. ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجّة ومائة عمرة.. ومن أتاه يوم عرفة عارفًا بحقّه كتب الله له ألف حجّة وألف عمرة مبرورات متقبّلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل » (٤).

كما أن ظاهر بعض الروايات تثني الناس عن الحج، وتدعو لزيارة الحسين وكربلاء: تقول الرواية: « لو أنّي حدّثتكم بفضل زيارته وبفضل قبره لتركتم الحجّ رأسًا وما حجّ منكم أحد، ويحك أما علمت أنّ الله اتّخذ كربلاء حرمًا آمنًا مباركًا قبل أن يتّخذ مكّة حرمًا.. » (٥).

وقال: « إنّ الله يبدأ بالنّظر إلى زوّار قبر الحسين بن علي عشيّة عرفة قبل نظره إلى

= (١٤٠٤هـ)، وانظر: من لا يحضره الفقيه (٩٣/٢)، (ط٢)، تحقيق علي أكبر غفاري (١٤٠٤هـ)، جماعة المدرسين - قم.

(١) انظر: بحار الأنوار (١/١٠١ - ١١).

(٢) بحار الأنوار (٢٩/٩٤)، وانظر: د. القفاري: مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٥٤٧/٢).

(٣) فروع الكافي (٣٢٤/١)، الطّوسي: تهذيب الأحكام (١٦/٢)، الحرّ العاملي: وسائل الشّيعة (٣٤٨/١٠).

(٤) انظر: الكليني: فروع الكافي (٣٢٤/١)، ابن بابويه: من لا يحضره الفقيه (١٨٢/١)، الطّوسي: التهذيب (١٦/٢)، ابن قولويه: كامل الزّيارات (ص ١٦٩)، الحرّ العاملي: وسائل الشّيعة (٣٥٩/١٠).

(٥) بحار الأنوار (٣٣/١٠١)، كامل الزّيارات (ص ٢٦٦).

أهل الموقف » (قال الراوي: وكيف ذلك؟) قال أبو عبد الله: « لأنّ في أولئك أولاد زنا، وليس في هؤلاء أولاد زنا » [١]!!!.

وقد جاء في بعض الروايات رفض هذا الغلو الذي يجعل من الحج إلى القبر أفضل من الحج لبيت الله الحرام. تقول رواية المجلسي في بحار الأنوار: « عن حنان قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في زيارة قبر الحسين - صلوات الله عليه - فإنه بلغنا عن بعضكم أنه قال: تعدل حجة وعمرة؟ قال: فقال: ما أضعف هذا الحديث! ما تعدل هذا كلّه، ولكن زوروه ولا تجفوه فإنه سيد شباب أهل الجنة ». ولكن للمرة الألف يتدخل ادعاء التقية، فيرى شيخ الشيعة المجلسي أن هذا النص ورد مورد التقية [٢]!!

كما تزعم بعض الروايات أن الله ﷻ يزور قبور الأئمة مع الشيعة، ففي البحار للمجلسي « إنّ قبر أمير المؤمنين يزوره الله مع الملائكة ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون » [٣].

وجاء في « وسائل الشيعة » وغيره عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال: « لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقًا، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات، قلت: وما فيه، قال: من زاره تشوقًا إليه كتب الله له ألف حجّة متقبّلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر [!!!]، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظًا سنته من كلّ آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرّحمن يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له ويشيّعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويفسح له في قبره مدّ بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير يروعانه، ويُفتح له باب إلى الجنة، ويعطى كتابه بيمينه ويعطى له يوم القيامة نور يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي منادٍ: هذا من زار الحسين شوقًا إليه، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنّى يومئذ أنّه كان من زوّار الحسين عليه السلام » [٤].

و « من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حتى يظل عنده باكيًا لقي الله ﷻ يوم القيامة

---

(١) الفيض الكاشاني: الوافي المجلّد الثّاني (٨/٢٢٢).

(٢) بحار الأنوار (١٠١/٣٥)، الدكتور القفاري: مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٢/٥٥٧).

(٣) بحار الأنوار (١٠٠/٢٥٨).

(٤) كامل الزّيارات (ص ١٤٣)، وسائل الشّيعة (١/٣٥٣)، بحار الأنوار (١٠١/١٨).

بثواب ألفي ألف حجة، وألفي ألف عمرة، وألفي ألف غزوة، وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله ﷺ ومع الأئمة الراشدين صلوات الله عليهم » [١].

« ولعل مثل هذه الروايات هي السبب في شيوع عبادة الأئمة، وأضرحتهم، وعمارة المشاهد وتعطيل المساجد؛ لأن المشاهد هي المساجد، والإمام هو كعبة الله وقبلته، ولهذا صنفوا كتبًا سموها: (مناسك المشاهد) أو (مناسك الزيارات) أو (المزار) [٢]، واعتنوا ببيان فضائلها وآدابها، وأخذت هذه المسائل في كتبهم المعتمدة قسمًا كبيرًا » [٣].

وقد ذكر الشيخ عبد الله شبر من المكفرات « السجود للأصنام » [٤]. ولعن النبي ﷺ بني إسرائيل لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد. وقد رأيت أنا - كاتب الرسالة - بعينيّ رجلًا يسجد أول ما ظهر له مقام السيدة زينب - رحمها الله - في ريف دمشق، عند عتبة باب مقامها، وعليه لباس علماء الاثني عشرية بالعمامة السوداء، ألا يدخل هذا في المنهيات عند الشيعة أو في المكفرات؟ أم أن تعظيم الأئمة بأي طريق كان - ولو بالسجود - لا يعد منهيًا عنه ولا مكفرًا! « والله ﷻ أمرنا بعمارة المساجد، لا عمارة القبور والأضرحة والمشاهد، فقال ﷻ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] » [٥]. وقال: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة: ١٨].

ثالثًا: السجود على التربة الحسينية، وتفضيل كربلاء على كل البقاع المقدسة:

عندما كنت أرى الشيعة يسجدون على أقراص ترابية في مقام السيدة زينب - رحمها الله تعالى - في ريف دمشق كنت أظن أنهم يسجدون عليها لأنهم فقط لا يجيزون السجود على غير ما هو من أصل الأرض، وهي مسألة فقهية يسعنا ويسعهم الخلاف

---

(١) بحار الأنوار (١٠١/ ٢٩٠)، كامل الزيارات (ص ١٧٦) ما بعدها.

(٢) مثل كتاب: مناسك الزيارات للمفيد، وكتاب المزار لمحمد علي بن الفضل، والمزار لمحمد المشهدي، والمزار لمحمد بن همام، والمزار لمحمد بن أحمد. ذكرها العاملي في وسائل الشيعة ونقل عنها.

انظر: وسائل الشيعة (٢٠/ ٤٨، ٤٩)، وانظر: ابن تيمية: منهاج السنة (١/ ١٧٥)، الفتاوى (١٧/ ٤٩٨).

(٣) د. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١/ ٢١٧).

(٤) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٥٧٣).

(٥) د. عامر النجار: في مذاهب الإسلاميين (ص ٤٥٤).

الفقهي فيها. ولكن بعد أن رأيت على بعض هذه الأقراص كتابة مفادها أنها من تربة كربلاء علمت أن لهذا الأمر أصلًا عقديًّا علاوة على ذاك الأصل الفقهي.

وبالرجوع إلى النصوص نرى أن الشيعة يروون في حق التربة الحسينية عدة روايات تبين فضلها على باقي التّرب:

وهذه رواية عن جعفر الصادق تقول: « إن اللّٰه تعالى جعل تربة جدي الحسين عليه السلام شفاء من كل داء وأمانًا من كل خوف، فإذا تناولها أحدكم فليقبلها وليضعها على عينيه، وليمرها على سائر جسده، وليقل: (اللّهم بحق هذه التربة، وبحق من حل بها وثوى فيها، وبحق أبيه وأمه وأخيه والأئمة من ولده، وبحق الملائكة الحافين به إلا جعلتها شفاء من كل داء، وبرءًا من كل مرض، ونجاة من كل آفة، وحرزًا مما أخاف وأحذر) ثم يستعملها »[1].

وتروي كتب الشيعة أن هذه الطينة هي أمل الحور العين، فهن يطلبن من الملائكة حينما يهبطون إلى الأرض أن تكون هداياهن من طين قبر الحسين[2].

كما أن السجود على هذه التربة يسهل قبول الصلاة والدعاء، فيصفون هذه التربة بأنها « تخرق الحجب السّبع »[3].

ونجد في كتاب (وسائل الشيعة)، وكتاب (مستدرك الوسائل) بابًا بعنوان « باب استحباب وضع التّربة الحسينيّة مع الميّت في الحنوط والكفن وفي القبر »[4]. « ويجعل معه شيء من تربة الحسين فقد روي أنّها أمان »[5]، ولهم في هذه المسألة أحاديث كثيرة[6].

وكيف لا يفضّل الشيعة السجود على التربة الحسينية وهناك من الروايات ما يفضل كربلاء على الكعبة، ويفضل زيارة الحسين على الحج إلى بيت اللّٰه؟ فقد جاء في الرواية:

---

(١) الطوسي: الأمالي (ص ٣١٨، ٣١٩)، دار الثقافة - قم (ط ١)، (١٤١٤هـ)، وبحار الأنوار (٩٨/١١٩)، العاملي: وسائل الشيعة (١٤/٥٢٣).

(٢) بحار الأنوار (١٠١/١٣٤).

(٣) الطوسي: مصباح التّهجّد (ص ٥١١)، المجلسي: بحار الأنوار (١٠١/١٣٥).

(٤) وسائل الشّيعة (٢/٧٤٢)، مستدرك الوسائل (١/١٠٦).

(٥) مستدرك الوسائل (١/١٠٦). ذكرني هذا بما ذكرته الدكتورة سناء عبد اللطيف في كتابها (هكذا يعلم اليهود أطفالهم) دار القلم - دمشق، حيث ذكرت أن اليهود في شتاتهم يحضرون من تراب فلسطين ما يضعونه في قبر ميتهم، وكأن هذا يجعلهم كأنهم دفنوا في فلسطين.

(٦) وسائل الشيعة (٢/٧٤٢)، مستدرك الوسائل (١/١٠٦)، الطّوسي: تهذيب الأحكام (٢/٢٧)، الطّبرسي: الاحتجاج (ص ٢٧٤).

« تنفس أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا مفضل إن بقاع الأرض تفاخرت: ففخرت كعبة البيت الحرام، على بقعة كربلاء، فأوحى الله إليها أن اسكتي كعبة البيت الحرام، ولا تفتخري على كربلاء، فإنها البقعة المباركة التي نودي موسى منها من الشجرة، وإنها الربوة التي أوت إليها مريم والمسيح، وإنها الدالية - الناعورة يديرها الماء - التي غسل فيها رأس الحسين عليه السلام، وفيها غسلت مريم عيسى عليه السلام واغتسلت من ولادتها، وإنها خير بقعة عرج رسول الله ﷺ منها وقت غيبته »[١].

وتروي كتب الشيعة أنه ما « من ماء ولا أرض إلا عوقبت لترك التواضع لله، حتى سلط الله على الكعبة المشركين، وأرسل إلى زمزم ماء مالحًا حتى أفسد طعمه.. »[٢].

ومع أن كربلاء افتخرت إلا أنه لم يصبها من ذلك شيء فهي القائلة - في رواياتهم -: « أنا أرض الله المقدسة المباركة، الشفاء في تربتي ومائي ولا فخر.. »[٣]. لعل واضع هذا النص لم يشرب من ماء زمزم العذب الزلال، أو لعله شرب، ولكن بغضه لهذا الدين جعل حلاوته ملوحةً أو مرارة في فمه، على حد قول المتنبي:

ومن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجد مرًّا به الماء الزلالا[٤]

وقال أحد كبارهم: « أعطيت كربلاء حسب النصوص الواردة بأكثر مما أعطي لأي أرض أو بقعة أخرى من المزية والشرف في الإسلام، فكانت أرض الله المختارة، وأرض الله المقدسة المباركة، وحرمًا آمنًا مباركًا، وحرمًا من حرم الله وحرم رسوله، وقبة الإسلام، ومن المواضع التي يحب الله أن يعبد ويدعى فيها »، « فإن هذه المزايا وأمثالها التي اجتمعت لكربلاء لم تجتمع لأي بقعة من بقاع الأرض حتى الكعبة »[٥].

لقد فضلت روايات الشيعة من بقاع الأرض ما كان متصلًا بحياة الأئمة وأحداثهم، ككربلاء والنجف وقم، على بقاع الأرض التي ارتبطت بحياة الأنبياء الكرام، فإذا كانت الكعبة المشرّفة والمدينة النبوية المنوّرة وبيت المقدس ارتبط تاريخها بحياة أنبياء الله تعالى

---

(١) الأنوار النعمانية (٨٦/٢، ٨٧). ولاحظ أنه لم يقل وقت إسرائه ومعراجه، بل عبّر عنهما بالغيبة، ليوافق عقيدتهم في غيبة الإمام المنتظر.

(٢) بحار الأنوار (١٠٩/١٠١)، كامل الزيارات (ص ٢٧٠).

(٣) بحار الأنوار (١٠٩/١٠١)، كامل الزيارات (ص ٢٧٠).

(٤) تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري: خزانة الأدب وغاية الأرب (١٧٩/١).

(٥) عبد الجواد آل طعمة: تاريخ كربلاء (ص ١١٥)، ط: النجف (١٣٨٧هـ).

كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وعيسى ومحمد - صلوات الله وسلاماته عليهم أجمعين - فإن كربلاء والنجف والكوفة وقم ارتبط تاريخها بحياة بعض الأئمة، ففضّل الشيعة ما ارتبط بتاريخ أئمتهم على ما ارتبط بحياة أنبياء الله تعالى، وهذا يؤكد عقيدتهم بتفضيل الأئمة على الأنبياء.

فقد جاءت روايات أخرى تبين مكانة النجف والكوفة وقم، وتشجع الشيعة على زيارتها، رووا عن الصادق: « إن لله حرمًا هو مكة، ولرسوله حرمًا وهو المدينة، ولأمير المؤمنين حرمًا وهو الكوفة، ولنا حرمًا وهو قم، ستدفن فيه امرأة من ولدي تسمى فاطمة، من زارها وجبت له الجنة » [(١)].

وقال الفيض الكاشاني عن الكوفة: « إن الكوفة حرم الله وحرم رسوله، وحرم أمير المؤمنين، وإن الصلاة فيها بألف صلاة، والدرهم بألف درهم » [(٢)]. ومن المعلوم أن تحديد الأجر العظيم المضاعف على العمل في هذه البقاع يحتاج إلى توقيف بنصوص شرعية صحيحة؛ لأنه لا يثبت بمجرد العقل، فأين هذه النصوص التي تساوي بين المدينة النبوية والكوفة في مضاعفة الأجر والثواب؟

ومن الملاحظ أن روايات الاثني عشرية لا تذكر أثناء التفضيل المدينة المنورة، على ساكنها وآله أزكى الصلاة والسلام؛ خشية أن تحرّك مشاعر المسلمين، حتى من الشيعة أنفسهم؛ لأن رسول الله ﷺ إمام الأئمة جميعًا.

ومع تلك النصوص التي تحطّ من فضل الكعبة وغيرها من البقاع المقدسة في الإسلام؛ جاءت بعض الروايات عن أئمة الشيعة لتأوّل الكعبة والمسجد والمساجد والقبلة بالإمام والأئمة، مما يعني صرف أنظار المسلمين عن المساجد والكعبة إلى الأئمة وكربلاء، فقد رووا عن الصادق: « نحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله » [(٣)]. ورووا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف: ٢٩] عن الصادق قال: يعني الأئمة [(٤)]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار (٢٦٧/١٠٢).

(٢) الفيض الكاشاني: الوافي (٢١٥/٢)، المكتبة الإسلامية - طهران.

(٣) انظر: بحار الأنوار (٣٠٣/٢٤)، مرآة الأنوار (ص ٢١٣).

(٤) تفسير العياشي (١٢/٢)، البرهان (٨/٢)، تفسير الصافي (١٨٨/٢)، مرآة الأنوار (ص ١٧٥)، نور الثقلين (١٧/٢).

قال: « إن الإمام من آل محمد، فلا تتخذوا من غيرهم إمامًا » (١).

رابعًا: النياحة على الأئمة:

مع أن النبي ﷺ يقول: « **ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية** » (٢). فإن بعض الروايات الشيعية تشجّع على النياحة والعويل، وإقامة المآتم على الأئمة، والتقوّي بالطعام على ذلك، في حين ورد النهي عن النياحة والعويل في كتب الشيعة.

فقد روى الشيعة قول النبي ﷺ: « **النياحة من عمل الجاهلية** » (٣).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: « **أربعة لا تزال في أمتي إلى يوم القيامة: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالأنواء والنياحة** » (٤).

وحينما ورد علي ﷺ الكوفة قادمًا من صفين، وسمع بكاء الناس على قتلى صفين، قال: « أتغلبكم نساؤكم على ما أسمع؟ ألا تنهونهنّ عن هذا الرنين؟ » (٥).

وعن الصادق عن آبائه قال: « نهى رسول الله ﷺ عن الرنّة عند المصيبة، ونهى عن النياحة والاستماع إليها، ونهى عن اتباع النساء للجنائز » (٦).

فكيف يصح عن جعفر الصادق خلاف ما روى، ففي رواية عن الحسن بن زيد قال: « ماتت ابنة لأبي عبد الله عليه السلام فناح عليها سنة، ثم مات له ولد آخر فناح عليه سنة، ثم مات ابنه إسماعيل، فجزع عليه جزعًا شديدًا، فقطع النوح، قال: فقيل لأبي عبد الله:

---

(١) البرهان (٣٩٣/٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب، رقم (١٢٣٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب.. رقم (١٠٣).

(٣) رواه الصدوق في من لا يحضره الفقيه (٢٧١/٤، ٢٧٢) كما رواه الحر العاملي في وسائل الشيعة (٩١٥/٢)، ويوسف البحراني في الحدائق الناضرة (١٦٧/٤)، والحاج حسين البروجردي في جامع أحاديث الشيعة (٤٨٨/٣).

(٤) بحار الأنوار (٤٥١/٢٢)، وانظر: مستدرك الوسائل (٩٣/١٣)، ووسائل الشيعة (١٢٨/١٧)، الخصال (٢٢٦/١).

(٥) نهج البلاغة (ص ٥٣٢)، ووسائل الشيعة (٢٧٥/٣)، مستدرك الوسائل (٤٥٥/٢)، بحار الأنوار (٦١٩/٣٢).

(٦) بحار الأنوار (٢٥٧/٧٨)، من لا يحضره الفقيه (٣/٤)، ووسائل الشيعة (٢٧٢/٣)، وانظر: أمالي الصدوق (ص ٤٢٢).

أصلحك الله، أيناح في دارك؟! فقال: إن رسول الله ﷺ قال لما مات حمزة: « **ليبكين حمزة لا بواكي له** » [1]! وإن أوّلنا النياحة هنا بمعنى البكاء فقط، فكيف نفسّر الجزع الشديد؟ وإذا لم يعلّمنا آل بيت النبي ﷺ الصبر فمن يعلّمنا؟ فإن من معدنهم الكريم يلتمس الصبر عند المصائب؟! فاللّهم إني أبرّئ جعفرًا الصادق عن مثل هذه الرواية.

إن ما حدث للإمام الحسين يعد « بحق مأساة من أكبر المآسي في تاريخ الإنسانية، ولقد صوّر الشيعة تلك المآسي تصويرًا أخّاذًا، وبكى شعراء الشيعة أهل البيت بكاءً مريرًا، ورأوا فيهم صورة الإنسانية الحزينة حتى قيل: أرقّ من دمعة شيعية » [2].

إنّا إذا نظرنا إلى واقع الشيعة اليوم رأينا اللطم والنياحة الجماعية. ويسير الشيعة في إباحتهم النوح واللطم على الأئمة وراء روايات اثني عشرية كثيرة، ففي رواية عن جعفر الصادق: « لمّا قتل الحسين عليه السلام أقامت امرأته الكلبيّة عليه مأتمًا، وبكت وبكين النّساء والخدم حتّى جفّت دموعهنّ وذهبت، فبينا هي كذلك إذ رأت جاريةً من جواريها تبكي ودموعها تسيل، فدعتها فقالت لها: ما لك أنت من بيننا تسيل دموعك؟ قالت: إنّي لمّا أصابني الجهد شربت شربة سويقٍ، قال: فأمرت بالطّعام والأسوقة فأكلت وشربت وأطعمت وسقت وقالت: إنّما نريد بذلك أن نتقوّى على البكاء على الحسين عليه السلام » [3].

وتذكر إحدى الروايات تجويز الأئمة للنياحة في النهار، وتلقين النائحة ما تقول في نياحتها:

عن عبد الله بن إبراهيم بن محمّدٍ الجعفريّ قال: أتينا خديجة بنت عمر بن عليّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام نعزّيها بابن بنتها، فوجدنا عندها موسى بن عبد الله ابن الحسن، فإذا هي في ناحيةٍ قريبًا من النّساء فعزّيناهم ثمّ أقبلنا عليه، فإذا هو يقول لابنة أبي يشكر الرّاثية: قولي. فقالت:

اعدُد رسول الله واعدُد بعدَه ... أسَدَ الإلهِ وثالثًا عبّاسا
واعدد عليّ الخير واعدد جعفرًا ... واعدد عقيلًا بعده الرّوّاسا

فقال: أحسنت وأطربتني، زيديني. فاندفعت تقول:

---

(١) كمال النعمة وإتمام الدين (ص ٧٣).

(٢) أ د. عبد الفتاح الفاوي: المنظومة الشيعية وآلياتها (ص ٩٢).

(٣) أصول الكافي (٥٣٧/١) كتاب الحجة باب مولد الحسين بن علي. قال المحقق: والحديث ضعيف على المشهور.

ومنّا إمـــام المتّقين محمَّـدٌ وفارسه ذاك الإمام المطهّر
ومنّا عليٌّ صهره وابن عمّه وحمزة منّا والمهذّب جعفر

فأقمنا عندها حتّى كاد اللّيل أن يجيء، ثمّ قالت خديجة: سمعت عمّي محمّد بن عليٍّ صلوات اللّه عليه وهو يقول: إنّما تحتاج المرأة في المأتم إلى النّوح لتسيل دمعتها، ولا ينبغي لها أن تقول هجرًا، فإذا جاء اللّيل فلا تؤذي الملائكة بالنّوح » [(١)].

وقد روت بعض كتب الشيعة عن آل البيت تشجيعًا على البكاء والإبكاء على الحسين، تقول إحدى الروايات: « من بكى أو أبكى فينا مائة ضمنّا له على اللّه الجنة، ومن أبكى فينا خمسين فله الجنة... ومن أبكى واحدًا فله الجنة، ومن تباكى فله الجنة » [(٢)]، وفي رواية: « من أنشد في الحسين بيتًا من الشعر فبكى وأبكى عشرة فله ولهم الجنة » [(٣)].

وقد لاحظ الداعية الأديب أبو الحسن الندوي رحمه الله أن ما ألّفه أدباء الشيعة في مناقب ومراثي أهل البيت أغزر وأقوى مما ألفه هؤلاء في مجال السيرة النبوية وأحداثها [(٤)].

ويستثمر الشيعة ذكريات استشهاد الحسين استغلالًا كبيرًا لإحياء التشيع ونشره، ويفرّعون على استشهاده المناسبات من يوم توجهه إلى العراق إلى أربعينية استشهاده. فبين موجّه لهذه الأحداث لنشر الفرقة بين المسلمين وتذكير الشيعة بثارات الحسين على الأمويين، مؤلّبًا ومفرّقًا بين المسلمين، وكأن كلّ أهل السنة من الماضي إلى اليوم هم قتلة الحسين ! وبين اتجاه معتدل واعٍ موجّه لهذه الأحداث إلى نشر قيم الحسين كالشجاعة والبسالة ورفض الظلم والذل، وهذا الاتجاه الذي ينبغي أن يجتمع عليه المسلمون جميعًا سنة وشيعة، فالحسين ليس حكرًا على طائفة من الطوائف، بل هو للمسلمين جميعًا، وسيبقى نبراسًا ومشعلًا يقول: (هيهات منّا الذلة).

---

(١) أصول الكافي (٤١٨/١)، كتاب الحجة باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة.

(٢) ابن طاوس الحسني (٦٦٤): اللّهوف في قتلى الطفوف (ط١)، طبعة مهر (١٤١٧هـ)، (ص ١٠)، المجلسي: بحار الأنوار (٢٨٨/٤٤)، وقد رواه عن ابن طاوس، وانظر: العاملي: وسائل الشيعة (١٩٦/١٤). وانظر الاستشهاد بهذه الرواية عند المعاصرين: آية اللّه السيد عبد الحسين دستغيب: الدار الآخرة (ص ٢٦)، مؤسسة المنار (ط٢) ترجمة لجنة الهدى.

(٣) العاملي: وسائل الشيعة (١٩٦/١٤)، وتعج كتب الزيارات بهذه الروايات.

(٤) انظر: صورتان متضادتان: أبو الحسن الندوي (ص ١٠٥).

خامسًا: إيذاء الجسد (باللطم والتطبير):

ومن الأمور التي سادت في أوساط الشيعة، وسكت عنها كثير من علمائهم حتى استمرأها العوام، واعتقدوها دينًا يتبع: إيذاء الجسد باللطم والضرب بالحديد، وهو ما يسمى (التطبير)، وقد منعه بعض علمائهم كمحسن الأمين الأمين، وآية الله العظمى الشيخ محمد حسين فضل الله، والشيخ محمد جواد مغنية.

ولكن أصواتهم لا تسمع في فورة العاطفة الجياشة في ذكرى الحسين ﷺ يقول مغنية: « ما يفعله بعض عوام الشيعة في بعض مدن العراق وإيران، وفي بلدة النبطية في جنوب لبنان من لبس الأكفان، وضرب الرؤوس والجباه بالسيوف في اليوم العاشر من محرم، فإن هذه البدعة الشنيعة حدثت في عصر متأخر عن عصر الأئمة وعصر كبار العلماء من الشيعة... وأيدها شيوخ السوء لغاية الربح والتجارة، وسكت عنها من سكت خوف الإهانة والضرر، أو فوات المنفعة والمصلحة، ولم يجرؤ على مجابهتها ومحاربتها أحد في أيامنا إلا قليل من العلماء، في طليعتهم المرحوم السيد محسن الأمين العاملي [١]... وقاومه من أجلها أهل الخداع والأطماع » [٢].

وقد زار الأمين العراق وإيران، ورأى هذه البدعة المنكرة التي تصدّ عن دين الإسلام، ويستغلها أعداؤه في وصفه بالدموية والإرهاب، فأصدر فتواه الشهيرة عام (١٣٥٢هـ)، قائلًا: « إن ما يفعله جملة من الناس من جرح أنفسهم بالسيوف أو اللطم المؤدي إلى إيذاء البدن إنما هو من تسويلات الشيطان وتزيينه سوءَ الأعمال، فذلك مما يغضب الحسين عليه السلام ويبعد عنه، لا مما يقرّب إليه » [٣].

ولذلك كثر الناقدون الناقمون عليه بسبب هذه الفتوى، حتى هجاه أحدهم قائلًا:

يا راكبًا إما مررت بجلّقٍ فابصق بوجه (أمينها) المتزندق [٤]

---

(١) ولد في جبل عامل عام (١٢٨١هـ)، سافر لطلب العلم في النجف عام (١٣٠٨هـ)، ونزل دمشق بطلب من أهلها عام (١٣١٩هـ)، توفي عام (١٣٧١هـ).

(٢) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ١٢، ١٣)، دار التعارف - بيروت، (ط٤)، (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

(٣) السيد محسن الأمين، حياته وشعره (ص ٤٥، ٤٦)، وهو ينقل عن كتابه المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية (٧/١٠)، دار التعارف للمطبوعات - بيروت، (ط٦)، (١٩٧٨م).

(٤) مجلة الواحة، عدد (١)، النقد الذاتي وسلطة العوام، لفؤاد إبراهيم. وانظر: أعلام التصحيح (ص ٢١٨). (جلّق): دمشق.

فأي الدينين أحقّ أن يتبع، دين العلماء أم دين الدهماء؟!

مسائل فقهية ذات هالات عقدية:

- وهناك مسائل فقهية اختص بها الشيعة، فأعطوها هالات عقدية، للحفاظ على مذهبهم، وتميزهم عن باقي المسلمين، وقالوا: إن المخالفة في هذه الأمور الفقهية يعدّ خروجًا عن دين آل البيت؛ قال عبد الله شبر: « فإن كثيرًا من الأمور كانت من ضروريات مذهبهم ودينهم عليهم السلام، فإنكارها أو عدم اعتقادها خروج عن دينهم عليهم السلام؛ كحلّية المتعة، وعدم جواز المسح على الخفين.. » [1].

١ - مسألة نكاح المتعة:

« يرى أهل السنة أن الرخصة في المتعة مرة أو مرتين في العهد النبوي يقرب من التدريج في منع الزنا منعًا باتًّا، كما وقع التدريج في تحريم الخمر، وكلتا الفاحشتين كانتا فاشيتين في الجاهلية، ولكن فشوّ الزنا كان في الإماء دون الحرائر، فتلك الإباحة ثم التحريم المؤبد إنما هي من محاسن الشريعة المحمدية وكمال حكمة شارعها » [2]. ولذلك فقد جاء النهي عنها في سنّة النبي ﷺ الصحيحة، برواية عدد كبير من الصحابة.

ولما جاء عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه التأكيد على تحريم المتعة، شجعت الروايات الاثني عشرية على مخالفته رضي الله عنه فأباحوها رغبة في المخالفة [3]، وأكدوا عليها تأكيدات كثيرة، حتى جعلوها من مصادر أعظم الثواب، وجعلوها من ضرورات المذهب الاثني عشري، فقد عدّوا « إباحة المتعة من ضروريات مذهب الإمامية » [4]. حتى زعموا أن امرأة كانت تردّ الخطّاب؛ لأنها لا رغبة لها في الزواج، ولكنها أرسلت لابن عم لها لتتزوجه متعة؛ رغبة في عصيان عمر، كما تقول الرواية [5]!.

وتنقل كتب الشيعة من الأحكام الفقهية حول المتعة ما يستحيي المرء عن ذكره، فقد

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (٥٦٩/٢).

(٢) الشيخ شبير أحمد النعماني: (شيخ الحديث بالجامعة الإسلامية في دابهيل سورت الهند، ومدير دار العلوم ديوبند): فتح الملهم بشرح صحيح مسلم (٣٣٧/٦). دار القلم - دمشق (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).

(٣) انظر: أحمد حارس سحيمي: توثيق السنة بين الشيعة الإمامية وأهل السنة في أحكام الإمامة ونكاح المتعة، ماجستير دار العلوم. دار السلام - القاهرة (٢٠٠٣م)، (ط١)، (ص ٥٥١).

(٤) وسائل الشيعة (٤٤١/٧).

(٥) انظر: أخبارهم في فضل المتعة في وسائل الشيعة، باب استحباب المتعة (٤٤٢/١٤) وما بعدها.

قال حجتهم: « لا بأس بالتمتع بالرضيعة ضمًّا وتقبيلًا وتفخيذًا »[(١)]!!!.

وذكر الكليني والطوسي أنه « تجوز المتعة على العرد الواحد » أي الجماع الواحد [(٢)]!!.

وقد استخدم الاثنا عشرية المتعة أسلوبًا ووسيلة من وسائل نشر مذهبهم، فقد نقل الدكتور القفاري عن مجلة المنار أن الاثني عشرية في العراق « دفعوا مجموعة من شيوخ القبائل إلى اعتناق الرفض عن طريق إغرائهم »، ففي سنة (١٣٢٦هـ) كشف الشيخ العلامة محمد كامل الرافعي في رسالة أرسلها من بغداد لصديقه الشيخ رشيد رضا، ونشرتها مجلة المنار، أثناء سياحته في تلك الديار ما يقوم به علماء الشيعة من دعوة الأعراب إلى التشيع واستعانتهم في ذلك بإحلال متعة النكاح لمشايخ قبائلهم الذين يرغبون الاستمتاع بكثير من النساء في كل وقت [(٣)]!

وقد وضعوا من النصوص عن الأئمة ما يشجع على هذه المتعة، بما تضمنه هذه الروايات من مبالغات في ثواب فاعليها.

فتقول رواياتهم عن النبي ﷺ: **« من تمتع مرة فدرجته كدرجة الحسين، ومن تمتع مرتين فدرجته كدرجة الحسن، ومن تمتع ثلاث مرات فدرجته كدرجة علي، ومن تمتع أربع مرات فدرجته كدرجتي »** [(٤)].

فهل يصدق عاقل أن تكون مكانة من أتى شهوته بهذه السبيل كالحسين المجاهد الصابر القتيل الظامئ في كربلاء، والله! إن هذا النص فيه إزراء بالحسين وجهاده وكفاحه، حتى يعطى ساقط داعر درجة الحسين التي لا ينالها إلا الرجال الصادقون في جهادهم واستشهادهم، ناهيك عن مكانة الحسن ثم مكانة النبي الأعظم ﷺ!.

وتذكر رواية أخرى: أنه إذا تزوجها متعة « لم يكلمها كلمة إلا كتب الله له بها

---

(١) الخميني: تحرير الوسيلة (٢/٢٤١)، وانظر: عبد الله المشيرفي: نبذة مختصرة عن دين الشيعة (ص ١١).

(٢) رووا عن أبي الحسن - الإمام العاشر - أنه سئل: « كم أدنى أجل المتعة؟ هل يجوز أن يتمتع الرجل بشرط مرة واحدة؟ قال: نعم، وعن جده أبي عبد الله على عرد [أي مجامعة لمرة واحدة] واحد، فقال: لا بأس، ولكن إذا فرغ فليحول وجهه ولا ينظر » انظر: الكليني: الفروع من الكافي (٥/٤٦٠)، الطوسي: الاستبصار (٣/١٥١).

(٣) مجلة المنار، المجلد (٢٩)، وانظر أيضًا: المجلد الثاني (ص ٦٨٧).

(٤) تفسير منهج صادقين (ص ٣٥٦).

حسنة، ولم يمد يده إليها إلا كتب الله له حسنة - إلى أن يقول -: فإذا اغتسل غفر الله له.. بعدد الشعر »[١].

في حين تحذر الروايات من لم يتمتع في حياته ولو لمرة واحدة؛ لأن « من خرج من الدنيا ولم يتمتع جاء يوم القيامة وهو أجدع »[٢]!.

مع أن كتبهم نقلت ما نقله أهل السنة في تحريم المتعة في يوم خيبر، فقد جاء في الاستبصار ووسائل الشيعة عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: « حرّم رسول الله ﷺ يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة »[٣]. ولكنهم لم يرتضوا هذه النصوص، وحملوها على التقية؛ « لأن إباحة المتعة من ضروريات مذهب الإمامية »[٤].

ويحاول بعض المعاصرين الحديث عن المتعة بأسلوب يتظاهر فيه بالعلمية والحرص على المجتمع تحت عنوان: (المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي)[٥]!.

ولا أدري كيف يواجه الاثنا عشرية العالم اليوم بمسألة المتعة وجوازها للحظات تلبّي الشهوة الجنسية الفائرة فقط مقابل صاع أو مدّ من شعير كما ذكروا، من غير ضمان حياة زوجية مستقرة، ولا لسكن نفسي بين الزوجين، ولا استقرار للأسرة، ولا حسن تربية للأبناء. فما الفرق إذن بين الزنا والمتعة.

٢ - وجوب المسح على الرجلين في الوضوء:

قال الشيخ يوسف البحراني: « ما يدل على وجوب المسح ونفي الغسل من أخبارنا مستفيض، بل الظاهر أنه من ضروريات مذهبنا »[٦]. مع أنه ورد في بعض الروايات عندهم أن عليًا رضي الله عنه غسل رجليه في الوضوء أمام النبي ﷺ: عن علي بن أبي طالب

---

(١) وسائل الشيعة (٤٤٢/١٤)، من لا يحضره الفقيه (٥١/٢). انظر: الدكتور القفاري: مذهب الشيعة (١٤٩١/٣).

(٢) تفسير منهج الصادقين (ص ٣٥٦).

(٣) انظر: الطوسي: تهذيب الأحكام (١٨٤/٢)، الاستبصار (١٣٢/٣)، الحر العاملي: وسائل الشيعة (٤٤١/٧).

(٤) وسائل الشيعة (٤٤١/٧).

(٥) لتوفيق الفكيكي، عراقي معاصر - كتاب: (المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي في الرد على مفتريات محمد ثابت في كتابه جولة في ربوع الشرق الأدنى، وعلي موسى جار الله ابن فاطمة التركستاني في كتابه الوشيعة)، تقديم الأستاذ عبد الهادي مسعود بوزارة الثقافة والإرشاد القومي! - مطبوعات النجاح بالقاهرة.

(٦) السيد علي الميلاني: حكم الأرجل في الوضوء (ص ٢٥).

قال: « جلست أتوضأ فأقبل رسول الله ﷺ حين ابتدأت الوضوء - إلى أن قال: - وغسلت قدمي، فقال لي: يا علي خلل بين الأصابع لا تخلل بالنار »(١)، قال الطوسي: « هذا خبر موافق للعامة (يعني أهل السنة) وقد ورد مورد التقية؛ لأن المعلوم الذي لا يتخالج منه الشك من مذاهب أئمتنا عليهم السلام القول بالمسح على الرجلين، ثم قال: « إن رواة هذا الخبر كلهم عامة ورجال الزيدية، وما يختصون به لا يعمل به »(٢).

٣ - تحريم المسح على الخفين:

ولما كان المسح على الخفين محلّ إجماع جلّة الصحابة وفقهاء أهل السنة؛ أنكر الشيعة المسح على الخفين: فقد سأل رجل الصادق: « ما تقول في المسح على الخفّين؟ فتبسّم ثمّ قال: إذا كان يوم القيامة ردّ الله كلّ شيءٍ إلى شيئه، وردّ الجلد إلى الغنم فترى أصحاب المسح أين يذهب وضوؤهم؟ »(٣).

وإذا كانت التقية دين الشيعة، فإنها ممنوعة في كل ما كان شعارًا من شعارات المخالفين كالمسح على الخفين: عن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عمر الأعجمي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: « يا أبا عمر! إنّ تسعة أعشار الدّين في التّقيّة، ولا دين لمن لا تقيّة له، والتّقيّة في كلّ شيءٍ إلا في النّبيذ والمسح على الخفّين »(٤).

لأن أهل السنة يرون من علامات التسنّن القول بالمسح على الخفين؛ فقد ذكر الفقهاء « إجماع الصحابة على جواز المسح على الخفين قولًا وفعلًا، حتى روي عن الحسن البصري أنه قال: أدركت سبعين بدريًا من الصحابة كلهم يرون المسح على الخفين »، ولهذا رأى أبو حنيفة من علامات المسلم السني: « أن تفضل الشيخين وتحب الختنين، وأن ترى المسح على الخفين، وأن لا تحرم نبيذ التمر، يعني المثلث، وروي عنه أنه قال: ما قلت بالمسح حتى جاءني فيه مثل ضوء النهار، فكان الجحود ردًا على كبار الصحابة ونسبة إياهم إلى الخطأ، فكان بدعة؛ فلهذا قال الكرخي: أخاف الكفر على من لا يرى المسح على الخفين »(٥).

وهكذا صارت ردّات الأفعال في مسائل فقهية لا عقدية مناطًا للتفسيق والتكفير بين الفرق الإسلامية، وهو أمر ينبغي الحذر منه والترفّع عنه من كلّ الطوائف الإسلامية.

(١) الاستبصار (١/٦٥، ٦٦). (٢) الطوسي: الاستبصار (١/٦٥، ٦٦).
(٣) أصول الكافي (١/٤١١) كتاب الحجة باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة.
(٤) أصول الكافي (٢/٢٢٠) كتاب الإيمان والكفر باب التقية قال محققه: والحديث مجهول.
(٥) أبو بكر الكاساني: بدائع الصنائع (١/٧): المكتبة الحبيبية، باكستان (١٤٠٧هـ).

الفَصْلُ الخَامِسُ

موقف الشيعة الاثني عشرية من الأمة الإسلامية

(وفيه مباحث):

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: تصنيف الناس عند الاثني عشرية.

المَبْحَثُ الثَّانِي: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة الكرام.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: موقف الشيعة من الأمة والفرق الكلامية الإسلامية عمومًا.



تمهيد

بيان العلاقة بين الصحابة الكرام وآل بيت النبي ﷺ

قبل معرفة موقف الاثني عشرية من الأمة الإسلامية عمومًا، ومن الصحابة الكرام خصوصًا، يجدر بيان حقائق مسلّمة عند أهل السنة والجماعة، ألا وهي حسن العلاقة بين صحابة النبي ﷺ وآل بيته الكرام (١).

لقد كانت العلاقة بين الآل والصحب علاقة محبة ومودة واحترام، وهذا الذي تورده كتب السنة جمعاء، وبعض الروايات عن أئمة الشيعة، فأهل السنة يكنّون للصحابة وآل النبي منهم كل احترام ومودة، فعلي ﷺ من الصحابة الكرام، وكذلك ابناه الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ، كما تتسع دائرة آل بيت النبي لتشمل كل مؤمن؛ فمن كان طائعًا لله فهو من آل بيت النبي ﷺ، فـ « سلمان منا آل البيت » (٢).

آل النبي هـم أتبـاع ملّته	من الأعاجم والسـودان والعرب
لـو لم يكـن آله إلا قرابتـه	صلّى المصلي على الطاغي أبي لهـب (٣)

وهكذا يتسع قلب المرء المسلم لمحبة صحابة نبيه وآل بيت نبيه، ويعدّهم على مستوى واحد في وجوب المحبة والإكرام والتعظيم.

لقد « صلى زيد بن ثابت ﷺ على جنازة، فقربت له بغلة ليركبها فأخذ ابن عباس بركابه، فقال له: خلّ عنك يا ابن عم رسول الله، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء، فقبّل زيد يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا » (٤).

وكان ابن عباس ﷺ - وهو من آل النبي - « إذا بلغه حديث عن صحابي ذهب إليه، فإذا رآه قائلًا توسّد رداءه على بابه، فتسفي الريح التراب على وجهه، حتى يخرج

(١) انظر: المودة والمحبة بين الصحابة والقرابة، محمد زكريا النداف، دار المعراج - دمشق (١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).

(٢) مستدرك الحاكم (٦٩١/٣).

(٣) من شعر نشوان الحميري. انظر: نيل الأوطار (٣٢٧/٢).

(٤) ابن حجر الهيتمي (أبو العباس أحمد بن محمد، ت ٩٧٣هـ): الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٦٨١/٢). مؤسسة الرسالة - بيروت (١٩٩٧م).

فيقول: ألا أرسلت إليّ فآتيك؟ فيقول له ابن عباس: أنا أحق أن آتيك » (١).

وهكذا كانت علاقة المحبة والاحترام المتبادل بين الصحابة وآل بيت النبي ﷺ معبرة عن تعاليم الإسلام الذي دعا إلى وحدة قلوب المؤمنين.

أولاً: مودة وحب آل البيت في مدرسة الصحابة الكرام:

لا يستغرب رسوخ محبة آل بيت النبي في جذور قلوب الصحابة الكرام ومن جاء بعدهم من التابعين ومن اهتدى بهديهم، فإن نصوص القرآن حضّت على رعاية حق ذوي القربى - كما بينّا في تمهيد البحث -.

لقد ثبت في صحاح أهل السنة وكتب التاريخ احترام الصحابة الكرام لعلي ﷺ وللحسن والحسين ﷺ، والتاريخ يشهد كيف كانت صحبة علي لأبي بكر ﷺ، فقد أخرج النسائي: « عن عقبة بن الحارث قال: إني مع أبي بكر حين مر على الحسن فوضعه على عنقه ثم قال: بأبي! شبيه النبي ﷺ لا شبه علي. وعليٌّ معه فجعل يضحك » (٢). وعند البزار: شبيه النبي ليس بشبيهٍ بعلي، وذلك لشبه الحسن ﷺ لرسول الله ﷺ.

وصح عن أبي بكر ﷺ أنه قال لعلي ﷺ: « والذي نفسي بيده! لقرابة رسول الله أحب إلي أن أصل من قرابتي » (٣).

وحلف عمر للعباس ﷺ أن إسلامه أحب إليه من إسلام أبيه لو أسلم؛ لأن إسلام العباس أحب إلى رسول الله (٤). وبعث إلى والي اليمن برسالة خاصة لكسوة ريحانتي النبي ﷺ الحسن والحسين ﷺ وهما في سنّ الطفولة (٥). وهذا يبين مقدار اهتمام عمر بشأن حفيدي النبي ﷺ، وطلب عمر ﷺ القرب من البيت النبوي بزواجه من أم كلثوم بنت علي وفاطمة ﷺ (٦). فكان من عمر وأم كلثوم: ولدا عمر بن الخطاب: رقية وزيد.

---

(١) ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٦٨٢/٢).

(٢) سنن النسائي الكبرى: كتاب المناقب، باب فضائل الحسن والحسين (٤٨/٥)، رقم (٨١٦١) دار الكتب العلمية - بيروت (١٤١١هـ / ١٩٩١م)، مسند البزار - ما روى عقبة بن الحارث، حديث: (٦٦١٩٤٠).

(٣) صحيح البخاري: باب مناقب قرابة رسول الله رقم (٣٥٠٨)، وانظر ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٢٥٤/٤)، الصواعق المحرقة (٦٨١/٢).

(٤) ابن حجر الهيتمي أبو العباس أحمد بن محمد (٩٧٣هـ)، الصواعق المحرقة (٦٨١/٢، ٦٨٢). باب إكرام الصحابة ومن بعدهم لأهل البيت.

(٥) المتقي الهندي: كنز العمال (٦٣٤/١٣).

(٦) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى (٢٦٥/٣)، تاريخ اليعقوبي (١٤٩/٢، ١٥٠).

ومعلوم أن عمر ﷺ هو الذي جعل ابنة ملك كسرى من نصيب الحسين [(١)]، فكان منهما الإمام زين العابدين، الذي جمع شرف العرب والعجم.

وقد ذكر الطوسي والصدوق أن عمر ﷺ لم يكن يرتضى من أحد أن يطعن في علي ابن أبي طالب، فقد « وقع رجل في عليّ ﷺ بمحضر من عمر، فقال: تعرف صاحب هذا القبر؟ - يعني النبي ﷺ - لا تذكر عليًا إلا بخير، فإنك إن آذيته آذيت هذا ﷺ في قبره » [(٢)].

وقد مشى التابعون ومن بعدهم على خطا الصحابة الكرام في إكرام آل بيت النبي ﷺ، فقد « أتى عبد اللّٰه بن حسن بن حسين ﷺ عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال له: إذا كانت لك حاجة فأرسل أو اكتب بها إلي، فإني أستحيي من اللّٰه أن يراك على بابي.. ودخلت فاطمة بنت علي على عمر بن عبد العزيز، وهو أمير المدينة، فبالغ في إكرامها، وقال: واللّٰه! ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلي منكم، ولأنتم أحب إلي من أهلي » [(٣)].

وعوتب أحمد في تقريبه لشيعي فقال: سبحان اللّٰه! رجل أحب قومًا من أهل بيت النبي وهو ثقة، وكان إذا جاءه شريف بل قرشي قدمه وخرج وراءه » [(٤)].

ويقول ابن تيمية عن الإمام الباقر: « أبو جعفر محمد بن علي من خيار أهل العلم والدين، وقيل: إنما سمي الباقر لأنه بقر العلم، لا لأجل بقر السجود جبهته » [(٥)].

ويقول عنه ابن كثير: « تابعي جليل كبير القدر، أحد أعلام هذه الأمة علمًا وعملًا وسيادة وشرفًا » [(٦)].

أما ابنه جعفر الصادق فهو: « أحد الأئمة الأعلام، برٌّ صادق كبير الشأن » [(٧)].

---

(١) « وذلك أن عمر بن الخطاب لما أتى بابنتي يزدجرد وهب إحداهما للحسين بن علي، فسماها غزالة ». انظر: اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ): تاريخ اليعقوبي (٣٠٣/٢). دار صادر - بيروت. انظر بحار الأنوار (٣٣٠/٤٥) للمجلسي، مؤسسة الوفاء - بيروت (ط٢)، (١٤٠٣هـ).

(٢) الصدوق: الأمالي (ص ٣٢٤)، الطوسي: الأمالي (٤٦/٢)، وانظر الخبر في تاريخ دمشق، لابن عساكر (٥١٩/٤٢).

(٣) ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة (٦٨١/٢، ٦٨٢). باب إكرام الصحابة ومن بعدهم لأهل البيت.

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) ابن تيمية: منهاج السنة (٥٠/٤).

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية (٣٣٨/٩) دار إحياء التراث العربي - بيروت، (ط١)، (١٤١٨هـ) تحقيق علي شيري.

(٧) الذهبي: ميزان الاعتدال (٢٨٥/٢).

« وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا » (١).

وقد أقرّ ابن مطهر الحلي بأن علماء أهل السنة استفادوا من علوم أئمة أهل البيت: عندما قال: « علي الرضا أزهد أهل زمانه وأعلمهم، وأخذ عنه فقهاء الجمهور كثيرًا، وتولّاه المأمون لعلمه بما هو عليه من الكمال والفضل » (٢).

وقال الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز في علي: « ما علمنا أن أحدًا من هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ أزهد من علي بن أبي طالب، ما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة » (٣).

وقال الشافعي: « ما أقول في رجل أخفت أعداؤه فضائله حسدًا، وأخفت أولياؤه فضائله خوفًا، وقد شاع من بين ذين ما ملأ الخافقين » (٤).

الفتن التاريخية لم تؤثر على حبّ الصحابة والأمة لآل البيت:

إن الفتن التاريخية في صدر الإسلام لم تغير موقف الصحابة الكرام ولا الأمة من محبتها لآل بيت النبي ﷺ. فقد: « هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الألوف، فلم يحضرها منهم إلا مئة، بل لم يبلغوا ثلاثين » (٥).

وإذا كانت أحداث الفتن المتطاولة قد جعلت بعض الناس ينزلقون في شتم مخالفيهم لمواقفهم السياسية المعارضة لهم. فإن موقف أمة الإسلام ممثلة بصحابة النبي ﷺ وصالحي التابعين يخالف هذا الاتجاه المشين.

فهذا سعد بن أبي وقاص يعتزل الفتنة، ويرفض سبّ أمير المؤمنين علي رضي الله عنهما (٦)، وكذلك سهل بن سعد (٧).

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل (١٦١/١). دار المعرفة – بيروت، (١٤٠٤هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

(٢) ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة (ص ٦٠).

(٣) إبراهيم موسى الزنجاني: عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص ١٠٩).

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية (٢٦٤/٧)، دار الفكر – بيروت (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه رقم (٣٧٠٦)، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي رضي الله عنه، رقم (٢٤٠٤).

(٧) متفق عليه: أخرجه البخاري في الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد رقم (٤٤١)، وفي فضائل أصحاب النبي، باب مناقب علي (٣٧٠٣)، وفي باب الأدب، باب التكنّي بأبي تراب رقم (٦٢٠٤)، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رقم (٢٤٠٩).

وهذا معاوية ﷺ في آخر عمره يشهد لعلي بالفضل، بعد أن ذهب دور السياسة التي فرّقت بينهما. فقد ثبت عند أهل السنة والشيعة أن معاوية ﷺ طلب من ضرار الصدائي - أحد أصحاب علي ﷺ - أن يصفه ويذكر له شيئًا من فضائله، قال معاوية: « صف لي عليًا يا ضرار! فقال: اعفني يا أمير المؤمنين. فقال: لا بد. فقال: أما إذ ولا بد من وصفه: فكان واللّه! شديد القوى، بعيد المدى، يقول فصلًا، ويحكم عدلًا، يتفجر العلم من جوانبه... فبكى معاوية وقال: رحم اللّه أبا الحسن! كان واللّه! كذلك »[1].

و « قال معاوية يرد على محفن بن أبي محفن الضبي حينما اتهم عليًا بالبخل والجبن والعي: أعلي كان أبخل الناس؟ واللّه! لو كان لعلي بيت من تبن وبيت من تبر لأنفق تبره قبل تبنه، أعليٌّ كان أجبن الناس؟ وهل وقف في الحروب دون رسول اللّه ﷺ غير علي؟ أعلي كان أعيى الناس؟ وهل سنّ الفصاحة لقريش إلا علي؟! »[2].

وقال أحدهم للصحابي سفينة[3] ﷺ: « إن هؤلاء يزعمون أن عليًا لم يكن بخليفة. قال: كذبت أستاه بني الزرقاء، يعني بني مروان »[4].

« والمنصوص عن أحمد وأئمة السلف أنه لا يذم أحد منهم [أي الصحابة في عهد علي ﷺ]، وأن عليًا أولى بالحق من غيره »[5].

وقد وقف الصحابة الكرام في وجه أمراء الجور في العهد الأموي ينصحونهم أحيانًا ويتوعّدونهم أحيانًا أخرى، ومن أمثلة ذلك وقفة أبي هريرة في عهد مروان بن الحكم ينصحه بعدم اتخاذ التصاوير[6].

---

(١) شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني (٢٧٤/١١)، ابن المطهر الحلي: منهاج الكرامة (ص ١٦٠)، جعفر كاشف الغطاء: كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء (١٦/١) طبعة انتشارات مهدوي - أصفهان، وأثبت في النص لعن معاوية ﷺ مع أنه ترحّم على صاحبه علي ﷺ!!.

(٢) إبراهيم موسى الزنجاني: عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص ١١٠).

(٣) سفينة مولى رسول اللّه ﷺ قيل كان اسمه مهران وقيل غير ذلك، أصله من فارس فاشترته أم سلمة ثم أعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي ﷺ وقد روى عن النبي ﷺ وعن أم سلمة وعلي. وعن سبب تسميته بسفينة يقول: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فكان بعض القوم إذا أعيى ألقى على ثوبه حتى حملت من ذلك شيئًا كثيرًا فقال ﷺ: « ما أنت إلا سفينة ». وكان يسكن بطن نخلة. (ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة (١٣٢/٣)، وتوفي سفينة في زمن الحجاج (ابن عبد البر: الاستيعاب ٢٠٧/١).

(٤) سنن أبي داود: كتاب السنة، باب في الخلفاء رقم (٤٦٤٦). (أستاه): جمع إست، وهي مقعدة الإنسان.

(٥) منهاج السنة (٥٣٨/١).

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري، باب نقض الصور، رقم (٥٩٥١)، ومسلم في كتاب الألبسة باب في تحريم =

وهذا زيد بن أرقم ﷺ يتحدى ابن زياد الذي كان يستخف بالصحابة الكرام (١)، ولم يكن موقف زيد بن أرقم فريدًا وحيدًا أمام ابن زياد، فهذا معقل بن يسار وعائذ بن عمرو يتخذان الموقف ذاته منه (٢).

وقد روت كتب السنة إنكار الصحابة على عبيد الله بن زياد قتل الحسين ﷺ، فقد ورد أن زيد بن أرقم ﷺ رأى ابن زياد يعبث بقضيب في يده بفم الحسين ﷺ فقال له زاجرًا: ارفع قضيبك فوالله! لطالما رأيت رسول الله يقبّل ما بين هاتين الشفتين. ثم جعل زيد يبكي، فقال ابن زياد: أبكى الله عينيك، لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك، فنهض وهو يقول: أيها الناس! أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة، وأمّرتم ابن مرجانة [يعني ابن زياد]، والله! ليقتلن خياركم ويستعبدن شراركم، فبعدًا لمن رضي بالذلة والعار، ثم قال: يا ابن زياد! لأحدثنك بما هو أغيظ عليك من هذا: رأيت رسول الله أقعد حسنًا على فخذه اليمنى وحسينًا على فخذه اليسرى، ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال: « **اللّهم إني أستودعك إياهما وصالح المؤمنين** » فكيف كانت وديعة النبي عندك يا ابن زياد؟ » (٣).

وروى الترمذي خبر انتقام الله من ابن زياد هذا، وكأني أنظر إلى تهلل وجه الإمام الترمذي، وهو يروي هذا حديث مهلك ابن زياد بسند صحيح: « عن عمارة بن عمير قال: لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نضدت في المسجد في الرحبة، فانتهيت إليهم وهم يقولون: قد جاءت، قد جاءت، فإذا حيّة قد جاءت تخلل الرّؤوس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد، فمكثت هنيهة ثم خرجت، فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا: قد جاءت، قد جاءت، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثًا » قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (٤).

= صور الحيوان رقم (٢١٠٨) ترقيم دار القلم - دمشق.

(١) مسند الإمام أحمد (٤/٣٦٧).

(٢) انظر خبر معقل بن يسار في صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم (١٤٢). وانظر: توعد عائذ لابن زياد في صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم (١٨٣٠)، ومسند أحمد (٥/٦٤) حديث عائذ بن عمرو ﷺ (٢٠٦٥٦).

(٣) ابن حجر الهيتمي (أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي): الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/٥٧٨)، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩٧م) تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط.

(٤) سنن الترمذي: في المناقب: مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، رقم (٣٧٨٠).

وهكذا يتضح من هذه النصوص حزن الصحابة على مقتل الحسين، وغضبهم وسخطهم على قاتله، واستنهاضهم الهمم على الخروج عليه رغم بطشه الشديد، ثم رأينا تشفّي الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم بابن زياد، وفرحهم بانتقام الله تعالى منه ومن قتلة الحسين ﷺ، حتى خرّجوا تفصيل ذلك في بعض كتبهم الحديثية.

والتاريخ يذكر لنا موقف أهل المدينة من حكم الأمويين، حتى خرجوا عليهم، فـ « أهل المدينة لم يكونوا مائلين إلى بني أمية كما كان أهل الشام، بل قد خلعوا بيعة يزيد، وحاربهم عام الحرة وجرى بالمدينة ما جرى » [١] من قتل وسلب.

إن الحكم المستبد الذي عرف في ذلك الزمن لم يكن يفرق بين الخارجين على السلطان، سواء أكانوا من آل البيت أم من غيرهم، أم كانوا من البيت الأموي نفسه، وهي سكرة السلطان والحكم والمنصب، وقد عبّر عنها أحد هؤلاء السلاطين أو الملوك من بني أمية في خطبته: فقد حج عبد الملك بن مروان سنة خمس وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بعامين، فخطب وقال: « أيها الناس! إنما نحتمل لكم كل اللغوبة ما لم يكن عقد راية أو وثوب على منبر، هذا عمرو بن سعيد حقه حقه وقرابته قرابته، قال: رأسه هكذا، فقلنا بسيفنا هكذا » [٢].

مصير ابن الزبير وابن علي واحد:

وقد خرج الصحابي ابن الصحابي عبد الله بن الزبير ﷺ على حكم الأمويين، وتوسعت دائرة حكمه، حتى زحفت إليه جيوش الأمويين، وقتله الحجاج في الحرم، ثم صلبه.

عن أبي نوفل: « رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة قال: فجعلت قريش تمر عليه والناس، حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا خبيب! السلام عليك أبا خبيب! السلام عليك أبا خبيب! أما والله! لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله! لقد كنت أنهاك عن هذا! أما والله! لقد كنت أنهاك عن هذا [٣]! أما والله

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٨٥/٢).

(٢) ابن عساكر: مختصر تاريخ دمشق (٢٠٨٦/١). وعمرو بن سعيد الأشدق من بني أمية، وهو عمرو ابن سعيد بن العاص بن أمية، كان نائبًا على المدينة من عهد معاوية، قتله عبد الملك بن مروان سنة تسع وستين وقيل سبعين (البداية والنهاية ٢٣٤/٦).

(٣) ذلك أن مذهب ابن عمر كان رفض الخروج على السلاطين وإن جاروا، لما يترتب على ذلك من إزهاق للأرواح، وفساد وبطش وتنكيل، وهي مسألة فيها خلاف كبير بين أهل العلم، وقد نهى ابن عمر الحسين ﷺ عن الخروج من قبل ذلك.

إن كنت ما علمت صوّامًا قوامًا وصولًا للرحم، أما والله! لأمة أنت أشرها لأمة خير. ثم نفذ عبد الله بن عمر. فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله، فأرسل إليه فأنزل عن جذعه فألقي في قبور اليهود » [١]!.

قال القاضي عياض: « ففيه قول ابن عمر بالحق، وقلة خوفه من الحجاج، فإنه لم تصده سطوته عن الشهادة بما علم فيه ليبين للناس كذب الحجاج وشيعته في وصفهم له بعدو الله والكفر والبخل » [٢].

ووقفت أسماء بنت أبي بكر في وجه الحجاج قاتل ابنها عبد الله بن الزبير قائلة في ثبات المرأة المسلمة: « أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا. فأمّا الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه. قال: فقام عنها ولم يراجعها » [٣].

وتظهر هذه الحادثة أن ما أصاب المسلمين والصحابة وأبناء الصحابة من الخسف والظلم على يد الحجاج كان شبيهًا بما أصاب آل بيت النبي ﷺ ممثلين بالحسين وآله في كربلاء. فكيف يساق المسلمون كلهم جميعًا سوقًا واحدًا بأنهم أتباع الأمويين وأعداء آل البيت؟!

والشبه واضح بين الحسين وعبد الله بن الزبير، فكلاهما من فتيان الصحابة، وأبناء الصحابة، فأبواهما من العشرة المبشرين بالجنة، وكلاهما من قريش، ومن قرابة النبي ﷺ، فعبد الله هو ابن الزبير رضي الله عنه حواري النبي وابن عمته صفية رضي الله عنها، والحسين هو ابن علي رضي الله عنه ابن عم النبي وابن بنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها، ولم تشفع لهما القرابة أمام سيف السلطان الغشوم، وحزن أهل السنة على جريمة قتل الرجلين عظيم.

ومن العجب أن الذين ارتضوا خروج الحسين إلى كربلاء على (ظلم يزيد) لم يرتضوا خروج ابن الزبير، فليس لابن الزبير - ولوالديه من قبل - عند كتّاب الاثني عشرية إلا الشنآن، قال محقق أصول الكافي عنه: « هو عبد الله، وكان من الشانئين لأهل البيت، وفتنه دعاء الناس إلى نفسه بعد استشهاد الحسين » [٤].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب كذاب ثقيف ومبيرها، رقم (٢٥٤٥).

(٢) الشيخ تقي الدين العثماني تكملة فتح المفهم (٥/١٦٢)، عن المفهم للقاضي عياض (٦/٥٠٣، ٥٠٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها رقم (٢٥٤٥).

(٤) أصول الكافي (٢/٧٠): هامش حاشية رقم (٥) أثناء شرحه لحديث ورد فيه لفظ: « مما نتخوف من فتنة ابن الزبير ».

صالحو الأمويين يعظّمون أهل البيت اقتداء بعلماء سلف الأمة:

كما أن كتّاب الاثني عشرية ينسون أن صالحي الأمويين كانوا يحبّون آل بيت النبي ﷺ ويمنعون من إيذائهم، فقد كان « هشام بن إسماعيل - أحد ولاة الوليد ابن عبد الملك - يؤذي زين العابدين وأهل بيته، وينال من علي، فعزله الوليد وأوقفه للناس، وكان أخوف ما عليه: أهل البيت » [١].

وهذا عمر بن عبد العزيز يقتدي بسيرة أمير المؤمنين علي ﷺ، فيسأل عن سنة علي ﷺ في الصدقات والأوقاف، وهذا ما أثبتته هذه الرواية عند الاثني عشرية أنفسهم:

عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله ﷺ قال سمعته يقول: « إنّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابن حزمٍ [٢] أن يرسل إليه بصدقة عليٍّ وعمر وعثمان [٣]، وإنّ ابن حزمٍ بعث إلى زيد بن الحسن وكان أكبرهم فسأله الصّدقة فقال زيدٌ: إنّ الوالي كان بعد عليٍّ الحسن، وبعد الحسن الحسين، وبعد الحسين عليّ بن الحسين، وبعد عليّ بن الحسين محمّد بن عليٍّ فابعث إليه. فبعث ابن حزمٍ إلى أبي فأرسلني أبي بالكتاب إليه حتّى دفعته إلى ابن حزمٍ » [٤].

وقد ذكرت كتب التاريخ أن عمر بن عبد العزيز ﷺ رفض شتم علي ﷺ على المنابر، وألغى هذه العادة السيئة [٥].

ومع أن عمر بن عبد العزيز نشأ في بيئة أموية، إلا أن علماء أهل السنة بيّنوا له ما فعله يزيد، ولذلك أنكر من وراء القرون ما فعله يزيد في خلافته من قتال الحسين، وقتال أهل المدينة واستحلالها، فعن نوفل بن أبي الفرات قال: « كنت عند عمر بن عبد العزيز، فقال رجل: (قال أمير المؤمنين يزيد). فأمر به، فضرب عشرين سوطًا » [٦].

---

(١) ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة (٢/٦٨٣). باب إكرام الصحابة ومن بعدهم لأهل البيت.

(٢) محمد بن عمر بن حزم الأنصاري، ولد في عهد النبي ﷺ سنة عشر بنجران، وكان أبوه عامل النبي على نجران.. انظر: المجلسي: مرآة العقول (٣/٣٢٤).

(٣) أي سجلّ صدقاتهم وأوقافهم.

(٤) الكليني: أصول الكافي (١/٣٦١، ٣٦٢) كتاب الحجة باب الإشارة والنص على أبي جعفر، والحديث موثق.

(٥) وقد كان هذا بفضل تربية علماء المسلمين لعمر بن عبد العزيز (كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٩/١٩٣): « وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه، فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص عليًا، فلما أتاه عمر أعرض عبيد الله عنه، وقام يصلي، فجلس عمر ينتظره، فلما سلم أقبل على عمر مغضبًا وقال له: متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم، قال: ففهمها عمر، وقال: معذرة إلى الله ثم إليك، والله! لا أعود، قال فما سمع بعد ذلك يذكر عليًا إلا بخير ».

(٦) سير أعلام النبلاء (٤/٤٠)، وانظر: لسان الميزان (٦/٢٩٤). ومع ذلك فقد جاء في روايات هذه =

وهذا الذي فعله عمر بن عبد العزيز مأخوذ من أقوال علماء أهل السنة، فقد روى ابن مطهر الحلي أن رجلًا سأل الإمام « أحمد بن حنبل عن يزيد، فقال: هو الذي فعل ما فعل؟ قلت: وما فعل؟ قال: نهب المدينة، وقال له صالح ولده يومًا: إن قومًا ينسبوننا إلى تولي يزيد. فقال: يا بني! وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟ » (١).

غير أن الإنكار على يزيد وغيره لم يجرّ علماء أهل السنة إلى اللعن والشتم؛ لأنهم يترفعون عن ذلك، طاعة للنبي ﷺ الذي نهانا أن نكون لعّانين.

« قال صالح بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: إن قومًا يقولون: إنهم يحبون يزيد. قال: يا بني! وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟! فقلت: يا أبت! فلماذا لا تلعنه؟ قال: يا بني! ومتى رأيت أباك يلعن أحدًا؟! » (٢).

وهذا ابن تيمية - الذي يتهمه الاثنا عشرية بالنصب - يقول عن يزيد: « كان فيه من الظلم ما كان » (٣)، « لهذا كان الذي عليه معتقد أهل السنة وأئمة الأمة أنه لا يسبّ ولا يحبّ » (٤).

ولذلك فإن ضمير الأمة المسلمة لا يضلّ طريقه، فقد أطلق على عمر بن عبد العزيز اسم الخليفة الراشدي الخامس، رغم أنه لم يكن من الصحابة الكرام؛ وذلك لأنه ؓ نسج على منوال الخلفاء الراشدين المهديين، وقد ثبت عند أهل السنة أنه سأل العلماء عن هدي عمر بن الخطاب، كما ثبت عند الشيعة أنه سأل عن نهج علي بن أبي طالب، وكلٌّ خير، أليس هذا دليلًا على محبة هذا الإمام العظيم لسلف الأمة، ورغبته في أن يقتدي بصحابة النبي ﷺ أبي بكر وعمر وعلي ؓ؟

= المصادر نفسها أنه كان يترحم على يزيد باعتباره أحد المسلمين. وقد ذكر السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني خبر ضرب عمر للقائل عشرين سوطًا، ولكنه لم يذكر تلك الروايات الأخرى، انظر: عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص ١٥٢).

(١) الحلي: منهاج الكرامة (ص ٨٣). وتتمة الرواية: « فقلت ولم لا تلعنه؟ فقال: ومتي رأيتني ألعن شيئًا؟ لم لا تلعن من لعنه الله في كتابه؟ فقلت: وأين لعن يزيد في كتابه؟ قال: في قوله: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢] » ولعل هذه التتمة غير صحيحة لما في أخبار أهل السنة من تورع أحمد عن لعن أي أحد من المسلمين، كما في الخبر التالي.

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٤١٢/٣).

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم (١١١/١).

(٤) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٤١٢/٣).

وقد كان علماء المسلمين فرحين مسرورين لانتقام الله تعالى من قتلة الحسين ﷺ؛ فشفى الله بقتلهم صدور قوم مؤمنين؛ قال الزهري: « ما بقي أحد من قاتلي الحسين إلا وعوقب في الدنيا؛ إما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة، وقد كان رسول الله ﷺ يكثر الوصية للمسلمين في ولديه الحسن والحسين » (١). وهذا يدل على أن علماء أهل السنة كانوا ينكرون ما فعله يزيد وغيره من الظلمة، ولم يكونوا متآمرين متحالفين مع هؤلاء الظلمة، ولا راضين بأفعالهم، ولكن سطوة الحكم التي كان هؤلاء يمتلكونها ما كان يقوم بوجهها أحد، لا من قبل الشيعة ولا أهل السنّة.

ثانيًا : مودة ومحبة الصحابة في مدرسة أهل البيت:

وإذا نظرنا إلى هذه العلاقة بين الصحب والآل رضوان الله عليهم جميعًا من الزاوية الأخرى؛ فسنرى ما يثلج الصدر ويسر النفس. قال محمد الباقر: « أجمع بنو فاطمة ﷺ على أن يقولوا في الشيخين أحسن ما يكون من القول » (٢).

كما كان أئمة أهل البيت يسترشدون بأقوال صحابة النبي ﷺ، وخصوصًا أقوال أبي بكر وعمر ﷺ؛ عن عروة عن عبد الله قال: « سألت أبا جعفر الباقر عن حلية السيف؟ قال: لا بأس به، قد حلّى أبو بكر الصديق ﷺ سيفه. قال: قلت: تقول الصدّيق، قال: نعم الصدّيق؟ نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل الصدّيق فلا صدّق الله قوله في الدنيا وفي الآخرة » (٣).

وكانوا يدافعون عن صحابة النبي ﷺ وخصوصًا عن أبي بكر وعمر ﷺ، فعن « محمد بن حاطب عن علي بن الحسين قال: أتى نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، فلما فرغوا قال لهم علي بن الحسين: ألا تخبروني، أنتم المهاجرون الأولون، ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨]؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الذين ﴿ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]؟

(١) الحلي: منهاج الكرامة (ص ٨٢)، وانظر الخبر في: منهاج السنة لابن تيمية (٣٣٨/٤). انظر: المودة والمحبة بين الصحابة والقرابة للمؤلف.

(٢) الصواعق المحرقة (١٥٥/١).

(٣) الصواعق المحرقة (١٥٦/١)، وانظر: د. فرماوي: الشيعة والصحابة (ص ٢٤).

قالوا: لا، قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠]، اخرجوا، فعل الله بكم » (١).

وقال: « أبلغ أهل الكوفة أني بريء ممن تبرأ من أبي بكر وعمر » (٢).

وإذا كانت هذه الروايات قد وجدت في مصادر أهل السنة، فإن لقائل أن يقول: إنها ليست بحجة على الاثني عشرية - كما فعل نور الله التستري في كتابه الصوارم المهرقة في نقض الصواعق المحرقة (٣) - ولكن قد وجد في روايات الاثني عشرية ما يصدّق هذه الدعوى؛ فقد جاء في نهج البلاغة، وهو كتاب معتمد عند الاثني عشرية قول علي ﷺ: « فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته، ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل، وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسر وسدد وقارب، واقتصد فصحبته مناصحًا، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدًا... فسمعنا وأطعنا وناصحنا، وتولّى عمر، فكان مرضيّ السيرة ميمون النقيبة » (٤).

ولسنا ننكر أن عليًا ﷺ وجد في نفسه أنه لم يستشر في أمر الخلافة، ولكن هذا ما كان ليصل به إلى إنكار فضل أبي بكر وعمر وباقي صحابة النبي ﷺ، بل إنه ﷺ كان ناصحًا لهم، يسير في ركابهم، ويطير في سربهم وكان يقول: « لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلّا عليّ خاصة » (٥).

وقد اعترف بهذا كتّاب الشيعة، يقول اليزدي: « وقد سكت الإمام الذي هو الخليفة المنصوب من قبل الله والرسول ﷺ خلال فترة الخلفاء الثلاثة، رعاية لمصالح الأمة الإسلامية الجديدة ولم ينطق بشيء إلا ما يتم به الحجة، وفي الوقت نفسه لم يتخلف لحظة عن تقديم الخدمات والجهود لما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين » (٦).

---

(١) ابن أبي الفتح الإربلي: كشف الغمة (٢/٢٩١)، انظر: تفسير القرطبي (١٨/٣١، ٣٢).

(٢) حلية الأولياء (٣/١٨٥).

(٣) انظر: الصوارم المهرقة في نقض الصواعق المحرقة، لنور الله التستري (ت ١٠١٩هـ)، (ص ٢٣٥): مطبعة نهضت (١٣٦٧هـ).

(٤) نهج البلاغة (١/١٣٢).

(٥) نهج البلاغة (١/١٣٤)، دار المعرفة - بيروت، بشرح الشيخ محمد عبده.

(٦) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٣٥٣).

فما دام الإمام قد سكت عما سمّاه اليزدي خلال فترة الخلفاء الثلاثة فما بال من يزعمون أنهم أتباعه لا يسكتون حيث سكت، وهل اختلفت مصالح المسلمين اليوم عنها في الأمس؟ فإذا كان علي ﷺ حريصًا على مصالح الأمة، فلماذا لا يكون أتباعه حريصين أيضًا عليها، فلا يثيروا في الأمة ما يفرّقها؟!

لقد كان ﷺ حريصًا على مصلحة الأمة؛ ولذلك بايع أبا بكر ونهض معه في أعباء محاربة المرتدين فقال: « فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر يبايعونه، فأمسكت يدي، حتى إذا رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام - أي صارت ردة - فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلمًا أو هدمًا يكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم هذه، التي هي متاع أيام قلائل يزول منها ما زال كما يزول السراب وكما ينقشع السحاب (١)، فنهضت حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه » (٢).

وهذا يدل على أن عليًا رأى في حرب أبي بكر للمرتدين حقًّا وصوابًا (٣).

وها هو علي ﷺ يشير وينصح أمير المؤمنين عمر ﷺ بعدم خروجه مع الجيش لمواجهة الفرس قائلًا: « إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم. ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلًا محربًا، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره اللّٰه فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى، كنت ردءًا للناس ومثابة للمسلمين » (٤). « لا تذهب، فأنت رأس الأمر وسنامه »، « إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة. وهو دين اللّٰه الذي أظهره، وجنده الذي أعده وأمده، حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع. ونحن على موعود من اللّٰه. واللّٰه منجز وعده وناصر جنده » (٥).

---

(١) وهذا يدل على أن ولايته لم تكن وصية دينية، وإنما مصلحة دنيوية.

(٢) نهج البلاغة (٣/١١٩).

(٣) بخلاف ما زعم بعض كتّاب الاثني عشرية أن المرتدين ارتدّوا لما رأوا الخلافة قد آلت إلى أبي بكر. فمن المعلوم أن عليًا ذاته قاتل مع أبي بكر المرتدين، وكان من سهمه في حربهم امرأة من بني حنيفة، أنجبت له ابنه محمد بن علي، الملقّب بابن الحنفية، فلو كانت تلك الحرب باطلة؛ لكان وجود محمد ابن الحنفية خطأً فادحًا - وحاشاه - لأنه من آثار قتال علي مع الصحابة في تلك الحرب.

(٤) نهج البلاغة (ص ١٩٣). تحقيق صبحي صالح.

(٥) لاحظ أنه يسمي هؤلاء الذين حول عمر جند الإسلام، وأن اللّٰه ناصرهم، وقارن ما سيقوله علماء الاثني عشرية عن جيل الصحابة والتابعين من أنهم أهل ردة ونفاق... إلخ.

« ومكان القيّم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه. فإن انقطع النظام تفرق وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدًا. والعرب اليوم وإن كانوا قليلًا فهم كثيرون بالإسلام وعزيزون بالاجتماع. فكن قطبًا، واستدر الرحى بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا يقولوا: هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك. فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره. وأما ما ذكرت من عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة »[(١)].

وقد عمل عمر بنصيحة علي رضي الله عنهما؛ لأنه كان يقرّ بفضل علي رضي الله عنه ورجاحة عقله، وكان يقول: « **لولا عليّ لهلك عمر** ». ولذلك كان يكثر من استشارته واستصواب رأيه.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « أتي عمر رضي الله عنه بمجنونة قد زنت، فاستشار فيها أناسًا فأمر بها عمر أن ترجم، فمرّ بها على عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: مجنونة بني فلان زنت فأمر بها عمر أن ترجم، قال: ارجعوا بها، ثم أتاه، فقال: يا أمير المؤمنين: أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يعقل؟ قال: بلى، قال: فما بال هذه ترجم؟ قال: لا شيء، قال: فأرسلها، قال: فجعل عمر يكبّر »[(٢)].

وقد كان علي بالمقابل يقر أيضًا بفضل عمر رضي الله عنهما، ولذلك جاء في بعض روايات الاثني عشرية أنه « لما غسّل عمر وكفّن دخل علي عليه السلام فقال: ما على الأرض أحد أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجّى بين أظهركم »[(٣)].

ويشهد لهذه الرواية ما في كتب أهل السنة: عن ابن عباس رضي الله عنهما يروي حادثة موت عمر رضي الله عنه، فيقول: وضع عمر بن الخطاب على سريره، فتكنّفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم، قال: فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي

(١) نهج البلاغة (ص ١٦٣، ١٦٤) نسخة بشرح الشيخ محمد عبده مكتبة مصر، المجلسي: بحار الأنوار (١٣٨/٣١).

(٢) رواه أبو داود: كتاب الحدود، باب المجنون يسرق أو يصيب حدًّا، رقم (٤٣٩٩)، وهو حديث صحيح الإسناد.

(٣) انظر: الصدوق: معاني الأخبار (ص ١١٧)، ط. إيران، الطوسي: تلخيص الشافي (٤٢٨/٢)، ط. إيران.

فالتفتُّ إليه فإذا هو علي، فترحّم على عمر، وقال: ما خلفت أحدًا أحب إليّ أن ألقى اللّٰه بمثل عمله منك، وايم اللّٰه! إن كنت لأظن أن يجعلك اللّٰه مع صاحبيك، وذاك أني كنت أكثر أسمع رسول اللّٰه ﷺ يقول: « **جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر** »، فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك اللّٰه معهما [(١)].

وقد ذكرت بعض كتب الشيعة بعض المديح للصحابة عمومًا:

فقد روى الحسن ﷺ عن علي ﷺ عن رسول اللّٰه ﷺ أنه قال: « **إن أبا بكر مني بمنزلة السمع، وإن عمر مني بمنزلة البصر** » [(٢)].

وعن أبي جعفرٍ ﷺ قال: بينا رسول اللّٰه ﷺ في بعض أسفاره إذ لقيه ركبٌ فقالوا: السّلام عليك يا رسول اللّٰه! فقال: ما أنتم؟ فقالوا نحن مؤمنون يا رسول اللّٰه! قال: فما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرّضا بقضاء اللّٰه، والتّفويض إلى اللّٰه والتّسليم لأمر اللّٰه. فقال رسول اللّٰه ﷺ: « **علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتّقوا اللّٰه الّذي إليه ترجعون** » [(٣)].

فهؤلاء الذين وصفهم النبي ﷺ بهذا الوصف هل من الممكن أن يتخلوا عما ربّاهم عليه النبي ﷺ وهل يمكن أن يتخلّف وصف النبي ﷺ لهم، وهو المؤيد بالوحي؟ هل من الممكن أن يمتدح النبي ﷺ صحابته، وهو يعلم بالوحي أنهم سينقلبون على أعقابهم، ولن يثبت منهم على الحق إلا ثلاثة أو أربعة رجال كما ستذكر روايات الشيعة؟

وهذا علي يذكر أقرانه من صحابة النبي ﷺ، فيذكر فضائلهم، وكلّه شوق إلى زمانهم:

عن أبي جعفرٍ ﷺ قال: « **صلّى أمير المؤمنين ﷺ بالنّاس الصّبح بالعراق، فلمّا انصرف وعظهم فبكى وأبكاهم من خوف اللّٰه، ثمّ قال: أما واللّٰه لقد عهدت أقوامًا على عهد خليلي رسول اللّٰه ﷺ، وإنّهم ليصبحون ويمسون شعثًا غبرًا خمصًا، بين أعينهم كركب المعزى، يبيتون لربّهم سجّدًا وقيامًا، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، يناجون ربّهم ويسألونه فكاك رقابهم من النّار، واللّٰه! لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون** » [(٤)].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رقم (٣٦٨٥)، وأخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل عمر ﷺ (٢٣٨٩).

(٢) انظر: ابن بابويه القمي: عيون أخبار الرضا (٣١٣/١)، القمي: معاني الأخبار (ص ١١٠).

(٣) أصول الكافي (٥٤/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب خصال المؤمن.

(٤) أصول الكافي (٢٣٦/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن علاماته وصفاته، وقال محققه: والحديث صحيح.

وقال أيضًا: « لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى أحدًا منكم يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، وقد باتوا سجّدًا وقيامًا، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر اللّٰه هملت أعينهم حتى تبلّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفًا من العقاب ورجاء للثواب » (١).

وقال: « أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه، وهيّجوا إلى القتال فولهوا وله اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفًا زحفًا وصفًّا صفًّا، بعضٌ هلك وبعض نجا، لا يبشّرون بالأحياء ولا يعزّون عن الموتى، مره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحقّ لنا أن نظمأ إليهم ونعضّ الأيدي على فراقهم » (٢).

وقال ﷺ: « فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم ». ويقول أيضًا: « وفي المهاجرين خير كثير نعرفه، جزاهم اللّٰه خير الجزاء » (٣).

وكان ﷺ يأمر أتباعه بأن يقتدوا بالمهاجرين والأنصار في دفاعهم عن النبي ﷺ ودعوته:

« أما بعد! أيها الناس: فواللّٰه لأهل مصركم في الأمصار أكثر من الأنصار في العرب، وما كانوا يوم أعطوا رسول اللّٰه ﷺ أن يمنعوه ومن معه من المهاجرين حتى يبلّغ رسالات ربه إلا قبيلتين صغير مولدها، وما هما بأقدم العرب ميلادًا، ولا بأكثرهم عددًا، فلما آووا النبي ﷺ وأصحابه، ونصروا اللّٰه ودينه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهود، وغزتهم اليهود والقبائل قبيلة بعد قبيلة، فتجرّدوا لنصرة دين اللّٰه، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتهامة وأهل مكة واليمامة وأهل الحزن والسهل وأقاموا قناة الدين، وتصبّروا تحت أحلاس الجلاد حتى دانت لرسول اللّٰه ﷺ العرب، ورأى فيهم قرة العين قبل أن يقبضه

(١) نهج البلاغة (ص ١٤٣) الخطبة (٩٦). دار الكتاب - بيروت (١٣٨٧هـ) بتحقيق صبحي صالح.

(٢) نهج البلاغة (ص ١٧٨). (الوله): هيجان الفؤاد من فقدان الأحبة، (مره العيون): المره: فساد العين، أو بياضها من شدة البكاء.

(٣) نهج البلاغة (ص ٣٨٣).

اللَّه إليه، فأنتم في الناس أكثر من أولئك في أهل ذلك الزمان من العرب » [(١)].

ويروي المجلسي عن الطوسي رواية موثّقة عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال لأصحابه: « أوصيكم في أصحاب رسول اللَّه ﷺ، لا تسبّوهم، فإنهم أصحاب نبيكم، وهم أصحابه الذين لم يبتدعوا في الدين شيئًا، ولم يوقروا صاحب بدعة، نعم! أوصاني رسول اللَّه ﷺ في هؤلاء » [(٢)].

وورد في (مقاتل الطالبيين) نهي علي ﷺ عن ظلم صحابة النبي ﷺ: « أصحاب نبيكم فلا يظلمنّ بين أظهركم » [(٣)].

ويمدح المهاجرين والأنصار معًا، حيث يجعل في أيديهم الخيار لتعيين الإمام وانتخابه، وهم أهل الحل والعقد في القرن الأول من بين المسلمين، وليس لأحد أن يردّ عليهم، ويتصرف دونهم، ويعرض عن كلمتهم؛ لأنهم هم الأهل للمسلمين والأساس، فيقول: « إنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك للَّه رضًا، فإن خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه اللَّه ما تولى » [(٤)].

وهذا الإمام زين العابدين يخص في دعائه صحابة النبي ﷺ وتابعيهم بالدعاء، فيقول في صحيفته السجادية؛ داعيًا لهم مقرًّا بفضلهم: « اللّهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته، اللّهم ما تركوا لك وفيك،

---

(١) الثقفي الأصبهاني (أبو إسحاق إبراهيم الثقفي الكوفي الأصبهاني الشيعي، ت ٢٨٣هـ): الغارات (٤٧٩/٢، ٤٨٠).

قد أكثر الرواية منه ابن أبي الحديد، والحلي، والمجلسي، والحر العاملي، والنوري، والقمي، والشيرازي، والخوئي، والمامقاني وغيرهم (انظر مقدمة الغارات).

(٢) المجلسي: حياة القلوب (٦٢١/٢).

(٣) أبو الفرج الأصبهاني: مقاتل الطالبيين (ص ٣٩). وأبو الفرج: أموي النسب ينزع إلى الشيعة الزيدية، وقد نص على تشيعه ابن الأثير في الكامل (١٩٢/٨)، وابن العماد في شذرات الذهب (٩/٣)، وانظر: الأستاذ الدكتور السنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها، رسالة دكتوراه في كلية دار العلوم (ص ١٧١).

(٤) نهج البلاغة (٧/٣) ط بيروت، تحقيق محمد عبده، و (ص ٣٦٧) تحقيق د. صبحي الصالح.

وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه، ومن كثرة في اعتزاز دينك إلى أقله، اللّهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ.. ﴾ [الحشر: ١٠] خير جزائك، الذين قصدوا سمتهم، وتحرّوا جهتهم، لو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام بهداية منارهم مكانفين ومؤازرين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم، ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم » [١].

وجاء في بعض تفاسير الاثني عشرية أن « كليم اللّه موسى سأل ربه: هل في أصحاب الأنبياء أكرم عندك من صحابتي؟ قال اللّه: يا موسى! أما علمت أن فضل صحابة محمد ﷺ على جميع صحابة المرسلين كفضل محمد ﷺ على جميع المرسلين والنبيين » [٢].

وإذا كان محدثو أهل السنة قد ضعّفوا حديث « أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهديتم » [٣]، فإن علي بن موسى الرضا سئل « عن قول النبي ﷺ: « **أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهديتم** »، وعن قوله ﷺ: « **دعوا لي أصحابي** » فقال: هذا صحيح » [٤].

وإذا كانت كتب الحديث الاثني عشرية تبتعد عن أحاديث كثير من الصحابة، وتلمز بصدقهم وأمانتهم - كما بينّا في فصل مصادر التلقي - فقد أقرت بعض الروايات بصدق أصحاب النبي ﷺ:

فعن منصور بن حازمٍ قال قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام..: « **فأخبرني عن أصحاب رسول اللّه ﷺ صدقوا على محمّدٍ ﷺ أم كذبوا؟ قال: بل صدقوا. قال قلت: فما بالهم اختلفوا، فقال: أما تعلم أنّ الرّجل كان يأتي رسول اللّه ﷺ فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب، ثمّ يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب، فنسخت الأحاديث بعضها بعضًا** » [٥].

---

(١) صحيفة زين العابدين (ص ١٣)، الدعاء الرابع، ط الهند (١٢٤٨هـ).

(٢) تفسير الحسن العسكري (ص ٦٥)، ط الهند، وأيضًا: تفسير « البرهان » (٢٢٨/٣)، واللفظ له.

(٣) وهذا الحديث وإن كان معناه صحيحًا في الجملة، ولكن، « الحديث ضعيف ضعفه أهل الحديث. قال البزار: هذا حديث لا يصح عن رسول اللّه ﷺ (وليس هو في كتب الحديث المعتمدة). (ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٢٥٧/٨)، وانظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، لابن عراق الكناني (٤١٩/١).

(٤) ابن بابويه القمي (الملقب بالصدوق): عيون أخبار الرضا، تحت قول النبي: (أصحابي كالنجوم)، (٨٧/٢).

(٥) أصول الكافي: كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث (١١٨/١، ١١٩).

وذكرت كتب الشيعة عن جعفر الصادق قوله: « ولدني أبو بكر مرتين » (١). لأن أمه: أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمها (أي أم فروة): أسماء بنت عبد الرحمن ابن أبي بكر (٢).

ولذلك لا عجب أن يروي جعفر الصادق عن أبيه بعض أخبار جدّه أبي بكر، ففي صحيح مسلم « عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله ﷺ في حديث أسماء بنت عميس حين نفست بذي الحليفة أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر ﷺ فأمرها أن تغتسل وتهلّ » (٣).

وقد كان دأب الشيعة الأوائل تفضيل أبي بكر الصديق على غيره من الصحابة: قال شريك بن عبد الله بن أبي نمر وقال له قائل: أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر. فقال له السائل: أتقول هذا وأنت من الشيعة؟ فقال: نعم. إنما الشيعي من يقول هذا. والله! لقد رقى علي هذه الأعواد فقال: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر. أفكنّا نرد قوله؟ أفكنّا نكذبه؟ والله! ما كان كذابًا (٤).

وكذلك لا يستغرب أن يروي جعفر وأبوه رحمهما الله بعض أخبار عمر أيضًا، ففي موطأ الإمام مالك: « عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: **سنّوا بهم سنة أهل الكتاب** » (٥).

وجاءت إحدى النساء إلى الإمام الصادق، « فتكلّمت فإذا امرأة بليغة، فسألته عنهما (أي أبا بكر وعمر) فقال لها: توليهما، قالت: فأقول لربي إذا لقيته: إنك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم » (٦).

وإذا استفاض في كثير من روايات الاثني عشرية وكتبهم الإساءة إلى عثمان ﷺ، فإن بعضها الآخر يمتدحه، فتذكر إحدى الروايات عن علي أن عثمان ﷺ قد ساعده في

(١) الصوارم المهرقة (ص ٢٥٧)، وكشف الغمة (١٦١/٢).

(٢) النوبختي: فرق الشيعة (ص ٧٨).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب إحرام النفساء، رقم (١٢٠٩).

(٤) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٨٦/٢).

(٥) الإمام مالك بن أنس: الموطأ برواية يحيى الليثي (٢٧٨/١). دار إحياء التراث العربي - مصر. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٦) الروضة من الكافي (١٠١/٨)، تحت عنوان: حديث أبي بصير مع المرأة.

مؤنة زفافه، « قال علي: فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق، فبعته بأربع مائة درهم سود هجرية من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال: يا أبا الحسن! ألست أولى بالدرع منك، وأنت أولى بالدراهم مني؟ فقلت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله فطرحت الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان، فدعا له النبي بخير » (١).

وتذكر مديح جعفر الصادق لعثمان وشيعته: « ينادي منادٍ من السماء أول النهار: ألا إن عليًا صلوات الله عليه وشيعته هم الفائزون، قال: وينادي منادٍ آخر النهار: ألا إن عثمان وشيعته هم الفائزون » (٢).

وإذا كانت كتب السيرة النبوية عند أهل السنة تذكر عثمان بأنه مفاوض النبي وسفيره لدى قريش، فإن بعض كتب الشيعة تذكر ذلك، وتذكر مبايعة النبي ﷺ عن عثمان تحت الشجرة، وحسن ظنه به، تقول الرواية: وجلس عثمان في عسكر المشركين، وبايع رسول الله ﷺ المسلمين، وضرب بإحدى يديه على الأخرى لعثمان، وقال المسلمون: طوبى لعثمان قد طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحل، فقال رسول الله ﷺ: « **ما كان ليفعل** »، فلما جاء عثمان قال له رسول الله ﷺ: « **أطفت بالبيت** »، فقال: ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله ﷺ لم يطف به (٣).

كما تذكر بعض الروايات مبايعة علي لعثمان بقوله: « فبايعتم عثمان فبايعته » (٤).

تسمية علي بعض أولاده بأسماء الخلفاء الثلاثة قبله:

ومن أوضح الأدلة على حسن العلاقة بين الصحابة الكرام وآل بيت النبي ﷺ - وخصوصًا علي والخلفاء الثلاثة -: تسمية علي بعض أولاده بأسماء من سبقه بالخلافة، وهذا دليل المحبة، إذ لا يسمي المرء أولاده إلا بأحب الأسماء وأفضلها، فعندما يذكر لنا المفيد وغيره أولاد سيدنا علي ﷺ يذكر منهم: (محمد، عبد الله، عمر، عثمان) (٥).

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار (٤٣/١٣١)، الأربيلي: كشف الغمة (١/٣٥٩).

(٢) الكليني: فروع الكافي (٨/٢٠٩).

(٣) الكليني: روضة الكافي (٨/٣٢٥، ٣٢٦).

(٤) الطوسي: الأمالي (١٨/١٢١) ط النجف.

(٥) المفيد: الإرشاد في معرفة حجج الله تعالى على العباد (٣٥٤، ٣٥٥). وللفائدة هذا النص في ذكر أولاد علي ﷺ « فأولاد أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - سبعة وعشرون ولدًا ذكرًا وأنثى:

الحسن والحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة أم كلثوم، أمهم فاطمة البتول سيدة نساء العالمين بنت سيد المرسلين محمد خاتم النبيين ﷺ.

وفي الكافي رواية جاء في سندها: «.. عن عيسى بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ ابن أبي طالب عن أبي عبد الله عليه السلام.. » [١].

والمرء لا يسمي أولاده بأسماء خصومه وأعدائه؛ لأنه يريد أن ينساهم ويتخلص من ذكراهم.

ولو قيل: إن هذه الأسماء كانت مشتهرة بين الناس، وأن الإمام عليًا سمّى أولاده بهذه الأسماء دون اعتبار للخلفاء؛ فالجواب إن الأسماء المشتهرة كثيرة، فلماذا خصّ علي من كل الأسماء المشتهرة هذه الأسماء، ولو كان الأمر مع اسم واحد لربما كان هذا صحيحًا، أما أن يسمي ثلاثة من أولاده بأسماء الخلفاء الثلاثة، فهذا يبعد المصادفة في الأمر، وما أكثر ما نعرض عن أسماء مشتهرة لأنها تذكرنا بمن نكره.

ثم إن كتّاب الاثني عشرية أنفسهم برهنوا على صدق ما أقول عندما وضعوا روايات تؤكد كراهة تسمية البنات بما يعتقدونه لقبًا لعائشة رضي الله عنها، وهو لفظ (الحميراء):

عن يعقوب السّرّاج قال: « دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو واقفٌ على رأس أبي الحسن موسى وهو في المهد، فجعل يسارّه طويلًا فجلست حتّى فرغ فقمت إليه فقال لي: ادن من مولاك فسلّم، فدنوت فسلّمت عليه فردّ عليّ السّلام بلسانٍ فصيحٍ ثمّ قال لي: اذهب فغيّر اسم ابنتك الّتي سمّيتها أمس فإنّه اسمٌ يبغضه الله وكان ولدت لي ابنةٌ سمّيتها بالحميراء. فقال أبو عبد الله عليه السلام: انته إلى أمره ترشد. فغيّرت اسمها » [٢].

= ومحمد المكنى أبا القاسم، أمه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية.

وعمر ورقية كانا توأمين، وأمهما أم حبيب بنت ربيعة.

والعباس وجعفر وعثمان وعبد الله الشهداء مع أخيهم الحسين بن علي صلوات الله عليه وعليهم بطف كربلاء، أمهم أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم.

ومحمد الأصغر المكنى أبا بكر وعبيد الله الشهيدان مع أخيهما الحسين عليه السلام بالطف، أمهما ليلى بنت مسعود الدارمية.

ويحيى أمه أسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها.

وأم الحسن ورملة، أمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي.

ونفيسة وزينب الصغرى ورقية الصغرى وأم هاني وأم الكرام وجمانة المكناة أم جعفر وأمامة وأم سلمة وميمونة وخديجة وفاطمة، رحمة الله عليهن لأمهات شتى وفي الشيعة من يذكر أن فاطمة - صلوات الله عليها - أسقطت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولدًا ذكرًا كان سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو حمل - محسنًا، فعلى قول هذه الطائفة أولاد أمير المؤمنين عليه السلام ثمانية وعشرون، والله أعلم ».

(١) أصول الكافي (٣٦٦/١) كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي الحسن موسى.

(٢) أصول الكافي (٣٦٧/١)، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي الحسن موسى. الحميراء: تصغير الحمراء: يريد البيضاء.

ومن يدري؟ فلو أن عليًا ﷺ لم يسمّ بعض أولاده بأسماء هؤلاء الخلفاء فربما وجدنا حينها روايات موضوعة تؤكد كراهة ذلك أيضًا! [١].

وقد ذكر ياقوت الحموي أنه « بلغ من غلو أهل قم في بغض الشيخين أنهم لم يسموا أحدًا منهم باسم أبي بكر ولا عمر » [٢].

ومن الروايات الاثني عشرية المبينة لفضل الصحابة وسلامة عقيدتهم هذه الرواية:

« عن أبي عبد اللّٰه قال: كان أصحاب رسول اللّٰه ﷺ اثني عشر ألفًا [٣] ثمانية آلاف في المدينة وألفان من أهل مكّة، وألفان من الطّلقاء، لم يرد فيهم قدري، ولا مرجئ، ولا حروري، ولا معتزلي، ولا صاحب رأي، كانوا يبكون اللّيل والنّهار » [٤].

وفي بحار الأنوار بشارة للتابعين لأنهم رأوا الصحابة، ولتابعي التابعين؛ لأنهم رأوا من رآهم: قال النبي ﷺ: « **طوبى لمن رآني، وطوبى لمن رأى من رآني، وطوبى لمن رأى من رأى من رآني** » [٥].

وعن موسى بن جعفر (إمامهم السّابع) قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: « **أنا أمنة**

---

(١) هذا من داخل النظرة الشيعية التي ترى أن هذا اللقب كان معروفًا لعائشة من عهد النبي ﷺ، ولذلك وضعوا روايات في كراهة التسمية به. أما من نظرة أهل السنة فلم يرد هذا اللقب في صحيح البخاري ولا مسلم، وغالب الروايات التي ذكرت هذا اللقب في غيرهما ضعيفة أو موضوعة إلا النادر، حتى قال بعضهم: كل حديث ورد فيه الحميراء ضعيف. انظر: أحمد بن أبي بكر الكناني: مصباح الزجاجة. دار العربية - بيروت (١٤١٣هـ)، تحقيق محمد الكشناوي (٨١/٣). وقال الذهبي: « قد قيل إن كل حديث فيه يا حميراء لم يصح ». سير أعلام النبلاء (١٦٧/٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤١٣هـ). تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان مادة قم. ومن الطرائف المضحكة التي شهدتها أن عائلة من أهل السنة في دمشق كان أفرادها يحبّون زيارة مقام السيدة زينب في ريف دمشق، على أساس أنها من أولياء اللّٰه، وكان لهم ولد اسمه عمر، فكانوا إذا ذهبوا إلى هناك نادوه باسم آخر، خوفًا عليه ممن يكره عمرا!

(٣) عدد الصحابة الذي ذكرته الرواية غير صحيح، فإن الصّحابة الذين شهدوا معه ﷺ حنينًا كانوا اثني عشر ألفًا، سوى الأتباع والنّساء،ثم جاءت إليه هوازن مسلمين، قال أبو زرعة: توفي النّبيّ ﷺ ومن رآه وسمع منه زيادة عن مائة ألف إنسان من رجل وامرأة. (تدريب الرّاوي ٢٢١/٢، الإصابة ٤/١). وإن كان هؤلاء الصحابة متفاوتين من حيث القرب والمواظبة على الصحبة.

(٤) ابن بابويه القمي: الخصال (ص ٦٣٩، ٦٤٠)، مكتبة الصدوق - طهران، وانظر: المجلسي: بحار الأنوار (٣٠٥/٢٢).

(٥) أمالي الصدوق (٢٤٠، ٢٤١)، بحار الأنوار (٣٠٥/٢٢).

لأصحابي، فإذا قبضت دنا من أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمّتي، فإذا قبض أصحابي دنا من أمّتي ما يوعدون، ولا يزال هذا الدّين ظاهرًا على الأديان كلّها ما دام فيكم من قد رآني » (١).

وعن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: **« ما وجدتم في كتاب الله ﷻ فالعمل لكم به، لا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله ﷻ، وكانت فيه سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فقولوا به، فإنما مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم بأيها أخذ اهتدى، وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم.** [ثم زاد دعاة التفرقة على هذا النص الزيادة التالية] فقيل: يا رسول الله، ومن أصحابك؟ قال: **« أهل بيتي »** (٢). ونلاحظ في هذه الرواية تحويل معنى الصحبة إلى معنى آل البيت، « ولا شك أن تفسير الصحابة بأهل البيت فقط بعيد جدًّا » (٣).

وعن الصّادق عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: « أوصيكم بأصحاب نبيّكم لا تسبّوهم، الذين لم يحدثوا بعده حدثًا ولم يؤووا محدثًا، فإنّ رسول الله أوصى بهم الخير » (٤).

- موقف علماء الاثني عشرية من هذه النصوص:

لقد كانت التقية هي المشجب الأكبر الذي يعلّق عليه الشيعة هذه النصوص وأمثالها، وبهذا يبطلون مفعولها، ويصرفون أتباعهم عنها؛ لأنها تخالف عقيدتهم ومذهبهم.

وما دامت هذه النصوص عندهم للتقية؛ فيجب كتمانها، أو التقليل من شأنها ومن تلاوتها حتى لا تنقض المذهب، ولذلك يقول المفيد « ما خرج للتقية لا يكثر روايته عنهم كما تكثر روايات المعمول به » (٥).

وقال ميثم البحراني: « واعلم أن الشيعة قد أوردوا هنا سؤالًا فقالوا: إن هذه الممادح التي ذكرها في حق أحد الرجلين [أي: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما] تنافي ما أجمعنا عليه من تخطئتهم وأخذهما لمنصب الخلافة، فإما أن لا يكون هذا الكلام من كلامه رضي الله عنه، وإما أن يكون إجماعنا خطأ ». ثم حملوا هذا الكلام على التقية، وأنه إنما كان لأجل « استصلاح

(١) المجلسي: بحار الأنوار (٢٢/٣٠٩، ٣١٠)، وعزاه إلى نوادر الرّاوندي (ص ٢٣).
(٢) ابن بابويه: معاني الأخبار (ص ١٥٦، ١٥٧)، المجلسي: بحار الأنوار (٢٢/٣٠٧).
(٣) د. ناصر بن عبد الله القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٢/٩٢٦).
(٤) المجلسي: البحار (٢٢/٣٠٥، ٣٠٦). (٥) تصحيح الاعتقاد (ص ٧١).

من يعتقد صحة خلافة الشيخين، واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام » [(١)].

ومثال ذلك الرواية السابقة (مثل أصحابي كالنجوم...) فقد حملها الصدوق على التقية [(٢)]، مع أن هذا النص ليس فتوى يفتى بها فتنجي الإمام أو أتباعه، بل هي نص حديث يسنده جعفر الصادق إلى رسول الله ﷺ، فهل من مسوّغات التقية نقل حديث كامل بروايات الأئمة عن رسول الله ﷺ؟

فإن استحال تعليل بعض هذه الروايات بالتقية، اختلف الشيعة في أسلوب ردّها اختلافًا كبيرًا، ولعل هذا الاختلاف أظهر دليل على بطلان موقف الشيعة من هذه النصوص.

وعلى سبيل المثال: حقيقة زواج عمر من أم كلثوم ابنة علي وفاطمة ﷺ، فلما نظر الشيعة في الروايات الصحيحة التي تؤكد هذا الزواج، لم يكن لهم أن يكذبوا التاريخ فينكروا الواقعة؛ ولذلك أخذوا في تفسيرها تفسيرًا يسيء في ظنهم إلى عمر ﷺ، وهو في الحقيقة يسيء إلى بطل بدر والخندق، وفدائي الإسلام الأول علي ﷺ قبل أن يسيئوا إلى عقول كل من يقرأ تفسيراتهم الغريبة المتناقضة:

- فقد ذكروا رواية عن جعفر الصادق حين سئل عن هذا الزواج الميمون، فقال: « إن ذلك فرجٌ غصبناه » [(٣)]. وهو جواب فظيع منكر.

- ولذلك جاءت روايات أخرى لتقول: إن عليًا ﷺ « بعث مكانها جنّية من جن نجران، وأخفى أم كلثوم حتى مات عمر، فذهبت الجنية، وأخرج علي أم كلثوم » [(٤)]. قال المجلسي بعد أن ساق هذه الرواية: « هذه الأخبار لا تنافي ما مرّ من قصة الجنية؛ لأنها قصة مخفية أطلعوا عليها خواصّهم، ولم يكن يتم به الاحتجاج على المخالفين » [(٥)].

- ثم جاء أخيرًا من يقول: إنه لم يكن من أمر هذا الزواج سوى العقد، وأن عمر ﷺ لم يدخل بها [(٦)].

---

(١) ميثم البحراني: شرح نهج البلاغة (٩٨/٤).

(٢) انظر: ابن بابويه: معاني الأخبار (ص ١٥٦، ١٥٧).

(٣) الكليني: الكافي (٣٤٦/٥) تحقيق علي أكبر غفاري، (ط٣)، (١٣٦٧هـ)، بحار الأنوار (١٠٦/٤٢)، وسائل الشيعة (٥٦٢/٢٠).

(٤) المجلسي: بحار الأنوار (١٠٦/٤٢).

(٥) المصدر السابق (١٠٦/٤٢، ١٠٧).

(٦) علي الحسيني الميلاني: تزويج أم كلثوم من عمر (سلسلة الأبحاث العقائدية رقم ٢٩) (ص ٣٥)، مركز الأبحاث العقائدية.

مع أن التاريخ يذكر لنا ثبوت الدخول والحمل والوضع، حيث أنجبت ولدين أحدهما زيد - الذي سيأتي ذكره في رواية قريبة - وثانيهما رقية بنت عمر [١].

فهل تغير تلك المبررات الشيعية من الحقيقة شيئًا؟

وما يضير الشيعة أن يعترفوا بالمودة بين الصحب والآل ويقروا بما ثبت تاريخيًا من أن عمر أراد الاقتراب من نسب النبي ﷺ فتزوج أم كلثوم رضي الله عنها ، لما ثبت من قول النبي ﷺ عند أهل السنة والشيعة: « **كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا صهري ونسبي** » [٢].

ففي رواية اليعقوبي: خطب عمر إلى علي بن أبي طالب أم كلثوم بنت علي، وأمها فاطمة بنت رسول الله، فقال علي: إنها صغيرة! فقال: إني لم أرد حيث ذهبت. لكني سمعت رسول الله يقول: « **كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري** »، فأردت أن يكون لي سبب وصهر برسول الله، فتزوجها وأمهرها عشرة آلاف دينار [٣].

ومن العجب إنكار حقائق التاريخ، وإنكار ما سطره بعض الاثني عشرية في كتبهم، فقد ذكرت بعض مصادر الاثني عشرية علاوة على زواج عمر من أم كلثوم رضي الله عنهما : إنجابها منه واعتدادها بعد وفاته.

فقد روى الطوسي عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر رحمهما الله أنه قال: « **ماتت أم كلثوم بنت علي وابنها زيد بن عمر بن الخطاب في ساعة واحدة، لا يدري أيهما هلك قبل، فلم يورث أحدهما من الآخر، وصلّي عليهما جميعًا** » [٤].

وروى أيضًا عن سليمان بن خالد أنه قال: « **سألت أبا عبد الله عليه السلام - جعفر الصادق - عن امرأة توفي زوجها أين تعتد؟ في بيت زوجها أو حيث شاءت؟ قال: بلى حيث شاءت، ثم قال: إن عليًا لمّا مات عمر أتى أم كلثوم فأخذ بيدها فانطلق بها إلى بيته** » [٥].

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى (٣/٢٦٥).

(٢) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى (٨/٤٦٣)، كنز العمال (١١/٤٠٩). ابن حجر الإصابة (٨/٤٦٥)، وعند الشيعة: بحار الأنوار (٧/٢٣٨).

(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/١٤٩، ١٥٠).

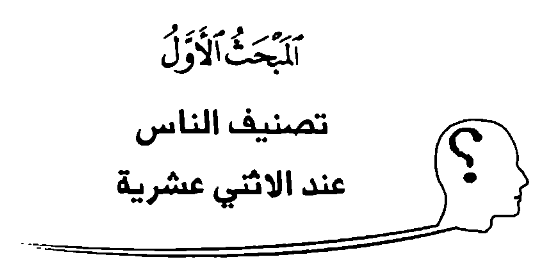
(٤) الطوسي: تهذيب الأحكام (٩/٢٦٢) كتاب الميراث، باب ميراث الغرقى والمهدوم.

(٥) الكليني: فروع الكافي (٦/١١٥، ١١٦) كتاب الطلاق، باب المتوفى عنها زوجها، وانظر: الطوسي: الاستبصار (٣/٣٥٣) كتاب الطلاق، أبواب العدة، باب المتوفى عنها زوجها، ورواها في: تهذيب الأحكام (٨/١٦١) باب في عدة النساء.

وهذا يدلّنا على أن كلّ المحاولات التي أتعب وأجهد فيه بعض كتّاب الشيعة لإنكار هذا الزواج باءت بالفشل؛ لأن هذا الزواج بين عمر وأم كلثوم صحيح صريح، ويدل على عميق المحبة بين الصحابة والقرابة.

وفيما يأتي سنتعرّف على تصنيف الناس عند الاثني عشرية، والموقف الذي تبنته الاثنا عشرية من صحابة النبي ﷺ ومن عموم الأمة المسلمة، بناء على هذا التصنيف.

* * *



أولاً: تسامح الصحابة وأئمة آل البيت في تصنيف الناس، وتشدد غيرهم:

إن التسامح بين أصحاب المذاهب والآراء المختلفة مما حض عليه الإسلام، حيث علّمنا شرف الخصومة وأدب الاختلاف، وكان أصحاب البيت الواحد من السلف الصالح يختلفون في مذاهبهم السياسية دون أن يكفر بعضهم بعضًا، قال محمد بن طلحة ابن مصرف: « ما كان بالكوفة من أب وأخ أشد تحابيًا من طلحة بن مصرف وزبيد اليامي كان طلحة عثمانيًا وكان زبيد علويًّا » (١).

وقد تعلمت الأمة هذا الأدب من الصحابة الكرام، فقد كانوا يختلفون، ولكن لا ينسون الفضل بينهم، فقد كان زيد بن ثابت رضي الله عنه عثمانيًا، ولم يشهد مع علي شيئًا من حروبه، وكان يظهر فضل علي وتعظيمه (٢).

عن يزيد بن هرمز قال: « كتب نجدة بن عامر الحروري إلى ابن عباس يسأله عن العبد والمرأة يحضران المغنم هل يقسم لهما؟ وعن قتل الولدان؟ وعن اليتيم متى ينقطع عنه اليتم؟ وعن ذوي القربى من هم؟

فقال ليزيد: اكتب إليه، فلولا أن يقع في أحموقة ما كتبت إليه. اكتب: إنك كتبت تسألني عن المرأة والعبد يحضران المغنم هل يقسم لهما شيء؟ وإنه ليس لهما شيء إلا أن يحذيا.

وكتبت تسألني عن قتل الولدان؟ وإن رسول الله ﷺ لم يقتلهم، وأنت فلا تقتلهم إلا أن تعلم منهم ما علم صاحب موسى من الغلام الذي قتله.

وكتبت تسألني عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتم؟ وإنه لا ينقطع عنه اسم اليتم حتى يبلغ ويؤنس منه رشد.

---

(١) تهذيب التهذيب (٣/٢٦٨).

(٢) أسد الغابة (١/٣٩٣).

وكتبت تسألني عن ذوي القربى من هم؟ وإنا زعمنا أنّا هم، فأبى ذلك علينا قومنا » (١).

وهذا الحديث يبين لنا حدب الصحابة على الأمة، وعدم تكفير أفرادها، ولو كانوا من الخوارج، فالواجب نصحهم وإرشادهم. وواقعة محاورة ابن عباس للخوارج مشهورة. حيث رد منهم آلافًا إلى مذهب الحق (٢).

ومما ينبغي أن يكون واضحًا لدى كل الساعين في وحدة الأمة وإزالة آثار الطائفية البشعة أن كلّ زيديّ وإمامي وإباضي لن يصبح سنيًّا، وكذلك كلّ سني لن يصبح إماميًّا ولا إباضيًّا أو زيديًّا، ولو جنّد كل حزب منهم كل قواهم العلمية وقواهم السياسية

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد، باب النساء الغازيات يرضخ لهن، رقم (١٨١٢).

(٢) جاء في تاريخ الإسلام، للإمام الذهبي (٤٧٦/١): قال عكرمة بن عمار: حدثني أبو زميل أن ابن عباس قال: لما اجتمعت الخوارج في دارها، وهم ستة آلاف أو نحوها قلت لعلي: يا أمير المؤمنين بر بالصلاة لعلي ألقى هؤلاء فإني أخافهم عليك، قلت: كلَّا قال: فلبس ابن عباس حلتين من أحسن الحلل وكان جهيرًا جميلًا قال: فأتيت القوم فلما رأوني قالوا: مرحبًا بابن عباس وما هذه الحلة؟ قلت: وما تنكرون من ذلك؟ لقد رأيت على رسول الله ﷺ حلة من أحسن الحلل، قال: ثم تلوت عليهم: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ [الأعراف: ٣٢]. قالوا: فما جاء بك؟ قلت: جئتكم من عند أمير المؤمنين ومن عند أصحاب رسول الله ﷺ ولا أرى فيكم أحدًا منهم ولأبلغنكم ما قالوا ولأبلغنهم ما تقولون: فما تنقمون من ابن عم رسول الله ﷺ وصهره؟ فأقبل بعضهم على بعض فقالوا: لا تكلموه فإن الله يقول: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] وقال بعضهم: ما يمنعنا من كلامه ابن عم رسول الله ﷺ ويدعونا إلى كتاب الله قال: فقالوا: ننقم عليه ثلاث خلال: إحداهن: أنه حكم الرجال في دين الله، وما للرجال ولحكم الله؟! والثانية: أنه قاتل فلم يسب ولم يغنم فإن كان قد حل قتالهم فقد حل سبيهم وإلا فلا، والثالثة: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير المشركين. قلت: هل غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. قلت: أرأيتم إن خرجت لكم من كتاب الله وسنة رسوله أراجعون أنتم؟ قالوا: وما يمنعنا؟ قلت: أما قولكم إنه حكم الرجال في أمر الله فإني سمعت الله يقول في كتابه: ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [المائدة: ٩٥] وذلك في ثمن صيد أرنب أو نحوه قيمته ربع درهم فوض الله الحكم فيه إلى الرجال ولو شاء أن يحكم لحكم. وقال: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٣٥] الآية. أخرجت من هذه قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم: قاتل فلم يسب؛ فإنه قاتل أمكم؛ لأن الله يقول: ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] فإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها أمكم فما حل سباؤها. فأنتم بين ضلالتين. أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قال: وأما قولكم إنه محا اسمه من أمير المؤمنين؛ فإني أنبئكم عن ذلك: أما تعلمون أن رسول الله ﷺ يوم الحديبية جرى الكتاب بينه وبين سهيل ابن عمرو فقال: « يا علي! اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » فقالوا: لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال: « اللّهم إنك تعلم أني رسولك » ثم أخذ الصحيفة فمحاها بيده ثم قال: يا علي اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله. فوالله ما أخرجه ذلك من النبوة. أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قال: فرجع ثلثهم وانصرف ثلثهم، وقتل سائرهم على ضلالة.

والعسكرية، وهم إن فعلوا ذلك فسوف يجدّدون بروز ظاهرة النفاق التي كانت في عصر النبي ﷺ أو ظاهرة التقية في عصر الأمويين؛ لأن كل طائفة تعتقد أنها على الحق، وأن ما سواها على خطأ، أو على باطل.

وإنما المطلوب الإقرار بضرورة التعايش السلمي وحسن الجوار ابتداءً [١]، ثم التركيز على القضايا المجمع عليها بين طوائف المسلمين جميعًا، والتغافل عن القضايا الفرعية الخلافية، وعدم إثارتها والتحريش بها بين عامة المسلمين.

ولا يجوز طرح هذه المسائل الفرعية إلا في دوائر علمية هادئة. يجمع أهلها بين الإخلاص للحق والتمكن العلمي، بعيدًا عن المجاملات الجوفاء والمؤثرات الخارجية (السياسية الرسمية، أو الدينية بتدخل المراجع والشيوخ، أو موروثات العوام.. إلخ).

وتشهد بعض الروايات الاثني عشرية أن الأئمة كانوا يوصون بحسن معاشرة من خالف مذهبهم:

« عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس [وفي رواية صحيحة: خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا]؟ قال: فقال: تؤدون الأمانة إليهم وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم وتشهدون جنائزهم » [٢].

وعن أبي أسامة زيد الشحام قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله عز وجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود وحسن الجوار. فبهذا جاء محمد ﷺ، أدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برًا أو فاجرًا، فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صِلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري. فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر. وإذا كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدب جعفر. فوالله! لحدّثني أبي عليه السلام أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها؛

---

(١) انظر: د. عداب محمود الحمش: المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعة الإمامية، دراسة حديثية نقدية (ص ٤٠٩).

(٢) أصول الكافي (٢/٥٩٩)، كتاب العشرة، باب ما يجب من المعاشرة، قال محققه: الحديث صحيح.

آداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان؟ إنه لآدانا للأمانة وأصدقنا للحديث [١].

كما تبيّن لنا رواية أخرى ثقة أئمة الشيعة ببعض رواة حديث أهل السنة، مما يدل على احترامهم لعلماء الأمة ومحدّثيها: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « إنّ أبي عليه السلام استودعني ما هناك، فلمّا حضرته الوفاة قال: ادع لي شهودًا فدعوت له أربعةً من قريشٍ، فيهم نافعٌ مولى عبد الله بن عمر. فقال: اكتب هذا ما أوصى به... » [٢]. ومشهور أن نافعًا مولى ابن عمر من أشهر رواة الحديث عند أهل السنة.

في حين تذكر بعض الروايات ضيق صدور الأتباع المتعاطفين مع الأئمة، وتشددهم ولعنهم بعضهم بعضًا، مع أن الأئمة جاؤوا بالتسامح حتى مع من خالفهم، فكان أولئك الأتباع ملكيّين أكثر من الملك:

عن يعقوب بن الضّحّاك عن رجلٍ من أصحابنا سرّاجٍ، وكان خادمًا لأبي عبد الله عليه السلام قال: بعثني أبو عبد الله عليه السلام في حاجةٍ وهو بالحيرة أنا وجماعةٌ من مواليه. قال: فانطلقنا فيها ثمّ رجعنا مغتمّين. قال: وكان فراشي في الحائر الّذي كنّا فيه نزولًا، فجئت وأنا بحالٍ فرميت بنفسي. فبينا أنا كذلك إذا أنا بأبي عبد الله عليه السلام قد أقبل قال: فقال: « قد أتيناك - أو قال: جئناك - فاستويت جالسًا، وجلس على صدر فراشي فسألني عمّا بعثني له، فأخبرته، فحمد الله، ثمّ جرى ذكر قومٍ فقلت: جعلت فداك! إنّا نبرأ منهم، إنّهم لا يقولون ما نقول. قال: فقال: يتولّونا ولا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم؟ قال: قلت: نعم. قال: فهو ذا عندنا، ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم؟ قال: قلت: لا، جعلت فداك. قال: وهو ذا عند الله ما ليس عندنا أفتراه اطّرحنا؟ قال قلت: لا والله! جعلت فداك، ما نفعل؟ قال: فتولّوهم ولا تبرّأوا منهم، إنّ من المسلمين من له سهمٌ، ومنهم من له سهمان، ومنهم من له ثلاثة أسهمٍ، ومنهم من له أربعة أسهمٍ، ومنهم من له خمسة أسهمٍ، ومنهم من له ستّة أسهمٍ، ومنهم من له سبعة أسهمٍ » [٣].

وعن منصور بن حازمٍ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: « من شكّ في رسول الله ﷺ؟

(١) أصول الكافي (٢/٦٠٠)، كتاب العشرة، باب ما يجب من المعاشرة، قال محققه: الحديث صحيح.
(٢) أصول الكافي (١/٣٦٥)، كتاب الحجة، باب الإشارة، والنص على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق.
(٣) أصول الكافي (٢/٤٨) كتاب الإيمان والكفر باب درجات الإيمان، وله حديث قبله يشبهه في تقسيم الإيمان إلى سبع درجات، وهو صحيح. أما هذا الحديث فقال عنه المحقق: والحديث مجهول.

قال: كافرٌ؟ قلت: فمن شكّ في كفر الشّاكّ فهو كافرٌ؟ فأمسك عنّي، فرددت عليه ثلاث مرّاتٍ، فاستبنت في وجهه الغضب » [١].

وغريب أن المازندراني يعلل غضب الإمام بأمر بعيد: « وكأنه صدّ بالإمساك سؤاله عمن شك في علي عليه السلام لعلمه عليه السلام بأنه يسأل عنه بعد هذا السؤال، فمنعه بالإمساك خوفًا من إفشائه أو تقية من بعض الحاضرين » [٢]. مع أن ظاهر النص يفيد غضب الإمام من السؤال ذاته.

وهذا السؤال الذي طرح على الإمام يصاغ اليوم بمقولة تكفيرية واضحة: « من لم يكفر الكافر فهو كافر » و « من ليس معنا فهو علينا »! و النبي ﷺ يقول: « **أيما رجل قال لأخيه يا كافر! فقد باء بها أحدهما** » [٣].

وتظهر لنا الروايات صراعًا داخليًا في المذهب الاثني عشري بين الأئمة وأتباعهم، فعن زرارة قال: دخلت أنا وحمران أو أنا وبكير على أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: إنا نمدّ المطمار قال: وما المطمار؟ قلت: التّرّ [٤]. فمن وافقنا من علوي أو غيره توليناه، ومن خالفنا من علوي أو غيره برئنا منه.

فقال لي: يا زرارة! قول الله أصدق من قولك، فأين الذين قال الله ﷻ: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾؟ [النساء: ٩٨].

أين المرجون لأمر الله؟ أين الذين ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا.. ﴾ [التوبة: ١٠٢]؟ أين أصحاب الأعراف؟ أين المؤلفة قلوبهم؟! وزاد حماد في الحديث قال: فارتفع صوت أبي جعفر عليه السلام وصوتي حتى كان يسمعه من على باب الدار [٥].

فهذا الحديث يظهر لنا تسامح الأئمة مع من خالفهم، فلم يكفروهم ولم يتبرؤوا

---

(١) أصول الكافي (٣٦٩/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب الكفر وقال محققه: والحديث حسن كالصحيح. قال المحقق: « والظاهر أن المراد بالشيخ الذي أساء زرارة الظن به هو الإمام (ع) ».

(٢) شرح المازندراني على الكافي (٥٢/١٠، ٥٣).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري: باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال رقم (٥٧٥٣)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر رقم (٦٠).

(٤) المطمار بالمهملتين خيط للبناء يقدر به وكذا التر بضم المثناة الفوقية والراء المشددة. قال المحقق: والمعنى أن المقياس الذي نزن به الناس هو ولايتنا لأهل البيت، فمن كان على مذهبنا فيه أحببناه وعظمناه ونصرناه، ومن كان على مذهب غيرنا أبغضناه وحقرناه وخذلناه وتبرأنا منه.

(٥) أصول الكافي (٣٦٥/٢) كتاب الإيمان والكفر باب أصناف الناس قال محققه: الحديث حسن كالصحيح.

منهم، في حين يظهر تعصب الأتباع بحيث يسوقون من خالفهم سوقًا واحدًا.

ترى أي الرأيين أولى بالاتباع؟

وأي الرأيين هو الذي طغى على مذهب الاثني عشرية؟!

ثانيًا: تصنيف الناس في روايات الاثني عشرية:

ويظهر من الرواية السابقة وأخواتها أن الناس ينقسمون إجمالًا إلى ثلاث فرق بحسب الإيمان والكفر والضلال، ثم إلى ست فرق تفصيلًا كما في رواية عن الصادق أبي عبد اللَّه: « الناس على ست فرق، يؤولون كلهم إلى ثلاث فرق: الإيمان والكفر والضلال؛ وهم أهل الوعدين الذين وعدهم اللَّه الجنة والنار: المؤمنون، والكافرون، والمستضعفون والمرجون لأمر اللَّه، إما يعذبهم، وإما يتوب عليهم، والمعترفون بذنوبهم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، وأهل الأعراف » [1].

وتفصيل أهل هذه الفرق بناءً على هذه الرواية كما يلي:

الفرقة الأولى: أهل الوعد بالجنة: وهم المؤمنون، وأريد بهم من آمن باللَّه وبالرسول وبجميع ما جاء به الرسول بلسانه وقلبه، وآمن بالأئمة الاثني عشر، وأطاع اللَّه بجوارحه.

والثانية: أهل الوعيد بالنار: وهم الكافرون، وأريد بهم من كفر باللَّه أو برسوله أو بشيء مما جاء به الرسول إما بقلبه أو بلسانه أو خالف اللَّه في شيء من كبائر الفرائض استخفافًا. وقد عرّفوا « الكافر وهو من لم ينتحل دينًا أو انتحل دينًا غير الإسلام، أو انتحل الإسلام وجحد ما يعلم أنه من الدين الإسلامي، بحيث رجع جحده إلى إنكار الرسالة، نعم إنكار المعاد يوجب الكفر مطلقًا، ولا فرق بين المرتد والكافر الأصلي الحربي والذمي الخارجي والغالي والناصب » [2].

والثالثة: المستضعفون: وهم الذين لا يهتدون إلى الإيمان سبيلًا لعدم استطاعتهم كالصبيان والمجانين والبُله ومن لم تصل الدعوة إليه. وقد جاءت روايات عن الأئمة تعرّف بهؤلاء المستضعفين:

عن زرارة عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: « المستضعفون الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون

---

(١) أصول الكافي (٣٦٤/٢) كتاب الإيمان والكفر باب أصناف الناس، قال محققه: الحديث حسن.

(٢) أبو القاسم الخوئي: منهاج الصالحين (١١٦/١) النجف، وانظر: حقيقة الشيعة: عبد اللَّه عبد اللَّه الموصلي (ص ١٤).

سبيلًا، قال: لا يستطيعون حيلةً إلى الإيمان ولا يكفرون: الصّبيان وأشباه عقول الصّبيان من الرّجال والنّساء » (١).

وعن أبي بصيرٍ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « من عرف اختلاف النّاس فليس بمستضعفٍ » (٢).

ورغم نجاة هؤلاء المستضعفين، فإنهم حسب روايات الاثني عشرية ليسوا سواء في مراتب الجنة مع المؤمنين: عن جميل بن درّاجٍ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: « إنّي ربّما ذكرت هؤلاء المستضعفين فأقول: نحن وهم في منازل الجنّة؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: لا يفعل الله ذلك بكم أبدًا » (٣).

وقد أجاز الاثنا عشرية الدعاء للوالدين من المستضعفين، ووجهوا لأجل ذلك رواية صحيحة تجيز الدعاء للوالدين وإن كانا على غير دين الإمامية، ما لم يصلوا إلى درجة الكفر أو النصب والعناد: عن معمر بن خلاد قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أدعو لوالديّ إذا كانا لا يعرفان الحق؟ قال: ادع لهما، وتصدق عنهما، وإن كانا لا يعرفان الحق فدارهما، فإن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق** » (٤).

ومع صحة هذا الحديث عندهم وإطلاق لفظه إلا أن محقق أصول الكافي يقصره على المستضعف فيقول: « ولكن لما كان هذا مخالفًا لما عليه أكثر علماء الإمامية من عدم جواز الدعاء للكافر ومنه الناصب وعدم انتفاعه بالطاعات، لا بد من حمل الحديث على المستضعف » (٥).

ويرى الجزائري أن هذا الحكم بنجاة المستضعف ليس قطعيًا؛ لأنه ليس بمجمع عليه عند الإمامية، فيقول: « نعم ذهب طائفة منا إلى أن المستضعفين منهم وهم غير المعاندين مثل البله والنساء ومن لم تتم عليه الحجة يكونون ممن يرجى لهم النجاة، لكن لا على سبيل القطع » (٦).

---

(١) أصول الكافي (٣٨٥/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب المستضعف، قال محققه: وهذا الحديث صحيح.

(٢) أصول الكافي (٣٨٧/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب المستضعف، قال محققه: وهذا الحديث صحيح.

(٣) أصول الكافي (٣٨٧/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب المستضعف قال محققه: وهذا الحديث حسن كالصحيح.

(٤) أصول الكافي (١٦٦/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب البر بالوالدين قال محققه: والحديث صحيح.

(٥) أصول الكافي (١٦٦٥/٢) الهامش، حاشية رقم (٣).

(٦) نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢): نور البراهين (٥٧/١)، (ط ١)، (١٤١٧هـ) - قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

والرابعة: المرجون لأمر الله، وهم المؤخر حكمهم إلى يوم القيامة، من الإرجاء بمعنى التأخير، حيث لم يأت لهم وعد ولا وعيد في الدنيا، وإنما أخر أمرهم إلى مشيئة الله فيهم، إما يعذبهم، وإما يتوب عليهم.

عن زرارة عن أبي جعفرٍ عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٠٦] قال: « قومٌ كانوا مشركين فقتلوا مثل حمزة وجعفرٍ وأشباههما من المؤمنين، ثمّ إنّهم دخلوا في الإسلام فوحّدوا الله وتركوا الشّرك، ولم يعرفوا الإيمان بقلوبهم فيكونوا من المؤمنين فتجب لهم الجنّة، ولم يكونوا على جحودهم فيكفروا فتجب لهم النّار، فهم على تلك الحال إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم » (١).

وهذا التعريف للمرجون لأمر الله تعالى غير معتبر عند أهل السنة؛ لأن الثابت عند أهل السنة أن النبي ﷺ قال: « **الإسلام يَجُبُّ ما قبله** » (٢) فلا عبرة بما فعل هؤلاء حال الجاهلية، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقد صحَّ عند الشيعة هذا المعنى: « عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن ناسًا أتوا رسول الله ﷺ بعد ما أسلموا فقالوا: يا رسول الله! أيؤخذ الرجل منا بما كان عمل في الجاهلية بعد إسلامه، فقال لهم رسول الله ﷺ: **من حسن إسلامه وصح يقين إيمانه لم يأخذه الله – تبارك وتعالى – بما عمل في الجاهلية، ومن سخف إسلامه ولم يصح يقين إيمانه أخذه الله – تبارك وتعالى – بالأول والآخر** » (٣).

ولكن انظر إلى المجلسي كيف قصر هذا على الشيعة – مع أن الحديث عام في كل المسلمين – فقال: « المراد بالإسلام الحسن أن يكون مقرونًا بالإقرار بجميع أصول الدين؛ ليخرج المخالفون وأضرابهم » (٤)!!.

---

(١) أصول الكافي (٢/٣٨٨) كتاب الإيمان والكفر، باب المرجون لأمر الله. قال المحقق: « يدل الحديث على أن توبة وحشي قاتل حمزة لم تقبل بنحو القطع واليقين. فالظاهر أن الاثني عشرية عز عليهم أن يكون قاتل أسد الله حمزة عم النبي وعم علي في الجنة، ولذلك حكموا بإرجائه لأمر الله، في حين ثبت عند أهل السنة إسلامه وتوبته واشتراكه في قتل مسيلمة الكذاب.

(٢) مسند أحمد بن حنبل (٤/١٩٨).

(٣) أصول الكافي (٢/٤٣٢، ٤٣٣) كتاب الإيمان والكفر، باب أنه لا يؤاخذ المسلم بما عمل في الجاهلية قال محققه: هذا الحديث صحيح.

(٤) مرآة العقول (١١/٣٨٣).

والخامسة: فسّاق الاثني عشرية، (فسّاق المؤمنين) الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، ثم اعترفوا بذنوبهم، فعسى الله أن يتوب عليهم، وقد أوردهم الكليني مع أصحاب الأعراف في رواية عن موسى بن بكرٍ عن رجلٍ قال: « قال أبو جعفرٍ عليه السلام: الذين ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [التوبة: ١٠٢] فأولئك قومٌ مؤمنون يحدثون في إيمانهم من الذّنوب الّتي يعيبها المؤمنون ويكرهونها، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم » (١).

قال المفيد: « اتفقت الإمامية على أن الوعيد بالخلود في النار متوجه إلى الكفار خاصة دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة، وأنهم بارتكاب الكبيرة لا يخرجون عن الإسلام، وإن كانوا يفسقون بما فعلوه من الكبائر والآثام » (٢). « فلا خلاف في أنهم لا يخلدون في النار، وأما أنهم هل يدخلون النار أم لا؟ فالأخبار فيهم مختلفة اختلافًا كثيرًا، ولا يخفى أن في التبهيم والإبهام من الحكم الكثيرة » (٣).

وقد جاءت بعض الروايات تزعم تكفير ذنوب الشيعة خصوصًا: عن « محمد بن مسلم الثقفي، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠]. فقال عليه السلام: يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يقام بموقف الحساب، فيكون الله (تعالى) هو الذي يتولى حسابه، لا يطلع على حسابه أحدًا من الناس، فيعرفه ذنوبه حتى إذا أقرّ بسيئاته قال الله عز وجل لملائكته: بدّلوها حسنات وأظهروها للناس. فيقول الناس حينئذ: ما كان لهذا العبد سيئة واحدة، ثم يأمر الله به إلى الجنة، فهذا تأويل الآية، وهي في المذنبين من شيعتنا خاصة » (٤).

في حين جاء الخبر عند أهل السنة أن هذه البشارة لكل مؤمن استحيا فستر معصيته:

قال ﷺ: « **إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أي رب! حتى إذا قرّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته** » (٥).

---

(١) أصول الكافي (٣٨٧/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب أصحاب الأعراف قال محققه: وهو ضعيف.

(٢) المفيد: أوائل المقالات (ص ١٤، ١٥).

(٣) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٥١٦).

(٤) الأمالي: الشيخ الطوسي (ص ٧٣)، دار الثقافة – قم (١٤١٤هـ).

(٥) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب في قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨] رقم (٢٣٠٩)، وأخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله رقم (٢٧٦٨). من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

السادسة: **أصحاب الأعراف**، وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، لا يرجح أحداهما على الأخرى ليدخلوا به الجنة أو النار، فيكونون في الأعراف، حتى يرجح أحد الأمرين بمشيئة الله سبحانه. وهذا التفسير والتفصيل يظهر في الرواية التالية:

عن زرارة قال: قال لي أبو جعفرٍ ﷺ: ما تقول في أصحاب الأعراف؟ فقلت: ما هم إلا مؤمنون أو كافرون، إن دخلوا الجنّة فهم مؤمنون، وإن دخلوا النّار فهم كافرون، فقال: « واللّه! ما هم بمؤمنين ولا كافرين، ولو كانوا مؤمنين دخلوا الجنّة كما دخلها المؤمنون، ولو كانوا كافرين لدخلوا النّار كما دخلها الكافرون، ولكنّهم قومٌ استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فقصرت بهم الأعمال، وإنّهم لكما قال اللّه ﷻ. فقلت: أمن أهل الجنّة هم أو من أهل النّار؟ فقال: اتركهم حيث تركهم اللّه، قلت: أفترجئهم؟ قال: نعم أرجئهم كما أرجأهم اللّه، إن شاء أدخلهم الجنّة برحمته، وإن شاء ساقهم إلى النّار بذنوبهم ولم يظلمهم، فقلت: هل يدخل الجنّةَ كافرٌ؟ قال: لا، قلت: هل يدخل النّارَ إلا كافرٌ؟ قال: فقال: لا، إلا أن يشاء اللّه. يا زرارة! إنّني أقول: ما شاء اللّه، وأنت لا تقول: ما شاء اللّه، أما إنّك إن كبرت رجعت وتحلّلت عنك عقدك » [1].

وهناك أصناف أخرى ذكرتها روايات الاثني عشرية، ولكنها تؤول إلى التقسيم الأول، وهي فرقة المعارين والنواصب، وكلاهما يؤولان إلى فرقة الكفر عند الاثني عشرية.والعياذ بالله تعالى.

(صنف المعارين):

المعارون في روايات الاثني عشرية: قوم لبسهم الإيمان ثم خرج منهم:

عن عيسى شلقان قال: « كنت قاعدًا فمرّ أبو الحسن موسى ﷺ ومعه بهمةٌ. قال: قلت: يا غلام! ما ترى ما يصنع أبوك يأمرنا بالشّيء ثمّ ينهانا عنه؟ أمرنا أن نتولّى أبا الخطّاب، ثمّ أمرنا أن نلعنه ونتبرّأ منه. فقال أبو الحسن ﷺ وهو غلامٌ: إنّ اللّه خلق خلقًا للإيمان لا زوال له وخلق خلقًا للكفر لا زوال له، وخلق خلقًا بين ذلك أعاره الإيمان، يسمّون المعارين إذا شاء سلبهم، وكان أبو الخطّاب ممّن أعير الإيمان، قال: فدخلت على أبي عبد اللّه ﷺ فأخبرته ما قلت لأبي الحسن ﷺ وما قال لي، فقال أبو عبد اللّه ﷺ: إنّه نبعة نبوّةٍ » [2].

---

(١) أصول الكافي (٣٨٩/٢) كتاب الإيمان والكفر باب أصحاب الأعراف، قال محققه: الحديث موثق كالصحيح.

(٢) أصول الكافي (٣٩٧/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب المعارين. قال محققه: الحديث حسن كالصحيح.

المرء إذا حاول البحث عن أهل هذا الصنف في كتب أهل السنة فسيجد ما يدل على وجودهم؛ في قول النبي ﷺ: « **بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا** » (١).

(النواصب وأحكامهم):

والنواصب كما ذكر ابن منظور: « **قوم يدينون ببغض علي** ﷺ » (٢). والناصب وهو « الذي يتظاهر بعداوة أهل البيت عليهم السلام » (٣).

وقد أدرك علماء السنة الحرب الضروس بين الشيعة والنواصب، ولم يحسبوا أنفسهم على أي منهما، فهؤلاء تطرفوا يمينًا وأولئك شمالًا، وكلاهما بدعتان ما كانتا على عهد النبي ﷺ، وتختلف طقوس كل منهما في حرب وإغاظة الأخرى.

كما في يوم عاشوراء، يوم مقتل الحسين - رضوان الله عليه - فقد كانت الكوفة بها قوم من الشيعة المنتصرين للحسين، وكان رأسهم المختار بن عبيد الكذاب. وقوم من الناصبة المبغضين لعلي ﷺ وأولاده، منهم الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: « **سيكون في ثقيف كذاب ومبير** ». فكان ذلك هو الكذاب وهذا الناصبي هو المبير، فأحدث [في يوم عاشوراء] أولئك الحزن، وأحدث هؤلاء السرور، وهذه بدعة أصلها من المتعصبين بالباطل على الحسين ﷺ، وتلك بدعة أصلها من المتعصبين بالباطل له، وكل بدعة ضلالة، ولم يستحب أحد من الأئمة الأربعة وغيرهم لا هذا ولا هذا، ولا في شيء من استحباب ذلك حجّة شرعية.

ولم يسنّ رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون في يوم عاشوراء شيئًا من هذه الأمور، لا شعائر الحزن والترح، ولا شعائر السرور والفرح، ولكنه ﷺ لما قدم المدينة، وجد اليهود تصوم عاشوراء، فقال: « **ما هذا؟** ». فقالوا: هذا يوم نجّى الله فيه موسى عليه السلام من الغرق فنحن نصومه. فقال: « **نحن أحق بموسى منكم** ». فصامه وأمر بصيامه (٤).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم (١١٨).

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة (ن. ص. ب).

(٣) ابن المطهر الحلي: نهاية الإحكام (٢٤٧/١)، ط بيروت.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الصيام، باب صيام يوم عاشوراء، رقم (١٩٠٠)، وأخرجه مسلم: كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، رقم (١١٣٠).

- مصطلح النصب بين التقييد بعداوة آل البيت، والإطلاق على كل من خالف الاثني عشرية:

ولا شك في أن النواصب، وكذلك الغلاة في علي مبتدعون في فعلهم هذا ومخطئون، وخارجون عن السنّة؛ لأن الرسول ﷺ قال: « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة** » [(١)].

وبناء على هذا فإذا كان منهج أهل السنة يرفض غلو الشيعة في علي ﷺ، فإنهم بالمنهج نفسه لا يرتضون طريقة النواصب في بغض آل بيت النبي، ويرون النصب خروجًا عن النهج القويم. ويتذكّرون ما ورد عند أهل السنة والشيعة من قول النبي ﷺ لعلي ﷺ: « **يا علي: إنما مثلك في هذه الأمة كمثل عيسى ابن مريم، أحبه قوم فأفرطوا في حبه فهلكوا، وأبغضه قوم وأفرطوا في بغضه فهلكوا، واقتصد فيه قوم فنجوا** » [(٢)].

وإذا كان مقياس النصب هو كراهة آل البيت أو إيذائهم، فإن أمة الإسلام بريئة من النواصب براءتها من الغلاة. ولكن بعض روايات وأقوال علماء الشيعة توسع دائرة النصب حتى تشمل جماهير الأمة المسلمة.

فقد روى العاملي في (وسائل الشيعة): من « قدّم أبا بكر على علي فهو ناصبي » [(٣)]. فيدخل في معنى النصب - بناء على هذه الرواية - أهل السنة جميعًا!

وكتب أحدهم إلى الإمام علي بن محمد الهادي أبي الحسن: « أسأله عن الناصب، هل أحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت [يعني: أبا بكر وعمر ﷺ]، واعتقاد إمامتهما؟ فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب » [(٤)]. ولذلك نقل بعض

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة بسند صحيح، رقم (٤٦٠٧)، والترمذي: كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده (١٢٦/٤).

(٢) بحار الأنوار: المجلسي (١٥١/٩)، وجاء في مجمع الزوائد للهيتمي (١٣٣/٩) كتاب المناقب، باب فيمن يفرط في محبة علي وبغضه، عن علي بن أبي طالب، وهو ضعيف.

(٣) وسائل الشيعة (٣٤١/٦).

(٤) المحقق الحلي: الرسائل التسع (ص ٢٧٧)، ابن إدريس الحلي (٥٩٨هـ): السرائر (٥٨٣/٣)، مؤسسة النشر الإسلامي جماعة المدرسين - قم (١٤١١)، تحقيق لجنة التحقيق، المحقق البحراني: الرياض الناضرة (١٨٦/٥)، والخبر في بحار الأنوار أيضًا ووسائل الشيعة.

الكتّاب عنهم أن « أخبارهم عليهم السلام تنادي بأن الناصب هو ما يقال له عندهم سنّيًا » (١).

ولكن ما الرابط بين تقديم الشيخين والعداوة والإيذاء للأئمة وأتباعهم؟ يجيب أحد علمائهم قائلًا: « بعض الأخبار أن كل من قدم الجبت والطاغوت فهو ناصب. واختاره بعض الأصحاب؛ إذ لا عداوة أكثر ممن قدّم المنحطّ عن مراتب الكمال، وفضّل المنخرط في سلك الأغبياء والجهال على من تسنّم أوج الجلال... وهو الحق الذي لا تعتريه شبه ولا إشكال، وإن خالفه في مواضع من كلامه في أمثال هذا المجال » (٢).

وقال الجزائري: « وقد روي عن النبي ﷺ أن علامة النواصب تقديم غير علي عليه، وهذه خاصة شاملة لا خاصة... ويؤيد هذا المعنى أن الأئمة عليهم السلام وخواصهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله، مع أن أبا حنيفة لم يكن ممن نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام، بل كان له انقطاع إليهم، وكان يظهر لهم التودد، نعم كان يخالف آراءهم ويقول: قال علي وأنا أقول... فيتناولهم هذا اللفظ حيث يطلق؛ ولأنك قد تحققت أن أكثرهم نواصب بهذا المعنى.... وحكمه عندهم كالكافر الحربي في أكثر الأحكام » (٣).

وهناك رواية عن الصادق توضح أن من يشك في كفر الناصب الظالم لآل البيت يدخل في دائرة الكفر مثله، تقول الرواية: « من شك في كفر أعدائنا والظالمين لنا فهو كافر » (٤). وهذه الرواية تذكرنا مرة أخرى بالعبارة المتداولة في أوساط التكفيريين: « من لم يكفر الكافر فهو كافر » و « من لم يكن معنا فهو علينا »، فالمخالف حسب هذه النظرة كافر وعدو ومحارب!!

وبهذا نرى أن لفظ الناصبي يتوسع ليشمل معظم أفراد الأمة المسلمة، ولكن يخرج من ذلك فقط المعذورون وهم المستضعفون أصحاب العقول الضعيفة عن إدراك الحق.

- **موقف الاثني عشرية من النواصب:**

استفاضت الأخبار عند الاثني عشرية في الحكم بكفر الناصب وشركه ونجاسته وحل

---

(١) الشيخ حسين بن الشيخ آل عصفور الدرازي البحراني: المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية (ص ١٤٧).

(٢) المحقق البحراني (١١٨٦هـ): الحدائق الناضرة (١٠/٣٦٣). جماعة المدرسين، قم، تحقيق محمد تقي الأيرواني.

(٣) الجزائري: الأنور النعمانية (٢/٣٠٧) ظلمة في أحوال الصوفية والنواصب.

(٤) الصدوق: الاعتقادات في دين الإمامية (ص ٨٠).

ماله ودمه، وأن النواصب عند الاثني عشرية شر من اليهود والنصارى [١].

- ولا شفاعة للناصب يوم القيامة: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « من سعى في حاجة أخيه المسلم - طلبَ وجه الله - كتب الله عز وجل له ألف ألف حسنة، يغفر فيها لأقاربه وجيرانه وإخوانه ومعارفه، ومن صنع إليه معروفًا في الدنيا فإذا كان يوم القيامة قيل له: ادخل النار فمن وجدته فيها صنع إليك معروفًا في الدنيا فأخرجه بإذن الله عز وجل إلا أن يكون ناصبًا » [٢].

- وعمل الناصب محبط مردود: فقد ورد عن الصادق عليه السلام « سواء على الناصب صلى أم زنى » [٣]!.

- وتدل الروايات على نجاسة الكافر والناصبي والخارجي، إذ « لا فرق بين المرتد والكافر الأصلي الحربي والذمي الخارجي والغالي والناصب »، و « لا إشكال في نجاسة الغلاة والخوارج والنواصب » [٤]. ومن « صافح ذميًا أو ناصبًا معلنًا بعداوة [٥] آل محمد وجب غسل يده إن كان رطبًا، وإن كان يابسًا مسحه بالتراب » [٦].

بل تبين بعض الروايات أن نجاسة اليهودي والنصراني أخف من نجاسة الناصب:

فعن خالد القلانسي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: « ألقى الذمي فيصافحني قال: امسحها بالتراب وبالحائط، قلت: فالناصب؟ قال: اغسلها » [٧].

---

(١) الحدائق الناضرة (١٠/٤٣).

(٢) أصول الكافي (٢/٢٠٣) كتاب الإيمان والكفر، باب السعي في حاجة المؤمن، قال المحقق: والحديث موثق.

(٣) كتاب الحدائق الناضرة (١٠/٤٣).

(٤) انظر: آية الله محمد كاظم الطباطبائي اليزدي: العروة الوثقى (١/١٤٥) كتابه العروة الوثقى، (١٤١٧هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي - قم. وانظر: السيد الخوئي: كتاب الطهارة (٢/٧١) ، (ط٣)، (١٤١٠هـ)، دار الهادي - قم. محمد باقر الصدر: شرح العروة الوثقى (٣/٣٠٧)، الأربيلي (ت ٩٩٣هـ): مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان (١/٢٨٤) جماعة المدرسين - قم، (١٤٠٣هـ)، تحقيق الحاج آقا مجتبى العراقي وآخرين، منهاج الصالحين (١/١١٦) النجف.

(٥) لو قيّدوا الناصب دائمًا بهذا القيد فالأمر سهل؛ لأننا أهل السنة نبغض من عادى آل البيت، ولكن المشكلة في تعميم الحكم بالنصب على جميع من خالف الاثني عشرية، كما سنبين.

(٦) المحقق البحراني: الحدائق الناضرة (٥/٣٩٧)، بحار الأنوار (٧٧/٦٤).

(٧) أصول الكافي (٢/٦١٦) كتاب العشرة، باب التسليم على أهل الملل، قال محققه: « هذا يدل على أخبثية الناصب على الكافر، ومع ذلك لا بد من حمل وجوب غسل اليد على صورة ما إذا كانت المصافحة مع الرطوبة المسرية »، وقال محققه عن الحديث: والحديث مجهول، إذن فما دام المجهول لا يعتد به كيف تستخرج منه الأحكام الفقهية؟!!

أما في مذهب أهل السنة فالمقرر طهارة جسد كل إنسان مهما نجست عقيدته، أو تلوثت أخلاقه، ونجاسة الكافر معنوية روحية، لا جسدية حسّية.

وبناء على ما مرّ من روايات نتساءل: ما حكم من لم يعلن كره أهل البيت، هل هو ناصبي أم لا، وهل هو نجس أم لا؟

أما على القول بتضييق مفهوم النصب وقصره على من ظهرت عداوته لآل البيت: فليس بناصب، وهو شأن معظم المسلمين اليوم، الذين يحبّون آل البيت، وإن لم يؤمنوا بالأئمة الاثني عشر.

وأما على الروايات التي تجعل من يتولى ويقدّم الشيخين من النواصب، فحكمه النجاسة.

أما الشيعة الذين لم يحسبوا على الاثني عشرية، ولم يظهر منهم بغض آل البيت، فقد جزم الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني (المعاصر) بطهارتهم، فقال: « غير الاثني عشرية من فرق الشيعة إذا لم يظهر منهم نصب ومعاداة وسب لسائر الأئمة الذين لا يعتقدون بإمامتهم، فهم طاهرون، وأما مع ظهور ذلك منهم فهم مثل سائر النواصب » [1].

- ومن أحكام الناصب أنه حلال الدم والمال والعرض، فهو « كالكافر الحربي في أكثر الأحكام، ففي إحدى الروايات أن الإمام جعفرًا الصادق سئل عن دم الناصب، فقال: حلال الدم، لكني أتّقي عليك، فإن قدرت على أن تقلب عليه حائطًا أو تغرقه في ماء لكي لا يشهد به عليك فافعل، فقلت: فما ترى في ماله؟ قل: خذ ما قدرت » [2].

وعنه برواية صححوها: « خذ مال الناصب حيثما وجدته، وادفع إلينا الخمس » [3]. وبناء عليه قال الخميني: « والأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منهم وتعلق الخمس به، بل الظاهر جواز أخذ ماله أين وجد، وبأي نحو كان ووجوب إخراج خمسه » [4].

واشترطت إحدى الروايات - عن جعفر الصادق أيضًا - إذن الإمام في قتل الناصب: « لولا أنّا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم، ورجل منكم خير من ألف رجل منهم ومائة ألف منهم، لأمرناكم بالقتل لهم، ولكن ذلك إلى الإمام » [5].

---

(١) الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني (المعاصر): هداية العباد (١/ ٩٤)، دار القرآن الكريم، (١٤١٦هـ)، (ط ١).

(٢) الجزائري: الأنوار النعمانية (٢/ ٣٠٧) ظلمة في أحوال الصوفية والنواصب.

(٣) الطوسي: تهذيب الأحكام (١/ ٣٨٤).

(٤) الخميني في تحرير الوسيلة (١/ ٣٥٢).

(٥) الشيخ حسين بن الشيخ آل عصفور الدرازي البحراني: المحاسن النفسانية (ص ١٦٦).

وعن بريد بن معاوية العجلي قال: « سألت أبا جعفر عليه السلام عن مؤمن قتل ناصبًا معروفًا بالنصب على دينه غضبًا للّه ورسوله ﷺ أيقتل به؟ قال: أما هؤلاء فيقتلونه به، ولو رفع إلى إمام عادل ظاهر لم يقتله. قلت: فيبطل دمه؟ قال: لا، ولكن إن كان له ورثة فعلى الإمام أن يعطيهم الدية من بيت المال؛ لأن قاتله إنما قتله غضبًا للّه ولإمام المسلمين » (١).

وههنا تأتي خطورة رأي من رأى أن كل سني ينطبق عليه حكم النصب، إذ سيستسهل النيل من دمه وماله وعرضه.

ولعل الواقع المعاش يفسر كثيرًا مما يحدث لأهل السنة من جرائم في كثير من البلاد في زمن الفتن، وما يترتب على ذلك من ردّات أفعال، وفتاوى مضادّة تكفّر الشيعة وتبيح قتلهم، ونحن لا نرضى أن يكفّر أو يحمل السلاح في وجهه.

وإذا لم يؤخذ على أيدي هؤلاء المكفّرين من الجانبين، وخصوصًا في زمن المحن، فستتدمر البلاد ومواردها وطاقاتها، فينبغي تذكير هؤلاء الذين تعصف بهم رياح الفتن أن أهل السنة لن يستطيعوا أن يفنوا الشيعة، وكذلك لن يستطيع الشيعة أن يفنوا أهل السنة، وأرض اللّه تتسع لكل البشر على اختلاف أديانهم وألوانهم.

فأين حكماء الطرفين، الذين يمسكون على أيدي سفهائهم، وينشرون الفتاوى التي تصطبغ بالتسامح وتأمر بحسن التعايش، وتحفظ العباد والبلاد؟!.

ولعل مما يحارب الاتجاه التكفيري عند الاثني عشرية، والذي يسمي كل أهل السنة بالنواصب: التأكيد على أقوال بعض علماء الاثني عشرية الذين يرون حصانة دم المسلمين من أهل السنة وغيرهم، حيث يرون أن « الضروري من الولاية إنما هي الولاية بمعنى الحب أي الولاء » في حين أن « الولاية بمعنى الخلافة من ضرورات المذهب لا من ضرورات الدين » (٢).

ومما هو بدهي أن أهل السنة بهذا المعنى للولاية هم من المسلمين وليسوا من النواصب؛ لأن محبة آل البيت - علي وبنيه - وغيرهم أيضًا مما هو متجذّر في قلوب جميع المسلمين. يقول اليزدي: « الحد الأدنى من الإيمان: الإيمان باللّه الواحد، وبالثواب والعقاب الأخرويين، وبصحة ما نزل على الأنبياء عليهم السلام ومما يلزم من هذا الإيمان ويترتب عيه العزم والتصميم الإجمالي على العمل بتعاليم اللّه تعالى وأحكامه... وأما

(١) الكليني: كافي (٧/٧٤-)، وانظر: المحقق البحراني: كتاب الحدائق الناضرة (١٠/٣٦٤).

(٢) الخوئي: التنقيح شرح العرو ثقى (٢/٨٣ - ٨٧).

الحد الأدنى للكفر فهو إنكار التوحيد أو النبوة أو الشك فيها، أو إنكار أمر يعلم بنزوله من اللَّه تعالى على الأنبياء، وأما أسوأ مراتب الكفر فهو الإنكار عنادًا لهذه الحقائق مع العلم بصحتها والعزم على محاربة الدين الحق... » [١].

وكذلك يقر اليزدي أنه لا تلازم بين الإيمان والإسلام، بل لعله يرى أن الكفر نوعان عندما يقول:

« إن الإسلام أو الكفر الذي يبحث الفقه فيه، ويكون موضوعًا لبعض الأحكام مثل طهارة الذبيحة وحلّيتها وجواز النكاح والإرث وعدمه لا يلازم الإيمان أو الكفر الذي نبحثه في أصول الدين، إذ من الممكن أن ينطق أحد بالشهادتين وتثبت له الأحكام الفقهية الإسلامية مع أنه لم يكن يؤمن قلبيًا بمضمون التوحيد والنبوة ولوازمهما » [٢].

ولذلك فنلتمس من علماء الاثني عشرية أن يوضحوا مفهوم الإيمان والإسلام توضيحًا واحدًا، وأن يلغوا هذه الضبابية في تعريفهما وبيان أهلهما. فما ينبغي لعلماء الاثني عشرية أن يستخدموا ألفاظ أهل السنة للدعاية إلى مذهب الاثني عشرية وادعاء تسامحه، من خلال المباهاة بالحكم على إسلام المخالفين، في حين هم يقصدون من إسلامهم ذاك جواز مناكحتهم ومؤاكلتهم، لا نجاتهم يوم القيامة [٣].

ذلك أن الاثني عشرية عقديًا لا فقهيًا لا يعدّون أهل السنة مرشحين ولا مهيئين للارتقاء إلى مستوى الإيمان المنجي يوم القيامة؛ ما دام أهل السنة على موقفهم من تولي الشيخين، وترك القول بإمامة الأئمة الاثني عشر جميعًا.

وهذا ما سيتضح من سؤالنا للاثني عشرية: من يخلد في النار، ومن ينجو منها. والجواب على هذا السؤال يريح النفس والفكر من عناء مناقشتهم الطويلة في مفهوم الإسلام والإيمان.

- من يخلد في الجنة ومن يخلد في النار عند الاثني عشرية؟

قال المجلسي: « اعلم أن الذي يقتضيه الجمع بين الآيات والأخبار أن الكافر المنكر لضروري من ضروريات دين الإسلام مخلد في النار، لا يخفف عنه العذاب، إلا المستضعف

---

(١) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٤٧٢).

(٢) المرجع السابق (ص ٤٧٣).

(٣) في حين يرى أهل السنة والجماعة أن من وصل إلى الإسلام صار مؤهلًا للارتقاء إلى درجة الإيمان بالإقرار بأركان الإيمان والإذعان لأركان وأحكام الإسلام، فشتان بين الرأيين.

الناقص في عقله أو الذي لم يتم عليه الحجة ولم يقصر في الفحص والنظر، فإنه يحتمل أن يكون من (المرْجَون لأمر الله) »[١].

وقال عبد الله شبر في كتابه حق اليقين، مبينًا أصناف الناس عند الاثني عشرية:

« لا خلاف في أن من دخل الجنة خلد فيها، ولم يخرج منها، سواء دخلها بعد عذاب أو قبله، ولا خلاف أيضًا في أن الكفار والمنافقين والمنكر لضروري من ضروريات دين الإسلام ممن تمت عليهم الحجة مخلدون في النار.

وأما المستضعفون الناقصو العقول والذين لم تتم عليهم الحجة ولم يقصروا في الفحص والنظر فهم مرجون لأمر الله ترجى لهم النجاة.

والمراد بضروري الدين ما كان بدهيًا في دين الإسلام، بحيث إن من كان مسلمًا عرفه بديهة، إلا من كان جديد الإسلام، بحيث لم يصر ضروريًا عنده، وذلك كوجوب الصلاة وصوم رمضان والحج والزكاة ونحوها، فإن استحل تركها فهو كافر، وكذا من صدر منه فعل يتضمن الاستخفاف بالدين المبين والتهاون بحرمة الشرع، كالذي يحرف المصحف الشريف، أو يلقيه بالقاذورات، أو يسب الله - تعالى - أو ملائكته أو أنبياءه أو رسله أو خلفاءه، أو يستخف بهم أو يهجوهم في نظم أو نثر، أو يبول أو يتغوط في الكعبة المعظمة، أو في مسجد النبي ﷺ أو في روضات الأئمة، أو بالتربة الحسينية، ونحو ذلك مما يجب احترامه بديهة.

وأما غير الشيعة الإمامية من المخالفين وسائر فرق الشيعة من الزيدية والفطحية والواقفية والكيسانية والناووسية ونحوهم؛ فإن كانوا منكرين لبعض ضروريات الدين فهم كفار نجسون مخلدون في النار، كالخوارج والغلاة والنواصب، فإن وجوب محبة أهل البيت من ضروريات دين الإسلام، وكذا المجسمة ونحوهم.

وأما ما عداهم فهم فرقتان: **إحداهما**: المتعصبون المعاندون من المخالفين ممن تمت عليهم الحجة فهم في النار خالدون، **والثانية**: المستضعفون منهم، وهم ضعفاء العقول، مثل النساء العاجزات والبله وأمثالهم ممن لم تتم الحجة عليهم، أو من مات في زمن الفترة، أو كان في موضع لم يأت إليه خبر الحجة، أو لم يكن له قدرة على التفحص عن المذاهب، فهم المرجون لأمر الله، إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، فيرجى لهم النجاة من النار كما دل عليه جمل من الآيات والأخبار...

---

(١) بحار الأنوار (٣٦٣/٨ - ٣٧٤)، كتاب العدل والمعاد.

وأما سائر المخالفين ممن لم ينصب ولم يعاند ولم يتعصب فالذي عليه جملة من الإمامية كالسيد المرتضى أنهم كفار في الدنيا والآخرة، والذي عليه الأكثر الأشهر أنهم كفار مخلدون في الآخرة، وتجري عليهم أحكام الإسلام في الدنيا من حقن دمائهم وأموالهم، وقيل: إنهم لا يخلدون في النار ولا يخلدون في الجنة، بل يكونون بعد الخروج من النار في الأعراف، وقيل: إنهم يدخلون الجنة بعد العذاب الطويل، وهذا قول نادر لا يعرف قائله... أما دافعو النص فقد ذهب أكثر أصحابنا إلى تكفيرهم، ومن أصحابنا من حكم بفسقهم خاصة، ثم اختلف أصحابنا في أحكامهم في الآخرة، فالأكثر قالوا بتخليدهم، وفيهم من قال بعدم الخلود، وذلك إما بأن ينقلوا إلى الجنة - وهذا قول شاذ عندهم - أو لا، واستحسنه المصنف » [(١)].

« وقال الشيخ المفيد في كتابه المسائل: اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله - تعالى - له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار... واجتمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وزعموا أن كثيرًا من أهل البدع فساق وليسوا بكفار.... وقال الشيخ الطوسي في تلخيص الشافي: عندنا أن من حارب أمير المؤمنين فهو كافر » [(٢)].

ونلاحظ أن ما ينسبه شبر إلى المعتزلة يشير إلى اعتدال المعتزلة في موقفهم من المخالفين، ورحابة صدورهم، إذا ما قورنوا بالاثني عشرية الذين حكموا على باقي الفرق بالكفر، حتى من فرق الشيعة أنفسهم ممن لم يقر بالاثني عشر إمامًا كالزيدية والواقفة والفطحية... إلخ.

والمجلسي يتهم من يقول بعدم خلودهم بالنار: بالجهل وعدم المعرفة بما تواتر من أخبار في ذلك، فيقرر بكل ثقة: « أقول: القول بعدم خلودهم في النار نشأ من عدم تتبعهم للأخبار، والأحاديث الدالة على خلودهم متواترة أو قريبة من التواتر » [(٣)].

ويشير شبر إلى حقيقة تغيب عن كثير ممن ينخدع بقول الشيعة بإسلام المخالفين؛ ذلك أنهم يقولون بتخليدهم في النار، وإنما تجري عليهم أحكام الإسلام في الدنيا، فقد

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٥٠٩، ٥١٠).

(٢) المصدر السابق (ص ٥١٢).

(٣) بحار الأنوار (٣٦٥/٨)، وانظر: عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٥١١).

نقل عن الشهيد الثاني [١] في (رسالة حقائق الإيمان) عند تحقيق معنى الإيمان والإسلام قوله: « واعلم أن جمعًا من علماء الإمامية حكموا بكفر أهل الخلاف، والأكثر على الحكم بإسلامهم، فإن أرادوا كونهم كافرين في نفس الأمر لا في الظاهر، فالظاهر أن النزاع لفظي؛ إذ القائلون بإسلامهم يريدون ما ذكرناه من الحكم بصحة جريان أكثر أحكام المسلمين عليهم في الظاهر، لا أنهم مسلمون في نفس الأمر؛ ولذا نقلوا الإجماع على دخولهم النار، وإن أرادوا بذلك كونهم كافرين ظاهرًا وباطنًا فهو ممنوع ولا دليل عليه، بل الدليل قائم على إسلامهم لقوله ﷺ: « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**) [٢] اهـ » [٣].

قال مرتضى أنصاري؛ دافعًا التوهم في إطلاق أحكام الإيمان على جميع المسلمين من غير الشيعة: « كبعض الروايات لمطلق المسلم: مدفوع بما علم بضرورة المذهب من عدم احترامهم وعدم جريان أحكام الإسلام عليهم إلا قليلًا مما يتوقف استقامة نظم معاش المؤمنين عليه مثل.. حل ذبائحهم ومناكحتهم وحرمة دمائهم لحكمة دفع الفتنة، ونسائهم » [٤].

---

(١) الشهيد الثاني: هو زين الدين بن علي العاملي (٩١١هـ - ٩٦٦هـ)، صاحب اللمعة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: أمره في الثقة والعلم والفضل والزهد والعبادة والورع والتحقيق والتبحر وجلالة القدر وعظم الشأن وجمع الفضائل والكمالات أشهر من أن يذكر، ومصنفاته كثيرة مشهورة. روى عن جماعة كثيرين جدًا من الخاصة والعامة في الشام ومصر وبغداد وقسطنطينية وغيرها. انظر: معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي (٣٨٥/٨).

والشهيد الأول: هو محمد بن جمال الدين مكي العاملي (ت ٧٨٦هـ)، صاحب اللمعة الدمشقية.

(٢) الحديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، انظر: صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول فرائض الدين، رقم (٦٥٢٦)، وله روايات فيها إضافة الصلاة والزكاة وغير ذلك، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم (٢١).

ولما كان هذا الحديث يخالف ما أثبته الشيعة من وجوب الإيمان بالإمامة إلى جانب الإقرار بالشهادتين وغيرهما من أركان الإسلام فإن عبد الله شبر قد ضعّف هذا الحديث قائلًا: « وأما الحديث فمع ضعف إسناده وعدم حجيته لا يدل على أكثر من كون هذه الكلمة موجبة لحقن الدم ظاهرًا » (حق اليقين في معرفة أصول الدين، ص ٥٥٧).

(٣) الشهيد الثاني: حقائق الإيمان (ص ١٣٢) تحقيق: السيد مهدي الرجائي، إشراف: السيد محمود المرعشي، (ط١)، (١٤٠٩هـ)، مطبعة سيد الشهداء - قم، وانظر: استدلال المجلسي بحار الأنوار (٣٦٧/٨).

(٤) مرتضى الأنصاري: المكاسب (٣١٩/١). تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، (ط١)، (١٤١٥هـ) المطبعة: باقري - قم.

أرأيت بعد هذا العناء الطويل في تحقيق مناط المصطلحات (الإسلام، الإيمان، الخلود في الجنة، الخلود في النار) كيف أن القوم أنفسهم لم يصلوا إلى هذه النتيجة الأخيرة وهي: أن مصير المخالفين - منكري إمامة الاثني عشر - كلهم إلى جهنم إلا بشقّ الأنفس، وقد أقر شبّر بتعبه الشديد للوصول إلى هذه الحقيقة (المذهلة) وتوفيقه بين الروايات المصرّحة بكفرهم وإسلامهم معًا، بقوله: « وهو كلام جيد متين وجوهر ثمين جامع بين الأخبار الدالة على إسلامهم والأخبار الدالة على كفرهم، وحينئذ لا معنى بخروجهم من النار في الآخرة، والأخبار الواردة بكفرهم كثيرة لا تحصى، ولو كانوا في الدنيا والآخرة في حكم المسلمين، فأي فرق بينهم وبين فسّاق الشيعة، وأي فائدة فيما أجمعت عليه الفرقة المحقة من كون الإمامة من أصول الدين؟ » [(١)].

لكن هذا القول الراجح والمشهور في خلود مخالفي الاثني عشرية في النار، وعدم الحكم بإسلامهم في الدنيا والآخرة معًا، يناقض أقوالًا أخرى في هذه المسألة، تضيء كالأنوار الخافتة في الليلة المظلمة، وتقول بنجاة المخالفين الذين لم يقولوا بإمامة الاثني عشر إمامًا، لم يناصبوا أحدًا منهم البغض والعداء، فقد تكلم الأربيلي في مخالفي مذهب الإمامية من المسلمين: فذكر أن « مذاهب أصحابنا فيهم ثلاثة، الجنة مطلقًا، والنار مطلقًا. وقال نصير الملة والدين: محاربو عليٍّ كفرة، ومخالفوه فسقة، فهو يدل على جواز دخولهم الجنة؛ لأنهم فساق، الله يعلم، فيحتمل عدم سقوط التكليف بالإيمان وتوابعه عن هذه الطائفة، خصوصًا غير الأخيرة، فيكونون مكلفين بالأداء والقضاء، ومعاقبين بها لعدم الصحة ولو فعلوا » [(٢)].

وجاء في التجريد: « (المسألة الثامنة) في أحكام المخالفين قال: محاربو علي عليه السلام كفرة ومخالفوه فسقة... وأما مخالفوه في الإمامة، فقد اختلف قول علمائنا. فمنهم من حكم بكفرهم؛ لأنهم دفعوا ما علم ثبوته من الدين ضرورة، وهو النص الجلي الدال على إمامته مع تواتره. وذهب آخرون إلى أنهم فسقة، وهو الأقوى. ثم اختلف هؤلاء، على أقوال ثلاثة:

أحدها: أنهم مخلدون في النار لعدم استحقاقهم الجنة.

الثاني: قال بعضهم: أنهم يخرجون من النار إلى الجنة.

---

(١) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٥١٣).

(٢) الأربيلي: مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان (٣/ ٢٢٠).

الثالث: ما ارتضاه ابن نوبخت وجماعة من علمائنا أنهم يخرجون من النار لعدم الكفر الموجب للخلود، ولا يدخلون الجنة لعدم الإيمان المقتضي لاستحقاق الثواب » (١).

ولست أدري كيف استساغ علماء الاثني عشرية هذا الخلاف مع أن هناك نصًا عند المجلسي في بحار أنواره يفيد نجاة جميع المخالفين، لكنه لم يقل به، والأضواء لا تسلط كثيرًا على هذا النص، في غمرة ذلك الركام الهائل من روايات الحقد على الفرق الأخرى وتخليدها في النار:

« عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: « إن للجنة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيون والصدّيقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا، فلا أزال واقفًا على الصراط، أدعو وأقول: رب! سلم شيعتي، ومحبّيّ، وأنصاري ومن تولاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتك، وشفعت في شيعتك، ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألفًا من جيرانه وأقربائه، وباب منه يدخل سائر المسلمين، ممن يشهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت » (٢).

ومن النصوص الدالة على نجاة المخالفين أيضًا: عن محمد الباقر قال: « صلّ على من مات من أهل القبلة، وحسابه على الله ».

وما رواه الأئمة عن رسول الله ﷺ: « **صلّوا على المرجوم من أمتي، وعلى القاتل نفسَه من أمتي، لا تدعوا أحدًا من أمتي بلا صلاة** » (٣).

وواضح جلي أن من صلي عليه من المسلمين رجي له دخول الجنة، والبعد عن النار، إلا أن تكون صلاة تقية، فتصبح لعنة لا صلاة كما ذكروا (٤).

---

(١) الحلي: شرح التجريد (ص ٤٢٣، ٤٢٤)، تحقيق الزنجاني.

(٢) بحار الأنوار (٣٩/٨) نقلًا عن أمالي الصدوق (ص ٣٩)، وانظر: ميرزا محمد تقي الأصفهاني: مكيال المكارم (٤٣٩/١). وجعفر سبحاني: في ظلال التوحيد (ص ٥٥٦).

(٣) الصدوق: من لا يحضره الفقيه (١٦٥/١)، الطوسي: تهذيب الأحكام (٣٢٨/٣).

(٤) كتلك الصلاة التي زعموا أن الحسين صلّاها على منافق: أين تذهب يا فلان؟ قال: فقال له مولاه: أفر من جنازة هذا المنافق أن أصلي عليها، فقال له الحسين عليه السلام: انظر أن تقوم على يميني فما تسمعني أقول فقل مثله، فلما أن كبّرعليه وليه قال الحسين عليه السلام: « الله أكبر، اللّهم العن فلانًا عبدك ألف لعنة مؤتلفة غير مختلفة، اللّهم اخز عبدك في عبادك وبلادك وأصْلِه حرّ نارك وأذقه أشد عذابك، فإنه كان يتولى أعداءك ويعادي أولياءك، =

و « عن جعفر عن أبيه أنّ عليًا عليه السلام لم يكن ينسب أحدًا من أهل حربه إلى الشّرك، ولا إلى النّفاق، ولكنّه يقول: هم بغوا علينا » (١).

وقد رأينا سيدنا عليًا رضي الله عنه يصلّي على من مات من مخالفيه في الجمل وصفّين. عن ميمون بن مهران قال: « مرّ علي برجل مقتول يوم صفّين، ومعه الأشتر، فاسترجع الأشتر فقال عليٌّ: ما لك؟ قال: هذا حابس اليماني عهدته مؤمنًا ثم قتل على ضلالة، قال علي رضي الله عنه: والآن هو مؤمن » (٢).

وعن الحسن قال: لمّا قتل علي الحرورية قالوا: من هؤلاء يا أمير المؤمنين! أكفّار هم، قال: من الكفر فرّوا، قيل: فمنافقون؟ قال: « إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا، وهؤلاء يذكرون الله كثيرًا، قيل: فما هم؟! قال: أصابتهم فتنة فعموا وصمّوا » (٣).

اللّهم! إن الجنة جنتك، وإن النار نارك، تدخل فيهما من تشاء، والحمد لك إذ لم تسلط أحدًا من خلقك على اختيار أهل الجنة والنار، فلو حكّمت روايات الاثني عشرية وآراء الخوارج في الجنة والنار، لضيّقوا واسع رحمتك التي وسعت كل شيء، وأنت القائل: ﴿ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

اللّهم! اجعل المسلمين جميعًا منهم.

* * *

= ويبغض أهل بيت نبيك صلى الله عليه وآله » الكليني: الكافي (٣/١٨٩). باب الصلاة على الناصب. والطوسي: تهذيب الأحكام (٣/١٩٧).

(١) انظر: قرب الإسناد (ص ٦٢)، ووسائل الشّيعة (١١/٦٢).

(٢) المتقي الهندي: كنز العمال، رقم (٣١٧١١).

(٣) المصدر السابق: فتن الخوارج، رقم (٣١٥٦٨).

المبحث الثاني

موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم أجمعين)

إن النصوص القرآنية والنبوية واضحة الدلالة على مكانة أصحاب النبي ﷺ، رضوان الله عليهم أجمعين.

ومن الآيات الصريحة في بيان مكانة الصحابة، قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقوله سبحانه: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧].

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٢]. وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤].

و « كفى فخرًا لهم أن الله تبارك وتعالى شهد لهم بأنهم خير الناس، حيث قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴾ [آل عمران: ١١٠] » (١).

وقد جاءت وصية النبي ﷺ للأمة من بعده باحترام صحابته الكرام، في قوله: **« لا تسبّوا أصحابي، فلو أنّ أحدكم أنفق مِثْل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفَه »** (٢).

وهذه النصوص وإن كانت لا تعني عصمة الصحابة، فإنها تدعو لتوقيرهم واحترامهم، والدعاء لهم وذكر حسناتهم، والغض والاستغفار لزلّاتهم ﷺ، تصديقًا واتباعًا لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

إن سيدنا محمدًا ﷺ هو خير الرسل، ولذلك كانت أمته خير الأمم، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.. ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولذلك كان صحبه رضوان الله عليهم خير الأمة وسادتها، فقد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه، وهذا مصداق ما قاله النبي ﷺ: **« خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم... »** (٣). وقال: **« إن الله اختارني واختار لي أصحابًا، فجعل لي بينهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل »** (٤).

وهناك أحاديث كثيرة صحيحة يبشر النبي ﷺ بعض صحابته بالجنة، وأشهرهم

---

(١) ابن حجر: الصواعق المحرقة (ص ٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤/١٩٥)، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، رقم (٣٤٧٠)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، رقم (٢٥٤٠)، وأخرجه الترمذي (٥/٣٥٨) رقم (٣٩٥٢)، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، وأبو داود (٢/٤٠٤)، رقم (٤٦٥٨)، وابن ماجه (١/٥٧) باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، وأحمد في مسنده - مسند أبي سعيد الخدري (٣/١١)، وغيرهم.

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٢٥٣٤). من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) الطبراني: المعجم الكبير (١٧/١٤٠). مستدرك الحاكم (٣/٧٣٢). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص. من حديث عويم بن ساعدة ﷺ.

العشرة الذين صاروا يعرفون بـ (العشرة المبشرين بالجنة)، وهم الذين بشّرهم الرسول ﷺ بالجنة في حديث واحد فقال: « **أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة** » [1].

كما جاءت البشارة بفوز أهل بدر وأحد، وأهل بيعة الرضوان، وبلال، وواثلة بن الأصقع، وغيرهم.

ناهيك عن البشارة لآل بيت النبي ﷺ؛ أزواجه وفاطمة والحسن والحسين وغيرهم.

فما موقف الاثني عشرية من صحابة النبي ﷺ رغم وضوح هذه النصوص الكثيرة المبيّنة فضل الصحابة؟

قال الشيعة: إن هذه النصوص القرآنية والنبوية ليست دالّة على مكانة الصحابة جميعهم، ولا مجموعهم؛ « فلا دلالة فيه على الرضا إلا على من محّض الإيمان » [2].

أما من مات من الصحابة قبل انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى؛ كأسد الله حمزة ومصعب بن عمير وغيرهم، فهم صحابة مكرّمون موقّرون عند الاثني عشرية، وإن لم تصل مرتبتهم إلى درجة الأئمة المعصومين عند الاثني عشرية.

أما من عاش من الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ وبايع أبا بكر والخليفتين بعده عمر وعثمان ﷺ، فإن كتب الاثني عشرية مشحونة باتهامهم بالارتداد والتآمر على الإسلام.

فقد جاء في كتاب الروضة من الكافي عن أبي جعفر: « كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن أسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم، ثم عرف أناس بعد يسير، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى، وأبوا أن يبايعوا حتى أتوا بأمير المؤمنين عليه السلام مكرهًا فبايع،

(١) أخرجه الترمذي بسند صحيح: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، من حديثه ومن حديث سعيد بن زيد، رقم (٣٧٤٧)، وأخرجه ابن ماجه في الإيمان وفضائل الصحابة، باب فضائل العشرة المبشرين بالجنة، وأخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح (١/١٨٧).

وقد كان عمر يعظّم أمر هؤلاء المبشرين، ففي صحيح مسلم: عن عمر ﷺ « فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ». ومن المعلوم أنه جعل الخلافة شورى بين (عثمان، وعلي، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص) أما سعيد بن زيد، فلم يذكره لأنه من بني الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح كان قد توفي.

(٢) محمد مهدي الكاظمي: إحياء الشريعة في مذهب الشيعة (١/٦٣).

وذلك قول اللّٰه تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] » [١].

أما من حارب عليًا من الصحابة؛ كأم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومعاوية - غفر اللّٰه لهم ورضي عنهم - في تلك الحروب السياسية الطاحنة التي تألمنا أشد الألم لوقوعها؛ فإن الموقف منهم أشد وأعظم، فهم عند الاثني عشرية كفرة لا تُقبل توبتهم، ولا تُعتبر أوبتهم، ولا تُغسل حَوْبتهم.

بل يحاول التستري الاثنا عشري أن يشبه صحابة النبي ﷺ بحال بني إسرائيل الذين عبدوا العجل زمن مناجاة موسى عليه السلام ربّه في جبل الطور؛ فيقول في كتابه (إحقاق الحق): « كما جاء موسى للهداية وهدى خلقًا كثيرًا من بني إسرائيل وغيرهم فارتدوا في أيام حياته، ولم يبق فيهم أحد على إيمانه سوى هارون، كذلك جاء محمد وهدى خلقًا كثيرًا، ولكنهم بعد وفاته ارتدوا على أعقابهم ».

لذلك جاءت رواية شيعية تقول بتفضيل الشيعة على خير الصحابة: الذين شهدوا بدرًا وأحدًا:

عن الصادق أبي عبد اللّٰه عليه السلام: «... أما واللّٰه!.. لا يموت منكم ميّتٌ على الحال الّتي أنتم عليها إلا كان أفضل عند اللّٰه من كثيرٍ من شهداء بدرٍ وأحدٍ، فأبشروا » [٢].

ومن العجيب أن يتحول كتاب عقيدة إلى ديوان زور وبهتان ومثالب، فهذا عبد اللّٰه شبر بعد ذكره فضائل علي رضي الله عنه التي نقرّ بكثير منها نحن أهل السنة، يذكر في عنوان خاص: (المطاعن التي ذكرها العامة في الخلفاء الثلاثة) [٣] في كتاب يتحدث عن (حق اليقين) أي يقينيات العقيدة!.

وهذا الموقف الخاطئ من صحابة النبي ﷺ ليس موقفًا عرضيًا، بل هو متأصل في فكر الاثني عشرية، شبّ عليه الصغير، وشاب عليه الكبير؛ لأنه مبثوث في كتب القوم القديمة والحديثة، في كتب العقائد والحديث والفكر والأدب، يقول أحد المعاصرين: « إن

---

(١) الروضة من الكافي (٢٤٥/٨، ٢٤٦). وأورده المجلسي في بحار الأنوار (٣٣٣/٢٢)، والعياشي في تفسيره (١٩٩/١)، والمولى محسن الفيض القاشاني (ت ١٠٩١هـ) في تفسيره الصافي (١٤٤/١) مكتبة الصدر - طهران (ط٢)، (١٤١٦هـ) تحقيق الشيخ حسين الأعلمي.

(٢) أصول الكافي (٣٩٤/١) كتاب الحجة، باب نادر في حال الغيبة.

(٣) عبد اللّٰه شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٢٣١ - ٢٤٧).

المقاييس الموضوعية للتفكير تحكم بأن الجاهلية ذات الأمد الطويل في تاريخ العرب، وأن الجاهلية العريقة كان لا يمكن أن تموت كليًا بعشر سنوات من التربية على يد النبي ﷺ. أَجَل استطاع الطبيب السماوي والمربي القدير والنبي الخاتم ﷺ أن يخضعهم للإسلام في الظاهر، وأن يهيمن على عواطفهم بوجوده الرباني، وأن يجتذبهم بأخلاقه الجميلة، وأن يجد ملتقى معهم في فطرتهم الربانية؛ لكن مهما أحسنت الظن في هذا التغيير فإنه لم يصل إلى أعماقهم ولم يكن جذريًا » (١).

كما حوّل تراث الشيعة صورة معركة الإسلام الكبرى بين التوحيد والشرك، إلى صورة باهتة فرعية، أمام صورة المعركة الكبرى بين علي وخصومه؛ ولذلك فإن « الأخبار متضافرة في تأويل الشّرك بالله والشّرك بعبادته بالشّرك في الولاية والإمامة؛ أي: يشرك مع الإمام من ليس من أهل الإمامة، وأن يتّخذ مع ولاية آل محمد ﷺ (أي الأئمّة الاثنا عشر) ولاية غيرهم » (٢). ولأجل ذلك يعتقد الشيعة أن « ما من آية أولها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ إلا وعلي بن أبي طالب قائدها وأميرها وشريفها وأوّلها... وما من آية تسوق إلى النار إلا وهي في أعدائهم والمخالفين لهم » (٣). « وإذا سمعت الله ذكر قومًا من هذه الأمة بخير فنحن هم، وإذا سمعت الله ذكر قومًا بسوء ممن مضى فهم عدونا » (٤).

ويتكلم داعية التقريب! على صحابة النبي ﷺ فيقول: « إن معاوية وطلحة والزبير وعائشة كانوا أعدى أعداء الإمام علي، لم يجدوا شيئًا يتذرعون به حين قاوموه وحاربوه إلا الطلب كذبًا وافتراء بدم عثمان » (٥).

ويقول صاحب (الثورة الإسلامية): « أولئك الصحابة الذين لم يكن همهم إلا الدنيا والحصول على الحكم دون الإسلام والقرآن، والذين اتخذوا القرآن مجرد ذريعة لتحقيق نواياهم الفاسدة » (٦).

---

(١) الشيخ محمد حسين الفقيه: لماذا أنا شيعي؟ (ص ٢٦)، دار الغدير للدراسات والنشر - بيروت (ط٣)، (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

(٢) محمد بن طاهر العاملي أبو الحسن: مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار (ص ٢٠٢).

(٣) اعتقادات الصدوق (ص ٨٧)، الشيخ جعفر كاشف الغطاء: كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء (٩/١). ط مهدوي أصفهان.

(٤) تفسير الصافي (١٤/١).

(٥) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٢٥٥).

(٦) الإمام الخميني: كشف الأسرار (ص ١١٤). بالفارسية، عن صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ بين السنة والشيعة الإمامية (ص ٧٠)، (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

إن هذه النظرة الحاقدة على صحابة النبي ﷺ « ترى المجهودات الجبارة التي بذلها محمد ﷺ ثلاثة وعشرين عامًا لم تنتج إلا ثلاثة أشخاص أو أربعة وفقًا لبعض الروايات... أما غيرهم فقد قطعوا صلتهم فور وفاته ﷺ عياذًا بالله » (1).

فهل يدرك هؤلاء أن طعنهم بصحابة النبي ﷺ هو طعن بتعاليم النبي ودعوته؟

فلو أن مدرسًا في فصل دراسي لم ينجح من تلامذته إلا ثلاثة أو أربعة من الطلاب، في حين رسب خمسون طالبًا لانهال عليه النقد والتجريح، فكيف بالنبي الأعظم وهو خاتم النبيين وأفضلهم، وهو الذي لم يأل جهدًا في نصح قومه، مع كمال شفقته عليهم حتى خفف الله عنه قائلًا: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦]، وقوله: ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨]، فيسلم منهم مائة ألف أو يزيدون، ثم بعد وفاته ينقلبون على أدبارهم، وفي مقدمتهم أولئك الذي هجروا أوطانهم، وصبروا على الجوع والضنك، وبذلوا الغالي والنفيس، وحاربوا الأهل والأحباب في سبيل رفعة هذا الدين، حتى مدحهم الله في كتابه بقوله: ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٣، ٦٤].

وهم الذين مشى القرآن ساردًا بطولاتهم من بدر بقوله: ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣، ١٢٤]. إلى أحد والأحزاب بقوله: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩، ١٤٠].

وقوله: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ

---

(١) أبو الحسن الندوي: صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ بين السنة والشيعة الإمامية (ص ٦٨).

مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٣ - ٢٧].

أيُعقل أن لا يثبت من هؤلاء على الدين - على أحسن تقدير من هذه الروايات الاثني عشرية المزعومة - سوى بضعة أشخاص!!. إن هذا لو حصل - وحاشا أن يكون - يهدم دعوة الإسلام ونبي الإسلام، ووحي الإسلام من أساسه.

موقف كتّاب الاثني عشرية من حرب الردّة والفتوحات الإسلامية:

وإذا كان التاريخ قد سطر لأبي بكر والصحابة الكرام موقفهم الحازم من المرتدين الذين أرادوا هدم دولة الإسلام في مهدها، فإن كتّاب الشيعة يرون أن حروب الردّة كانت على حكم أبي بكر، وليس على أحكام الإسلام، فيقول ابن مطهر الحلي: إن « بني حنيفة كافة لم يحملوا الزكاة إليه [أبي بكر] حتى سماهم أهل الردة وقتلهم وسباهم، وأنكر عمر عليه، وردّ السبايا أيام خلافته » [١].

والغريب أيضًا أن بعض كتّاب الشيعة ينظرون إلى فتوح الصحابة للبلاد نظرة بعض المستشرقين الحاقدين؛ فيرون أن تلك الفتوح كانت تسير بدافع اقتصادي، لا عقدي؛ يقول داعية التقريب المعتدل!: « في مطاوي ما تقدم إلى أن الفتوح الإسلامية كان القصد الأول منها السيطرة، وامتداد السلطان، وإيجاد أرض للمسلمين يعيشون فيها أغنى من أرضهم، وتربة أخصب من تربتهم » [٢].

فلا ندري أنسي ابن مطهر الحلي ومغنية من بعده أن آل بيت النبي ﷺ وعلي ﵁ منهم كانوا من المشاركين في حروب الردة، وفي تلك الفتوحات؟ ولو كانت حرب الردة والفتوحات غير مشروعة، لكان أمير المؤمنين علي ﵁ شريكًا في وزرها؛ ذلك أنه كان مستشارًا مؤتمنًا لأبي بكر وعمر فيهما. وهو القائل معتزًّا بدوره في حروب الردة: « ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل، وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسّر وسدَّد وقارب، واقتصد فصحبته مناصحًا » [٣].

---

(١) ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة (ص ١٨٣).

(٢) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ١٢٧).

(٣) نهج البلاغة (١/١٣٢).

بل علل مبايعته لأبي بكر بخوفه على الإسلام من المرتدين:

« فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر يبايعونه، فأمسكت يدي، حتى إذا رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام - أي صارت ردة - فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلمًا أو هدمًا يكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم هذه التي هي متاع أيام قلائل يزول منها ما زال كما يزول السراب، وكما ينقشع السحاب، فنهضت حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه » (١).

وقد كانت حروب الردة وحروب الفتوح الإسلامية بمشورة من علي ﷺ(٢). ولو علم علي ﷺ أن خلافة عمر باطلة وأن حربه للفرس والروم غير مشروعة لما شارك في نصحه وإرشاده، على أقل تقدير، ولأسلمه إلى نفسه ورأيه، ولم يدل إليه بما يعزز ذلك الباطل المفترض ويعينه على ذلك المنكر المزعوم.

كما كان أمير المؤمنين علي من الحاصدين لبعض ثمار تلك الفتوحات، فابنه محمد ابن الحنفية، المعروف بأمه التي هي من سبي حروب الردة (من بني حنيفة)، كما هو مشهور في كل كتب التاريخ، وكذلك فإن والدة زين العابدين ابنة كسرى من نتائج الفتوحات (٣). ولو كانت تلك الفتوحات غير مشروعة لما استجاز الحسين لنفسه - ولا أبوه من قبل - أن يأخذ مما نتج عنها من غنائم.

ولقد وجدنا من كلام بعض المستشرقين - بل وبعض المتشددين المتعصبين للحضارة

---

(١) نهج البلاغة (١٣٢/١).

(٢) نصح علي أمير المؤمنين عمر في حرب الفتوح، ينهاه أن يخرج بنفسه لقتال الأعاجم - قائلًا: « إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا يقولوا هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك. فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله - سبحانه - هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره. وأما ما ذكرت من عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة ». (نهج البلاغة ٢٩/٢، المجلسي: بحار الأنوار ١٣٨/٣١).

وقال له: « إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم. ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلًا محربًا، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى، كنت ردءًا للناس ومثابة للمسلمين ». (نهج البلاغة (ص ١٩٣). تحقيق صبحي صالح).

(٣) « وذلك أن عمر بن الخطاب لما أتى بابنتي يزدجرد وهب إحداهما للحسين بن علي، فسماها غزالة ». تاريخ اليعقوبي (٣٠٣/٢). دار صادر - بيروت. انظر بحار الأنوار (٣٣٠/٤٥) للمجلسي، مؤسسة الوفاء - بيروت (ط٢)، (١٤٠٣هـ).

الغربية منهم - ما يؤكد حقيقة مكانة الصحابة العظيمة، وقد ذكر الأستاذ أبو الحسن الندوي رحمه الله نقولاً عن كتّاب الغرب ينصفون صحابة رسول الله ﷺ الكرام، وكان الأولى بمن ينتسب إلى الإسلام أن ينصف أصحاب نبيه الكريم رضوان الله عليهم، فهذا الكاتب الألماني كاتاني يقول في كتابه (سنن الإسلام): « لقد كان هؤلاء الصحابة الكرام ممثلين صادقين لتراث رسول الله الخلقي، ودعاة للإسلام في المستقبل، وحملة لتعاليم محمد ﷺ... لقد كان هؤلاء قادة الإسلام السابقين الكرام الذين أنجبوا فقهاء المجتمع الإسلامي وعلماءه ومحدثيه الأولين » (١).

ويقول غوستاف ليبون في كتابه (حضارة العرب): « إن فراسة الصحابة وحسن تدبيرهم قد جعلهم ينجحون لدى كل فرصة ومناسبة، لقد وقع الاختيار للخلافة في العهد الأول على أناس كان جلّ غرضهم نشر الدين المحمدي » (٢).

ويقول في (انقراض وسقوط المملكة الرومية): « لقد كانت أخلاق الخلفاء الأربعة الأولين، وتصرفاتهم نزيهة ومضرب المثل، إن نشاطهم وتفانيهم إنما كان بإخلاص تام، ورغم التمكن والثراء والسلطة فقد أفنوا أعمارهم في أداء المسؤوليات الخلقية والدينية ».

حتى إن فيليب حتّي يقول: « عاش أبو بكر رضي الله عنه قاهرًا للمرتدين وموحد الجزيرة تحت راية الإسلام حياة ساذجة بسيطة ملؤها الوقار... أما عمر رضي الله عنه الخليفة الثاني فكان رجلًا جلدًا نشيطًا ومثالًا حيًا للبساطة والاقتصاد... وقد مجّد عمر الكتّاب المسلمون لتقواه وعدله وتواضعه ووقاره » (٣).

ثناء القرآن والسنة وعلي رضي الله عنه على الصحابة الكرام:

هؤلاء الصحابة الكرام الذين خاض فيهم كتّاب الشيعة قديمًا وحديثًا هم الذين أثنى الله عليهم ورسوله بكل خير، ورضي عنهم ووعدهم الحسنى كما قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) انظر: الندوي: صورتان متضادتان (ص ٣٢).

(٢) حضارة العرب (ص ١٣٤)، ترجمة شمس العلما السيد علي البلكرامي، انظر: الندوي: صورتان متضادتان (ص ٣٣).

(٣) فيليب حتي: العرب تاريخ موجز: دار العلم للملايين (١٩٤٦م)، (ص ٧٢، ٧٣)، انظر للاستزادة من هذه النصوص: صورتان متضادتان للأستاذ أبي الحسن الندوي رحمه الله (ص ٣٢ - ٥٣)، ط (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ.. ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

وقال تعالى مبينًا ثواب السابقين من الصحابة: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالى مادحًا المهاجرين والأنصار ومن سار على دربهم: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

هذه الآيات تتضمن الثناء بالخير على ثلاثة أصناف: على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم ويستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلًا لهم، ولا ريب أن مبغضي الصحابة خارجون عن الأصناف الثلاثة، فليسوا من المهاجرين، ولا الأنصار، وليسوا ممن يستغفرون للمهاجرين والأنصار، بل في قلوبهم غل عليهم (١).

وقد كان علي ﷺ في حمأة حروبه إذا أراد أن ينتقص خصومه يعيب عليهم أنهم ليسوا من المهاجرين والأنصار، فالمهاجرون والأنصار إذن فوق التهمة عنده. يقول في خصومه: « جفاة طغام، وعبيد أقزام، جُمّعوا من كل أوب، وتلقّطوا من كل شوب، ممن

(١) انظر حول هذا المعنى: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (١٧/٢، ١٨).

ينبغي أن يفقّه ويؤدّب ويعلّم ويدرّب، ويولّى عليه ويؤخذ على يديه، ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا من الذين تبوّأوا الدار » (١). فأمير المؤمنين علي في هذه الرواية يجعل المهاجرين والأنصار مَثَلُ المسلمين الأعلى.

هؤلاء الصحابة من المهاجرين والأنصار جاءت روايات الاثني عشرية لتتُّهمهم بالزور والبهتان والارتداد:

عن حمران بن أعين قال: « قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك، ما أقلّنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها، فقال: ألا أحدّثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا - وأشار بيده - ثلاثة » (٢).

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر: « وكانوا سبعة، فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين عليه السلام إلا هؤلاء السبعة » (٣).

يقول ابن كثير: « وأما ما يفتريه كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء من أنه ﷺ أوصى إلى علي بالخلافة فكذب وبهتان وافتراء عظيم، يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة وممالأتهم بعده ﷺ على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره لا لمعنى ولا لسبب، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق يعلم بطلان هذا الافتراء؛ لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء وهم خير قرون هذه الأمة التي هي أشرف الأمم بنص القرآن وإجماع السلف والخلف في الدنيا والآخرة ولله الحمد » (٤).

« ومحال أن يتفق هؤلاء الصحابة على طي عهدٍ عَهِدَ به إليهم رسول الله ﷺ... إذ لو جاز ذلك لارتفع الأمان في كل ما نقلوه من القرآن والسنة والأحكام، ولم يجزم بشيء من أمور الدين، مع أنه بجميع أصوله وفروعه إنما أخذ منهم » (٥).

---

(١) نهج البلاغة، مع شرحها للشيخ محمد عبده (ص ٢٧٣). والطَّغام: أوغاد الناس، والأقزام: أراذل الناس، الشوب: الخلط.

(٢) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب قلّة عدد المؤمنين (٢/٢٤٤)، وانظر: رجال الكشّي (ص ٧)، بحار الأنوار (٢٢/٣٤٥).

(٣) رجال الكشي (ص ١١، ١٢).

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية (٧/٢٣٦) دار الفكر - بيروت (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

(٥) الأستاذ الدكتور السنهوتي: عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها، رسالة دكتوراه في كلية دار العلوم (ص ١١٨)، وانظر: ابن حزم: الفصل في الملل والنحل (٤/٩٦)، والصواعق المحرقة (ص ١٧).

« وكيف يتصور مسلم مثل هذا في ذلك الجيل القرآني الفريد الذين بذلوا المهج وهجروا الأهل والولد، وفارقوا الأوطان في سبيل اللّه وحده؟! ولمصلحة من، وفي سبيل من يُضحُّون بسابقتهم، وجهادهم، ويبيعون دينهم ودنياهم فيوافقوا أحدًا على المساس بدينهم وكتابهم؟! إن هذا لبهتان عظيم » (١).

عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: « **يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى رسول اللّه ﷺ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم. ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب رسول اللّه ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول اللّه ﷺ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم** » (٢). وهذا الذي جرى في فتوح المسلمين بعد النبي ﷺ.

ورضي اللّه عن عبد اللّه بن مسعود وهو يصف لنا إخوانه من الصحابة قائلًا: « من كان منكم مستنًّا فليستن بمن قد مات، فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد.. كانوا - واللّه - أفضل هذه الأمة وأبرّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلّها تكلّفًا، قوم اختارهم اللّه لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » (٣).

موقف الاثني عشرية من الخلفاء الراشدين الثلاث (أبي بكر وعمر وعثمان) ﷺ:

إذا كان أهل السنة يقرّون لأبي بكر بالتقدم لقوله ﷺ: « **إن اللّه بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله** » (٤). فقد بشّر بالجنة في حديث العشرة المبشرين بالجنة، كما خصّه ﷺ ببشارة خاصة، حيث قال ﷺ: « **من أصبح منكم اليوم صائمًا؟** » قال أبو بكر ﷺ: أنا، قال: « **فمن تبع منكم جنازة؟** » قال أبو بكر ﷺ: أنا. قال: « **فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا** » قال أبو بكر ﷺ: أنا، قال: « **فمن عاد منكم اليوم مريضًا** » قال أبو بكر ﷺ: أنا فقال رسول اللّه ﷺ: « **ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة** » (٥).

---

(١) د. ناصر بن عبد اللّه بن علي القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٣٦٠/١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في الجهاد، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، وفي الفضائل، باب فضائل أصحاب النبي رقم (٣٥٩٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٢)، واللفظ لمسلم.

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٧٦/٢، ٧٧).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الفضائل، باب قول النبي ﷺ: « لو كنت متخذًا خليلًا » رقم (٣٤٦١).

(٥) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأبواب البر رقم (١٠٢٨).

أما عمر فهو الفاروق الذي أعزّ اللّه به الدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة أيضًا، وكان لهما شرف مصاهرة النبي ﷺ، إذ تزوج الرسول الأعظم ابنة أبي بكر عائشة وابنة عمر حفصة رضي اللّه عنهم وأرضاهم.

ولكن شخصية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند الشيعة مختلفة عنها عند أهل السنة، فليسا هما صاحبا النبي صلى اللّه عليه وسلم ورضي اللّه عنهما ولا خاصّته وأهل مشورته وأخلص جنده وأفضل صحابته، بل إن شخصية الشيخين عند الشيعة أقرب ما تكون بشخصية عبد اللّه ابن أبي ابن سلول زعيم النفاق، إن لم يكن أعظم، فالشيعة تعتقد أنهما سلبا عليًا رضي الله عنه الخلافة، ويعتقدون أن ما وقع على آل البيت من مظالم في التاريخ إنما كان بسببهما، ويختلقون لأجل ذلك كثيرًا من الروايات!.

فقد رووا [(١)] « في الأخبار الخاصة أن أبا بكر كان يصلي خلف رسول اللّه ﷺ والصنم معلّق في عنقه، وسجوده له » [(٢)]!!.

ورووا أن رجلًا سأل أحد الأئمة: « يا سيدي! ومن فرعون ومن هامان؟ قال عليه السلام: أبو بكر وعمر » [(٣)].

وعن أبي حمزة الثمالي قال: « قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام وقد خلا: أخبرني عن هذين الرجلين؟ قال: هما أول من ظلمنا حقّنا، وأخذا ميراثنا، وجلسا مجلسًا كنا أحق به منهما، لا غفر اللّه لهما ولا رحمهما، كافران، كافر من تولاهما ».

وعن حكيم بن جبير قال: « قال علي بن الحسين عليهما السلام: أنتم تقتلون في عثمان من ستين سنة، فكيف لو تبرأتم من صنمي قريش؟ ».

ورووا عن سورة بن كليب قال: « سألت أبا جعفر عليه السلام عن أبي بكر وعمر؟ قال: هما أول من ظلمنا حقنا، وحملا الناس على رقابنا ».

عن أبي جعفر عليه السلام قال: « سألته عن أبي بكر وعمر؟ فقال: هما أول من انتزى على حقنا، وحملا الناس على أعناقنا وأكتافنا، وأدخلا الذل بيوتنا ».

---

(١) اللّهم لا تؤاخذني بروايتي هذه الروايات التي تقسي القلوب، وتؤذي النفوس، ولكن قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقّيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

(إحياء علوم الدين ١/٧٧).

(٢) الجزائري: الأنوار النعمانية (١/٥٣).

(٣) المجلسي: بحار الأنوار (٥٣/١٢)، الجزائري: الأنوار النعمانية (١/٥٣)، وانظر: إلزام الناصب، لعلي الحائري (٢/٢٦٦).

وعنه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: « والله لو وجد [أي:علي] عليهما أعوانًا لجاهدهما، يعني: أبا بكر وعمر ».

وأنه قال: « ما قطرت قطرة دم من دمائنا ولا من دماء أحد من المسلمين إلا وهي في أعناقهما إلى يوم القيامة ».

ورووا أن ابن بشير قال: « قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن الناس يزعمون أن رسول الله ﷺ قال: اللّهم أعز الإسلام بأبي جهل أو بعمر، فقال أبو جعفر عليه السلام: والله! ما قال هذا رسول الله ﷺ قط، إنما أعز الله الدين بمحمد عليه الصلاة والسلام، ما كان الله ليعز الدين بشرار خلقه » (١)!.

وروى الكليني عن أبي جعفر عليه السلام قال: « إن الشيخين - أبا بكر وعمر - فارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين عليه السلام، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (٢).

وتتهم رواية بغيضة أبا بكر بالخوف والجبن في الغار واتهام النبي ﷺ بالسحر، وأنه في الغار: « قد أخذته الرعدة وهو لا يسكن، فلما رأى رسول الله ﷺ حاله قال له: تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدّثون، وأريك جعفرًا وأصحابه في البحر يغوصون؟ قال: نعم، فمسح رسول الله ﷺ بيده على وجهه، فنظر إلى الأنصار يتحدثون، ونظر إلى جعفر وأصحابه في البحر يغوصون، فأضمر في تلك الساعة أنه ﷺ ساحر » (٣).!.

ولا يرى ابن المطهر الحلّي لصحبة أبي بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ في الغار أي فضيلة فيقول:

« لا فضيلة له في الغار؛ لجواز أن يستصحبه حذرًا منه لئلَّا يظهر أمره، وأيضًا الآية تدل على نقصه لقوله: ﴿ لَا تَحْـزَنْ ﴾ [التوبة: ٤٠] فإنه يدل على خوره وقلة صبره، وعدم يقينه بالله تعالى وعدم رضاه لمساواته للنبي ﷺ وبقضاء الله وقدره... وأيضًا فإن القرآن حيث ذكر إنزال السكينة على رسول الله ﷺ شرك معه المؤمنين إلا في هذا الموضع ولا نقص أعظم منه » (٤).

---

(١) انظر هذه الروايات عند المجلسي: بحار الأنوار (٣٠/ ٣٨١، ٣٨٢)، وأبي الصلاح الحلبي: تقريب المعارف (ص ٢٤٤ - ٢٤٦).

(٢) الكليني: روضة الكافي (٢٤٦/٨).

(٣) الكليني، كتاب الروضة من الكافي (٢٦٢/٨).

(٤) ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة (ص ١٨٥).

ونسي الحلي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] فجعل معية أبي بكر مع النبي ﷺ في معية الله ﷻ.

والنبي ﷺ غني عن أن يصحب منافقًا في أبعد وأخطر سفر له بعد البعثة، ونحن نرى من أحوالنا أننا لا نختار لأسفارنا إلا أوثق أصحابنا وإخواننا.

وينكر الحلّي أيضًا ما صح عند أهل السنة من مواساة أبي بكر للنبي ﷺ بماله فيقول: « وأما إنفاقه على رسول الله ﷺ فكذب؛ لأنه لم يكن ذا مال » (١).

كما ينكر كتّاب الاثني عشرية أن يكون النبي ﷺ قد أمر أبا بكر ﷺ أن يصلّي بالناس في فترة مرضه ﷺ، قال أحدهم: « أما ما رووا من التقديم لأبي بكر في الصلاة، فروايتهم في ذلك عن بلال عن عائشة، فلو كنا ممن يميل إلى إبطال الأحاديث من جهة ناقليها دون شواهد وعلامات لإبطالها لكان في إبطال هذا الخبر أوكد مقال ». ثم ذهب يستدل من تنوع روايات هذه الأخبار دليلًا على بطلانها (٢). وينسى أن الصحابة لما أشكل عليهم أمر الخلافة استدلوا بصلاة أبي بكر بالناس عند مرض النبي ﷺ، فقالوا على لسان علي نفسه: « فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله لديننا » (٣).

---

(١) المصدر السابق (ص ١٨٧).

(٢) علي بن أحمد الكوفي (ت ٣٥٢هـ): الاستغاثة في بدع الثلاثة (١٣/٢). قال النجاشي: « علي ابن أحمد أبو القاسم الكوفي رجل من أهل الكوفة، كان يقول أنه من آل أبي طالب، وغلا في آخر أمره وفسد مذهبه وصنف كتبا كثيرة أكثرها على الفساد: كتاب الأنبياء، كتاب الأوصياء، كتاب البدع المحدثة، كتاب التبديل والتحريف »، كما ذكر النجاشي بأن الغلاة يدعون فيه منازل عظيمة. توفي سنة (٣٥٢هـ). (رجال النجاشي ص ٢٠٣، رجال الحلي: ص ٢٣٣) وقد حاول المقدّم لكتاب (الاستغاثة) والذي لم يفصح عن اسمه أن يدفع عنه صفة الغلو (انظر: ص ب من المقدمة)، مع أن النجاشي نسب له كتابًا سماه: « التبديل والتحريف » (انظر: رجال النجاشي: ص ٢٠٣)، ومشكلة المشاكل عند الاثني عشرية أنهم لا موقف لهم من غلو بعض علمائهم، فمثل هذا الرجل لا ينبغي للشيعة أن ينشروا كتبه، بل يجب أن يتبرأوا منه، لا أن يتبرعوا بنشر كتابه في معجم الفقه الإسلامي على قرص ليزري سهل وسريع الاستخدام!.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام (٤٨٧/١)، وانظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء (ص ٣٢). وفي نص الذهبي (تاريخ الإسلام: ٤٨٧/١) تلخيصٌ لموقف علي من أبي بكر وعمر في خلافتهما: « عن الحسن قال: لما قدم علي البصرة قام إليه ابن الكواء وقيس بن عباد فقالا له: ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تتولى على الأمة تضرب بعضهم ببعض، أعهد من رسول الله ﷺ عهده إليك؟ فحدثنا فأنت الموثوق المأمون على ما سمعت. فقال: أما أن يكون عندي عهد من النبي ﷺ في ذلك، فلا والله إن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه، ولو كان عندي من النبي ﷺ عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة [يعني: أبا بكر] وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهما بيدي، ولو لم أجد إلا بردي هذا،ولكن رسول الله ﷺ =

وتفتري إحدى الروايات أن الله تعالى نصر النبي من كل أعدائه إلا من عدوه - الذي هو صديقه الذي لا يفارقه - أبي بكر الصديق: تقول الرواية: « فقد نصره الله منفردًا من كل شيء إلا من أبي بكر » (١).

مع أن الله تعالى نصره من أعدائه أجمعين حيث يقول: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

وأظهر سبحانه نبيه على جميع المنافقين وزعيمهم ابن أم سلول وغيره، فقال مبينًا عزة نبيه ونصرته له: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ۝ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٠ - ٦٢].

شتم الإمامية للصحابة الكرام ﷺ بين الإسرار والتقية والإعلان:

ولما كان شتم الشيخين وغيرهما من الصحابة الكرام مخالفًا لما عليه إجماع أهل الإسلام؛ عمد الشيعة إلى التقية في شتمهم، فقد زعموا أنه « قيل للصادق عليه السلام: ما تقول في العمرين؟ فقال: إمامان عادلان قاسطان، كانا على الحق فرحمة الله عليهما، فلما خفّ المجلس سئل عن التأويل فقال: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ.. ﴾ [القصص: ٤١]، ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن: ١٥]، وعدَلا عن الحق

= لم يقتل قتلًا ولم يمت فجأة، مكث في مرضه أيامًا وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني، ثم يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب، وقال: (أنتنّ صواحب يوسف، مروا أبا بكر يصلي بالناس). فلما قبض الله نبيه نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله لديننا. وكانت الصلاة أصل الإسلام وهي أعظم الأمر وقوام الدين. فبايعنا أبا بكر وكان لذلك أهلًا لم يختلف عليه منا اثنان ولم يشهد بعضنا على بعض ولم نقطع منه البراءة فأديت إلى أبي بكر حقه، وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي، فلما قبض ولّاها عمر فأخذ بسنة صاحبه وما يعرف من أمره، فبايعنا عمر، لم يختلف عليه منا اثنان ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم نقطع البراءة منه. فأديت إلى عمر حقه وعرفت طاعته وغزوت معه في جيوشه، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي ».

(١) الطبرسي: مجمع البيان (٥/٥٧).

وهو علي، فالرحمة وهو النبي صلى الله عليه وآله عليهما ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] »[١].

وهكذا، فإن مبغضي الصحابة إذا كانوا في عهد قوة لأهل السنة؛ كتموا وأسرّوا لعنهم وشتمهم للصحابة الكرام، أو استخدموا التقية والمعاريض، فإن كانت الصولة والجولة والدولة لهم أظهروا ذلك وأعلنوه.

وقد اشتهر عنهم في كتبهم وشروحهم أن الأول أبو بكر، والثاني عمر، والثالث عثمان ﷺ، وكانوا لا يذكرون أسماءهم تقية في القرون الأولى، حتى إذا جاء العهد الصفوي، وقويت شوكة الشيعة صرّحوا بالمقصود من هذه الرموز كما فعل المجلسي شارح أصول الكافي في مرآة العقول.

وجاء في روضة الكافي: عن حسين الجمال عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت: ٢٩] « قال: هما، ثم قال: وكان فلان شيطانًا »[٢].

فرواية الكليني هذه فيها تمويه وإخفاء وعدم تصريح باسم الشيخين. ولكن هذا الإخفاء لن يستمر، إذ إن المجلسي الذي عاش في حضن الدولة الصفوية سيصرّح بما أخفاه الكليني، عند شرحه لهذه الرواية فيقول: « هما: أي أبو بكر وعمر، والمراد بفلان: عمر، أي الجن المذكور في الآية عمر، وإنما سمّي به؛ لأنه كان شيطانًا، إما لأنه كان شرك الشيطان لكونه ولد زنى، أو لأنه كان في المكر والخديعة كالشيطان، وعلى الأخير يحتمل العكس بأن يكون المراد بفلان أبا بكر »[٣].

وعندما روى الكليني عن ابن ثوير والسّراج قالا: « سمعنا أبا عبد الله ﷺ وهو يلعن في دبر كلّ مكتوبة أربعة من الرّجال وأربعًا من النّساء، فلانًا وفلانًا وفلانًا ويسمّيهم ومعاوية، وفلانة وفلانة وهندًا وأمّ الحكم أخت معاوية »[٤] قام الشيعة في العهد

---

(١) علي بن يونس العاملي: الصراط المستقيم في مستحقي التقديم (٣/٧٣).

(٢) الكليني: روضة الكافي (٨/٣٣٤).

(٣) المجلسي: مرآة العقول (٢٦/٤٨٨) موضع شرح الحديث السابق.الحديث الثالث والعشرون والخمسمائة: وقال عن درجته: مجهول، ويحتمل أن يكون الجمال حسين بن أبي سعيد المكاري، فالخبر حسن أو موثق.

(٤) فروع الكافي (١/٩٥)، الطّوسي: التهذيب (١/٢٢٧).

الصفوي - حيث التمكن والقوة - يصرّحون ويكشفون ما ستروه سابقًا.

فما كتبه أوائل الشّيعة في عصر الكليني وما بعده كان بلغة الرّمز والإشارة، وقد كشف أقنعة هذه الرموز شيوخ الشيعة المتأخرون حينما ارتفعت التقية بسبب قوة الدولة الصفوية (١).

قال شيخهم المجلسي - وهو ربيب الدولة الصفوية - في بيان ما كان يرمز به الأوائل في شتم خلفاء الرسول: « (أبو الفصيل) أبو بكر؛ لأنّ الفصيل والبكر متقاربان في المعنى، و (رمع) مقلوب عمر، ونعثل هو عثمان » (٢).

وقال بكل صراحة: « وممّا عدّ من ضروريّات دين الإماميّة استحلال المتعة، وحجّ التّمتّع، والبراءة من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية » (٣).

وعقد لذلك الحرّ العاملي بابًا بعنوان: « باب استحباب لعن أعداء الدّين عقيب الصّلاة بأسمائهم » (٤).

ويذكر لنا التاريخ أنه « لما كانت دولة بني بويه ببغداد سنة (٣٣٤هـ) قوي بهم أمر التشيع والرافضة وجهروا بلعن الصحابة على المنابر، وكتبوا على أبواب المساجد سنة (٣٥١هـ): « لعن اللَّه معاوية بن أبي سفيان، ولعن من أغضب فاطمة، ومن منع الحسن حقه أن يدفن عند جده، ومن نفى أبا ذر إلى الربذة » (٥).

شتم الشيخين في الشعر:

ذكر ابن أبي الحديد شعرًا للكميت (٦) يقول فيه:

---

(١) د. ناصر عبد اللَّه القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٨٧٩/٢).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار (٥٨/٢٧). (٣) الاعتقادات للمجلسي (ص ٩٠، ٩١).

(٤) وسائل الشّيعة (١٠٣٧/٤).

(٥) المقريزي (أحمد بن علي أبو العباس (ت ٨٤٥): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٣٥٧/٢). وهم يقصدون بهذه الأقوال أبا بكر وعمر لأنهما - حسب زعم الاثني عشرية - أغضبا فاطمة في مسألة الإرث، ويقصدون عائشة لأنهم يزعمون أنها رفضت دفن الحسن عند جده، وهو غير صحيح، فالذي منع ذلك الأمويون، وعثمان لأنه نفى أبا ذر إلى الربذة، وأهل السنة يذكرون روايات أنه ذهب بإرادته إليها، ونصحه عثمان بأن يتعاهد بالمجيء إلى المدينة حتى لا يصبح أعرابيًا، فقد نهي الصحابة عن ذلك.

(٦) الكميت من الشعراء ثلاثة، أوّلهم كميت بن ثعلبة، مخضرم، وهو جد الثاني، أما الثالث فهو أكثرهم شعرًا وأشهرهم ذكرًا. وهو المقصود، هو الكميت بن زيد الأسدي أبو مستهل الكوفي شاعر زمانه؛ يقال: إن شعره أكثر من خمسة آلاف بيت. وقد وفد على الخليفتين يزيد وهشام ابني عبد الملك. انظر: الذهبي: تاريخ =

أهوى عليًا أمير المؤمنين ولا أرضى بسبّ أبي بكرٍ ولا عمرا
ولا أقول إذا لم يعطيا فدكا بنت النبيّ رسول اللّه قد كفرا
اللّه يعلم ماذا يأتيان غدًا يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

وقد أورد صاحب (النصب والنواصب) هذه الأبيات، ولم ترق له؛ إذ خالفت عقيدته، فشكك في صاحبها ثم نقل توبته منها، وأنه « قاله تقية من بني أمية... فاعتذر الكميت وقال: إني تائب مما قلت »[1].

« والشيخ العالم العامل الشيخ الصالح الجزائري كتب إلى الشيخ المحقق شيخنا البهائي رحمه الله كتابة هذه لفظها:ما يقول سيدي، وسندي، ومن عليه بعد اللّه وأهل البيت معولي ومعتمدي، في هذه الأبيات لبعض النواصب بتر اللّه أعمارهم وخرب ديارهم: (أهوى عليًا أمير المؤمنين...) إلى آخر الأبيات الثلاثة؟ فالمأمول من أنفاسكم الفاخرة، وألطافكم الظاهرة أن تشرفوا خادمكم بجواب منظوم يكسر سورة هذه النواصب.

فأجابه الشيخ بهاء الدين العاملي:

يا أيها المدعي حبّ الوصي ولم تسمح بسبّ أبي بكرٍ ولا عمرا
كذبت واللّه! في دعوى محبته تبت يداك ستصلى في غدٍ سقرا
فكيف تهوى أمير المؤمنين وقد أراك في سبّ من عاداه مفتكرا
فإن تكن صادقًا في ما نطقت به فابرأ إلى اللّه ممن خان أو غدرا
وأنكر النص في خمّ وبيعته وقال: إن رسول اللّه قد هجرا
أتيت تبغي قيام العذر في فدكٍ أتحسب الأمر بالتمويه مستترا
إن كان في غصب حقّ الطهر فاطمة سيقبل العذر ممن جاء معتذرا
فكل ذنب له عذر غداة غد وكل ظلم ترى في الحشر مغتفرا
فلا تقولوا لمن أيامه صرفت في سب شيخكم قد ضل أو كفرا

= الإسلام (١/٩٤٢). وقد مدحه أئمة الشيعة، قال له الإمام الباقر: « ما تزال مؤيدًا بروح القدس ما دمت تقول فينا » ولد الكميت عام (٦٠هـ) وتوفي عام (١٢٦هـ). ابن داود الحلي: رجال ابن داود (ص ١٥٦)، تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات مطبعة الحيدرية – النجف (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

(١) محسن المعلم: النصب والنواصب (ص ١١٦)، وانظر: الغدير (٢/٢٧٦) دار الكتاب العربي – بيروت (ط٤)، (١٣٩٧هـ).

بل سامحوه وقولوا: لا نؤاخذه عسى يكون له عذرا إذا اعتذرا
فكيف والعذر مثل الشمس إذ بزغت والأمر متضح كالصبح إذ ظهرا
لكن إبليس أغواكم وصيّركـم عميًا وصمًّا فلا سمعًا ولا بصرا »[(١)]

وكذلك الشيخ ميرزا محمد الخليل:

أهوى عليًا أمير المؤمنين ولا أهوى سوى من له القرآن قد ذكرا
وكيف أصدق في دعوى ولاهُ ولا أرضى بسب أبي بكر ولا عمرا

وقال غيره:

أهوى عليًا أمير المؤمنين ولا ألام في بعض من في بغضه خسرا
وكيف يلعن طه شانئيه ولا أرضى بسب أبي بكر ولا عمرا![(٢)]

فانظر إلى هذا الحقد الدفين على صحابة النبي وأعظم تلامذته، كيف صيغ بالشعر سمًّا زعافًا، في حين امتلأت دواوين شعراء أهل السنة بمديح آل بيت النبي ﷺ.

ومن منّا ينسى قصيدة الفرزدق:

قال الشعبي: « حج الفرزدق بعدما كبر، وقد أتت له سبعون سنة، وكان هشام ابن عبد الملك قد حج في ذلك العام، فرأى علي بن الحسين في غمار الناس في الطواف، فقال: من هذا الشاب الذي تبرق أسرّة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي وجوهها؟ فقالوا: هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، فقال الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلم
هذا ابن فاطمةٍ إن كنت جاهله بجدّه أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك: مَنْ هذا، بضائره العُرْبُ تعرف من أنكرتَ والعجمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها: إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

(١) محمد علي بن أحمد التبريزي الأنصاري (ت ١٣١٠هـ): اللمعة البيضاء (ص ٧٤٢، ٧٤٣) مؤسسة الهادي - قم، (١٤١٨هـ)، تحقيق السيد هاشم الميلاني.

(٢) محسن المعلم: النصب والنواصب (ص ١١٦، ١١٧)، دار الهادي - بيروت.

يغضي حياءً ويغضى من مهابته فما يكلَّم إلا حين يبتسم
بكفّه خيزرانٌ ريحها عبقٌ من كفّ أروعَ في عرنينه شممُ
يكاد يمسكه عرفانَ راحته ركنُ الحطيمِ إذا ما جاء يستلمُ
اللّه شرّفه قدمًا وعظّمَهُ جرى بذاكَ له في لوحِهِ القلمُ
أيُّ الخلائق ليست في رقابهم لأوّليّةِ هذا أو لَهُ نِعَمُ
من يشكر اللَّهَ يشكرْ أوّليّةَ ذا فالدّينُ من بيتِ هذا نالَهُ الأممُ
يُنْمِي إلى ذَرْوَةِ الدينِ التي قَصُرَتْ عنها الأكُفّ وعن إدراكها القدمُ
من جدّه دانَ فضلُ الأنبياءِ له وفضلُ أمّتهِ دانَتْ لَهُ الأممُ
مشتقّةٌ من رسول اللّه نَبْعَتُهُ طابتْ مغارسُه والخِيمُ والشّيمُ
ينشقّ ثوبُ الدجَى عن نور غرّتهِ كالشمسِ تنجابُ عن إشراقِها الظُّلَمُ
من معشرٍ حبّهم دينٌ وبغضهم كفرٌ وقربُهم منجًى ومعتَصَمُ
مقدّمٌ بعد ذكرِ اللّهِ ذكرُهم في كلّ بدءٍ ومختومٌ به الكلم
إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتَهم أو قيل من خيرُ أهلِ الأرضِ قيلَ: هم
لا يستطيعُ جوادٌ كنه جودهم ولا يدانيهم قومٌ وإن كَرُمُوا
يستدفَعُ الشّرُّ والبلوى بحبّهمُ ويستربّ به الإحسانُ والنّعمُ » [(١)]

اختلال موازين الإمامية في الحكم على الخلفاء، والتقاط عثراتهم وإنكار محاسنهم ومحامدهم:

إنا نقر بفضل الخلفاء الثلاثة ولكننا لا نقول بعصمتهم ﷺ وغفر لهم، ولكن شانئي ومبغضي الشيخين يلتقطون بعض ألفاظٍ قالها أبو بكر وغيره من الصحابة الكرام؛ تواضعًا وخضوعًا بين يدي اللّه تعالى، واعترافًا بالضعف البشري، ليستخدموها في إيذائهم، كقول أبي بكر ﷺ داعيًا رعيته لنصحه: « إن لي شيطانًا يعتريني فإذا مال بي فقوموني

(١) أخرج القصة وبعض هذه الأبيات: الطبراني في المعجم الكبير (٣/١٠١)، والخطيب البغدادي في تاريخ مدينة دمشق (٤١/٤٠٠)، وأوردها كاملة أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني (١٠/٣٧٨، ٣٧٩)، وانظر في مصادر الاثني عشرية: كشف الغمة، لابن أبي الفتح الأربلي (٢/٢٩١)، وبحار الأنوار للمجلسي (٤٦/١٢٥، ١٢٦).

وإذا أخطأت فأرشدوني »[١]، وقوله: « ليت أمي لم تلدني! يا ليتني كنت تبنة في لبنة »[٢]، فيستخدمون هذه الأقوال وأمثالها في اللمز والغمز به ﷺ، يقول ابن مطهر الحلي: « وكيف تجوز إمامة من يستعين بالرعية على تقويمه مع أن الرعية تحتاج إليه؟! »[٣].

ولو صح ميزانهم هذا لكان من يعتقد الشيعة عصمتهم من الأئمة وأتباعهم على خط واحد مع أبي بكر وعمر - وهم عندنا كذلك ولكن في الخيرية والتواضع - فهذا علي ﷺ يقول: « يا ليت السباع مزقت لحمي وليت أمي لم تلدني، ولم أسمع بذكر النار. ثم وضع علي ﷺ يده على رأسه وجعل يبكي ويقول: وا بُعْدَ سفراه! وا قلّة زاداه في سفر القيامة »[٤].

وهذا زين العابدين يقول: « رب أفحمتني ذنوبي، وانقطعت مقالتي فلا حجة لي »[٥].

وتذكر روايات الاثني عشرية عن الصحابة القلائل المكرّمين عندهم مثل هذه الأقوال. فقد نقلوا عن أبي ذر قوله: « يا ليت أمي كانت عاقرًا ولم تلدني ولم أسمع بذكر النار » ويذكرون أن المقداد ﷺ قال: « يا ليتني كنت طائرًا في القفار، ولم يكن عليّ حساب ولا عقاب، ولم أسمع بذكر النار »[٦].

وكل هذه الأقوال من صحابة النبي ﷺ ومن آل بيته الكرام تبين ما كانوا عليه

---

(١) انظر: عيون أخبار الرضا (٢٥٦/١)، المجلسي: بحار الأنوار (٣٤٧/١٠). والخبر في طبقات ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٨٣/٣) وغيره، ورواه المتقي الهندي (٥٨٩/٥): أن أبا بكر الصديق خطب فقال: أما والله ما أنا بخيركم، ولقد كنت لمقامي هذا كارهًا، ولوددت أن فيكم من يكفيني أتظنون أني أعمل فيكم بسنة رسول الله ﷺ إذن لا أقوم بها، إن رسول الله ﷺ كان يعصم بالوحي، وكان معه ملك، وإن لي شيطانًا يعتريني فإذا غضبت فاجتنبوني أن لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم ألا فراعوني، فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوّموني، قال الحسن: خطبة والله! ما خُطب بها بعده. وفي حلية الأولياء لأبي نعيم (٥٢/١)، عن الضحاك قال: قال عمر بن الخطاب: ليتني كنت كبش أهلي يسمنوني ما بدا لهم، حتى إذا كنت أسمن ما أكون، زارهم بعض من يحبون فجعلوا بعضي شواء وبعضي قديدًا، ثم أكلوني فأخرجوني عذرة ولم أك بشرًا. وقد أساء كتّاب الاثني عشرية توجيه هذه النصوص، فهم يستنكرون أن يكون من يقول هذه النصوص خليفة للنبي ﷺ ! انظر: محمد بن جرير الطبري (الشيعي المتوفى في أوائل القرن الرابع الهجري): المسترشد في إمامة أمير المؤمنين (ص ٥٥٤)، مطبعة سلمان الفارسي، قم (ط١)، تحقيق الشيخ أحمد المحمودي، وابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة (ص ٩٩)، وعبد الله شبر: حق اليقين (ص ٢٣٤).

(٢) ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة (ص ٩٩).

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المجلسي: بحار الأنوار (٨٨/٤٣).

(٥) الإمام زين العابدين: الصحيفة السجادية (ص ٣٠٦)، برواية الأبطحي، طبعة جماعة المدرسين - قم.

(٦) المجلسي: بحار الأنوار (٨٨/٤٣).

جميعًا من خوف من النار، وخضوع بين يدي الله الجبار، وهي أقوال ترفعهم جميعًا عند الله وعند المؤمنين، لا تستغلّ للإساءة إليهم.

ويذكر ابن مطهر الحلي عن أبي بكر ﷺ أنه قال: « ليتني في ظلة بني ساعدة ضربت يدي على أحد الرجلين، وكان هو الأمير وكنت الوزير » [1]. فيقول معلقًا: « وهو يدل على أنه لم يكن صالحًا يرتضي لنفسه الإمامة » [2].

فهل يطلق ابن المطهر الحكم نفسه على أمير المؤمنين عليّ ﷺ وقد قال قولًا مثله؟ فإنه ﷺ قال: « دعوني والتمسوا غيري...، وأنا لكم وزيرًا خير منّي لكم أميرًا » [3].

ويلتقط هؤلاء أيضًا من أحاديث النبي ﷺ عند أهل السنة ما يوافق هواهم، فمثلًا يبنون بناء واهيًا على مقدمتين: الأولى تعتمد على حديث صحيح يقول فيه المصطفى ﷺ « **فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني** » [4]، والثانية تعتمد على حديث مغاضبة أبي بكر لفاطمة في أمر إرث النبي ﷺ المشهور - وهو حديث فيه تحقيق طويل لا يسع المتن طوله - [5]، مع أن ما فعله أبو بكر ﷺ في قضية ميراث النبي ﷺ موافقة لما رواه

(١) ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة (ص ١٠٠). ونسبه محققه إلى تاريخ الطبري، وهو كذلك (٣٥٣/٢).

(٢) ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة (ص ١٠٠).

(٣) نهج البلاغة (ص ١٣٦).

(٤) صحيح البخاري من حديث المسور بن مخرمة، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ رقم (٣٥٥٦).

(٥) لقد أجرى الاثنا عشرية حول موضوع ميراث النبي أقلامهم، وألّفوا في (فدك) الكتب، لينالوا من الصديق والفاروق ﷺ، والأمر أهون من هذا بكثير. والحديث عند البخاري في كتاب الخمس، باب فرض الخمس رقم (٢٩٢٦):

من رواية ابن شهاب الزهري قال أخبرني عروة بن الزّبير أنّ عائشة أمّ المؤمنين ﷺ أخبرته أنّ فاطمة - عليها السلام - ابنة رسول الله ﷺ - سألت أبا بكرٍ الصّدّيق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: « لا نورث ما تركنا صدقةٌ » فغضبت فاطمة بنتُ رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكرٍ، فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستّة أشهرٍ، قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكرٍ نصيبها ممّا ترك رسول الله ﷺ من خيبر وفدكٍ وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكرٍ عليها ذلك وقال: لست تاركًا شيئًا، كان رسول الله ﷺ يعمل به إلّا عملت به، فإنّي أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ، فأمّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى عليٍّ وعبّاسٍ، وأمّا خيبر وفدكٌ فأمسكها عمر وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ كانتا لحقوقه الّتي تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من ولي الأمر. قال: فهما على ذلك إلى اليوم. وجاء في رواية أخرى: (صحيح البخاري: كتاب المناقب باب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ ٣٥٠٨): فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: « لا نورث، ما تركنا =

= فهو صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال - يعني مال الله - ليس لهم أن يزيدوا على المأكل ». وإني والله لا أغير شيئًا من صدقات النبي ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ، فتشهد علي ثم قال: إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك، وذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم، فتكلم أبو بكر فقال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي ».

قال ابن حجر في فتح الباري: « (فغضبت فاطمة فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته) في رواية معمر « فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى مات »، ووقع عند عمر بن شبة من وجه آخر عن معمر « فلم تكلمه في ذلك المال »، وكذا نقل الترمذي عن بعض مشايخه أن معنى قول فاطمة لأبي بكر وعمر: (لا أكلمكما) أي: في هذا الميراث، وتعقبه الشاشي بأن قرينة قوله « غضبت » تدل على أنها امتنعت من الكلام جملة وهذا صريح الهجر، وأما ما أخرجه أحمد وأبو داود من طريق أبي الطفيل قال « أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال: لا بل أهله، قالت: فأين سهم رسول الله ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله إذا أطعم نبيًا طعمة ثم قبضه جعلها للذي يقوم من بعده). فرأيت أن أرده على المسلمين قالت: فأنت وما سمعته » فلا يعارض ما في الصحيح من صريح الهجران، ولا يدل على الرضا بذلك، ثم مع ذلك ففيه لفظة منكرة وهي قول أبي بكر « بل أهله » فإنه معارض للحديث الصحيح: « أن النبي لا يورث ». نعم روى البيهقي من طريق الشعبي « أن أبا بكر عاد فاطمة، فقال لها علي: هذا أبو بكر يستأذن عليك قالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم، فأذنت له، فدخل عليها فترضاها حتى رضيت » وهو وإن كان مرسلًا فإسناده إلى الشعبي صحيح،.. فإن ثبت حديث الشعبي أزال الإشكال، وأخلق بالأمر أن يكون كذلك لما علم من وفور عقلها ودينها عليها السلام » اهـ. وهو عند البيهقي (السنن الكبرى ٦/٣٠١) وقال: مرسل حسن بإسناد صحيح. وذكره ابن سعد في طبقاته (٨/٢٧) وعمدة القاري (١٥/٢٠).

ثم إن المشهور عند السنة والشيعة وقد جاءت روايات عند الشيعة والسنة أن ممرضتها في مرضها كانت زوجة أبي بكر: أسماء بنت عميس رضي الله عنها: (الحاكم: المستدرك ٣/١٦٢، ابن سعد في طبقاته ٨/٢٨)، وأنها هي التي صنعت لها نعشًا كعادة أهل الحبشة، فتبسمت فاطمة لذلك، وأورد تمريضها لها الشيعة في الأمالي للطوسي أبي جعفر: « وكان علي يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس على استمرار ذلك » (الأمالي ١/١٠٧). وذكره المجلسي (جلاء العيون ص ١٧٢)، وهو باللغة الفارسية: « أسماء بن عميس آن حضرت رادريس أمر معاونت مي كرد ». وترجمة النص في (تكملة فتح الملهم للشيخ تقي العثماني ٣/٦١).

وقد روى البيهقي في الجنائز أن عليًا قدم أبا بكر للصلاة عليها (٤/٢٩) من مراسيل الشعبي، وهو أوثق في مراسيله من الزهري الذي أدرج أن أبا بكر لم يحضر الجنازة. وكذلك روى ابن سعد في طبقاته (٨/٢٩)، وكذلك أخرجه الخطيب البغدادي وانظر: كنز العمال عن الباقر (٦/٣١٨)، رقم (٥٢٩٩)، وحلية الأولياء (٤/٩٦).

تحقيق رواية الزهري:

وقال الشيخ العثماني في تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم (٣/٥٥): « وقد حقق فضيلة مولانا الشيخ محمد نافع حفظه الله في كتابه القيم (رحماء بينهم باللغة الأردية ١/١٢٦، ١٢٧): أن قصة مراجعة فاطمة أبا بكر رضي الله عنهما مروية بست وثلاثين طريقًا، وإن أحد عشر طريقًا منها مروية من غير الزهري، وليس في واحد منها أدنى ذكر لغضب فاطمة، أو هجرانها لأبي بكر رضي الله عنه، وإن خمسة =

= وعشرين طريقًا تدور على الزهري، التسعة منها خالية عن ذكر الغضب والهجران، وإنما ورد ذكر الغضب والهجران من ستة عشر طريقًا كلها تنتهي إلى الزهري » فالظاهر من هذا التتبع أن قصة الغضب والهجران مدرجة في هذا الحديث من قبل الزهري، وقد عرف من عادة الزهري أنه كان ربما أدرج في الحديث شيئًا من رأيه، ويقول الحافظ في النكت على ابن الصلاح: « وكذا الزهري يفسر الأحاديث كثيرًا، وربما أسقط أداة التفسير، فكان بعض أقرانه ربما يقول له: افصل كلامك من كلام النبي ﷺ » وساق الحافظ قبله عدة أمثلة من إدراجات الزهري [النكت على ابن الصلاح (٨٢٩/١)]. ونقل نصيحة ربيعة شيخ مالك للزهري في ذلك الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١٤٨/٢)، وحكم السيوطي وغيره على مراسيل الزهري بالضعف ونقل قول الأثبات فيها: « مراسيل الزهري قال ابن معين ويحيى بن سعيد القطان ليس بشيء، وكذا قال الشافعي، قال: لأنا نجده يروي عن سليمان ابن أرقم، وروى البيهقي عن يحيى بن سعيد قال: مرسل الزهري شر من مرسل غيره؛ لأنه حافظ، وكلما قدر أن يسمي سمى، وإنما يترك ما لا يستحب أن يسميه.

ولذلك عارض رواية الزهري ما في أبي داود وغيره: (قالت: أنت وما سمعته) أخرجه أبو داود (باب صفايا رسول الله كتاب الخراج والفيء رقم (٢٩٧٣)، وأحمد (٤/١) وسكت عليه أبو داود، وسكوته تحسين له).

وهذا ما رجحه ابن كثير (البداية والنهاية ٢٨٩/٥). وقال: وهذا هو الصواب وهو المظنون بها واللائق بأمرها وسيادتها وعلمها ودينها رضي الله عنها . حيث يقول في باب بيان أنه عليه السلام قال: (لا نورث): « ليس يظن بفاطمة رضي الله عنها أنها اتهمت الصديق رضي الله عنه فيما أخبرها به حاشاها وحاشاه من ذلك كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث عمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وأبو هريرة - وعائشة رضي الله عنهم أجمعين - كما سنبينه قريبًا، ولو تفرد بروايته الصديق رضي الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له في ذلك، وإن كان غضبها لأجل ما سألت الصديق إذ كانت هذه الأراضي صدقة لا ميراثًا أن يكون زوجها ينظر فيها، فقد اعتذر بما حاصله أنه لما كان خليفة رسول الله ﷺ فهو يرى أن فرضًا عليه أن يعمل بما كان يعمله رسول الله ﷺ ويلي ما كان يليه رسول الله ولهذا قال: وإني والله لا أدع أمرًا كان يصنعه فيه رسول الله ﷺ إلا صنعته، قال: فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت.

وهذا الهجران والحالة هذه فتح على الفرقة الرافضة شرًا عريضًا وجهلًا طويلًا، وأدخلوا أنفسهم بسببه فيما لا يعنيهم، ولو تفهموا الأمور على ما هي عليه لعرفوا للصديق فضله وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل أحد قبوله، ولكنهم طائفة مخذولة وفرقة مرذولة يتمسكون بالمتشابه ويتركون الأمور المحكمة المقدرة عند أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء المعتبرين في سائر الأعصار والأمصار رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين ». ومما ينبه عليه أيضًا أن قصة تخلف علي عن بيعته لأبي بكر إلى موت فاطمة من مراسيل الزهري أيضًا، نبه على ذلك البيهقي في الاعتقاد (ص ١٨٠)، وقد ساق تقي العثماني روايات بيعته مباشرة بعد السقيفة أو بعد يومين في تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم (٦٤/٣، ٦٥). ولعلنا نذكر من مراسيل الزهري التي علّقها البخاري في الصحيح، ونبه إليها الحافظ في فتح الباري ما زاده في قضية لبث انقطاع الوحي، وأن النبي ﷺ كاد يلقي نفسه من شواهق الجبال، وليس ذلك بمسند صحيح.. =

الكليني محدث الشيعة: قال رسول الله ﷺ: « **من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا به، وإنّه يستغفر لطالب العلم من في السّماء ومن في الأرض حتّى الحوت في البحر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النّجوم ليلة البدر، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورّثوا دينارًا ولا درهمًا، ولكن ورّثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظٍّ وافرٍ** » [1].

وعن جعفر الصادق قال: « إنّ العلماء ورثة الأنبياء، وذاك أنّ الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنّما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيءٍ منها فقد أخذ حظًّا وافرًا، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه، فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلفٍ عُدولًا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » [2].

ومع وضوح هذه النصوص فإن بعض كتّاب الشيعة يستغلون حادثة مناقشة فاطمة لأبي بكر في موضوع الإرث ليتوصلوا إلى أن النبي ﷺ غاضبٌ من أبي بكر لأجل ذلك [3]. بناء على المقدمتين السابقتين!

ولو سلم لهؤلاء هاتين المقدمتين لكان النبي ﷺ غاضبًا من علي ﷺ أيضًا! – حاشا وكلّا – ففي الحديث الصحيح: عن سهل بن سعد قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد عليًا في البيت فقال: « **أين ابن عمك؟** ». قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: « **انظر أين هو؟** ». فجاء فقال: يا رسول الله! هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ، وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول:

= ومما يجدر ذكره أن أزواج النبي ﷺ طلبن طلب فاطمة البتول، وقد كان جوابهن الحديث الذي رواه أبو بكر ﷺ ذاته: ففي صحيح مسلم (بشرح النووي: كتاب الجهاد والسير. باب قول النبيّ ﷺ: « لا نورث ما تركنا فهو صدقة): « عن عائشة أنّها قالت: إنّ أزواج النّبيّ ﷺ، حين توفّي رسول الله ﷺ أردن أن يبعثن عثمان ابن عفّان إلى أبي بكرٍ، فيسألنه ميراثهنّ من النّبيّ ﷺ. قالت عائشة لهنّ: أليس قد قال رسول الله ﷺ: « لا نورث، ما تركنا فهو صدقةٌ؟ ». ومن المعلوم أن أمهات النبي رضوان الله عليهن من الوارثات – فرضًا – كفاطمة البتول. فكان حكمهنّ واحدًا، ولم يحاب أبو بكر ﷺ زوجات النبي – وابنته إحداهن – في ميراث النبي ﷺ.

(١) أصول الكافي: كتاب فضل العلم، باب ثواب العالم والمتعلم (٨٣/١).

(٢) أصول الكافي: كتاب فضل العلم، باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء، رقم (٢).

(٣) وقد ألّفوا لذلك كتبًا ذكروا فيه إرث فاطمة المزعوم ومنها فدك، انظر من الكتب: (فدك في التاريخ) محمد باقر الصدر، مطبعة الشريعة – قم، (١٤٢٣هـ)، (تركة النبي ﷺ) لحماد بن زيد البغدادي.

« قم أبا تراب، قم أبا تراب » [(١)].

وقد بلغ حقد وحنق بعض الاثني عشرية على الأئمة الثلاثة إلى درجة إنكار جميع محامدهم ومفاخرهم، فيقول أحدهم: « مهما وجدت في الكتب شيئًا منسوبًا إلى أبي بكر وعمر وأعداء علي من الآداب والحكم والخطب والصواب فاعلم أنها موضوعة، وليست من ألفاظ أولئك المتغلبين، وإن أكثرها نسب إليهم في أيام معاوية وابنه يزيد وأيام بني أمية، وما كان منها في أيامهم فهي من أهل الكتابة والخطابة من الصحابة الذين لهم عادة بالإصابة؛ لأن الخلفاء الثلاثة ما عرفنا منهم أبدًا في الجاهلية مقامًا ولا مقالًا يتقضى تصديق نسبة الفصاحة إليهم، ولا عول فيها أحد عليهم » [(٢)].

ويزعم أن « معاوية كان يبذل الأموال لمن كان موثوقًا به عند الناس من الصحابة ليضع حديثًا في فضل الخلفاء الثلاثة، وفي منقصة أمير المؤمنين ﷺ ثم يرويه عن النبي ﷺ على المنبر بمشهد من الناس، أو يروي ما ورد في فضل علي ﷺ في فضلهم » [(٣)].

ويردّ هذا الافتراء أن مناقب وفضائل علي ﷺ ثابتة في كتب أهل السنة لم تتغير ولم تنسب إلى غيره من الصحابة، بل قد ثبت عند أهل السنة والشيعة أن معاوية ﷺ قد طلب من أحد أصحاب علي ﷺ أن يصفه له ويذكر شيئًا من فضائله، فقد قال لضرار الصدائي: « صف لي عليًا يا ضرار؟ » وقد وصفه على أحسن وجه « فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن! كان والله! كذلك » [(٤)].

وقد تواتر عن الاثني عشرية تسمية الشيخين بالجبت والطاغوت: من ذلك: « عن أبي جعفرٍ ﷺ...: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾ [الزمر: ١٧]: الجبت والطّاغوت: فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ، والعبادة: طاعة النّاس لهم » [(٥)]. ومعلوم أن روايات

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري: أبواب المساجد، باب نوم الرجال في المسجد (٤٣٠) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ رقم (٢٤٠٩).

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٢٤٩، ٢٥٠).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٨٠).

(٤) مولي محمد صالح المازندراني: شرح أصول الكافي (١١/٢٧٤)، ابن المطهر الحلي: منهاج الكرامة (ص ١٦٠)، جعفر كاشف الغطاء: كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء (١/١٦) طبعة انتشارات مهدوي - أصفهان.

(٥) الكليني: أصول الكافي (١/٤٩٨) كتاب الحجة باب في نكت ونتف من التنزيل في الولاية. قال محققه: هذا الحديث صحيح.

الشيعة تعني بفلان وفلان وفلان الخلفاء الراشدين الثلاثة رضوان الله عليهم، وكان المجلسي ومحقق أصول الكافي كثيرًا ما يبيّنا ويوضّحا ذلك.

وجاء في كتب الشيعة لعْنهُما واختلاق أدعية خاصة للعْنِهما، ووضعوا لذلك أعظم الثواب عند الله سبحانه وتعالى ! من ذلك « **دعاء صنمي قريش** »، وبعض أدعية القنوت التي يزعمون أن الأئمة كانوا يقنتون بها في صلاتهم كقنوت: (البلد الأمين وجنة الأمان).

ورد في بحار الأنوار: « هذا الدعاء رفيع الشأن عظيم المنزلة، ورواه عبد الله بن عباس عن علي عليه السلام أنه كان يقنت به، وقال: إن الداعي به كالرامي مع النبي ﷺ في بدر وأحد وحنين بألف ألف سهم. الدعاء: اللّهم العن صنمي قريش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها، وابنتيهما اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك... إلخ » وهكذا يستمر في سرد الافتراءات عليهما، ثم يقول: « اللّهم عذّبهم عذابًا يستغيث منه أهل النار آمين رب العالمين » أربع مرات [1]. وهكذا صارت الصلاة محلّ الشتم والسب واللعن!!.

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار (٨٢/٢٦٠)، وانظر: كتاب سليم بن قيس (ص ٤٨٣). والنص طويل وتتمته لا أتم الله لقائله: « وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك وحرّفا كتابك، وعطّلا أحكامك، وأبطلا فرائضك، وألحدا في آياتك، وعاديا أولياءك ووإليا أعداءك، وخربا بلادك، وأفسدا عبادك. اللّهم العنهما وأنصارهما فقد أخربا بيت النبوة، وردما بابه، ونقضا سقفه، وألحقا سماءه بأرضه، وعاليه بسافله، وظاهره بباطنه، واستأصلا أهله، وأبادا أنصاره. وقتلا أطفاله، وأخليا منبره من وصيه ووارثه، وجحدا نبوته، وأشركا بربهما، فعظّم ذنبهما وخلدهما في سقر! وما أدريك ما سقر؟ لا تبقي ولا تذر. اللّهم العنهم بعدد كل منكر أتوه، وحق أخفوه، ومنبر علوه، ومنافق ولّوه، ومؤمن أرجوه، وولي آذوه، وطريد آووه، وصادق طردوه، وكافر نصروه، وإمام قهروه، وفرض غيروه، وأثر أنكروه، وشر أضمروه، ودم أراقوه، وخبر بدلوه، وحكم قلبوه، وكفر أبدعوه، وكذب دلسوه، وإرث غصبوه، وفيء اقتطعوه، وسحت أكلوه، وخمس استحلوه وباطل أسّسوه، وجور بسطوه، وظلم نشروه، ووعد أخلفوه، وعهد نقضوه، وحلال حرموه وحرام حللوه، ونفاق أسروه، وغدر أضمروه وبطن فتقوه، وضلع كسروه، وصك مزقوه، وشمل بدّدوه، وذليل أعزوه، وعزيز أذلوه، وحق منعوه، وإمام خالفوه. اللّهم العنهما بكل آية حرفوها، وفريضة تركوها، وسنة غيروها، وأحكام عطلوها، وأرحام قطعوها، وشهادات كتموها، ووصية ضيعوها، وأيمان نكثوها ودعوى أبطلوها، وبينة أنكروها، وحيلة أحدثوها، وخيانة أوردوها، وعقبة ارتقوها ودباب دحرجوها، وأزياف لزموها وأمانة خانوها. اللّهم العنهما في مكنون السر وظاهر العلانية لعنًا كثيرًا دائبًا أبدًا دائمًا سرمدًا، لا انقطاع لأمده، ولا نفاد لعدده، ويغدو أوله ولا يروح آخره، لهم ولأعوانهم وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم والمسلمين لهم، والمائلين إليهم والناهضين بأجنحتهم والمقتدين بكلامهم، والمصدقين بأحكامهم. ثم يقول: اللّهم عذبهم عذابًا يستغيث منه أهل النار. آمين رب العالمين » أربع مرات.

وذكر مؤرخ كتب الشيعة محمد محسن (آقا بزر، الطهراني) في كتابه (الذريعة) [1] أن لهذا الدعاء شرحًا فارسيًا وهو (ذخر العاملين في شرح دعاء الصنمين) أي صنمي قريش المذكور.. وهما اللات والعزى (أبو بكر وعمر) فارسي للمولى محمد مهدي ابن المولى على أصغر بن محمد يوسف القزويني، ألّفه باسم الشاه سلطان حسين الصفوي [2]. وقد شرح المجلسي هذا الدعاء المسموم.

وقد طبع هذا الدعاء ضمن كتاب (تحفة العوام) وقد صدّر هذا الكتاب بأن ما فيه مطابق لفتاوى تسعة مراجع شيعية هم: (أبو القاسم الخوئي، حسين بروجردي - والذي كان من دعاة التقريب في الخمسينات وله مراسلات مع شيخ الأزهر! - محسن الحكيم، أبو الحسن الأصفهاني، محمد باقر، محمد ماوي، ظهور حسين، محمد صاحب قبله، حسين صاحب قبله) وأسماؤهم مصورة على أول الكتاب [3].

وأثنى بعض مراجع الشيعة (الآيات) على هذا الدعاء، كآية الله الشيرازي حيث ذكره في فتاواه.

كما نقلته مواقعهم على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) فقد جاء في أحد مواقعهم أن شابًا شيعيًا يسأل فيقول: (أنا شاب أودّ من خلال هذه الرسالة أن أسأل عن (دعاء صنمي قريش) والدليل عليه، وأحاول أن أفهم معنى الشيعة وموقفهم من الخلفاء الثلاثة؟):

فجاءه الجواب لقد ذكر الله تعالى الشيعة في القرآن وأثنى عليهم إلى درجة كبيرة بحيث نحل اسم الشيعة خليله إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات: ٨٣].

وقد نحل رسول الله ﷺ هذا الاسم من شايع عليًا عليه السلام واتّبعه، وذلك حين نزل عليه جبرئيل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٠٧].

فقال الرسول ﷺ وهو يشير إلى علي عليه السلام: **« هذا وشيعته خير البريّة »**.

---

(١) الذريعة (١٩٢/٨).

(٢) الذريعة (٩/١٠) دار الأضواء - بيروت (١٤٠٣هـ).

(٣) صورها فوتوغرافيًا عبد الله الموصلي في كتابه حقيقة الشيعة (ص ١١٤).

هذا وقد حرّم القرآن الولاية على الناس إلا لثلاثة:

١ - لله تعالى. ٢ - للنبي ﷺ. ٣ - لعلي أمير المؤمنين وأولاده الأحد عشر عليهم السلام. فقال: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦] وقد بلّغ النبي ﷺ قول الله هذا في غدير خم عند رجوعه بالمسلمين من حجة الوداع، ونصب عليًا عليه السلام أميرًا للمؤمنين وخليفة من بعده وأخذ البيعة له على الناس، وكان أول من بايعه أبو بكر وعمر وقالا له: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، لكنهما بعد ارتحال الرسول ﷺ أقصيا عليًا عليه السلام عن الولاية في الحادثة المعروفة، حتى قال علي عليه السلام في (نهج البلاغة) في الخطبة الشقشقية: « أما والله! لقد تقمّصها فلان وإنه ليعلم أن محلّي منها محلّ القطب من الرحى » إلى آخر الخطبة.

هذا وقد لعن الله في كتابه، الذين آذوه في نبيّه، وآذوا نبيّه في أهل بيته بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وللاطلاع أكثر يراجع الخطبة المذكورة في نهج البلاغة، ويراجع لذلك أيضًا كتاب: الغدير، للعلامة الأميني »[١].

ونص هذه الفتوى كما ترى يبرر سبب دعاء صنمي قريش، وأن كل من خان عهد رسول الله يستحق اللعن، وهم بهذا النص يزعمون أن الشيخين رضي الله عنهما ممن يستحق ذلك.

وقد جاء في بعض كتبهم التي يتداولها العامة التأكيد على هذا الدعاء في أقبح الأماكن: « اعلم أن أشرف الأمكنة والأوقات والحالات وأنسبها للعن عليهم - عليهم اللعنة - إذا كنت في المبال فقل عند كل واحد من التخلية والاستبراء والتطهير مرارًا بفراغ من البال: اللّهم العن عمر ثم أبا بكر وعمر ثم عثمان، وعمر ثم معاوية، وعمر ثم يزيد وعمر... اللّهم العن عائشة وحفصة وهند أم الحكم، والعن من رضي بأفعالهم إلى يوم القيامة »[٢]!

---

(١) http://www.s - urdu.com/masael/subject/aghaed/letter.5htm مؤسسة الرسول الأكرم الثقافية تعنى بنشر موقع سماحة آية الله صادق الحسيني الشيرازي.

(٢) لآلئ الأخبار (ص ٩٢) من منشورات مكتبة العلامة بقم، وقد أخبرني من أثق به أن هذا الكتاب موجود ويوزع في الأماكن الدينية. وانظر: كتاب علماء الشيعة يقولون (ص ٨٠)، ففيه صورة طبق الأصل من صفحة الكتاب ذاتها.

ولما كان أمر الإمامة ركنًا ركينًا من الدين عند الاثني عشرية، وقد عدوا بيعة الشيخين مانعة من بيعة الإمام علي ﷺ، لذلك عدت رواياتهم بيعة الشيخين من الشيطان:

عن زُرارة قال: قلت لأبي جعفر ﷺ: « فما تقول فيمن يؤمن بالله ورسوله ويصدّق رسوله في جميع ما أنزل الله يجب على أولئك حقّ معرفتكم؟ قال: نعم أليس هؤلاء يعرفون فلانًا وفلانًا؟ قلت: بلى، قال: أترى أنّ الله هو الّذي أوقع في قلوبهم معرفة هؤلاء؟ والله! ما أوقع ذلك في قلوبهم إلا الشّيطان، لا والله! ما ألهم المؤمنين حقّنا إلا الله ﷻ » [١].

قال المجلسي شارحًا هذه الرواية، متهمًا الصحابة بالضلال: « أي هؤلاء العارفين من أصحاب النبي ﷺ أضلهم الشيطان حتى أطاعوا فلانًا وفلانًا وانقادوا إليهم واتخذوهم أئمة » [٢].

اتهام أمير المؤمنين عمر ﷺ في نسبه وعرضه:

هذا كتاب سليم بن قيس – الذي يفاخر محققه بتقدمه وثبوته – يتكلم في أعراض الناس، ففيه أن سلمان ﷺ قال في حديث بيعة أبي بكر ﷺ: « ولم يكن منا أحد أشد قولًا من الزبير، فإنه لما بايع قال: يا ابن صهاك، أما والله لولا هؤلاء الطغاة الذين أعانوك لما كنت تقدم علي ومعي سيفي لما أعرف من جبنك ولؤمك، ولكن وجدت طغاة تقوى بهم وتصول. فغضب عمر وقال: أتذكر صهاك؟ فقال: ومن صهاك وما يمنعني من ذكرها؟ وقد كانت صهاك زانية، أو تنكر ذلك؟ أو ليس كانت أمة حبشية لجدي عبد المطلب، فزنى بها جدك نفيل، فولدت أباك الخطاب فوهبها عبد المطلب لجدك – بعد ما زنى بها – فولدته، وإنه لعبد لجدي ولد زنا » [٣]. وهكذا يريد هؤلاء أن يفرقوا بين الصحابة، فيفترون على لسان الزبير ما فيه إساءة إلى عمر ﷺ.

ويفترون عليه أنه « أتى امرأة لتحد فقاربها ثم أمر برجمها » [٤].

فهل يعقل في حق من حكم الجزيرة والشام والعراق ومصر واليمن وغيرها أن لا يجد

---

(١) أصول الكافي (٢٣٦/١) كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والرد عليه.

(٢) مرآة العقول (٣٠٣/٢)، وانظر: أصول الكافي (٢٣٦/١) كتاب الحجة باب معرفة الإمام والرد عليه.

(٣) كتاب سليم بن قيس (ص ١٥٨). وجاء في الأنوار النعمانية نقل عن ابن الأثير قال عن عمر: « زعمت الروافض أن سيدنا عمر كان مخنثًا، كذبوا ولكن كان به داء دواؤه ماء الرجال وغير ذلك مما يستقبح ». الأنوار النعمانية (٦٣/١).

(٤) الصراط المستقيم (٣٠/٣).

لذّته إلا في هذه المرأة التي حكم برجمها؟ ثم لماذا يرجمها ما دام معطلًا حدود اللّه تعالى كما يزعمون في رواياتهم؟ ولكنه الحقد الأعمى الذي لا يتسق مع العقل ولا الهدى. وللّه در القائل: إذا كنت كذوبًا فكن ذكورًا.

أما عن تأويل القرآن للطعن بالخلفاء، ومدح الأئمة فلا تسأل عنه لكثرته، إذ لم يتورع الوضاعون عن تفسير القرآن الكريم بما فيه إيذاء الخلفاء الثلاثة ﷺ: فعن « صالح ابن سهلٍ الهمدانيّ قال: قال أبو عبد اللّه عليه السلام في قول اللّه تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ ﴾ قال: الأوّل وصاحبه. ﴿ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ ﴾: الثّالث. ﴿ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ... ظُلُمَٰتٌ ﴾: الثّاني. ﴿ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾: معاوية وفتن بني أميّة. ﴿ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ ﴾: المؤمن في ظلمة فتنتهم ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾ [النور: ٤٠] » (١).

وقد جاء في إحدى الروايات اتهام عمر بالهجوم على بيت علي وفاطمة يوم بيعة الصديق ﷺ:

عن أبي جعفرٍ وأبي عبد اللّه عليه السلام قالا: « إنّ فاطمة عليها السلام لمّا أن كان من أمرهم ما كان أخذت بتلابيب عمر فجذبته إليها ثمّ قالت: أما واللّه! يا ابن الخطّاب لولا أنّي أكره أن يصيب البلاء من لا ذنب له لعلمت أنّي سأقسم على اللّه ثمّ أجده سريع الإجابة » (٢).

وتقول رواية سليم عن يوم بيعة الصديق:

« وضع عمر النار بالباب وهو متخوف أن يخرج علي عليه السلام بسيفه لما عرف من بأسه وشدته حتى احترق الباب. ثم قال لقنفذ: اقتحم عليه فأخرجه، فاقتحم هو وأصحابه، وثار علي عليه السلام إلى سيفه فسبقوا إليه وكاثروه فضبطوه وألقوا في عنقه حبلًا. وجاءت فاطمة عليها السلام لتحول بينهم وبينه، فضربها قنفذ بسوطه وأضغطت بين الباب، فصاحت: يا أبتاه يا رسول اللّه! وألقت جنينًا ميتًا، وأثّر سوط قنفذ في عضدها مثل الدّملوج (٣)، ثم أمر أناسًا حوله أن يحملوا الحطب، فحملوا الحطب وحمل معهم عمر، فجعلوه حول منزل علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام.

---

(١) أصول الكافي (١/٢٥١) كتاب الحجة، باب أن الأئمة نور اللّه ﷻ. حكم محقق أصول الكافي على هذه الرواية بالضعف دون بيان سببه. ومع ذلك بين ما أبهمه المؤلف في المتن فشرح الأول والثاني بأنهما أبو بكر وعمر رضوان اللّه عليهما وأن الثالث عثمان ﷺ. فما دام الحديث ضعيفًا فَلِمَ لَمْ يكتف المحقق بما في المتن فيه؟! اللّهم إلا أنه يرضى بما فيه من معان.

(٢) أصول الكافي، باب مولد الزّهراء فاطمة عليها السلام.

(٣) الدّملوج مثل « زنبور: المعضد من الحلي ». انظر: تاج العروس، مادة (د. م. ل. ج).

ثم نادى عمر، حتى أسمع عليًا وفاطمة عليهما السلام: والله! لتخرجن يا علي ولتبايعن خليفة رسول الله، وإلا أضرمت عليك بيتك النار. فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر، ما لنا ولك؟ فقال: افتحي الباب وإلا أحرقنا عليكم بيتكم.

فقالت: يا عمر، أما تتقي الله تدخل علي بيتي؟ فأبى أن ينصرف.

ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب ثم دفعه فدخل، فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: يا أبتاه! يا رسول الله! فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت: يا أبتاه! فرفع السوط فضرب به ذراعها، فنادت: يا رسول الله! لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر » [1].

وواضح ما ستترك هذه الرواية وأمثالها في ذهن وقلب طفل صغير ينشأ عليها، وهو لا يدري أنها كذب وزور وبهتان، ولو صحت مثل هذه الروايات (ولم يصح منها شيء) لما كان عمر هو الفاروق الذي نجلّه، فنحن نتبرأ من كل من يؤذي آل بيت نبينا ﷺ، ويؤذي ابنته الطاهرة البتول فاطمة عليها السلام بهذه الطريقة البشعة المقززة.

ولذلك فنحن نردّ الرواية التي جاء فيها أن أمير المؤمنين عمر تفل في كتاب يتضمّن إقرار أبي بكر بحقّ فاطمة الزهراء في فدك: « .. فلقيها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمّدٍ؟ قالت: كتابٌ كتبه لي ابن أبي قحافة. قال: أرينيه. فأبت، فانتزعه من يدها ونظر فيه ثمّ تفل فيه ومحاه وخرقه.. » [2].

---

(١) كتاب سليم بن قيس (ص ١٥٠، ١٥٨، ١٥٣). تحقيق محمد باقر الأنصاري.

(٢) والرواية بتمامها: « عن عليّ بن محمّد بن عبد الله عن بعض أصحابنا أظنّه السّيّاريّ عن عليّ بن أسباطٍ قال: لمّا ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهديّ رآه يردّ المظالم فقال: يا أمير المؤمنين! ما بال مظلمتنا لا تردّ؟ فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: إنّ الله - تبارك وتعالى - لمّا فتح على نبيّه ﷺ فدكًا وما والاها لم يوجف عليه بخيلٍ ولا ركابٍ، فأنزل الله على نبيّه ﷺ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ [الإسراء: ٢٦] فلم يدر رسول الله ﷺ من هم، فراجع في ذلك جبرئيل وراجع جبرئيل عليه السلام ربّه، فأوحى الله إليه أن ادفع فدكًا إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله ﷺ فقال لها: يا فاطمة! إنّ الله أمرني أن أدفع إليك فدكًا. فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك، فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله ﷺ، فلمّا وُلّي أبو بكرٍ أخرج عنها وكلاءها، فأتته فسألته أن يردّها عليها، فقال لها: ائتيني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك، فجاءت بأمير المؤمنين عليه السلام وأمّ أيمن، فشهدا لها. فكتب لها بترك التّعرّض، فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمّدٍ؟ قالت: كتابٌ كتبه لي ابن أبي قحافة. قال: أرينيه. فأبت، فانتزعه من يدها ونظر فيه ثمّ تفل فيه ومحاه وخرقه فقال لها: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيلٍ ولا ركابٍ، فضعي الحبال في رقابنا. فقال له المهديّ: يا أبا الحسن حدّها لي. فقال: حدٌّ منها جبل أحدٍ وحدٌّ منها عريش مصر، وحدٌّ منها سيف البحر، وحدٌّ منها دومة الجندل =

وقد مر تساؤل في مقدمات البحث عن مدى الأثر الفارسي في هذا الحقد الموروث تجاه الفاروق عمر بن الخطاب الذي سقطت إمبراطورية الفرس على أيدي جنوده، حتى عظّم بعض الفرس قاتله، فوضعوا في مدينة كاشان الفارسية هناك مزارًا ومقامًا في ميدان

= فقال له: كلّ هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! هذا كلّه، إنّ هذا كلّه ممّا لم يوجف على أهله رسول الله ﷺ بخيلٍ ولا ركابٍ. فقال كثيرٌ: وانظر فيه ». أصول الكافي (٥٤٣/١)، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه.

وهذه الرواية فيها من التناقضات العجيبة ما فيها:

١ - هي تبرئ أبا بكر من ظلم فاطمة في ميراثها، وأنه أعطاها كتابًا فيه حقها، ثم فيه مخالفة للنصوص الكثيرة التي نقلوها وأن أبا بكر منعها من الميراث لأنه روى أن الأنبياء لا يورثون، وهي رواية نقلها محدثو السنة والشيعة على السواء، بل إن روايات أهل السنة تقول: إن عمر في خلافته ارتأى أن يعطي فدكًا لعلي والعباس يتصرفا فيها كما كان يتصرف فيها وقصة علي والعباس وفدك في الصحيح.

٢ - وفيها من المبالغة العظيمة في تحديد مكان فدك: إذ جعلته (من جبل أحد في المدينة المنورة إلى عريش مصر، ومن دومة الجندل قرب تبوك في الأردن إلى سيف البحر قرب عُمان والبحرين). مما يعني أن كل هذه المناطق الشاسعة الواسعة كانت مع اليهود، فخلّصها النبي والمسلمون منهم، في حين يبين لنا التاريخ أن فدكًا قرية محددة قرب المدينة.

قال ياقوت الحموي: معجم البلدان (٢٣٨/٤، ٢٣٩): « فدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحًا، وذلك أن النبي ﷺ لما نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق إلا ثلث واشتد بهم الحصار راسلوا رسول الله ﷺ يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وفعل وبلغ ذلك أهل فدك؛ فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك، فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة لرسول الله ﷺ وفيها عين فوارة ونخيل كثيرة وهي التي قالت فاطمة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ نحلنيها، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أريد لذلك شهودًا، ولها قصة ثم أدى اجتهاد عمر بن الخطاب بعده لما ولي الخلافة وفتحت الفتوح واتسعت على المسلمين أن يردها إلى ورثة رسول الله ﷺ فكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه والعباس بن عبد المطلب يتنازعان فيها فكان علي يقول: إن النبي ﷺ جعلها في حياته لفاطمة، وكان العباس يأبى ذلك ويقول هي ملك لرسول الله ﷺ وأنا وارثه. فكانا يتخاصمان إلى عمر رضي الله عنه فيأبى أن يحكم بينهما ويقول: أنتما أعرف بشأنكما، أما أنا فقد سلمتها إليكما فاقتصدا فيما يؤتى واحد منكما من قلة معرفة. فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برد فدك إلى ولد فاطمة رضي الله عنها فكانت في أيديهم في أيام عمر بن عبد العزيز، فلما ولي يزيد بن عبد الملك قبضها، فلم تزل في أيدي بني أمية حتى ولي أبو العباس السفاح الخلافة فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فكان هو القيم عليها يفرقها في بني علي بن أبي طالب. فلما ولي المنصور وخرج عليه بنو الحسن قبضها عنهم فلما ولي المهدي بن المنصور الخلافة أعادها عليهم، ثم قبضها موسى الهادي ومن بعده إلى أيام المأمون فجاءه رسول بني علي بن أبي طالب فطالب بها فأمر أن يسجل لهم بها، فكتب السجل وقرئ على المأمون فقام دعبل الشاعر وأنشد:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا ... برد مأمون هاشم فدكا

وفي فدك اختلاف كثير في أمره بعد النبي ﷺ وأبي بكر وآل رسول الله ﷺ ومن رواة خبرها من رواه=

فيروزي، لفيروز أبي لؤلؤة، قاتل سيدنا عمر ﷺ. ويسمون هذا المجوسي بـ (بابا شجاع الدين) [(١)]، وجعلوا من يوم مقتله عيدًا يحييه بعض متشددي الشيعة في إيران، كما يحصل في مدينة أصفهان، ومن أصحاب هذا الوزر آية الله أميني صاحب كتاب الغدير، الذي أحيا هذا العيد في الخمسينات [(٢)].

ولا داعي للاستطراد في حادث قتل عمر ﷺ، ولكن من المفيد أن نتذكر أن ابن المطهر الحلي لمّا مرّ على أحداث مقتل عمر؛ غضب لأن عثمان ﷺ لم يقم حد القصاص على عبيد الله بن عمر الذي قتل الهرمزان - الفارسي الذي كانت تدور حوله اتهامات بتآمره مع أبي لؤلؤة في قتل عمر! ولذلك لم يقم عثمان الحد على قاتله، واكتفى بدفع ديته - فقال الحلّي عن عثمان ﷺ: « وضيّع حدود الله، فلم يقد عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان مولى أمير المؤمنين بعد إسلامه » [(٣)]! فأراد ابن المطهر أن يفجع المسلمين بعمر وعبيد الله بن عمر أيضًا.

= بحسب الأهواء وشدة المراء » اهـ.

(١) انظر: عباس القمي: الكنى والألقاب (٥٥/٢).

(٢) فقد ذكر هذا تلميذ الخميني منتظري في مذكراته قائلًا: « كما أتذكر عندما جاء آية الله أميني صاحب كتاب « الغدير » إلى أصفهان؛ حيث استقبلناه بحرارة، وألقى لعدة أيام خطبًا دينية في أحد مساجد أصفهان حول مسألة الخلافة وأثار خلالها قضايا حساسة تسببت في إيجاد جو عاطفي ضد السنة. ونتيجة لما يطرحه من فوق المنبر، عاود الناس إحياء بعض التقاليد مثل عيد التاسع من ربيع الأول (يوم اغتيال الخليفة الثاني). وكنت قد عدت إلى قم في ذلك الحين، وذهبت إلى بيت آية الله بروجردي؛ حيث كان الحاج سيد محمد باقر ابطحي (أحد تجار أصفهان) ووالد زوجته يزوران المرجع الأعلى. وفجأة قال آية الله بروجردي بصوت غاضب: ما هذا الوضع في أصفهان، إسرائيل تتجهز لغزو مصر، وتنوي احتلال قناة السويس، إن المسلمين في مصر يواجهون العدوان، ونحن هنا بصدد إثارة الفتنة والحرب بين الشيعة والسنة. ما الذي يجري في أصفهان؟ ».
عن موقع الوحدة الإسلامية www.alwihdah.com، تحت عنوان: ظروف فتوى شيخ الأزهر بالاعتراف بالمذهب الشيعي نشر في (٢٠٠٣/٣/٢٢م) عن جريدة الشرق الأوسط، وكذلك موقع فيصل نور الشيعي (مذكرات منتظري): http://www.fnoor.com/fn0714.htm، وينبغي المعرفة أن بروجردي نفسه لا يعارض شتم الشيخين فقد سمح بنشر كتاب (تحفة العوام) المتضمن دعاء صنمي قريش، ولكن موقفه هنا من المواقف السياسية التي اقتضتها طبيعة مسألة التقريب مع أهل السنة.
وإذا أمعنت النظر في كلام منتظري يمكنك أن تتساءل: ما هي أسباب إقصاء منتظري من الواجهة السياسية والفكرية في إيران بعد الثورة، مع أنه كان التلميذ والرفيق المقرب للخميني حتى قال عنه: فلذة كبدي، وهل ذكره لوقائع التعصب المذهبي الاثني عشرية - كما في المثال السابق - أحد عوامل هذا الإقصاء؟

(٣) ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة (ص ١٠٩).

اتهام الخلفاء الراشدين بأنهم نبذوا القرآن:

عن الخشاب، رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « لا والله! ولا يرجع الأمر والخلافة إلى آل أبي بكر وعمر أبدًا ولا إلى بني أمية أبدًا، ولا في ولد طلحة والزبير أبدًا، وذلك أنهم نبذوا القرآن وأبطلوا السنن وعطلوا الأحكام، وقال رسول الله ﷺ: « **القرآن هدى من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة وضياء من الأحداث، وعصمة من الهلكة** » [(١)].

وكيف يتهم الخلفاء الثلاثة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم بتحريف القرآن وهم ناقلو هذا الدين والمجاهدون الأوائل؟ قال الدكتور القفاري:

« وكيف يتصور مسلم مثل هذا في ذلك الجيل القرآني الفريد الذين بذلوا المهج وهجروا الأهل والولد، وفارقوا الأوطان في سبيل الله وحده؟! ولمصلحة من، وفي سبيل من يضحون بسابقتهم، وجهادهم، ويبيعون دينهم ودنياهم فيوافقوا أحدًا على المساس بدينهم وكتابهم؟! إن هذا لبهتان عظيم، بل الحق أن عمل عثمان هذا من أعظم مناقبه، ووقع بإجماع من الأمة، كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: « لا تقولوا في عثمان إلا خيرًا، فو الله ما فعل في المصاحف إلا عن ملأ منّا، فجزاه الله عن الأمة خيرًا [(٢)] » [(٣)].

وجاء في أسطورة إحياء علي لأحد الشباب من الموت أن من مات على سنة الخلفاء الراشدين ينقلب لسانه في قبره وتتغيّر لغته! تقول الرواية: « فخرج من قبره وهو يقول بلسان الفرس فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألم تمت وأنت رجلٌ من العرب، قال: بلى ولكنّا متنا على سنّة فلانٍ وفلانٍ فانقلبت ألسنتنا » [(٤)].

التشكيك في أولاد النبي ﷺ بسبب كراهة الخليفة الراشد الثالث:

ومن العجائب أن دائرة المعارف الإسلامية الشيعية جاءت لتشكك بوجود بنات للنبي ﷺ غير فاطمة رضي الله عنها!، فتقول: « ذكر المؤرخون أن للنبي ﷺ أربع بنات هن بحسب تسلسل ولادتهن: زينب – رقية – أم كلثوم – فاطمة. ولدى التحقيق في النصوص التاريخية لم نجد دليلًا على ثبوت بنوة غير الزهراء (ع) منهن، بل الظاهر أن البنات الأخريات

---

(١) أصول الكافي (٢/٦٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي داود بسند صحيح كما قاله ابن حجر في فتح الباري (١٣/١٨).

(٣) د. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١/٣٦٠).

(٤) أصول الكافي (١/٥٢٩)، كتاب الحجة، بابٌ في مولد النبي ﷺ ووفاته. سكت عنه محقق أصول الكافي.

كنّ بنات خديجة من زوجها الأول قبل محمد ﷺ »[(١)]. ولست أدري لماذا هذا التشكيك في حقائق التاريخ الثابتة، هل الهدف هو إنكار تزويج النبي ﷺ لبنتيه (رقية، ثم أم كلثوم) لعثمان ﷺ الخليفة الثالث؟.

ولا داعي في الرد على دائرة المعارف للنصوص الكثيرة التي ساقها أهل السنة في بيان أولاد النبي ﷺ وتبجيلهم واحترامهم، ولكن يكفي إيراد ما قاله الكليني الشيعي في الكافي عن النبي ﷺ: « وتزوّج خديجة وهو ابن بضع وعشرين سنةً فولد له منها قبل مبعثه ﷺ القاسم ورقيّة وزينب وأمّ كلثوم، وولد له بعد المبعث الطّيّب والطّاهر وفاطمة ﷺ وروي أيضًا أنّه لم يولد بعد المبعث إلا فاطمة ﷺ »[(٢)].

وفيه أيضًا: « لما ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ قال ﷺ: « **إني لأعرف ضعفها وسألت الله ﷺ أن يجيرها من ضمة القبر** »[(٣)].

وانظر هذا التناقض، أو توزيع الأدوار، يشكك بعض المحدثين منهم بينوة رقية للنبي ﷺ، ويتهم بعض متقدّميهم عثمان بقتله إياها! ففي الكافي عن أبي بصير.... عن الصادق: « إن رقية لما قتلها عثمان وقف رسول الله على قبرها... »[(٤)]. وهذا الاختلاف والتناقض يدلّ على اختلاق الروايتين. سبحانك! هذا بهتان عظيم.

روايات انتقام المهدي المنتظر من الشيخين:

ويروي بعض رواة الشيعة أن من أعمال المهدي المنتظر في آخر الزمان أن « يخرج أبا بكر وعمر من قبريهما ويصلبهما ويحرقهما »[(٥)].

وتفصيل ذلك في بحار الأنوار: عن أبي عبد الله: « يرد إلى قبر جده ﷺ فيقول: يا معاشر الخلائق، هذا قبر جدي رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم يا مهدي آل محمد فيقول: ومن معه في القبر؟ فيقولون: صاحباه وضجيعاه أبو بكر وعمر؟ فيقول وهو أعلم بهما والخلائق كلهم جميعًا يسمعون: من أبو بكر وعمر؟ وكيف دفنا من بين الخلق مع

---

(١) حسن الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية (١/٥٠) مادة: النبي محمد ﷺ.
(٢) أصول الكافي (١/٥١٠)، كتاب الحجة، بابٌ في مولد النبي ﷺ ووفاته.
(٣) الكليني: فروع الكافي، باب المسألة في القبر ومن يسأل ومن لا يسأل رقم (١٨)، وعنه عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٩٢).
(٤) الكليني: فروع الكافي، باب المسألة في القبر ومن يسأل ومن لا يسأل رقم (٨)، وعنه عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٣٩٢).
(٥) الأنوار النعمانية (٢/٨٥).

جدي رسول الله ﷺ، وعسى المدفون غيرهما. فيقول الناس: يا مهدي آل محمد ﷺ ما ههنا غيرهما، إنهما دفنا معه لأنهما خليفتا رسول الله ﷺ وأبوا زوجتيه، فيقول للخلق بعد ثلاث: أخرجوهما من قبريهما، فيخرجان غضين طريين لم يتغير خلقهما، ولم يشحب لونهما فيقول: هل فيكم من يعرفهما؟ فيقولون: نعرفهما بالصفة وليس ضجيعا جدك غيرهما، فيقول: هل فيكم أحد يقول غير هذا أو يشك فيهما؟ فيقولون: لا، فيؤخر إخراجهما ثلاثة أيام، ثم ينتشر الخبر في الناس ويحضر المهدي ويكشف الجدران عن القبرين، ويقول للنقباء: ابحثوا عنهما وانبشوهما.

فيبحثون بأيديهم حتى يصلوا إليهما. فيخرجان غضين طريين كصورتهما فيكشف عنهما أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة فيصلبهما عليها، فتحيى الشجرة وتورق ويطول فرعها، فيقول المرتابون من أهل ولايتهما: هذا والله الشرف حقًا، ولقد فزنا بمحبتهما وولايتهما، ويخبر من أخفى نفسه ممن في نفسه مقياس حبة من محبتهما وولايتهما، فيحضرونهما ويرونهما ويفتنون بهما، وينادي منادي المهدي عليه السلام: كل من أحب صاحبي رسول الله ﷺ وضجيعيه، فلينفرد جانبًا، فتتجزّأ الخلق جزأين أحدهما موالٍ والآخر متبرئ منهما. فيعرض المهدي عليه السلام على أوليائهما البراءة منهما فيقولون: يا مهدي آل رسول الله ﷺ نحن لم نتبرأ منهما، ولسنا نعلم أن لهما عند الله وعندك هذه المنزلة، وهذا الذي بدا لنا من فضلهما، أنتبرأ الساعة منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت، من نضارتهما وغضاضتهما، وحياة الشجرة بهما؟ بل والله نتبرأ منك وممن آمن بك ومن لا يؤمن بهما، ومن صلبهما، وأخرجهما، وفعل بهما ما فعل.

فيأمر المهدي عليه السلام ريحًا سوداء فتهب عليهم فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية. ثم يأمر بإنزالهما فينزلان إليه فيحييهما - بإذن الله تعالى - ويأمر الخلائق بالاجتماع، ثم يقص عليهم قصص فعالهما... حتى يقص عليهم قتل هابيل بن آدم عليه السلام، وجمع النار لإبراهيم عليه السلام، وطرح يوسف عليه السلام في الجب، وحبس يونس عليه السلام في الحوت، وقتل يحيى عليه السلام، وصلب عيسى عليه السلام، وعذاب جرجيس ودانيال عليهما السلام، وضرب سلمان الفارسي، وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لإحراقهم بها، وضرب يد الصديقة الكبرى فاطمة بالسوط، ورفس بطنها وإسقاطها محسنًا، وسمّ الحسن عليه السلام، وقتل الحسين عليه السلام، وذبح أطفاله وبني عمه وأنصاره، وسبي ذراري رسول الله ﷺ وإراقة دماء آل محمد ﷺ، وكل دم سفك، وكل فرج نكح

حرامًا، وكل رين وخبث وفاحشة وإثم وظلم وجور وغشم منذ عهد آدم عليه السلام إلى وقت قيام قائمنا عليه السلام. كل ذلك يعدده عليه السلام عليهما، لزمهما فيعترفان به ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت بمظالم من حضر، ثم يصلبهما على الشجرة، ويأمر نارًا تخرج من الأرض فتحرقهما والشجرة، ثم يأمر ريحًا فتنسفهما في اليم نسفًا.

قال المفضل: يا سيدي! ذلك آخر عذابهما؟ قال: هيهات يا مفضل، والله! ليردن وليحضرن السيد الأكبر محمد رسول الله ﷺ والصدّيق الأكبر أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محّض الإيمان محضًا أو محض الكفر محضًا، وليقتصن منهما لجميعهم، حتى أنهما ليقتلان في كل يوم وليلة ألف قتلة، ويردان إلى ما شاء ربهما »[1]. تلك أمانيهم!!.

موقف الاثني عشرية ممن حارب عليًا رضي الله عنه من الصحابة الكرام:

ويستغل بعض كتّاب الشيعة ما جرى بين الصحابة الكرام من أحداث لينالوا منهم، وكأنهم لهم أقران، وما هم كذلك، قال شبر: « وأما ما ذكرتم من تعرض من أشرتم إليه بذم بعض الصحابة؛ فأنتم تعلمون أن كثيرًا من الصحابة استحلّ بعضهم دماء بعض في حرب طلحة والزبير وعائشة لمولانا علي عليه السلام، وفي حرب معاوية له عليه السلام أيضًا، واستباحوا أعراض بعضهم لبعض حتى لعن بعضهم بعضًا على منابر الإسلام، فأولئك هم الذين طرقوا للناس اللعن عليهم، وبهم اقتدى من ذمهم أو نسب القبح إليهم، فإن كان لهم عذر في الذي عملوه من استحلال الدماء واستباحة الأعراض، فالذين اقتدوا بهم أعذر وأبعد عن أن تنسبوهم إلى سوء التعصب »[2].

ومع أن الله تعالى يقول: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وهو يعلم الضمائر، فإن كتّاب الشيعة لا يسرّهم أن يقبلوا ما نقلوه عن توبة من خالف عليًا رضي الله عنه في حربه كعائشة رضي الله عنها.

قال المفيد: « واجتمعت الشيعة على الحكم بكفر محاربي أمير المؤمنين عليه السلام، ولكنهم لم يخرجوهم بذلك عن حكم ملة الإسلام، إذ كان كفرهم من طريق التأويل كفر ملة، ولم يكفروا كفر ردة عن الشرع، مع إقامتهم على الجملة منهم وإظهار الشهادتين،

(١) المجلسي: بحار الأنوار (٥٣/١٢).

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (ص ٢٤٨). وهو ينقل عن ابن طاوس في كشف المحجة، الفصل الثالث والستين (ص ٦٣) ط إيران سنة (١٣٠٦هـ).

والاعتصام بذلك عن كفر الردة المخرج عن الإسلام، وإن كانوا بكفرهم خارجين عن الإيمان مستحقين اللعنة والخلود والنار » [(١)].

وقال الطوسي: (وأما من نفى عنهم الفسق فما قدمناه من الأدلة يفسد قولهم. وما تدعيه المعتزلة من الأخبار في توبة طلحة والزبير وعائشة فهي كلها أخبار آحاد لا يلتفت إليها، وليس أيضًا فيها تصريح بالتوبة. وأدل الدليل على عدم التوبة أنهم لو تابوا لسارعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام والدخول في عسكره والجهاد معه. فمما تعلقوا به رجوع الزبير عن الحرب، ونفس الرجوع ليس بدليل التوبة لأنه يحتمل غير التوبة، وقد قيل: إنه لما لاحت له أمارات الظفر لأمير المؤمنين عليه السلام وأيس من الظفر رجع، وقال قوم: إنه رجع ليتوجه إلى معاوية....

وما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: « بشّر قاتل ابن صفية بالنار » [(٢)] لا يدل على توبته أيضًا، لأنه يجوز أن يستحق قاتله النار لأمر سوى قتله... وما يروى من حديث البشارة أن النبي ﷺ قال: « **عشرة من أصحابي في الجنة وطلحة والزبير منهم** » لا يدل على توبتهم أيضًا، لأنه خبر واحد ضعيف مقدح في سنده [(٣)]. وأدلّ دليل على فساده أن النبي عليه السلام لا يجوز أن يقول لمن ليس بمعصوم: « أنت في الجنة لا محالة » لأن في ذلك إغراء بالقبيح. وقيل: أن راويه سعيد بن زيد، وهو أحد العشرة، فلا يقبل خبره؛ لأنه يشهد لنفسه. فأما ما روي من بكاء عائشة وتلهفها وتمنيها أنها كانت مدرة أو شجرة وقولها: « لئلا أكون شهدت ذلك اليوم أحب إلي من أن يكون لي من رسول الله ﷺ عشرة أولاد كعبد الرحمن بن الحارث بن هشام » لا يدل على التوبة؛ لأن مثل ذلك قد يقوله من ليس بتائب كما حكى الله عن مريم: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٣]. وقد يقول مثل هذا من أراد أمرًا لم يبلغه وفاته غرضه ويتحسّر عليه فيتمنى الموت عند ذلك، ويود أنه لم يتعرض له لئلا يشمت به، ولا يدل جميع ذلك على التوبة) [(٤)]!.

---

(١) الجمل (ص ٢٩، ٣٠)، مكتبة الدواوري - قم.

(٢) مسند أحمد (٨٩/١) عن علي رضي الله عنه، بسند حسن كما ذكر محقق المسند الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٣) هذا ما تشتهيه نفسه، بل الخبر الذي يتضمن بشارة العشرة المبشرين بالجنة صحيح عند أهل السنة، أخرجه الترمذي بسند صحيح: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، من حديثه ومن حديث سعيد ابن زيد، رقم (٣٧٤٧)، وأخرجه ابن ماجه في الإيمان وفضائل الصحابة، باب فضائل العشرة المبشرين بالجنة، وأخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح (١٨٧/١).

(٤) الطوسي: الاقتصاد الهادي إلى سبيل الرشاد (ص ٢٢٨ - ٢٣١) طبعة قم، (١٤٠٠هـ)، تحقيق الشيخ حسن سعيد.

وقد جاء في كتاب الأنوار النعمانية اتهامهم طلحة بن عبد الله ﷺ في نسبه، لا لشيء إلا لأنه - غفر الله له - حارب عليًا ﷺ، ولذلك قذفوه و « جعلوه ولد زنًا » [(١)].

مع أن الله تعالى بيّن إمكانية اقتتال المؤمنين - وإن كان لا يحب ذلك ولا يرضاه - فقال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩].

ولما وقف عبد الله شبر عند هذه الآية ارتبك حيث تدل - كما أقر هو - على جواز إطلاق الإيمان على من ارتكب بعض المعاصي فقال: « وأجيب بأنهم سموا مؤمنين باعتبار ما كانوا عليه،... وأجيب بجواز إرادة المعنى اللغوي من الإيمان الذي وصفوا به، ويكون المأمور به هو الشرعي » [(٢)]، مع أن المقرر في علم الأصول أن المعنى الشرعي مقدم على المعاني اللغوية والعرفية.

وعلى كلٍّ فإن موقف الشيعة في تكفير مقاتلي سيدنا علي ﷺ مخالف لنصوص أوردوها أنفسهم عن أئمتهم: « عن جعفر عن أبيه أنّ عليًا عليه السلام لم يكن ينسب أحدًا من أهل حربه إلى الشّرك، ولا إلى النّفاق، ولكنّه يقول: هم بغوا علينا » [(٣)].

ولكن عقيدة التقية عندهم تجعل دينهم دين الشيوخ لا دين الأئمة، فقد قال الحر العاملي في التعليق على النص السابق: « أقول: هذا محمول على التّقية » [(٤)].

وكذلك جاء في كتاب أمير المؤمنين عليّ إلى أهل الأمصار يذكر فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين: « وكان بدء أمرنا التقينا والقوم من أهل الشّام، والظّاهر أنّ ربّنا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتّصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء » [(٥)].

وقد أنكر عليٌّ على من يسب معاوية ومن معه فقال: « إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين،

---

(١) الجزائري: الأنوار النعمانية (٦٥/١).

(٢) عبد الله شبر: حق اليقين (٥٥٦/٢)، وذلك في معرض مناقشته لمسألة معنى الإيمان والكفر.

(٣) انظر: قرب الإسناد (ص ٦٢)، ووسائل الشّيعة (٦٢/١١).

(٤) وسائل الشّيعة (٦٢/١١).، وانظر: د. ناصر بن عبد الله القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٩٣٤/٢).

(٥) نهج البلاغة (ص ٤٤٨).

ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إياهم: اللّهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم » (١).

موقف الشيعة من أم المؤمنين عائشة ﷺ:

ومعلوم أنه قد يحصل بين المؤمنين من الخصام والمنافرة ما لا يسقط إلا قبيل دخول الجنة، فقد قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧]، وأمرنا أن ندعوه أن يسلل سخائم صدورنا ونقول ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

ولا ينكر عاقل أن عليًا ﷺ اختلف مع أم المؤمنين عائشة ﵂، وحادثة الجمل مشهورة بينهما.

أما خروجها يوم الجمل فقد كان له ملابساته التاريخية، وإن كان الباحث يقف مع علي أمير المؤمنين في موقفه، ويخطّئ اجتهاد أم المؤمنين الذي ثبت ندمها عليه بعد ذلك، ولكن هل يدعو هذا إلى نكران فضلها، والتنقّص من زوج النبي ﷺ؟ أم الواجب الاستغفار لها والترضّي عنها، بناء على منهج القرآن: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠]؟.

خصوصًا إذا تذكرنا ما مرّ في روايات الاثني عشرية أنفسهم من ندمها على خروجها وقولها: « لئلا أكون شهدت ذلك اليوم أحب إلي من أن يكون لي من رسول الله ﷺ عشرة أولاد » (٢).

ولكن روايات الشيعة اتجهت غير هذا الاتجاه، فجمعت بين زوجة النبي عائشة، وزوجتي نوح ولوط الكافرتين:

عن زرارة عن أبي جعفرٍ ﵇ قال: قلت له: « فما تقول في مناكحة النّاس فإنّي قد بلغت ما تراه وما تزوّجت قطّ؟ فقال: وما يمنعك من ذلك؟ فقلت: ما يمنعني إلا أنّني أخشى أن لا تحلّ لي مناكحتهم فما تأمرني... فقال لي: قد كان رسول الله ﷺ تزوّج،

(١) نهج البلاغة (ص ٣٢٣).

(٢) الطوسي: الاقتصاد الهادي إلى سبيل الرشاد (ص ٢٢٨ - ٢٣١) طبعة قم مكتبة جامع جهلستون (١٤٠٠هـ) تحقيق الشيخ حسن سعيد.

وقد كان من أمر نوح وامرأة لوط ما كان... وقد زوّج رسول الله ﷺ فلانًا [(١)] » [(٢)].

فأنت تلاحظ في الرواية الربط بين امرأة نوح ولوط عليهما السلام، وبين أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، وشتان بين الفريقين، ولكن هكذا فهم شرّاح حديث الاثني عشرية، قال المازندراني: « أي تزوج ﷺ عائشة وحفصة وفعلتا بالنفاق واستبطان الكفر وعدم الإخلاص له ﷺ ما فعلتا وآذتاه بما غاظه وكرهه كما هو مذكور في القرآن » [(٣)]!.

وتتهم رواية أخرى أم المؤمنين عائشة ووالدها بأنهما هتكا حجاب النبي ﷺ:

عن محمّد بن مسلم قال سمعت أبا جعفرٍ عليه السلام يقول: « لمّا حضر الحسن بن علي عليهما السلام الوفاة قال للحسين عليه السلام يا أخي!... اعلم أنّه سيصيبني من عائشة ما يعلم الله والنّاس صنيعها وعداوتها لله ولرسوله وعداوتها لنا أهل البيت... قال لها الحسين عليه السلام: قديمًا هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله ﷺ وأدخلت عليه بيته من لا يحبّ قربه، وإنّ الله سائلك عن ذلك يا عائشة » [(٤)].

وتزعم الرواية السابقة أن عائشة رضي الله عنها رفضت دفن الحسن إلى جانب جده ﷺ [(٥)].

---

(١) شرحه المحقق بأنه عثمان فيا عجبًا كيف يشرحون ما يزيد المسلمين خلافًا مع أنهم يقولون: إن الحديث مجهول.. فهذا الحديث ألا يحتاج من المعاصرين استنكارًا له، لا مجرد الحكم بجهالته، أولًا، ثم شرحه والتعليق عليه بما يزيده إيضاحًا ويزيد الأمة تشتيتًا.

(٢) أصول الكافي (٣٨٣/٢، ٣٨٤) كتاب الإيمان والكفر، باب الضلال، قال محققه: والحديث مرسل.

(٣) المازندراني: شرح أصول الكافي (١٠٦/١٠).

(٤) أصول الكافي (٣٥٧/١)، كتاب الحجة، باب الاشارة والنّصّ على الحسين بن عليّ عليهما السلام، أشار المحقق إلى ضعفه.

(٥) أصول الكافي، باب الاشارة والنّصّ على الحسين بن عليّ عليهما السلام ووفاته.سكت عنه محقق أصول الكافي. وفيه: « بلغ عائشة الخبر وقيل لها: إنّهم قد أقبلوا بالحسن بن عليّ ليدفن مع رسول الله فخرجت مبادرةً على بغلٍ بسرجٍ، فكانت أوّل امرأةٍ ركبت في الإسلام سرجًا، فوقفت وقالت: نحّوا ابنكم عن بيتي، فإنّه لا يدفن فيه شيءٌ، ولا يهتك على رسول الله حجابه فقال لها الحسين بن عليّ – صلوات الله عليهما –: قديمًا هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله وأدخلت بيته من لا يحبّ رسول الله قربه، وإنّ الله سائلك عن ذلك يا عائشة... فمضى الحسين عليه السلام إلى قبر أمّه ثمّ أخرجه فدفنه بالبقيع ».
وهذه الرواية تخالف ما ذكره المؤرخون، من أن عائشة رحّبت بدفن الحسن عند جده ﷺ ولكن الأمويين هم الذين منعوا ذلك، ويشهد لهذا أن أبا هريرة ناقش مروان في ذلك، « عن الوليد بن رباح قال: سمعت أبا هريرة يقول لمروان حين أرادوا أن يدفنوا الحسن عند جده: تدخل فيما لا يعنيك، وكان الأمير يومئذ غيره، ولكنك تريد رضا الغائب » (ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤٤١/٧).
ثم روايتهم هذه تخالف ما رواه المحدثون بأنها في الأصل أعطت المكان المخصص الباقي في غرفتها للدفن لعمر =

ويرى الاثنا عشرية أن من أعمال مهديهم المنتظر أن يقيم الحد على أم المؤمنين عائشة: عن أبي جعفر قال: « أما لو قام قائمنا، وردت إليه الحميراء، حتى يجلدها الحد وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة » (١).

جاء في تفسير القمي: « وليقيمن الحد على فلانة فيما أتت في طريق... وكان فلان يحبها، فلما أرادت الخروج إلى... قال لها فلان لا يحل لك أن تخرجي من غير محرم، فزوجت نفسها من فلان » (٢).

وأي حد يقام على أم المؤمنين التي برأها الله من فوق سبع سماوات؟ ومعلوم أن متطرفي كتّاب الاثني عشرية كالقمي يعبر بفلانة عن أم المؤمنين؛ ولذلك كان تفسيره معدودًا من التفاسير الغالية، ومع ذلك فهو مطبوع متداول، ويثني عليه بعض علماء الشيعة، وهذه الأغاليط وحدها كفيلة بأن يتبرأ منه، ويحذّر من تفسيره المليء بالغلو.

بل يتهم العياشي والكاشاني والمشهدي في تفاسيرهم أمّ المؤمنين عائشة وحفصة بأنهما سقتا النبي ﷺ السم!! « عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتدرون مات النبي ﷺ أو قتل، إن الله يقول: ﴿ .. أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ .. ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. ثم قال: إنهما سقتاه قبل الموت، يعني المرأتين لعنهما الله وأبويهما » (٣).

= ابن الخطاب، ولعله الأرجح، ففي صحيح البخاري (١٣٥٣/٣) كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان، رقم (٣٤٩٧). أن عمر قال لما طعن: « يا عبد الله بن عمرا.. انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا وقل يستأذن عمر ابن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه. فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر ابن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرن به اليوم على نفسي. فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه. فقال: ما لديك، قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت ». والتاريخ يصدّق هذا، حيث لم يدفن في الحجرة الشريفة أحد بعد عمر، حتى عائشة نفسها، دفنت رضوان الله عليها في البقيع.

(١) المجلسي: بحار الأنوار، الصدوق: علل الشرائع (ص ٣٠٣) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - لبنان.

(٢) القمي: تفسير القمي (٣٧٧/٢) تفسير سورة التحريم الآية (٥ - ١٠). وبعض الأماكن الفارغة في النص هكذا وردت في الأصل مما يدل على التقية. وقد ورد النص في بحار الأنوار فوضع المجلسي مكان الفراغ كلمة (البصرة)، وقد علمنا أن المجلسي كان في زمن الصفويين وصولة وجولة الاثني عشرية فلا حاجة للتقية إذن في عصره.

(٣) تفسير العياشي (٣٤٢/١)، والفيض القاشاني: التفسير الصافي (٣٨٩/١). ونص بحار الأنوار: « يستعجلا ذلك على أن يسقياه سمًا »، والميرزا محمد المشهدي (ت حوالي ١١٢٥هـ): تفسير كنز الدقائق (٢٥١/٢)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم (١٤٠٧هـ).

مع أن كتب الشيعة تروي حديثًا مناقضًا لرواية هؤلاء المفسرين مفاده أن النبي ﷺ مات متأثرًا بسمّ المرأة اليهودية في خيبر. قال الصدوق: « واعتقادنا في النبي ﷺ أنه سمّ في غزوة خيبر، فما زالت هذه الأكلة تعاوده حتى قطعت أبهره فمات منها » (١) . وهذا مصداق حديث صحيح أخرجه البخاري رحمه الله تعالى (٢).

وهكذا يتضارب أسلوبان عند كتّاب الاثني عشرية: **الأسلوب الأول**: أسلوب دسّ ووضع الأخبار لتبغيض الأتباع بصحابة النبي والمخالفين، **والأسلوب الثاني**: جمع الأخبار والتقاطها من كتب المخالفين، وكثيرًا ما يخفى على أصحاب الأسلوب الثاني ما وضعه أصحاب الأسلوب الأول!.

وجاء في تفسير العياشي وبحار الأنوار والصافي: في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا.. ﴾ [النحل: ٩٢]: « عائشة هي التي نكثت إيمانها » (٣).

وروى المجلسي رواية تقشعر منها الأبدان، تسيء إلى النبي ﷺ كما تسيء إلى آل بيته الكرام، تقول الرواية المكذوبة: قال علي: « سافرت مع رسول الله ﷺ ليس له خادم غيري، وكان له لحاف ليس له لحاف غيره، ومعه عائشة، وكان رسول الله ﷺ ينام بيني وبين عائشة، ليس علينا ثلاثتنا لحاف غيره، فإذا قام إلى صلاة الليل يحط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتى يمس اللحاف الفراش الذي تحتنا » (٤).

مع أنهم رووا عن جعفر الصادق أنه أفتى فيمن يوجد مع امرأة تحت لحاف واحد أنهما يجلدان مائة جلدة (٥). فيلزمهم استحقاق علي وعائشة لهذا الحد عليهما؟؟!!

---

(١) الشيخ الصدوق: الاعتقادات في دين الإمامية (ص ٧٢)، والأبهر، وزان أحمر: عرق في الظهر.

(٢) في صحيح البخاري (كتاب المغازي: باب مرض النبي ووفاته، رقم ٤١٦٥): كان ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: « يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم ».

(٣) التفسير العياشي (٢٢/٣)، المجلسي: بحار الأنوار (٢٨٦/٣٢)، الفيض القاشاني: التفسير الصافي (١٥٤/٣).

(٤) كتاب سليم بن قيس (ص ٢٢١)، بحار الأنوار (٢٩٧/٣٨، ٣١٤) و (١/٤٠).

(٥) انظر: الكافي (١٨٢/٧)، تهذيب الأحكام (٤٠/١٠)، الاستبصار (٢١٣/٤)، وسائل الشيعة (٣٤٨/٢٠)، مستدرك الوسائل (٣٣٩/١٤) باب تحريم الخلوة بامرأة أجنبية تحت لحاف واحد، بحار الأنوار (١٣٠/٧٣) و (٥٧/٧٦ - ٩٣)، من لا يحضره الفقيه (٢٣/٤). لكن المجلسي فرق بين الليل والنهار فزعم أنه إذا وجد رجل مع امرأة ليلًا تحت لحاف واحد فلا حد عليهما، وأما في النهار فيقام عليهما الحد. (بحار الأنوار ٩٤/٧٦).

ومهما ضعّف علماء الشيعة من هذه الروايات ما ضعّفوا، أو أوّلوا من هذه الروايات ما أوّلوا، فإن هذا الكم الهائل من الروايات التي شحنت بها هذه الكتب يجعلها فوق التأويل والتضعيف، لأنها أمست بكثرتها منهجًا عامًّا يتخذ من صحابة النبي ﷺ.

ذم عامة الصحابة الكرام:

ولم يكتف الاثنا عشرية بشتم وذم الخلفاء الراشدين الثلاثة، وأم المؤمنين عائشة،بل توسعوا بالشتم لكثير من الصحابة الكرام، حملة الدين ودعاة الإسلام الأوائل، ومن هؤلاء الكرام:

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

تتهم روايةٌ أبا عبيدة بأنه كتب كتابًا فيه التآمر على آل البيت لمنعهم حقوقهم، مع أنه رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة، وأمين هذه الأمة، وأحد الدعاة وقادة الفتوح الإسلامية. قال المجلسي: « هو عامر بن عبد الله بن الجراح من رؤساء المنافقين، وكان كاتب الصحيفة الملعونة التي كتبوها ودفنوها في الكعبة، وكان فيها ميثاقهم ألا يصيروا الأمر في علي بعد النبي ﷺ وهذا المراد بإبرامهم أمرًا » (١). يشير إلى قوله تعالى في حق الكافرين الخالدين في جهنم: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٩]!.

العباس وابنه عبد الله رضي الله عنهما:

وعلى الرغم من أن العباس عم علي رضي الله عنه وابنه عبد الله ابن عمه، فالروايات تذكرهما بالسوء:

فقد « جاء رجل إلى علي بن الحسين عليهما السلام فقال له: إن ابن عباس يزعم أنه يعلم كل آية نزلت في القرآن في أي يوم نزلت وفيمن نزلت. فقال أبي عليه السلام: سله في من نزلت: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢]؟ وفيمن نزلت: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ.. ﴾ [هود: ٣٤] وفيمن نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ.. ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

فأتاه الرجل فسأله فقال: وددت أن الذي أمرك بهذا واجهني به، فأسأله عن العرش مم خلقه الله، ومتى خلق، وكم هو، وكيف هو؟ فانصرف الرجل إلى أبي عليه السلام فقال أبي: فهل أجابك بالآيات؟ قال: لا، قال أبي: لكن أجيبك فيها بعلم ونور غير المدعى

---

(١) مرآة العقول (٥/٥٠). وانظر الخبر عند الكليني: أصول الكافي (٤٨٩/١) كتاب الحجة، باب في نكت ونتف..

ولا المنتحل، أما قوله: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢] ففيه نزل وفي أبيه، وأما قوله: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ.. ﴾ [هود: ٣٤] ففي أبيه نزلت » (١).

خالد بن الوليد ﷺ:

لقد دخل خالد بن الوليد ﷺ التاريخ من أوسع أبوابه في جهاده في فتوح الإسلام، وملأت أخبار شجاعته وحنكته العسكرية الخافقين، ونال وسام تسميته بأنه (سيف من سيوف الله) كما جاء عن النبي ﷺ في أحداث مؤتة، وأن النبي ﷺ قال في حقّه: **«.. حتى أخذ الرايةَ سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم »** (٢)، ولذلك اشتهر خالد بين الصحابة بهذا اللقب؛ فعن ابن عباس ﷺ: « أن خالد بن الوليد الذي يقال له سيف الله أخبره أنه... » (٣).

ولكن هذه النصوص لا تروق للحلِّي، فيتغافل عنها ويقول: سموا خالد بن الوليد سيف الله عنادًا لأمير المؤمنين ﷺ الذي هو أحق بهذا الاسم؛ حيث قتل بسيفه الكفار... وقال ﷺ على المنبر: « أنا سيف الله على أعدائه، ورحمته لأوليائه، وخالد لم يزل عدوًا لرسول الله مكذبًا له، وهو كان السبب في قتل المسلمين في يوم أحد، وفي كسر رباعية النبي ﷺ وفي مقتل حمزة عمه » (٤). وهكذا يحاكم ابن المطهر الحلي خالدًا على ما كان منه قبل إسلامه، مع أن الإسلام يجبّ ما قبله (٥).

ذم روايات الاثني عشرية للأنصار ﷺ:

وإذا صح – عند أهل السنة – عن النبي ﷺ: **« آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار »** (٦). فإن الاثني عشرية يجعلون من الأنصار خصومًا لهم.

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار (٢٨٩/٢٢).

(٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة، رقم (٤٠١٤).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ لا يأكل حتى يسمى له فيعلم ما هو، رقم (٥٠٧٦).

(٤) الحلي: منهاج الكرامة (ص ٧٩، ٨٠).

(٥) جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٠٤/٤): عن عمرو بن العاص ﷺ قال قلت: يا رسول الله أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي، فقال رسول الله ﷺ: « إن الإسلام يجبّ ما كان قبله، وإن الهجرة تجبّ ما كان قبلها ».

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار رقم (٣٥٧٢)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان، رقم (٧٤).

فمع أن الكليني نقل أن جعفرًا الصادق شتم محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي (النفس الزكية) ورفض البيعة له لما ثار على الأمويين، فإن الكليني ينقل أيضًا لوم جعفر للأنصار على خذلان محمد بن عبد الله بن الحسن: فقال: « لعنكم الله يا معاشر الأنصار ثلاثًا، ما على هذا عاهدتم رسول الله ﷺ ولا بايعتموه، أما والله إن كنت حريصًا ولكنّي غلبت وليس للقضاء مدفعٌ »[1]، وفي رواية أخرى: « إن الناس عادوا بعدما قبض رسول الله ﷺ أهل جاهلية، وإن الأنصار اعتزلت فلم تعتزل بخير، جعلوا يبايعون سعدًا وهم يرتجزون أرجاز الجاهلية »[2].

وفي روايات الاثني عشرية كثير من الروايات في ذم غير هؤلاء من الصحابة، ففي ذم معاوية وعمرو بن العاص وغيرهما ما لا يحصى من الروايات[3].

وهذا الافتراء على الصحابة لم ينقطع، وما يزال مستمرًا، فيتهم بعض كتّاب الشيعة المعاصرين الصحابة بالكذب على النبي ﷺ: يقول أحدهم: « ولعل راويًا كسمرة ابن جندب يفتري أحاديث تمس من كرامة أمير المؤمنين علي (ع)، ولعل راويًا لا يمتنع أن يروي آلاف الأحاديث في فضل الحكام الجائرين وحسن سلوكهم عن طريق أعوان الظلمة علماء البلاط تمجيدًا للسلاطين »[4].

ويتخذ بعض الاثني عشرية من رواية ذود بعض الصحابة عن حوض النبي ﷺ[5] متكأً للقول بارتدادهم، وقد قال الخطابي: « إنما وقع - أي الارتداد - لبعض جفاة العرب، ولم يقع من أحد الصحابة المشهورين »[6].

---

(١) أصول الكافي (٤٢٣/١) كتاب الحجة، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة.

(٢) الكافي (٢٩٥/٨). وانظر: بحار الأنوار (٣٤٧/٣٥، ٣٤٨).

(٣) انظر: (حق اليقين في معرفة أصول الدين) إذ يخصص عبد الله شبر الصفحات من (ص ٢٤٧ إلى ص ٢٥٠) ليتحدث عن لعن معاوية ثم عن مثالب الصحابة الكرام!.

(٤) روح الله الخميني: الحكومة الإسلامية (ص ٦٠).

(٥) وقد جاء تفصيل ذلك في كتب السنة؛ ففي صحيح البخاري قال رسول الله ﷺ: « ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصيحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧]. فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧] رقم (٤٣٤٩).

(٦) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٢٨٦/٨).

وفي الحقيقة يشفق المرء على عقول هؤلاء الذين يسمعون هذه الروايات وأضعافها في ذم الصحابة كأبي بكر الخليفة الراشدي الأول وعمر ﷺ ناشر الإسلام وقاهر الأكاسرة، والمهاجرين والأنصار كتيبة النبي وخاصّة أصحابه، وتأخذه الحيرة في شأن هؤلاء العوام الذين يأخذون كتاب الكليني وسليم بن قيس مأخذ التصديق، دون تمحيص أو مقارنة بما ورد في صحاح أهل السنة عن هؤلاء الصحابة الكرام، من محبتهم للنبي وآل بيته ﷺ وخدمتهم لهذا الدين.

وقد قلت مرات عديدة في حوارات مع بعض هؤلاء: لو ثبت أن عمر ﷺ فعل هذه الأفاعيل المنكرة - وحاشاه - لكنت من المبغضين له والمنكرين لبيعته، ولكن هذا لم يثبت، وقد تنزّلت في الحوار معهم إلى درجة أن قلت: هب أنه وصلك عن رجل خبران: أحدهما يقول بعدالته، والآخر يجرّحه، ولم يكن عندك مرجّح بين الخبرين؟ أليس الجدير بك أن تتحرى الحق من الخبرين، فإن عجزت احتطت لدينك فلم تقع في عرض هذا الرجل، فلئن يخطئ القاضي في المكافأة فيصرفها إلى غير أهلها أهون من أن يوقع العقوبة على غير أهلها. ثم هب أنه ثبت عندك مذمة شخص ما، فهل يكون من الحق والصواب أن تتخذ شتمه دينًا وديدنًا؟

وهل يأثم المرء إذا ترك شتم إبليس أبي الشرور والآثام؟. فأقل القليل في حق الصحابة - رضوان الله عليهم - أن نقول ما قاله تعالى في كتابه: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤]، والموقف الجدير بأهل الإسلام أن نذكر محاسنهم ونكف عن زلاتهم - لو ثبتت - لنكون ممن قال ربنا ﷻ عنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

قال الإمام الشعبي: « سئلت اليهود: من خير أهل ملّتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى: من خير أهل ملّتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ. أمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم »[1].

فبأي منطق يشتم أصحاب النبي ﷺ في حين تجيز الروايات ملاطفة غير المسلمين عند الحاجة: فعن عبد الرحمن بن الحجاج قال: قلت لأبي الحسن موسى ﷺ: أرأيت إن احتجت إلى الطبيب وهو نصراني أن أسلم عليه وأدعو له؟ قال: نعم، إنه لا ينفعه

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (١/ ٢٧).

دعاؤك »[١]. ألا يستحق مليار وربع من المسلمين اليوم ملاطفتهم ومنع إيذائهم بمنع شتم رموزهم وسلفهم من الصحابة والتابعين؟!.

ألا يراعي هؤلاء القوم أن أهل السنة قد « أجمعوا على أن خير القرون قرن الصحابة، ثم الذين يلونهم، وعلى أن خير الصحابة أهل بدر، وخير أهل بدر العشرة، وخير العشرة الأئمة الأربعة، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم، وأن إمامتهم كانت عن رضًا من جماعتهم، وأن الله ألّف قلوبهم على ذلك لما أراده من استخلافهم جميعًا بقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا.. ﴾ [النور: ٥٥] »[٢].

فإذا لم يكن الموعودون بالاستخلاف في الأرض - والذين حقق الله لهم الاستخلاف كما وعد - هم الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار، فمن يكونون إذن؟.

والمرء يلمح من حكمة الله - تعالى - ولطيف قدره: ترتيب خلافة الراشدين الأربعة على ما وقع في التاريخ، بحيث لو غيّر الترتيب في خلافتهم لما تمت الخلافة لجميعهم، « فجمع الله قلوب المؤمنين على ترتيبهم في التقديم، من قبيل أنهم لو قدموا عمر على الجماعة لخرج أبو بكر عما وعد الله به، وكذلك لو قدموا عثمان لخرج أبو بكر وعمر، لأن الله قد علم أنه يبقى بعدهما، وأنهما يموتان قبله، وكذلك لو قدم عليٌّ جميعهم لخرجوا من الوعد بعلم الله أنهم يموتون قبل موته »[٣].

ولقد جاءت وصية النبي ﷺ تنهى عن سب أصحابه، فقد قال ﷺ: « **لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده! لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه** »[٤].

أما ما ثبت في التاريخ من شتم الصحابة بعض إخوانهم؛ فإن هذا لا يجيز لمن جاء

---

(١) أصول الكافي (٢/٦١٥)، كتاب العشرة، باب ما يجب من المعاشرة، صححه المحقق.

(٢) الأشعري: أصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة أهل الثغر (ص ١٠٠)، تحقيق الأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند.

(٣) الأشعري: رسالة أهل الثغر (ص ١٠٠).

(٤) حديث متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب: قول النبي (لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر، رقم (٣٤٧٠)، ومسلم في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة ﷺ رقم (٢٥٤٠).

بعدهم أن يشتمهم، فإنّ الكبار إن اختلفوا وتشاتموا؛ لم يحلّ للصغار أن يدخلوا بينهم، فلو أنّ الأب والعمّ اختلفا فتشاتما، لم يجز للولد أن يتخذ ذلك ذريعة لشتم أبيه أو عمّه، ولو فعل ذلك لأدّب وعوقب.

وإذا كان النبي ﷺ يشير إلى ترفّع المؤمن عن اللعن والطعن والفحش بقوله: « **ليس المؤمن بالطعان واللعان ولا البذيء ولا الفاحش** » (١). فكيف الحال إذا كان المشتوم صحابيًّا؟!

قال الإمام أحمد بن حنبل: « إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب النبي ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام... ومن شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب ويحبس... » (٢).

قال الإمام النووي: « واعلم أن سب الصحابة ﷺ حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأوّلون... قال القاضي: وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل، وقال بعض المالكية: يقتل » (٣).

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]: « قد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سبّهم أو أبغض أو سبّ بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة ﷺ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم، عياذًا بالله من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبّون من رضي الله عنهم؟ » (٤).

« والواقع أن التشكيك في عدالة الصحابة ﷺ لا ينتج إلا التشكيك في الدين

---

(١) صحيح ابن حبان (٤٢١/١) رقم (١٩١)، مؤسسة الرسالة (ط٢)، (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) تحقيق شعيب الأرناؤوط، وأخرجه أحمد في مسند عبد الله بن مسعود ﷺ (٤٠٥/١).

(٢) ابن تيمية: الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص ٤٣٥)، تحقيق حمزة النشرتي، عبد الحفيظ فرغلي، عبد الحميد مصطفى، يطلب من مكتبات الأهرام.

(٣) شرح صحيح مسلم (٩٣/١٦). (٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥٠٥/٢).

وأصوله؛ لأن الدين كله حتى القرآن الكريم لم يصل إلينا إلا بواسطة هؤلاء الصحابة، فلو ارتفعت الثقة عنهم - والعياذ بالله - لارتفع الأمان عن النصوص ولتزعزع بنيان الدين »[١].

إن المتأمل لمواقف الفرق من بعضها بعضًا يرى أن موقف أهل السنة هو أكثرها تسامحًا، وهو موقف اقتفى فيه أهل السنة أثر علي ﷺ ذاته في معاملته لمن خالفه.

وكما أن أهل السنة وسط بين اليهود والنصارى في عقيدتهم في عيسى ﷺ، فلم يرفعوه فوق قدره كالنصارى، ولم ينزلوه عن مكانته ويتهموه ويتهموا أمه كاليهود، فهو عبد الله ورسوله؛ فكذلك هم وسط بين الخوارج والاثني عشرية في أمر علي وباقي الصحابة ﷺ. فأهل السنة ليسوا كالخوارج في تكفيرهم عليًا وبعض الصحابة، ولا كالاثني عشرية في غلوهم في علي والأئمة وتكفيرهم كثيرًا من الصحابة.

أما الخوارج والاثنا عشرية والمعتزلة فمقالاتهم في الصحابة لون آخر؛ فالخوارج تكفر عليًا وعثمان ومن والاهما، والاثنا عشرية تكفر جمهور الصحابة كالخلفاء الثلاثة ومن والاهم وتفسّقهم، وينسبون العصمة إلى علي، ويفضّلون من قاتل معه كمحمد بن أبي بكر والأشتر النخعي على أبي بكر وعمر وعثمان وجمهور الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين قاتلوا المشركين مع النبي محمد ﷺ ونصروا دينه ودعوته[٢]!.

فعقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام هي الوسطية التي جاء بها الإسلام؛ إذ ترعى حق كل الصحابة ﷺ، من غير مغالاة وادعاء للعصمة فيهم، ولا تقصير ولا انتقاص من حقهم، رضوان الله عليهم أجمعين.

موقف آل البيت ممن ادعى اتباعهم وإمامتهم؟

إذا كان هذا هو حال صحابة النبي ﷺ في روايات الشيعة، فما هو حال أتباع الأئمة وأصحابهم؟ هل يستحقون أن يكونوا قدوة للناس مكان صحابة النبي ﷺ؟، ذلك أننا لو سألنا علماء الشيعة: ما هو البديل لجيل الصحابة الذي جرّحتموه، وحكمتم بردته، وفسقه وخنوعه للظلمة؟ أأصحاب الأئمة كانوا مثالًا للأجيال يقتدى به في كل زمان ومكان؟

إن تاريخ الشيعة أنفسهم يخبرنا أن أصحاب آل البيت لم يكونوا أحسن حالًا مما حكاه الشيعة عن الصحابة الكرام.

---

(١) الشيخ تقي الدين العثماني: تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم (٣٥/٥).

(٢) انظر: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٥٤٣/١ - ٥٤٥).

فكتب الشيعة أنفسهم تثبت تجريح الأئمة لمن ادعى أنه من أتباعهم، والروايات الشيعية تذكر لنا تأفف علي ﷺ وتململه من صحابته، حتى أنشأ فيهم دواوين العتاب والتأنيب، واسمع له وهو يقول لهم:

« ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلًا ونهارًا، وسرًّا وإعلانًا، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله! ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلّوا. فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنّت الغارات عليكم وملكت عليكم الأوطان... فيا عجبًا والله! يميت القلب ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، فقبحًا لكم وترحًا، حين صرتم غرضًا يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون. وتُغْزَوْنَ ولا تَغْزُون. ويُعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم: هذه حَمَارّة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارًا من الحرّ والقرّ! فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرّون، فإذن أنتم والله من السيف أفرّ!

يا أشباه الرجال! ولا رجال. حلوم الأطفال، وعقول ربّات الحجال.

لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم. معرفة والله جرّت ندمًا وأعقبت سدمًا، قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحًا، وشحنتم صدري غيظًا، وجرّعتموني نغب التهمام أنفاسًا، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم! وهل أحد منهم أشد لها مراسًا وأقدم فيها مقامًا مني؟! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين. ولكن لا رأي لمن لا يطاع » [(١)].

ومن طالع التاريخ يعلم أن عليًا ﷺ كان صاحب الحق الشرعي بالخلافة، وأنه أقرب الطائفتين إلى الحق، ولكن مصيبته كانت في كثير من جنده العاصين لأوامره، والمتخاذلين عن نصرته، كما تذكر روايات الاثني عشرية.

في حين كان أصحاب النبي ﷺ أطوع له من بنانه. فاسمع إليهم، وقد استشارهم في أمر القتال يوم بدر فقالوا: « يا رسول الله! والذي نفسي بيده! لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْك الغماد لفعلنا، قال: فندب

(١) نهج البلاغة (١/٦٨ - ٧٠)، وانظر: الكليني: الكافي (٥/٥). (حمارّة القيظ): شدة حر الصيف. (نغب): النغبة: الجرعة، نغب الريق: ابتلعه. (القاموس المحيط، مادة: نغب)، (التهمام): الهم.

رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا » (١).

ونحن والله لا نرمي أصحاب علي - رحمهم الله تعالى - بشيء، ولكن نستنطق نصوص الاثني عشرية. فاسمع إلى روايتهم عن علي ﷺ وهو يقول في تأنيبهم:

« كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة، والثياب المتداعية، كلما حيصت من جانب تهتّكت من آخر، أكلما أطل عليكم منسر من مناسر أهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه وانجحر انجحار الضبّة في جحرها والضبع في وجارها.

الذليل والله من نصرتموه، ومن رمي بكم فقد رمي بأفوق ناصل (٢). إنكم والله لكثير في الباحات، قليل تحت الرايات، وإني لعالم بما يصلحكم، ويقيم أودكم، ولكني والله! لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي » (٣).

ولم يكن أصحاب الحسن بن علي ﷺ أحسن حالًا؛ إذ لم يحسنوا صحبته. وانظر إليهم وقد خذلوه في حربه، وسرقوا متاعه، وجرحوه، حتى ألجؤوه إلى مبايعة أهل الشام الذين لو علموا حوله رجالًا ما تجرؤوا على قتاله، ثم جاء هؤلاء الأتباع يلومونه على مصالحته جند الشام بعد ذلك، مع أنهم ادعوا عصمته! ومن كان معصومًا فلا يلام ولا يناقش.

لقد « بويع الحسن بن علي ثم غدر به، ووثب عليه أهل العراق، حتى طعن بخنجر في جنبه، فوادع معاوية » (٤).

وعن ابن وهب الجهني قال: لما طعن الحسن بن علي عليه السلام بالمدائن أتيته وهو متوجع فقلت: ما ترى يا ابن رسول الله؟ فإن الناس متحيرون. فقال: أرى - والله - معاوية خيرًا لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي، وأخذوا مالي، والله! لأن آخذ من معاوية عهدًا أحقن به دمي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي، والله! لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلمًا.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المغازي، باب غزوة بدر، رقم (١٧٧٩) وبرك الغماد: موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل، وقيل: بلدتان، وقال القاضي وغيره: هو موضع بأقاصي هجر.

(٢) البكر: الفتى من الإبل، والعمدة - بفتح العين وكسر الميم -: الإبل التي انفضخ داخل سنامها من كثرة الركوب وظاهرها سليم، حيصت: خيطت، (تهتّكت): تخرّقت وتمزّقت، المنسر - كمجلس -: القطعة من الجيش، والوجار: جحر الضبع، والسهم الأفوق الناصل: المكسور مكان موضع الوتر منه، والمنزوع النصل، فلا أثر له في الرمية.

(٣) نهج البلاغة (١١٨/١) دار المعرفة - بيروت، تحقيق الشيخ محمد عبده، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة (١٠٢/٦). كلام له عليه السلام في ذم أصحابه.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة (٤٣/١١).

فو اللَّه لأن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسيره، أو يمنّ عليّ فتكون سبة على بني هاشم إلى آخر الدهر » [١].

ويقول محمد جواد مغنية عن الحسن: « بويع بالخلافة سنة (٤١هـ)، وله من العمر (٣٧) سنة، وأقام في خلافته ستة أشهر وثلاثة أيام، حيث وقع الصلح بينه وبين معاوية، خوفًا على نفسه، بعد أن تبين له أن جماعة من رؤساء أصحابه كتبوا سرًّا إلى معاوية وضمنوا له أن يسلموه إليه عند دنو العسكرين » [٢].

فإن صح هذا الخبر دل على ما كان عليه أصحاب الأئمة من ضحالة خلقية، حتى يسلموا الإمام إلى خصمه. في حين يعدّ مؤرّخو أهل السنة خلافة الحسن تتمة الخلافة الراشدة، ويذكرون فضله في الإصلاح (بين طائفتين عظيمتين من المسلمين) كما أخبر النبي ﷺ في حديث صحيح.

أما الحسين ؓ فمأساته لا تمحوها الدهور ولا تنسيها العصور، استدرجه من ادعوا التشيّع له إلى الكوفة، وحلفوا له أن ينصروه، فلما جدّ الجدّ خذلوه، وللموت أسلموه [٣].

وكانت الأمة في حالة من الضعف والهوان في درجة لم تستطع أن تحمي حفيد نبيّها رضوان اللَّه وسلامه عليه!. يقول التاريخ: « لما فعل يزيد برأس الحسين ما مرّ كان عنده رسول قيصر، فقال متعجبًا: إن عندنا في بعض الجزائر في ديرٍ حافر حمار عيسى، فنحن نحج إليه كل عام من الأقطار وننذر النذور ونعظّمه كما تعظمون كعبتكم، فأشهد إنكم على باطل، وقال ذمي آخر: بيني وبين داود سبعون أبًا، وإن اليهود تعظّمني وتحترمني، وأنتم قتلتم ابن نبيكم! » [٤].

وإذا كنا نبرأ ممن قتله فإنا أيضًا نبرأ ممن استجرّه إلى القتل، ممن دعاه للخروج فلم ينصره، ثم جلس يبكي عليه طول الدهر.

قال المسعودي - المؤرخ ذو الميل الشيعي [٥] -: « وفي سنة خمس وستين تحركت

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار (٢٠/٤٤).

(٢) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٢١٨).

(٣) انظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء (ص ١٨٢).

(٤) ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة (٥٨٠/٢، ٥٨١).

(٥) هو علي بن الحسين، أبو الحسن (ت ٣٤٦هـ)، صاحب مروج الذهب ومعادن الجوهر، وله كتاب (البيان في أسماء الأئمة). انظر: كشف الظنون (٢٦٤/١).

الشيعة في الكوفة، وتلاقوا بالتلاوم والتنادم على الحسين فلم يغيثوه، ورأوا أنهم أخطأوا بدعاء الحسين إياهم ولم يجيبوه، ولمقتله إلى جانبهم فلم ينصروه » (١).

ويؤكد هذا ما رواه الجاحظ عن خزيمة السدي قال: دخلت الكوفة فصادفت منصرف علي بن الحسين بالذرية من كربلاء إلى ابن زياد، ورأيت نساء الكوفة يومئذٍ قيامًا يندبن متهتكات الجيوب، وسمعت علي بن الحسين وهو يقول بصوت ضئيل - وقد نحل من شدة المرض: يا أهل الكوفة! إنكم تبكون علينا، فمن قتلنا غيركم؟.

وقالت زينب بنت علي - وقد شهدت وقعة كربلاء مع أخيها -: « يا أهل الكوفة! يا أهل الختر والخذل! فلا رقأت العبرة، ولا هدأت الرنة. إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا، تتخذون أيمانكم دخلًا بينكم. ألا وهل فيكم إلا الصلف والشنف (٢)، وملق الإماء وغمز الأعداء؟ وهل أنتم إلا كمرعي على دمنة، أو كقصة على ملحودة (٣)؟ ألا ساء ما قدمت أنفسكم. أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون؟ إي والله فابكوا، وإنكم والله أحرياء بالبكاء. فابكوا كثيرًا واضحكوا قليلًا، فلقد فزتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسلٍ بعدها أبدًا » (٤).

وقد قارن بعض المحققين بين الخوارج على ضلالهم والشيعة فقال: « فإنه لم ير الزهد والجهاد في طائفة أقل منه في الشيعة. والخوارج المارقون كانوا أزهد منهم وأعظم قتالًا، حتى يقال في المثل: حملة خارجية، وحروبهم مع جيوش بني أمية وبني العباس وغيرهما بالعراق والجزيرة وخراسان والمغرب وغيرها معروفة، وكانت لهم ديار يتحيزون فيها لا يقدر عليهم أحد، وأما الشيعة فهم دائمًا مغلوبون مقهورون منهزمون، وحبهم للدنيا وحرصهم عليها ظاهر، ولهذا كاتبوا الحسين ﷺ فلما أرسل إليهم ابن عمه ثم قدم بنفسه غدروا به، وباعوا الآخرة بالدنيا، وأسلموه إلى عدوه وقاتلوه مع عدوه.

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر (٢/١١٠)، وانظر د. علي سامي النشار (٢/٣٥)، ود. القفاري: أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية (١/٤٦).

(٢) (الصلف): من معانيه التكبر، (الشنف): البغض والإعراض، قال العرب: « شنف له كفرح: أبغضه وتنكّره » القاموس المحيط، مادة: صلف، شنف.

(٣) جاء في لسان العرب (٧/٧٣): « وفي حديث زينب: يا قصّة على ملحودةٍ، شبّهت أجسامهم بالقبور المتخذة من الجصّ، وأنفسهم بجيف الموتى التي تشتمل عليها القبور ».

(٤) انظر: تقديم الشيخ محب الدين الخطيب لمختصر التحفة الاثني عشرية للسيد محمود شكري الألوسي وأصله لشاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي.

فأي زهد عند هؤلاء وأي جهاد عندهم، وقد ذاق منهم علي بن أبي طالب ﷺ من الكاسات المرة ما لا يعلمه إلا الله، حتى دعا عليهم فقال: اللّهم! قد سئمتهم وسئموني، فأبدلني خيرًا منهم وأبدلهم شرًّا مني، وقد كانوا يغشونه ويكاتبون من يحاربه ويخونونه في الولايات والأموال... لهذا أشار عقلاء المسلمين ونصحاؤهم على الحسين أن لا يذهب إليهم؛ مثل عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وغيرهم؛ لعلمهم بأنهم يخذلونه ولا ينصرونه، ولا يوفون له بما كتبوا له إليه، وكان الأمر كما رأى هؤلاء، ونفذ فيهم دعاء عمر بن الخطاب ﷺ ثم دعاء علي بن أبي طالب حتى سلط الله عليهم الحجاج بن يوسف، فكان لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم » (١).

وكذلك قارن بينهم وبين الزيدية، فقال: « فالزيدية خير من الرافضة، أعلم وأصدق وأزهد وأشجع » (٢).

وهذا زين العابدين علي بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ يقول: « أيها الناس! أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا حبّكم حتى صار علينا عارًا » (٣).

أما محمد الباقر أبو جعفر فتقول إحدى الروايات عنه: «.. لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكّاكًا، والربع الآخر أحمق » (٤).

وقال جعفر الصادق لمن نصّبوا أنفسهم له أصحابًا: « إن أصحاب جعفر منكم لقليل، إنما أصحاب جعفر من اشتد ورعه وعمل لخالقه » (٥).

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٢/٩٠ - ٩٣).

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٢/٩٦).

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٤١/٣٧٤) دار الفكر - بيروت (١٤١٥هـ)، تحقيق علي شيري.

(٤) الشيخ الطوسي: اختيار معرفة الرجال (٢/٤٥٩). وسبب مقالته هذه تبينها بداية الرواية: عن أسلم مولى محمد ابن الحنفية، قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام جالسًا مسندًا ظهري إلى زمزم، فمر علينا محمد بن عبد الله بن الحسن وهو يطوف بالبيت، فقال أبو جعفر: يا أسلم! أتعرف هذا الشاب؟ قلت: نعم هذا محمد بن عبد الله بن الحسن.... قال: أما أنه سيظهر ويقتل في حال مضيعة، ثم قال: يا أسلم لا تحدث بهذا الحديث أحدًا فإنه عندك أمانة، قال: فحدثت به معروف بن خربوذ وأخذت عليه مثل ما أخذ علي. قال: وكنا عند أبي جعفر (غدوة وعشية أربعة من أهل مكة فسأله معروف عن هذا الحديث، فقال: أخبرني عن هذا الحديث الذي حدثتيه، فإني أحب أن أسمعه منك، قال: فالتفت إلى أسلم، فقال له أسلم: جعلت فداك! إني أخذت عليه مثل الذي أخذته علي، قال، فقال أبو جعفر عليه السلام: لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكّاكًا، والربع الآخر أحمق ».

(٥) الطوسي: اختيار معرفة الرجال (٢/٥٢٥) طبع مؤسسة آل البيت - قم (١٤٠٤هـ)، تحقيق محمد باقر الحسيني وآخرين، وهو تهذيب لكتاب معجم الرجال للكشي.

وهذا الإمام زيد بن علي بن الحسين كانوا معه متوافرين متحفّزين، فلما اشتدت الحرب، أرادوا حيلة ليتنصّلوا من بيعته والحرب معه، فسألوه عن أبي بكر وعمر في وقت الجهاد وبذل الدماء، لا وقت الجدال والحجاج، فلما لم يجبهم إلى ما أرادوا تركوه حتى قتل وخلعوا بيعته [١].

وورد أن « الرضا عليه السلام جفا جماعة من الشيعة وحجبهم فقالوا: يا ابن رسول الله ﷺ ما هذا الجفاء العظيم والاستخفاف بعد الحجاب الصعب، قال: لدعواكم أنكم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأنتم في أكثر أعمالكم مخالفون، ومقصرون في كثير من الفرائض، وتتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، وتتقون حيث لا تجب التقية، وتتركون التقية حيث لا بد من التقية » [٢].

وتتردد عبارات الذم لأصحاب الأئمة في كتب الشيعة، فقد روى الكشي بسنده أن بريدًا العجلي قال: كنت أنا وأبو الصباح الكناني عند أبي عبد الله (أي جعفر الصادق) فقال: « كان أصحاب أبي خيرًا منكم، كان أصحاب أبي ورقًا لا شوك فيه، وأنتم شوك لا ورق فيه ». فقال أبو الصباح: جعلت فداك، فنحن أصحاب أبيك! قال: « كنتم يومئذ خيرًا منكم اليوم ».

ونقل أيضًا عن المعلى قال: ذهبت بكتاب عبد السليم بن نعيم وسدير وغير واحد إلى أبي عبد الله، فضرب بالكتاب الأرض ثم قال: « أفّ، أفّ، ما أنا لهؤلاء بإمام » [٣].

وهذا يدل على عدم محبة الأئمة لهؤلاء الأتباع، وعلى عدم احترام هؤلاء الأتباع لهؤلاء الأئمة الأجلّاء.

فهل نترك أصحاب السيرة العطرة من الصحابة وآل بيت النبي ﷺ منهم ومعهم، وهم الذين مدحهم الله ورسوله، وأئمة البيت النبوي أنفسهم؛ ثم لنقتدي بمثل هؤلاء الذين زعموا أنهم أتباع آل بيته، فخذلوهم وقصّروا في حقّهم؟.

* * *

---

(١) انظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين (١/٦٥).

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي (١١/٤٧٠).

(٣) انظر: المامقاني في تنقيح المقال (١/٣٨)، (٢/٨)عن رجال الكشي. وفيه أن أبا الصباح هذا الذي كان من كبار شيعة الصادق وأبيه الباقر قد عبث بثدي جارية ناهد خرجت له من منزل إمامه الباقر، فأنّبه على ذلك.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

موقف الاثني عشرية من عموم الأمة والفرق الكلامية الإسلامية

يعد الاثنا عشرية أنفسهم الفرقة الناجية من بين الفرق الإسلامية الأخرى، وهذا شأن معظم الفرق؛ إذ الكل يتمسكون بحديث الافتراق: « **تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة** » وهو حديث صحيح [(١)].

وقد وقع خلاف كبير بين المحدثين من أهل السنة في زيادات هذا الحديث التي تعيّن وتبيّن الناجي من الهالك من هذه الفرق الكثيرة، ففي كثير من روايات هذا الحديث أنها « **كلّها في النار إلا واحدة** » وهي الفرقة الناجية، « **ما أنا عليه وأصحابي** » أو « **السواد الأعظم** » أو « **الجماعة** »، وفي رواية أخرى أنها « **كلّها في الجنة إلا واحدة** »! وهم الزنادقة.

وقد أطال المحدّثون النفس في الحكم على هذه الزيادات التي وردت في هذا الحديث [(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعًا بدون ذكر النصارى (٣٣٢/٢). وأخرجه أبو داود في سننه وسكت عنه، في كتاب السنة، باب شرح السنة (١٩٧/٤). وأخرجه الترمذي في جامعه، في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح (٢٥/٥). وأخرجه ابن ماجه في سننه بنحو لفظ الإمام أحمد، في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم (١٣٢١/٢). والحديث حسن صحيح.

(٢) ومنتهى التمحيص حول هذا الحديث: أن الروايات اتفقت على وقوع الافتراق في الأمة إلى هذه الفرق الكثيرة، ثم وقع الخلاف بين الروايات في الهالك والناجي منها على وجهين:

الوجه الأول: وهو المشهور: « تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة ». قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: « ما أنا عليه وأصحابي ». أخرجه الترمذي وقال: حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢١٨/١)، وبيّن أن إسناده قد تفرد به عبد الرحمن ابن زياد الإفريقي، وهو لا تقوم به حجة. وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٢٢/٨). وقد أنكر ابن حزم هذه الزيادة في الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٣٨/٣) وتابعه ابن الوزير اليمني في العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (١٨٦/١).

والوجه الثاني: « ستفترق أمتي على كذا وسبعين ملة كلها في الجنة إلا ملة واحدة ». قيل: أي ملة، قال: « الزنادقة ». أخرجه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٧٩/٢). وذكره أبو شجاع شيرويه بن شهردار =

كما أطال علماءُ الكلامِ الكلامَ في تأكيد نجاة الفرق التي ينتسبون إليها وهلاك خصومها، إذ كل فرقة تطلق النجاة على أتباعها وتمنع الآخرين. يقول ابن مطهر الحلي: « بحثنا عنها [أي الفرقة الناجية] وعن قول النبي ﷺ: « **ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والباقي في النار** » فوجدنا الفرقة الناجية هي فرقة الإمامية لأنهم يباينون جميع المذاهب، وجميع المذاهب قد اشتركت في أصول العقائد »[(1)].

وكذلك وقع الخلاف كبيرًا بين المتكلمين – حتى في داخل كل فرقة – في بيان الفرق المخالفة التي يجب أن يصل عددها في النهاية إلى ثلاث وسبعين فرقة، حسب الرواية الواردة في هذا الحديث، ولكن دون دليل جلي، إنما بالظن أو التخمين؛ على حد مجنون بني عامر:

وكلٌّ يدّعي وصلًا لليلى ... وليلى لا تقرّ لهم بذاكا

والجدل في بيان هذه الفرق الهالكة عقيم، لا يجدي نفعًا، بل على العكس ينشر البغضاء بين الفرق، والأولى التأكيد على معنى الوحدة الإسلامية، وسعة رحمة اللّٰه تعالى.

ولقد وردت أحاديث في كتب الشيعة تبين فضل جماعة المسلمين، فعن الصادق قال: « من فارق جماعة المسلمين قيد شبرٍ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ».

وقال: « من فارق جماعة المسلمين ونكث صفقة الإمام جاء إلى اللّٰه ﷻ أجذم »[(2)].

= الديلمي (ت ٥٠٩هـ): الفردوس بمأثور الخطاب (٦٣/٢). وفي رواية بلفظ: « تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة إني أعلم أهداها، الجماعة » رواه الديلمي: الفردوس بمأثور الخطاب (٦٤/٢). قال العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢هـ): « ورواه الشعراني في الميزان من حديث ابن النجار وصححه الحاكم بلفظ غريب وهو: « ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا واحدة ». وفي رواية عند الديلمي: « الهالك منها واحدة. قال العلماء: هي الزنادقة » (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (١٥٠/١). وعلل الدكتورُ الكريم: مصعب الخير إدريس السيد مصطفى الإدريسي سردَ الشعراني للحديث بروايتين متعارضين بأن الشعراني وفّق بينهما وَفْق ميزانه في الجمع بين الأحاديث وتصحيح أقوال المجتهدين، بأن الرواية الأولى من باب التشديد باعتبار مبدأ المصير، والثانية من باب التخفيف باعتبار المآل وختام المصير للموحدين من أمة محمد ﷺ. وإذا أبعدنا النجعة فسنقول: نحسب أنه أورد رواية « كلها في الجنة إلا واحدة » منفردة؛ للتدليل على قوله بصحة جميع أقوال المجتهدين التي تصدر في رأيه عن عين الشريعة الواحدة. انظر: ملحق رسالته للدكتوراه: الفكر الكلامي الاثنا عشري خلال القرن الخامس الهجري: دراسة مقارنة بآراء أهل السنة، كلية دار العلوم (ص ١٣٤ - ١٤٢).

(١) ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة (ص ٤٩).

(٢) الكليني: أصول الكافي (٤٧٠/١) باب ما أمر النبيّ ﷺ بالنّصيحة لأئمة المسلمين واللّزوم لجماعتهم =

ولقد جاءت في معنى هذين الحديثين أحاديث صحيحة عند أهل السنة، في حين حكم محققو أحاديث الأئمة بضعف هذه الروايات!!.

ولذلك جاءت بعض الروايات عن الأئمة لترفع مستوى الاثني عشرية عن باقي الناس، وتعطي الشيعة ولو ماتوا على فرشهم أضعاف أضعاف مرتبة الشهداء، في حين تجعل الويل والثبور على من مات مخالفًا لمذهب الشيعة، ولو مات مجاهدًا شهيدًا محتسبًا صابرًا:

ورووا عن الإمام الرضا: « إنّه ليس أحدٌ من شيعتنا يبتلى ببليّةٍ، أو يشتكي فيصبر على ذلك إلا كتب اللّه له أجر ألف شهيدٍ » (١).

وعن عبد اللّه بن سنان قال: « قلت لأبي عبد اللّه ﷺ: جعلت فداك! ما تقول في هؤلاء الذين يقتلون في هذه الثغور؟ قال: فقال: الويل، يتعجلون قتلة في الدنيا وقتلة في الآخرة، واللّه! ما الشهيد إلا شيعتنا ولو ماتوا على فرشهم » (٢).

وعن حفص قال: سمعت موسى بن جعفر يقول: « يا حفص من مات من أوليائنا وشيعتنا ولم يحسن القرآن عُلّم في قبره ليرفع اللّه به من درجته، فإن درجات الجنة على قدر آيات القرآن » (٣).

ولقد تبنى المجلسي هذه النظرة المتعالية من الشيعة على غيرهم، وأشاعه في باب عقده بعنوان: « باب الصفح عن الشيعة » وذكر فيه سبعًا وتسعين رواية (٤).

وتقول إحدى الروايات: « إذا كان يوم القيامة ولينا حساب شيعتنا، فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين اللّه ﷻ حكمنا فيها فأجابنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبين الناس استوهبناها فوهبت لنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحق من عفا وصفح » (٥).

ولذلك حُقّ لأحد الباحثين أن يلخص لنا عقيدة الاثني عشرية في أنفسهم وفي

= ومن هم. وقد ضعف المحقق هذين الحديثين، وقال عن الثاني: « والحديث ضعيف كسابقه ». أوَ كلما جاءكم حديث بما لا تهوى أنفسكم حديثًا ضعّفتم وحديثًا تكذّبون!!.

(١) أصول الكافي (٤١٥/١) كتاب الحجة، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة.

(٢) الطوسي: تهذيب الأحكام (١٢٦/٦)، ووسائل الشيعة (٣١/١٥).

(٣) أصول الكافي (٦٠٦/٢)، المعالم الزلفى (ص ١٣٣).

(٤) انظر: بحار الأنوار (٩٨/٦٨ - ١٤٩).

(٥) بحار الأنوار (٩٩/٦٨)، عيون أخبار الرضا (٦٨/٢).

موقفهم ممن خالفهم من المسلمين، فيقول: إنهم « وعيدية بالنسبة لمن خالفهم، كما أنهم مرجئة فيمن دان بقولهم »[(١)].

وقد رووا أنه « إذا التقى الشيعي مع الشيعي يتساءلان، قالت الحفظة: اعتزلوا بنا، فإن لهم سرًّا وقد ستره الله عليهما »[(٢)]. مع أن الله سبحانه يقول: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٧، ١٨]. وقال سبحانه: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠].

فهل بين الرب العظيم وبعض عباده نسب حتى يحرم هؤلاء الجنة رغم حسن العمل، ويعطي هؤلاء مراتب الشهداء رغم الجهل والكسل؟!. وما هو الفرق بين قول هؤلاء وقول أهل الكتاب: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٨].

وأين قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣]؟.

وسنرى فيما يلي أمثلة تبين هذه النظرة المتعالية الحاقدة على المخالفين، المحابية للأتباع المقربين:

- جواز غيبة المخالفين وشتمهم وقذفهم:

وبناء على الموقف السلبي من الآخرين، وأنهم من أهل الهلاك في الآخرة، تأتي الروايات لتؤكد حلَّ أعراض المخالفين، وجواز غيبتهم؛ إذ « إن ظاهر الأخبار اختصاص حرمة الغيبة بالمؤمن. أقول: المراد من المؤمن هنا من آمن بالله وبرسوله وبالمعاد وبالأئمة الاثني عشر عليهم السلام: أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم القائم الحجة المنتظر عجل الله فَرَجَه، وجعلنا من أعوانه وأنصاره، ومن أنكر واحدًا منهم جازت غيبته لوجوه: **الوجه الأول:** أنه ثبت في الروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين، ووجوب البراءة منهم، وإكثار السب عليهم، واتهامهم، والوقيعة فيهم: أي غيبتهم؛ لأنهم من أهل البدع والريب. بل لا شبهة في كفرهم، لأن إنكار الولاية والأئمة حتى الواحد منهم، والاعتقاد بخلافة غيرهم، وبالعقائد الخرافية، كالجبر ونحوه يوجب الكفر والزندقة، وتدل عليه الأخبار المتواترة الظاهرة في كفر منكر الولاية، وكفر المعتقد بالعقائد

---

(١) د. القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٢/٧٠٤).

(٢) وسائل الشيعة (٨/٥٦٣، ٥٦٤).

المذكورة، وما يشبهها من الضلالات... وفي بعض الأحاديث الواردة في عدم وجوب قضاء الصلاة على المستبصر (إن الحال التي كنت عليها أعظم من ترك ما تركت من الصلاة) » [(١)].

وليس هذا القول قديمًا مندثرًا، بل حيًّا ينميه الكتّاب المعاصرون منهم، يقول عبد الحسين دستغيب: « يجب أن يعلم أن حرمة الغيبة مختصة بالمؤمن أي المعتقد بالعقائد الحقّة، ومنها الاعتقاد بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام، وبناء على ذلك فإن غيبة المخالفين ليست حرامًا » [(٢)]، وقال محمد حسن النجفي: « فالظاهر إلحاق المخالفين بالمشركين في ذلك؛ لاتحاد الكفر الإسلامي والإيماني فيه، بل لعل هجاءهم على رؤوس الأشهاد من أفضل عبادة العباد ما لم تمنع التقية، وأولى من ذلك غيبتهم التي جرت سيرة الشيعة عليها في جميع الأعصار والأمصار... بل يمكن دعوى كون ذلك من الضروريات فضلًا عن القطعيات » [(٣)].

قال مرتضى أنصاري: « إن ظاهر الأخبار اختصاص حرمة الغيبة بالمؤمن فيجوز اغتياب المخالف كما يجوز لعنه، وتوهُّم عموم الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢] كبعض الروايات لمطلق المسلم؛ مدفوع بما علم بضرورة المذهب من عدم احترامهم وعدم جريان أحكام الإسلام عليهم إلا قليلًا » [(٤)]. وهذا القليل الذي أجروه من أحكام الإسلام على المخالفين ليس تسامحًا، بل هو للحاجة إليهم، كجواز مناكحتهم والاستمتاع بنسائهم، ومعاملاتهم.

- **ذم روايات الاثني عشرية لأبي حنيفة رحمه الله:**

وقد آذت روايات الشيعة فقهاء المسلمين، فقد أتى لعن أبي حنيفة في (الكافي) صريحًا لا تلميحًا، لأنه يقول بالقياس، مع أنه تلميذ جعفر الصادق رحمهما الله تعالى:

---

(١) السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ): مصباح الفقاهة (١/٣٢٣، ٣٢٤)، المطبعة الحيدرية، النجف. وانظر أيضًا تقريرات الحدود والتعزيرات، لآية الله الحاج محمد رضا الموسوي الكلپايگاني (ت ١٤١٤هـ) (٢/٧٣) نسخة قرص المعجم الفقهي - قم (١٤٢١هـ).

(٢) دستغيب: الذنوب الكبيرة (٢/٢٦٧)، (ط٢)، الدار الإسلامية - بيروت (١٩٨٨م).

(٣) محمد حسن النجفي: جواهر الكلام (٢٢/٦٢)، عن حقيقة الشيعة: عبد الله عبد الله الموصلي (ص ٢٨).

(٤) مركز المصطفى ﷺ: متفرقات عن النصب والنواصب (ص ٤٤)، في قرص مدمج: المعجم الفقهي. الإصدار الثالث (٢٠٠١م)، وموقعه على الإنترنت: (www.almarkaz.net).

« عن محمّد بن حكيم قال أبو الحسن موسى عليه السلام: « لعن الله أبا حنيفة كان يقول: قال عليّ عليه السلام وقلت أنا، وقالت الصحابة » (١).

وعن سديرٍ قال: « سمعت أبا جعفرٍ عليه السلام... قال: يا سديرا فأريك الصّادّين عن دين الله؟ ثمّ نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثّوريّ في ذلك الزّمان وهم حِلَقٌ في المسجد فقال: هؤلاء الصّادّون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتابٍ مبينٍ، إنّ هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم فجال النّاس فلم يجدوا أحدًا يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ حتّى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ » (٢).

فكأن الحق لا يظهر إلا إن سكت صوت الباطل، والله تعالى يقول: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

مع أن أبا حنيفة رحمه الله كان يتولى آل بيت النبي ﷺ، فقد كان يوالي زيد بن زين العابدين ويناصره، ويفتي سرًّا بوجوب نصرته والحمل إليه والخروج معه، كما كان أبو حنيفة على بيعة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الملقب: النفس الزكية – ومن جملة شيعته،حتى رُفع أمره إلى المنصور في ذلك، فحبسه حبس الأبد حتى مات في الحبس، رحمه الله تعالى (٣).

ويتهم كتّاب الشيعة جريًا وراء بعض الشبهات أبا حنيفة – رحمه الله تعالى – بقلّة البضاعة في الحديث الشريف، وهو الإمام المجتهد؟ يقول مغنية – أحد دعاة التقريب! –: « ولكن أبا حنيفة لم يثبت عنده من أحاديث الرسول إلا سبعة عشر حديثًا؛ لأنه لا يقبل الحديث إلا إذا رواه جماعة عن جماعة » (٤).

وهذا تحريف في النصوص، فإن أهل العلم قالوا: يقال لم يرو إلا سبعة عشر، لا أنه لم يثبت عنده إلا سبعة عشر حديثًا، بل ثبت عنده ما لا يحصى من الأحاديث التي اعتمد عليها في مذهبه الفقهي. ولكن الرواية للحديث شيء، والعلم به وثبوته شيء آخر، ولا يعيب أبا حنيفة أنه لم يكن محسوبًا على المحدّثين.

---

(١) أصول الكافي: كتاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقائيس (١٠٨/١).

(٢) أصول الكافي (٤٥٧/١) كتاب فضل الحجة، باب أنّ الواجب على النّاس بعدما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام فيسألونه عن معالم دينهم ويُعْلِمُونهم ولايتهم ومودّتهم له. قال محقق الكافي: والحديث ضعيف، وهو وإن كان ضعيفًا فيكفي أن يعمل به الأخباريون ومن تبعهم من العوام فتفرق بذلك الأمة.

(٣) الشيخ عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام (ص ٧٧). وانظر مقاتل الطالبيين.

(٤) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ٨٠).

ويناقض بعض كتّاب الشيعة كلام مغنية، فقد ذكر الشيخ لطف الله الصافي أن أبا حنيفة روى ثلاثمائة حديث [(١)].

قال ابن خلدون رَحِمَهُ اللهُ: « وقد تقوّل بعض المبغضين المتعسفين إلى أن منهم من كان قليل البضاعة في الحديث، فلهذا قلّت روايته. ولا سبيل إلى هذا المعتقد في كبار الأئمة، لأن الشريعة إنما تؤخذ من الكتاب والسنة، ومن كان قليل البضاعة في الحديث فيتعين عليه طلبه... وأبو حنيفة إنما قلّت روايته لما شدّد في شروط الرواية والتحمّل وضعّف رواية الحديث اليقيني إذا عارضها الفعل النفسي، وقلّت من أجلها روايته فقلّ حديثه، لا أنه ترك رواية الحديث متعمدًا، فحاشاه من ذلك، ويدل على أنه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه بينهم والتعويل عليه واعتباره ردًّا وقبولًا، وأما غيره من المحدثين وهم الجمهور فتوسّعوا في الشروط وكثر حديثهم، والكلّ عن اجتهاد، وقد توسّع أصحابه من بعده في الشروط وكثرت روايتهم، وروى الطحاوي [(٢)] فأكثر وكتب مسنده وهو جليل القدر... فلا تأخذك ريبة في ذلك، فالقوم أحق الناس بالظن الجميل بهم، والتماس المخارج الصحيحة لهم » [(٣)].

ناهيك عن أن الإمام أبا حنيفة رَحِمَهُ اللهُ كان في العراق، بلد الوضع والوضّاعين في زمانه، وخصوصًا من غلاة الشيعة، فقد عاصر الإمام جعفرًا الصادق - رحمهما الله تعالى - وأخذ عنه العلم، ومما أخذ منه تحذيره من الكذّابين الذين كانوا يكذبون على لسانه، كما مرّ معنا.

- **ذم ابن شبرمة:**

وكذلك تنال إحدى الروايات من أحد علماء الأمة المجتهدين وهو ابن شبرمة: « عن

---

(١) الشيخ لطف الله الصافي: مجموعة الرسائل (٢/ ٣٠): عن « ابن عدي إنه لم يرو إلا ثلاثمائة حديث، بل قال ابن خلدون في مقدمته: يقال: إنه إنما بلغت روايته إلى سبعة عشر حديثًا أو نحوها إلى خمسين ».

(٢) الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة (ت ٣٢١) صاحب كتاب (اختلاف العلماء) وهو سفر كبير ضخم في الفقه المقارن، وله (مشكل الآثار). محدّث شارك مسلمًا وأبا داود وابن ماجه في بعض الرواة كهارون بن سعيد الأيلي، وأخذ عنه النسائي، كما تتلمذ عليه جماعة من أهل الجرح والتعديل، كابن عدي، وابن يونس، والطبراني، وله كتاب (التاريخ الكبير) في علم الرجال. انظر: مقدمة مختصر اختلاف العلماء لأبي بكر الجصاص الرازي (١/ ٣٦).

(٣) مقدمة ابن خلدون (ص ٤٤٤، ٤٤٥). دار إحياء التراث العربي - بيروت (ط٤).

أبي شيبة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: « ضلّ عِلْمُ ابن شبرمة » (١).

- ذم أعلام الصوفية:

ولم أجد في الروايات المنقولة عن أئمة الاثني عشرية ذمًّا لمشاهير الصوفية كما وجدت ذمًّا لمشاهير الفقهاء، وهذا أمر منطقي؛ إذ الفكر الصوفي متأخر في تشكله وتبلوره عن الفقه وعن حياة الشيعة الأوائل، ولكن هذا لا يعني أن الاثني عشرية يوادّون الصوفية، بل هم من الشانئين لهم، رغم أن الصوفية يقرّون بفضل آل بيت النبي ﷺ، بل من المتصوفة من التصق بالفكر الشيعي من حيث لا يشعر، ولكن ذلك لن يولّد له عند الاثني عشرية حبًّا ولا قربًا، فهذا شارح نهج البلاغة حبيب الخوئي يقول: « مذاهب الصوفية بحذافيرها مخالفة لمذهب الشرعة الإمامية الحقة، شيد الله بنيانه وأحكم قواعده وأركانه، كما ظهر لك أن الآيات والأخبار في لعنهم وطعنهم والتعريض والازدراء عليهم - لعنهم الله تعالى - متضافرة، وأن الأخبار التي تمسكت بها هذه الفئة الضالة المبتدعة المطرودة الملعونة إما موضوعة مجعولة أو متشابهة مؤولة أو ضعيفة سخيفة... فرضوا بالشبلي والغزالي وابن العربي وجنيد أئمةً...خذلهم الله - تعالى - في الدنيا، وضاعف عليهم العذاب في العقبى » (٢).

وعندما يتحدث الأشتياني - المعاصر - عن (التفكير العقلي والفلسفي في الإسلام) يتعجب من حرب حجة الإسلام الغزالي للفلسفة على الرغم من أن آثار الغزالي مليئة بتمجيد العقل ودوره، ولكن يعزو الأشتياني ذلك إلى ما يزعمه من تعصب حجة الإسلام الغزالي لمذهب الأشاعرة، ويتهمه بوضعه لحديث « إن الله تجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة » (٣)، فيقول: « فتشت عن مصدر هذه الرواية كثيرًا إلا أنني لم أجدها، لا أعلم لعله هو الذي وضعها » (٤)، ونحن نعلم أن بضاعة الإمام الغزالي في

---

(١) أصول الكافي (١/١٠٤) كتاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقائيس. في حين سمعت محاضرة لأحد علماء الشيعة وهو د. جناتي يمتدح علماء المسلمين ومنهم ابن شبرمة على أساس أنهم كانوا لا يجدون غضاضة في الاختلاف في الاجتهاد.!

(٢) حبيب الله الهاشمي الخوئي: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (١٤/٢١). وإن كان المتخصصون بالعرفان، وهو مصطلح شيعي قريب من معنى التصوف - لا يألون جهدًا في الاستفادة من أفكار التصوف السني، كاستشهاد الخميني بابن عربي.

(٣) ذكره الغزالي في: معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ١٦٠)، دار الآفاق الجديدة - بيروت.

(٤) يعزو هذا الحديث إلى مقدمة كتاب الغزالي: جواهر القرآن، انظر: جلال الدين الأشتياني: التفكير العقلي =

علم الحديث كانت مزجاة كما قال الغزالي نفسه، ولذلك لا تخلو كتبه من أحاديث ضعيفة وربما موضوعة، استدعت من بعض علماء الحديث تعقّب الأحاديث في مؤلفاته - كما فعل الحافظ العراقي عندما خرّج أحاديث كتابه: (إحياء علوم الدين)، وسماه (المغني عن حمل الأسفار.. إلخ)، ولكن هذا لا يعني أن الغزالي وضّاع للأحاديث. ولا ندري ربما كان موقف الغزالي من التشيع ونظرية الإمامة في كتابه (فضائح الباطنية) وراء هذا الموقف السلبي للأشتياني منه.

والعجيب أن تجد أهل السنة، المذهبيين أتباع المذاهب الفقهية الأربعة، والمغرقين في الصوفية بشتى طرقهم، والسلفيين على اختلاف مشاربهم، يختلفون ويتهارجون [(١)]. وكلهم سواء في نظر الاثني عشرية، حيث يصل إليهم جميعًا من كثير من علماء الشيعة التكفير والازدراء.ويستثمر الاثنا عشرية خلافات هذه المدارس السنّية للطعن على مذهب أهل السنة، ويستغلون النقد الداخلي في هذه المدارس المتنوعة (الأشاعرة، السلفية، المذهبيين، اللامذهبيين، الصوفية... إلخ) فيجمّعون تلك الانتقادات التي يطرحها أهل السنة فيما بينهم، ليوجهوها إلى أهل السنة أجمعين [(٢)].

- شتم أعلام الأمة المسلمة من الخلفاء والحكّام:

وكذلك الشتم واضح في حق الخلفاء، خلفاء بني أمية والعباسيين، قال الخميني: « وها هو التاريخ يحدثنا عن جهال حكموا الناس بغير جدارة ولا لياقة، هارون الرشيد أي ثقافة حازها، وكذلك من قبله ومن بعده! » [(٣)].

= والفلسفي في الإسلام (ص ١٩٠ - ١٩٦)، ضمن مجلة المحجة: مجلة فصلية متخصصة تعنى بشؤون الفكر الديني والفلسفة الإسلامية المعاصرة، تصدر عن المعهد الإسلامي للمعارف الحكمية بالتعاون مع دار الهادي، العدد الأول تشرين أول (٢٠٠١م / ١٤٢٢هـ) - بيروت.

(١) أما عن ذمهم للفكر السلفي المعاصر، فهو أمر لا يحتاج إلى بيان، انظر: مثلًا مؤلفات الشيخ جعفر سبحاني عن السلفية. وكتاب (مع الوهابية في خططهم وعقائدهم)، وقد لعب العامل السياسي دوره في إذكاء الحرب بين الشيعة والسلفيين (الوهابية) بسبب حرب الخليج الأولى بين إيران والعراق، ومن ورائها دول الخليج، وتحولت المراكز الثقافية للجانبين إلى ساحات معارك فكرية بين الاتجاهين.

(٢) وعلى سبيل المثال: ينشرون في الأقراص الليزرية إلى جانب الكتب المهمة الفقهية والعقدية كتب الردود بين أهل السنة، فينشرون مثلًا: نقد ابن السبكي لابن القيم (.. في الرد على ابن زفيل)، ونقد السقاف الأشعري المعاصر للسلفيين، وكتاب (الرد على الألباني المبتدع) لعبد الله بن صديق الغماري ليضربوا أهل السنة بعضهم ببعض!.

(٣) الخميني: الحكومة الإسلامية (ص ١٣٣).

وإذا حفظ التاريخ لنا مكانة صلاح الدين المجاهد العظيم الذي وحّد المسلمين من شتاتهم وحارب الفرنجة؛ فإن مغنية له فيه رأي آخر، إذ يقول عن مخلّص القدس من الصليبيين: « لقد حمل الأيوبي معه إلى مصر وسورية تيارًا هائلًا من التعصب الأعمى، وكل تعصب أعمى - كان له أسوأ الأثر في حياة المسلمين وما زالوا يعانون منه حتى اليوم ». ويتهم صلاح الدين أيضًا بأنه قتل الشيعة واستأصلهم في مصر (١).

وهذا القول منه قمة التعصب، فقد كان المذهب الإسماعيلي المذهب الرسمي للدولة العبيدية الدخيلة على مصر، ولم يكن مذهب العامة في مصر؛ ولذلك ذهب هذا المذهب بذهاب دولته، وما ذكره عن اضطهاد صلاح الدين للشيعة فلم يثبت، وإنما المعروف تاريخيًا أن صلاح الدين رحمه الله افتتح المدارس السنية ونشرها ليعلم الناس دينهم، ثم إن الإسماعيلية في نظر الاثني عشرية معدودون من الغلاة، حتى إن الحاكم بأمر الله ادعى الإلهية، فكيف يتأسف مغنية على ذهابهم؟ وقد كان موقف آل البيت من الغلاة موقف اللعن والطرد والإبعاد.

ثم من نظرة سياسية: هل كان صلاح الدين ليصل إلى ما وصله من توحيد الشام ومصر ثم تحرير القدس لولا إسقاطه الخلافة الفاطمية التي كانت تتآمر مع الصليبيين؟ (٢).

لقد تحول صلاح الدين ومن قبله عمر بن عبد العزيز ومن قبله عمر بن الخطاب إلى رموز للأمة المسلمة عند المسلمين وغيرهم، فلمصلحة من يحاول مغنية وأمثاله أن يكسّروا رموز الإسلام ورجاله، المشهورين - حتى عند الغربيين - بالعدالة والشهامة والتقوى؟.

- شتم الأمة كلّها ولعنها:

عن سديرٍ الصّيرفيّ قال سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول: « إنّ في صاحب هذا الأمر شَبَهًا من يوسف عليه السلام قال: قلت له: كأنّك تذكره حياته أو غيبته قال فقال لي: وما ينكر من ذلك هذه الأمّة **أشباه الخنازير**، إنّ إخوة يوسف عليه السلام كانوا أسباطًا أولاد الأنبياء تاجروا يوسف وبايعوه وخاطبوه وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتّى قال: أنا يوسف وهذا أخي، **فما تنكر هذه الأمّة الملعونة** أن يفعل اللَّه عز وجل بحجّته في وقتٍ من الأوقات كما فعل بيوسف عليه السلام » (٣).

---

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان (ص ١٧٣).

(٢) انظر تفصيل حياة صلاح الدين في مصر: شاكر مصطفى: صلاح الدين، دار القلم - دمشق.

(٣) أصول الكافي (١/ ٦٢) كتاب الحجة، باب في الغيبة. قال محقق أصول الكافي: والحديث حسن!!

- اتهام المسلمين بأنهم أولاد زنًا، واتهام مكاسبهم بالخبث والحرمة:

عن علي بن أسباط يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: « إن الله تبارك وتعالى يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين بن علي عليهما السلام عشية عرفة قال: قلت: قبل نظره إلى أهل الموقف، قال: نعم، قلت: وكيف ذاك، قال: لأن في أولئك أولاد زنًا، وليس في هؤلاء أولاد زنًا » (١).

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: إن بعض أصحابنا يفترون ويقذفون من خالفهم؟ فقال لي: الكفّ عنهم أجمل (٢).، ثم قال: والله يا أبا حمزة إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا. قلت: كيف لي بالمخرج من هذا؟ فقال لي: يا أبا حمزة كتاب الله المنزل يدل عليه أن الله تبارك وتعالى جعل لنا أهل البيت سهامًا ثلاثة في جميع الفيء، ثم قال عز وجل: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ.. ﴾ [الأنفال: ٤١]، فنحن أصحاب الخمس والفيء، وقد حرمناه على جميع الناس ما خلا شيعتنا. والله! يا أبا حمزة ما من أرض تفتح ولا خمس يخمس فيضرب على شيء منه إلا كان حرامًا على من يصيبه فرجًا كان أو مالًا... وقد أخرجونا وشيعتنا من حقّنا ذلك بلا عذر ولا حق ولا حجة » (٣).

وعن ميثم بن أبي يحيى، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: « ما من مولود يولد إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته، فإن علم الله أنه من شيعتنا حجبه من ذلك الشيطان، وإن لم يكن من شيعتنا أثبت الشيطان إصبعه السبابة في دبره فكان مأبونًا (٤)، فإن كان امرأة أثبت في فرجها فكانت فاجرة، فعند ذلك يبكي الصبي بكاءً شديدًا إذا هو خرج من بطن أمه، والله بعد ذلك يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » (٥).

---

(١) الشيخ الصدوق: معاني الآثار (ص ٣٩١، ٣٩٢)، تحقيق علي أكبر غفاري، طبعة انتشارات إسلامي، المجلسي: بحار الأنوار (٩٨/٨٥)، والحر العاملي: وسائل الشيعة (١٤/٤٦٢)، والنوري الطبرسي: مستدرك الوسائل (١٠/٢٨٣).

(٢) قال محقق هذا الحديث عن هذه العبارة: « بأنه لا ينبغي لهم ترك التقية »، فلم يفهم من نهي الإمام عن القذف النهي لمجرد كونه فعلًا منهيًا عنه شرعًا، بل فهم أن النهي إنما لأنه خروج عن التقية، لا لدافع أخلاقي!!.

(٣) الكليني: الكافي (٨/٢٨٥). بحار الأنوار (٢٤/٣١١)، ووسائل الشيعة (١٦/٣٧).

(٤) المأبون: هو الرجل المخنث الذي انقلبت شهوته إلى دبره. انظر: لسان العرب (١/٣٧٥).

(٥) تفسير العياشي (٢/٢١٨)، المجلسي: بحار الأنوار (٤/١٢١)، نعمة الله الجزائري: نور البراهين (٢/٢٢٠)، الحويزي: تفسير الثقلين (٢/٥١٣).

وتعلل إحدى الروايات أن من سبب اشتهار الزنا في المخالفين عدم دفعهم للخمس إلى أئمة أهل البيت: عن ضريسٍ الكُنَاسيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « من أين دخل على النّاس الزّنا؟ قلت: لا أدري جُعِلْتُ فداك! قال: من قبل خمسنا أهل البيت إلا شيعتنا الأطيبين فإنّه محلّلٌ لهم لميلادهم » (١).

وتنص إحدى الروايات على أنه لا يأكل الحلال إلا الاثنا عشرية، أتباع الأئمة، وتفسيرهم لذلك أنه لما كانت الأرض ملكًا للأئمة بنص الإمام الصادق، وغير الشيعة لا يدفعون الخمس إلى الأئمة ولا إلى وكلائهم، فهم إذن يأكلون الحرام، عن الصادق: « يا أبا سيّارٍ إنّ الأرض كلّها لنا فما أخرج اللّه منها من شيءٍ فهو لنا... وكلّ ما في أيدي شيعتنا من الأرض فهم فيه محلّلون حتّى يقوم قائمنا فَيَجْبِيَهُم... وأمّا ما كان في أيدي غيرهم فإنّ كسبهم من الأرض حرامٌ عليهم حتّى يقوم قائمنا فيأخذ الأرض من أيديهم ويخرجهم صغرةً، قال عمر بن يزيد: فقال لي أبو سيّارٍ: ما أرى أحدًا من أصحاب الضّياع ولا ممّن يلي الأعمال يأكل حلالًا غيري إلا من طيّبوا له ذلك » (٢).

- دعوى سلب شهادة (لا إله إلا اللّه) من المخالفين يوم القيامة:

عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: « يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث: من شهد أن لا إله إلا اللّه مخلصًا وجبت له الجنة، قال: قلت له: إنه يأتيني من كل صنف من الأصناف أفأروي لهم هذا الحديث؟ قال: نعم، يا أبان إنه إذا كان يوم القيامة وجمع اللّه الأولين والآخرين فتسلب لا إله إلا اللّه منهم إلا من كان على هذا الأمر » (٣).

- بغض العرب في بعض روايات الاثني عشرية:

ثم ما هذا الإصرار على ذم العرب في بعض الروايات؟ وهل تكون تلك الروايات دليلًا على العامل الخارجي الفارسي في تطور الفكر الشيعي؟:

عن ابن أبي يعفورٍ قال: « سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: ويلٌ لطغاة العرب من أمرٍ قد اقترب. قلت: جعلت فداك كم مع القائم من العرب؟ قال: نفرٌ يسيرٌ. قلت: واللّه!

---

(١) الكليني: أصول الكافي (٦٢٦/١) كتاب الحجة، باب صلة الإمام. والحديث حسن، أي تزكو ولادتهم وتطيب ذرياتهم.

(٢) أصول الكافي (٤٧٤/١)، كتاب الحجة، بابٌ في أن الأرض كلها للإمام عليه السلام. والحديث صحيح.

(٣) أصول الكافي (٤٨٩/٢) كتاب الدعاء، باب من قال لا إله إلا اللّه مخلصًا. قال محققه: الحديث موثق.

إنّ من يصف هذا الأمر منهم لكثيرٌ، قال: لا بدّ للنّاس من أن يمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا ويستخرج في الغربال خلقٌ كثيرٌ » [1].

ويروي الشيعة أن من أعمال القائم، المهدي المنتظر، قتلَ العرب: عن أبي عبد الله قال: « ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح » [2].

وعن أبي عبد الله قال: « اتق العرب، فإن لهم خبر سوء، أما أنه لم يخرج مع القائم منهم أحد » [3].

وعنه: إذا قام القائم من آل محمد، أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم خمسمائة حتى يفعل ذلك ست مرات » [4].

عن أبي جعفر قال: « لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه، مما يقتل من الناس، أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم » [5].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: « إنه قال لي أبي... والله لكأني أنظر إليه - أي المهدي المنتظر - بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد، على العرب شديد، وقال: ويل لطغاة العرب من شر قد اقترب » [6].

وفي رواية أخرى أيضًا: « يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف، لا يستتيب أحدًا، ولا يأخذه في الله لومة لائم » [7].

- أهل مكة والمدينة والشام:

من صفات منهج القرآن الكريم أنه ذم الأوصاف والأفعال البغيضة، ولم يذم الأشخاص إلا نادرًا، ممن سبق العلم الإلهي بعدم إسلامهم كأبي لهب، فاللعنة على

(١) أصول الكافي (٤٣١/١) كتاب الحجة، باب التمحيص والامتحان.

(٢) بحار الأنوار (٣٤٩/٥٢).

(٣) الطوسي: الغيبة (ص ٤٧٦)، المجلسي: بحار الأنوار (٣٣٣/٥٢).

(٤) الشيخ المفيد: الإرشاد (٣٨٣/٢)، المجلسي: بحار الأنوار (٣٣٨/٥٢). الشيخ علي الكوراني: معجم أحاديث المهدي (٤٢/٤).

(٥) بحار الأنوار (٣٥٤/٥٢).

(٦) محمد بن إبراهيم النعماني: كتاب الغيبة (ص ١٩٤) تحقيق علي أكبر غفاري، مكتبة الصدوق، طهران. بحار الأنوار (١٣٥/٥٢).

(٧) محمد بن إبراهيم النعماني: كتاب الغيبة (ص ٢٣٣).

الأوصاف: ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩]، ﴿ لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٤، هود: ١٨]، ﴿ لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

أما في الكافي فاللعن يوصف به أهل الأماكن التي ورد عند أهل السنة فضلها: عن سليمان بن خالدٍ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « أهل الشّام شرٌّ من أهل الرّوم، وأهل المدينة شرٌّ من أهل مكّة، وأهل مكّة يكفرون بالله جهرةً » (١). وفي رواية: « وأهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفًا » (٢).

قال المازندراني معللًا هذا النص: « الخيرية والشرية لهذه الأمة باعتبار الإيمان ومحبة أهل البيت عليهم السلام وباعتبار الكفر وعداوتهم... وعداوة أهل الشام لما كانت أكثر من عداوة أهل الروم كان شرهم أكثر من شرهم، وكذلك أهل المدينة بالنسبة لأهل مكة، يكفرون بالله جهرة لأنهم ينكرون الأوصياء صريحًا » (٣).

ولا عجب إذا اختل الميزان عند أصحاب هذه الروايات أن يكون الكفّار - وهم أهل الروم - أقرب إليهم من أهل مكة والمدينة والشام، وهم أهل حواضر الإسلام الأولى، وهي حواضر الإسلام الأولى، ولا عجب بعد ذلك ما سنقرؤه في التاريخ من التآمر مع الروم (الفرنجة) على بلاد المسلمين.

- تقديس أهل قم والثناء على أهل الكوفة:

وجاء في المصادر التي ذمت أهل بلاد الإسلام نفسها مديح أهل قم، فقد: دخل عمران بن عبد الله القمي على جعفر الصادق، « فسأله وبرّه وبشّه، فلما قام قلت لأبي عبد الله: من هذا الذي بررت به هذا البر؟ فقال: من أهل البيت النجباء يعني أهل قم، ما أرادهم جبار من الجبابرة إلا قصمه الله » (٤).

وعن أبي الحسن الرضا قال: « إنّ للجنّة ثمانية أبواب، ولأهل قم واحد منها فطوبى لهم ثم طوبى » (٥) و « هم خيار شيعتنا من بين سائر البلاد، خمّر الله تعالى ولايتنا في

(١، ٢) أصول الكافي (٢/٣٩٠) كتاب الإيمان والكفر، باب في صنوف أهل الخلاف وذكر القدرية والخوارج والمرجئة وأهل البلدان، وقال محققه: والحديث موثق.

(٣) شرح المازندراني (١٠/١٠٨).

(٤) المجلسي: بحار الأنوار (٥٧/٢١١)، الشيخ المفيد: الاختصاص (ص ٦٩).

(٥) بحار الأنوار (٦٠/٢١٥)، سفينة البحار (١/٤٤٦).

طينتهم » (١)، وجاء في رواية أخرى: « إن أهل مدينة قم يحاسبون في حفرهم ويحشرون من حفرهم إلى الجنة » (٢).

وواضح أن هذا المديح لأهل قم لأنهم من الشيعة، وكذلك مديح أهل الكوفة، « إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة » (٣). وهنا يظهر تناقض الأخبار، فقد مر في المبحث السابق ذم كبار الأئمة لأهل الكوفة؛ لتخاذلهم عن نصرة أسيادنا علي والحسن والحسين. فقد قال عنهم الإمام زين العابدين: يا أهل الكوفة، إنكم تبكون علينا، فمن قتلنا غيركم؟ (٤).

ثم أرأيت لو غيّر أهل مكة والمدينة والشام ومصر عقيدتهم - لا قدر الله - ودانوا بدين الاثني عشرية ألا تبقى هذه الروايات وصمة عار في حقهم؟ وحاشا أحفاد النبي الأعظم ﷺ أن يزينوا بهذا الميزان المختل.

وقد علمنا القرآن أن تعميم الأحكام خطأ جسيم، وأن الإنصاف في ترك التعميم حتى مع أشد الناس عداوة للمؤمنين فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥].

ومن علامات الإنصاف عند محدثي أهل السنة والجماعة أن رواياتهم تبيّن مديحًا ليس لأهل قم وحدهم، بل تشمل كل أهل فارس، ولو كانت الأحاديث النبوية تكتب بالأهواء لما وجدت هذه الأحاديث المادحة لأهل فارس، ردًّا على روايات أهل التشيع في ذم بلاد الإسلام الأخرى. مما يدل على عدم عنصرية أهل السنة، فقد أخرج الحديث الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **« لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس - أو قال - من أبناء فارس، حتى يتناوله »** (٥).

---

(١) بحار الأنوار (٦٠/٢١٦).

(٢) بحار الأنوار (٦٠/٢١٨)، عباس القمي: الكنى والألقاب (٣/٧١).

(٣) بحار الأنوار (٦٠/٢٠٩).

(٤) انظر: تقديم الشيخ محب الدين الخطيب لمختصر التحفة الاثني عشرية للسيد محمود شكري الألوسي، وأصله لشاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي.

(٥) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ ﴾ [الجمعة: ٣] رقم (٤٦١٥)، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضل فارس رقم (٢٥٤٦.) وقد جاء الأمر واقعيًا كما أخبر النبي ﷺ، فكثير من علماء الحديث المشهورين ليسوا عربًا، بل هم من تلك البلاد وما جاورها، فالبخاري من بخارى =

- اتهام أهل الكنانة وبهتهم:

تقول الروايات واضحة الكذب والبهتان: « أبناء مصر لعنوا على لسان داود ﷺ، فجعل الله منهم القردة والخنازير »(١)، « وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها »(٢). و « بئس البلاد مصرا أما إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل »(٣). و « انتحوا مصر لا تطلبوا المكث فيها، ولا أحسبه إلا قال: وهو يورث الدياثة »(٤). وفي رواية أخرى: « لا تأكلوا في فخارها ولا تغسلوا رؤوسكم بطينها، فإنه يذهب بالغيرة، ويورث الدياثة »(٥)!.

قارن هذه الروايات البغيضة بما جاء عن النبي ﷺ في مديح أهل مصر وجندها والوصية بهم،مما اشتهر عند أهل السنة، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: « **إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحمًا**. أو قال: **ذمة وصهرًا** »(٦). أمّا الرحم فلأن هاجر أم إسماعيل ﷺ من مصر، وأما الصهر فلأن والدة ابن النبي ﷺ إبراهيم (مارية القبطية) من مصر أيضًا.

- اتهام الأكراد بأنهم من الجن!:

تقول إحدى الروايات المزعومة أن جعفرًا الصادق سئل عن مخالطة الأكراد « يجيئونا بالبيع ونبايعهم، فقال: لا تخالطهم فإن الأكراد حي من الجن كشف عنهم الغطاء، فلا تخالطهم »(٧).

- كراهة الناس أجمعين واتهامهم بالمسخ:

وهناك رواية تذكّرنا بما ذكره حاخامات اليهود في التلمود من أن غير اليهود ليسوا

= ومسلم من نيسابور وكذلك الحاكم، وابن ماجه من قزوين، وأبو داود من سجستان، والنسائي من نسا، والترمذي من ترمذ،... إلخ. رحمهم الله تعالى.

(١) بحار الأنوار (٦٠/٢٠٨)، تفسير القمّي (ص ٥٩٦) ط: إيران.

(٢) بحار الأنوار (٦٠/ ٢٠٨، ٢٠٩)، قرب الإسناد (ص ٢٢٠)، تفسير العياشي (١/ ٣٠٤)، البرهان (١/ ٤٥٦).

(٣) تفسير العياشي (١/ ٣٠٥)، بحار الأنوار (٦٠/ ٢١٠)، البرهان (١/ ٤٥٧).

(٤) بحار الأنوار (٥٧/ ٢١١)، النوري الطبرسي: مستدرك الوسائل (١٣/ ٢٩٠)، البروجردي: جامع أحاديث الشيعة (١٧/ ١٤١).

(٥) الكليني: الكافي (٦/ ٣٨٦)، المجلسي: بحارالأنوار (٥٧/ ٢٠٩).

(٦) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب وصية النبي بأهل مصر رقم (٢٥٤٣).

(٧) الصدوق: علل الشرائع (ص ٥٢٧).

بشرًا، إنما هم في صورة البشر ليستأنس بهم اليهود [١]، تقول رواية بحار الأنوار بصورة مشابهة لرواية التلمود: « عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أنا مولاك ومن شيعتك، ضعيف البصر، اضمن لي الجنة. قال: أو لا أعطيك علامة الأئمة؟ قلت: وما عليك أن تجمعها لي؟ قال: وتحب ذلك؟ قلت: كيف لا أحب؟ فما زاد أن مسح على بصري فأبصرت جميع ما في السقيفة التي كان فيها جالسًا، قال: يا أبا محمد! هذا بصرك، فانظر ما ترى بعينك، قال: فو اللَّه ما أبصرت إلا كلبًا وخنزيرًا وقردًا، قلت: ما هذا الخلق الممسوخ؟ قال: هذا الذي ترى، هذا السواد الأعظم [٢]، ولو كشف الغطاء للناس ما نظر الشيعة إلى من خالفهم إلا في هذه الصورة، ثم قال: يا محمد، إن أحببت تركتك على حالك هكذا وحسابك على اللَّه، وإن أحببت ضمنت لك على اللَّه الجنة ورددتك على حالك الأول، قلت: لا حاجة لي إلى النظر إلى هذا الخلق المنكوس، ردّني فما للجنة عوض، فمسح يده على عيني فرجعتُ كما كنت » [٣].

- الكراهة الشديدة للمخالفين ولو كانوا من أهل البيت النبوي:

وإذا كان الاثنا عشرية يضربون على وتر أهل البيت، فإنهم أنفسهم يخالفون آل البيت، إذ يجعلون هذه المحبة مقصورة على اثني عشر رجلًا منهم، في حين يكيلون الذم والشتم لباقي آل البيت.

فأين أبناء الحسن بن علي في قاموس محبتهم وولائهم، وأين أولاد العباس وعقيل وجعفر...؟ إن هؤلاء لهم في قاموس الاثني عشرية الكراهة والبغض، كما تشير إليه هذه الرواية وأمثالها:

عن الكلبيّ النّسّابة قال: دخلت المدينة ولست أعرف شيئًا من هذا الأمر، فأتيت المسجد فإذا جماعةٌ من قريشٍ فقلت: أخبروني عن عَالِمِ أهل هذا البيت فقالوا: عبد اللَّه ابن الحسن فأتيت منزله فاستأذنت، فخرج إليّ رجلٌ ظننت أنّه غلامٌ له فقلت له: استأذن لي على مولاك فدخل ثمّ خرج فقال لي: ادخل. فدخلت فإذا أنا بشيخٍ معتكفٍ شديد

---

(١) يتفنن حاخامات اليهود بوصف غير اليهود بأن « أرواحهم مصدرها الروح النجسة، خنازير نجسة، تسكن الغابات، وخلق اللَّه الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقًا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم » انظر: الكنز المرصود في فضائح التلمود، للأستاذ الدكتور محمد عبد اللَّه الشرقاوي (ص ٢٠٤ - ٢٠٦). مكتبة الوعي الإسلامي (١٩٩٠م).

(٢) هذا السواد الأعظم، الذي جاءت روايات أهل السنة بالتمسك به!.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار (٢٧/ ٣٠).

الاجتهاد فسلّمت عليه، فقال لي: من أنت؟ فقلت: أنا الكلبيّ النّسّابة فقال: ما حاجتك؟ فقلت: جئت أسألك فقال: أمررت بابني محمّدٍ؟ قلت: بدأت بك فقال: سل فقلت: أخبرني عن رجلٍ قال لامرأته: أنت طالقٌ عدد نجوم السّماء. فقال: تبين برأس الجوزاء والباقي وزرٌ عليه وعقوبةٌ، فقلت في نفسي: واحدةٌ فقلت: ما يقول الشّيخ في المسح على الخفّين؟ فقال: قد مسح قومٌ صالحون ونحن أهل البيت لا نمسح. فقلت في نفسي: ثنتان، فقلت: ما تقول في أكل الجرّيّ؟ أحلالٌ هو أم حرامٌ؟ فقال: حلالٌ إلا أنّا أهل البيت نعافه. فقلت في نفسي: ثلاثٌ، فقلت: فما تقول في شرب النّبيذ؟ فقال: حلالٌ إلا أنّا أهل البيت لا نشربه. فقمت فخرجت من عنده وأنا أقول هذه العصابة تكذب على أهل هذا البيت، فدخلت المسجد فنظرت إلى جماعةٍ من قريشٍ وغيرهم من النّاس فسلّمت عليهم ثمّ قلت لهم: من أعلم أهل هذا البيت؟ فقالوا: عبد اللّٰه بن الحسن. فقلت: قد أتيته فلم أجد عنده شيئًا. فرفع رجلٌ من القوم رأسه فقال: ائت جعفر ابن محمّدٍ عليه السلام فهو أعلم أهل هذا البيت، فلامه بعض من كان بالحضرة فقلت: إنّ القوم إنّما منعهم من إرشادي إليه أوّل مرّةٍ الحسد فقلت له: ويحك إيّاه أردت » [1].

فلاحظ كراهة الشيعة لآل الحسن، لا لشيء إلا أنهم على مذهب أهل السنة، إذ أجوبة عبد اللّٰه بن الحسن تدل على أنه على فقه أهل السنة. وكذلك فعلوا من قبلُ بمحمد ابن الحنفية فاتهموه بأنه أراد الإمامة لنفسه، « فقال له: يا ابن أخي... وأنا عمّك وصنو أبيك وولادتي من علي عليه السلام في سنّي وقديمي أحقّ بها منك في حداثتك فلا تنازعني في الوصيّة والإمامة ولا تحاجّني، فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: يا عمّ! اتّق اللّٰه ولا تدّع ما ليس لك بحقٍّ، إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين... فلا تتعرّض لهذا فإنّي أخاف عليك نقص العمر وتشتّت الحال... فانصرف محمّد بن عليّ وهو يتولّى عليّ بن الحسين عليه السلام بعد أن شهد الحجر الأسود لزين العابدين » [2].

وكيف نستغرب هذا الموقف الاثني عشري الشديد من الأمة؟ ورجال الاثني عشرية الأوائل كان يكفر بعضهم بعضًا؟!!

استمع إلى ما يرويه الكشي، وعنه الطوسي « بأنه في سنة (١٩٠هـ) اجتمع ستة عشر رجلًا في باب أبي الحسن الثاني، فقال له أحدهم ويدعى جعفر بن عيسى:

---

(١) أصول الكافي (١/ ٤١٠، ٤١١) كتاب الحجة، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة.

(٢) أصول الكافي (١/ ٤٠٩) كتاب الحجة، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة.

« يا سيدي، نشكو إلى الله وإليك [(١)] ما نحن فيه من أصحابنا، فقال: وما أنتم فيه منهم؟ فقال جعفر: هم والله يزندقونا ويكفرونا ويتبرأون منا، فقال: هكذا كان أصحاب علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وأصحاب جعفر، وموسى: صلوات الله عليهم، ولقد كان أصحاب زرارة يكفرون غيرهم، وكذلك غيرهم كانوا يكفرونهم.. » وقال يونس: « جعلت فداك إنهم يزعمون أنا زنادقة » [(٢)].

فإذا كانت هكذا أحوالهم فيما بينهم، فلا يبعد تصديق ما وقع في التاريخ من مناوشات وحروب بين الاثني عشرية والدولة الصفوية والدولة العثمانية، وكذلك ما وقع بينهم وبين طوائف الشيعة الأخرى كالطائفة الدرزية، حيث يذكر التاريخ أنه « في سنة ألف ومائة وخمسين... وسنة سبع وخمسين كانت وقعة في مرج عيون بين الدروز والشيعة، وكانت الغلبة للشيعة... وفي سنة ست وثمانين صارت الوقعة في صيدا بين المتاولة والدروز وقتل من الدروز ثلاثة آلاف ومن المتاولة خمسة عشر رجلًا » [(٣)].

موقف الاثني عشرية من الحكم والقضاء الإسلامي والجهاد في سبيل الله:

– التحاكم إلى قضاة المسلمين تحاكم إلى الطاغوت، حسب روايات الاثني عشرية:

عن عمر بن حنظلة قال: « سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعةٌ في دَيْنٍ أو ميراثٍ فتحاكما إلى السّلطان وإلى القضاة أيحلّ ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حقٍّ أو باطلٍ، فإنّما تحاكم إلى الطّاغوت، وما يحكم له فإنّما يأخذ سحتًا وإن كان حقًّا ثابتًا؛ لأنّه أخذه بحكم الطّاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به قال الله تعالى: ﴿ .. يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ... ﴾ [النساء: ٦٠] » [(٤)].

وقد جاء في وسائل الشيعة قول علي رضي الله عنه لأحد أشهر قضاة المسلمين: « يا شريح! قد جلست مجلسًا لا يجلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي » [(٥)].

(١) نهينا عن مثل هذه العبارة في الحديث الشريف، والصحيح: « نشكو إلى الله ثم إليك ». كما نبّه الدكتور القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٢/٩١٠).

(٢) رجال الكشي (ص ٤٩٨، ٤٩٩)، د. القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٢/٩١٠).

(٣) السيد حسن الصدر (١٣٥٤هـ): تكملة أمل الآمل (ص ٤٥٠، ٤٥١)، مكتبة آية الله المرعشلي – قم (١٤٠٦هـ). والمتاولة كما علمت في مقدمة البحث من أسماء الاثني عشرية.

(٤) الكليني: أصول الكافي (١/١٢١، ١٢٢)، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث. واستدل به الخميني: الحكومة الإسلامية (ص٨٧)، وسماها مقبولة عمر بن حنظلة.

(٥) وسائل الشيعة، وقد استدل به الخميني: الحكومة الإسلامية (ص ٧٤).

وورد أيضًا أن إياكم « أن تحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفساق ».

وشرح الخميني المقصود بالفساق في هذه الرواية فقال: « والمقصود من الفساق القضاة الذين نصبهم ولاة الأمور في ذلك الوقت » (١).

أما استلام مناصب الدولة الإسلامية، فإن بعض روايات الاثني عشرية تذكر أن جواز استلام المناصب لحكام المسلمين مشروط بمحاباة الشيعة، وظلم غيرهم:

عن جعفر الصادق أنه: « ذكر عنده رجل من هذه العصابة قد ولي ولاية، فقال: كيف صنيعته إلى إخوانه؟ قال: قلت: ليس عنده خير، فقال: أف يدخلون فيما لا ينبغي لهم، ولا يصنعون إلى إخوانهم خيرًا ».

وعن علي بن يقطين قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: « ما تقول في أعمال هؤلاء؟ قال: إن كنت لا بد فاعلًا فاتق أموال الشيعة، قال: فأخبرني علي أنه كان يجبيها من الشيعة علانية ويردها عليهم في السر » (٢). وذكروا أن ابن يقطين صار وزير الرشيد، و « اجتمع في حبسه جملة من المخالفين، فأمر غلمانه وهدموا أسقف المحبس على المحبوسين، فماتوا وكانوا خمسمائة رجل » (٣)، ومدح الخوانساري في روضات الجنات فعله قائلًا: حتى سالت دماؤهم الأقذار كأمثال الأنهار « وذكر خبره الحر العاملي في أمل الآمل » (٤).

وليس غريبًا أن يفعل ابن يقطين هذا فقد سأل إمامه « موسى بن جعفر عن خدمة القوم [أي عامة المسلمين] فيما لا يثلم ديني، فقال: لا ولا نقطة قلم، إلا بإعزاز مؤمن [ومعلوم أن المؤمن عندهم الاثنا عشري فقط] وفكّه من أسره » (٥).

وترى الروايات أن « كل راية ترفع قبل راية القائم عليه السلام صاحبها طاغوت » (٦). « وإن كان رافعها يدعو إلى الحق »، وحكم المجلسي على هذه الرواية بالصحة (٧).

---

(١) الخميني: الحكومة الإسلامية (ص ٩٠). (٢) الكليني: فروع الكافي (٥/١١٠).

(٣) الجزائري: الأنوار النعمانية (٢/٣٠٨).

(٤) انظر حول ذلك: الأنوار النعمانية (٢/٣٠٨)، العاملي: الانتصار (٩/١٢٥)، عبد الله عبد الله الموصلي: حقيقة الشيعة (ص ٢٢).

(٥) المجلسي: بحار الأنوار (٧٢/٣٧٩).

(٦) أصول الكافي مع شرح المازندراني (١٢/٤١٠)، النعماني: كتاب الغيبة (ص ١١٤، ١١٥)، بحار الأنوار (٢٥/١١٤).

(٧) مرآة العقول (٤/٣٧٨)، انظر: د. ناصر بن عبد الله القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٢/٨٩٦).

وكل خروج على ظالم قبل مجيء المهدي غير مبرر، فإن هذا الخروج مذموم مقدوح في صاحبه ولو كان من آل البيت أنفسهم، فقد رووا عن محمد الباقر: قال: « مثل من خرج منا أهل البيت قبل قيام القائم مثل فرخ طار ووقع في كوة فتلاعبت به الصبيان » (١).

فإذا كانت هذه الروايات تنطق بهذا الموقف السلبي فمن أين جاءت ثورة الحسين التي صارت مشعلًا يضيء للمستضعفين، ومن أين أخذت الثورة الإيرانية شرعيتها ومددها المعنوي في الخروج على شاه إيران، ومن أي عقيدة استلهم الإخوة في جنوب لبنان عقيدة الجهاد والاستشهاد في وجه الصهاينة الغاصبين؟!.

- القتال مع غير أئمة الشيعة حرام:

لقد جاءت روايات الحديث النبوي عند أهل السنة لتأمر الأمة بالصلاة وراء البرّ والفاجر والجهاد مع البر والفاجر ما دام الهدف وحدة الأمة وإعلاء راية الله تعالى. فقد قال ﷺ: « **يا بلال! قم فأذّن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر** » (٢).

في حين جاءت بعض الروايات الاثني عشرية لتمنع الجهاد في سبيل الله تحت راية حكّام غير الاثني عشرية، فعن أبي عبد الله قال: « القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير » (٣). فهل نسي هؤلاء أن عليًا رضي الله عنه قاتل تحت راية أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم؟.

وأما حكم هؤلاء الشهداء المجاهدين فهم إلى جهنم: وعن عبد الله بن سنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: « جعلت فداك ما تقول في هؤلاء الذين يقتلون في هذه الثغور؟ قال: فقال: الويل يتعجلون قتلة في الدنيا وقتلة في الآخرة » (٤).

ولأجل هذه الروايات قال محمد عرفة عضو هيئة كبار علماء الأزهر معلقًا على هذه الرواية وأمثالها: « وهذا هو السر في رغبة الاستعمار في نشر هذا المذهب في البلاد الإسلامية » (٥). ذلك أنهم لا يرون حمل السلاح قبل ظهور المهدي، ويرون جهاد

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار (١٣٩/٢٥).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسيرة، باب إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وكتاب القدر، باب العمل بالخواتيم رقم (٦٢٣٢)، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم (١١١).

(٣) فروع الكافي (٣٣٤/١)، تهذيب الأحكام (٤٥/٢)، وسائل الشيعة (٣٢/١١).

(٤) الطوسي: تهذيب الأحكام (١٢٦/٦)، وسائل الشيعة (٣١/١٥).

(٥) في مقدمة كتاب الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله.

المسلمين من مخالفيهم لا يجدي نفعًا بل هو تعجل الموت.

فيا فرحة المستعمرين بمثل هذه الآراء التي ما أظن الشيعة المظلومين في العالم يقرون بها؛ لأن محاربة الظلم أمر فطري.

ولذلك لا رهان على من لا يقاتل المحتلّ والغاصب تحت لواء قادة أمّته، ويتسلى بالمقاومة السلمية ويزعم أنه بها ينكي عدوّه ويخرجه خاسئًا من دياره!، ويجلس منتظرًا إمامه الموعود ليحمل يومها السلاح على عدوه، ومعظم الوقائع يبرهن على صدق هذه القاعدة، وما شذ عنها فيحتاج إلى دراسة متأملة لمعرفة السبب، فإن عرف السبب بطل العجب!.

ورغم وضوح هذه الحقيقة في روايات الشيعة وعقول علماء الاثني عشرية؛ فإنهم خالفوا هذه الروايات وضعّفوها عندما أرادوا السير وراء نظرية (ولاية الفقيه)؛ لأن هذه الروايات وأمثالها كانت عائقًا أمامهم، فهذا مصطفى الخميني يرد على مثل هذه الروايات ويضعفها في إحدى رسائله بعنوان (ولاية الفقيه) تحت عنوان: « حول بعض الروايات التي ربما تدل على اختصاص الحكومة والبيعة بالأئمة المعصومين ». وعدّد هذه الروايات، ثم قال: « ومنها غير ذلك مما يمكن أن يطلع عليه المتتبع، لكنه لا يجد إلا في مثل هذه الكتب المعدة لأسقاط الأحاديث كما لا يخفى » [1]. مع أن الرواية الأولى صححها المجلسي كما بيّنّا، مما يدل على مزاجية التصحيح والتضعيف واللعب بالروايات حسب المصالح والرغبات.

موقف الاثني عشرية من الفرق الكلامية المختلفة:

أبين فيما يلي بشيء مختصر موقف الاثني عشرية من الفرق الكلامية المخالفة، كالمرجئة، والزيدية، والمعتزلة، والأشاعرة، والقدرية والخوارج وغيرهم، وأدعو الباحثين لتسليط الأضواء على أقوال الاثني عشرية في حقّ كل فرقة كلامية على حدة، وأقوال علماء هذه الفرقة الكلامية أو تلك في حقّ الاثني عشرية، وخصوصًا في زمان اختلطت فيه الأمور، وضيّعت فيه المفاهيم، وصاد من شاء في الماء العكر بهدف تكثير أتباع فرقته بالتدليس وتمييع الحدود بين الفرق الكلامية المختلفة.

---

(١) مصطفى الخميني: ثلاث رسائل، ولاية الفقيه (ص ٦٠، ٦١)، (١٤١٨هـ)، (ط ١)، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام مصطفى الخميني – قم.

- تكفير المرجئة والقدرية والخوارج:

ويعنون بالمرجئة أهل السنة، ولهذا تجد شيخهم المجلسي يشرح حديثهم الذي يقول: « اللّهم العن المرجئة فهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة » (١). ويرجّح أن المراد بالإرجاء في هذا النص تأخير عليّ عن الدرجة الأولى إلى الدرجة الرابعة من الخلفاء الراشدين (٢).

و « عن أبي مسروقٍ قال: سألني أبو عبد الله عليه السلام عن أهل البصرة فقال لي: ما هم؟ قلت مرجئةٌ وقدريّةٌ وحروريّةٌ فقال: لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة الّتي لا تعبد الله على شيءٍ » (٣). قال محقق الكافي علي أكبر غفاري في تعليقه على هذا الحديث: « المرجئة: المؤخرون أمير المؤمنين عليه السلام عن مرتبته في الخلافة، أو القائلون: لا يضر مع الإيمان معصية » (٤). ومعلوم أن كل أهل السنة يرون تقديم أبي بكر وعمر وعثمان على علي في الخلافة، وبالتالي فإن هذا اللعن موجه في هذه الرواية المزعومة إلى أهل السنة أجمعين.

وعن الفضيل قال: دخلت على أبي جعفرٍ عليه السلام وعنده رجلٌ، فلمّا قعدت قام الرّجل فخرج فقال لي: « يا فضيل ما هذا عندك؟ قلت: وما هو؟ قال: حروريٌّ. قلت: كافرٌ؟ قال: إي واللّه! مشركٌ » (٥).

- تكفير المخالفين ووجوب قتلهم:

قال المفيد: « اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأن على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البينات عليهم، فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلى الصواب، وإلا قتلهم لردّتهم عن الإيمان، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار » (٦).

(١) فروع الكافي مع شرحه: مرآة العقول (٣٧١/٤).

(٢) انظر: مرآة العقول (٣٧١/٤)، عن: د. ناصر بن عبد الله القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٩٠٧/٢).

(٣) أصول الكافي (٣٦٩/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب الكفر، وقال محقق أصول الكافي - وهو غير علي أكبر غفاري -: والحديث حسن موثق، وأورده مرة أخرى، باب: في صنوف أهل الخلاف وذكر القدرية والخوارج والمرجئة وأهل البلدان (٣٩٠/٢).

(٤) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الكفر وباب: في صنوف أهل الخلاف وذكر القدرية والخوارج والمرجئة وأهل البلدان، تحقيق علي أكبر غفاري (الهامش).

(٥) أصول الكافي (٣٧٠/٢) كتاب الإيمان والكفر، باب الكفر، قال عنه المحقق: حسن موثق.

(٦) أوائل المقالات (ص ١٦).

وقال المجلسي: « لا تجوز الصلاة على المخالف لجبر أو تشبيه أو اعتزال أو خارجية أو إنكار إمامة إلا للتقية، فإن فعل [يعني صلى عليه تقية] لعنه بعد الرابعة » (١).

- تكفير الزيدية ووصمهم بالنصب:

وإذا كان الزيدية يوافقون الاثني عشرية في بعض القضايا، كتفضيل أمير المؤمنين علي على باقي الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فإن ذلك لم يشفع لهم عند الاثني عشرية، فلم يخرجوهم من دائرة التشيع فحسب، بل اعتبروهم « نواصب » (٢).

ولم يكتفوا بذلك، فقد جاء في رجال الكشي أن « الزيدية شر من النواصب » (٣). وذكر البحراني أن « الزيدية والواقفية والنُّصّاب بمنزلة واحدة » (٤).

وقال المجلسي: « كتب أخبارنا مشحونة بالأخبار الدالة على كفر الزيدية وأمثالهم من الفطحية، والواقفة » (٥).

وجاء في بحار الأنوار أن المهدي المنتظر سيقتل أربعين ألفًا من الزيدية، « أصحاب المصاحف المعروفون بالزيدية... فيأمر بقتلهم فيقتلون جميعًا ثم يقول لأصحابه: لا تأخذوا المصاحف، ودعوها تكون عليهم حسرة كما بدلوها وغيروها وحرفوها » (٦).

وفي الكافي « عن عبد الله بن المغيرة قال: قلت لأبي الحسن ﷺ: إنّ لي جارين أحدهما ناصب والآخر زيدي، ولا بدّ من معاشرتهما فمن أعاشر؟ فقال: هما سيان، من كذّب بآية من كتاب الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره هو المكذّب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين، ثم قال: إنّ هذا نصب لك، وهذا الزّيدي نصب لنا » (٧). ولم يشفع للزيدية عندهم أنهم « دعوا إلى ولاية علي » (٨)، وأنهم كانوا من الشيعة، لأنهم « خلطوها بولاية أبي بكر وعمر » (٩).

(١) مرآة العقول (٧٢/٤، ٧٣).

(٢) انظر: الطوسي: التهذيب (٣٦٤/١)، الحر العاملي: الوسائل (٢٨٨/٤).

(٣) انظر: رجال الكشي (ص ٤٥٩)، انظر: د. القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٥٤/١).

(٤) الحدائق الناضرة (١٨٩/٥).

(٥) المجلسي: بحار الأنوار (٣٤/٣٧).

(٦) المجلسي: بحار الأنوار (١٧/٥٣).

(٧) الكافي، كتاب الرّوضة (٣٠٤/١٢) (مع شرحه للمازندراني).

(٨) بحار الأنوار (١٨١/٧٢).

(٩) بحار الأنوار (١٨١/٧٢)، وانظر: د. ناصر بن عبد الله القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٩٠٨/٢).

وتقول أمنياتهم: « إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة فيخرج منها بضعة عشر آلاف أنفس يدعون البترية [١] عليهم السلاح فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة. فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم » [٢].

في حين نرى الأئمة ينصحون الزيدية وإن خالفوهم: فهناك نص اثني عشري يثبت أن الإمام عليًا الرضا نصح أخاه زيدًا، وهو إمام الزيدية الذي خرج على الأمويين: « ووعظ يومًا أخاه زيدًا فقال له: يا زيد! ما أنت قائل لرسول الله ﷺ إذا سفكت الدماء وأخفت السبيل، وأخذت المال من غير حله؟ غرّك حمقاء أهل الكوفة » [٣]. فهذا النص وإن يدل على خلاف عميق بين الأخوين، ولكنه في الوقت نفسه يدل على شفقة عظيمة من الإمام الرضا على أخيه وحرصه عليه، ولم يُشْعِرْ هذا النص أن الخلاف بينهما كان عقديًا.

وإذا كان أهل السنة يروون حديثًا عن النبي ﷺ مفاده: « تصدّقوا على أهل الأديان » [٤]، فإن روايات الاثني عشرية لا تستجيز ذلك، فعن عمر بن يزيد قال: « سألت أبا عبد الله عن الصدقة على الناصب وعلى الزيدية؟ قال: لا تصدّق عليهم بشيء ولا تسقهم من الماء إن استطعت، وقال لي: الزيدية هم النصّاب » [٥].

- افتراءات على الأشاعرة:

ولما أثبت الأشاعرة صفات المعاني مع الصفات المعنوية، فقالوا بصفة البصر، مع كونه تعالى بصيرًا، وكذلك السمع والعلم...إلخ، وقالوا: إن تعدُّد الصفات لا يعني تعدّد الذوات، وأنكر الشيعة صفات المعاني لتوهّمهم أن الإقرار بها يؤدي إلى القول بتعدد

---

(١) البترية: فرقة من الزيدية، وهم أصحاب الحسن بن صالح بن حي، وأصحاب كثير النوى، وكان كثير يلقب بالأبتر، وقد يسمون « الصالحية » نسبة للحسن بن صالح، خالفوا الاثني عشرية في كثير من المسائل، فهم ينكرون عقيدة الرجعة، ولا يرون لعلي إمامة إلا حين بويع. انظر: مقالات الإسلاميين (١٤٤/١)، الملل والنحل (١٦١/١).

(٢) الإرشاد (ص ٤١١، ٤١٢)، بحار الأنوار (٣٣٨/٥٢).

(٣) ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة (ص ٦٠).

(٤) جاء في مصنف ابن أبي شيبة (٤٠١/٢): عن سعيد بن جبير قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تصدقوا إلا على أهل دينكم » فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ [البقرة ٢٧٢] قال: قال رسول الله ﷺ: « تصدقوا على أهل الأديان ».

(٥) رجال الكشي (ص ١٩٩)، بحار الأنوار (١٧٩/٧٢).

القدماء مع الله تعالى، موافقين للمعتزلة، قال الجزائري الاثنا عشري الأخباري:

« الأشاعرة لم يعرفوا ربهم بوجه صحيح، بل عرفوه بوجه غير صحيح، فلا فرق بين معرفتهم هذه ومعرفة باقي الكفار، لأنه ما من قوم ولا ملة إلا وهم يدينون بالله سبحانه ويثبتونه وأنه الخالق سوى شرذمة شاذة وهم الدهرية... فالأشاعرة ومتابعوهم أسوأ حالًا في باب معرفة الصانع من المشركين والنصارى، وذلك أن من قال بالولد أو الشريك لم يقل أنه تعالى محتاج إليهما في إيجاد أفعاله وبدائع محكماته، فمعرفتهم له سبحانه على هذا الوجه الباطل من جملة الأسباب التي أورثت خلودهم في النار مع إخوانهم من الكفار وأفادتهم الكلمة الإسلامية حقن الدماء والأموال في الدنيا، فقد تباينّا وانفصلنا عنهم في باب الربوبية، فربنا تفرد بالقدم والأزل، وربهم من كان شركاؤه في القدم ثمانية، ووجه آخر لهذا لا أعلم أنّي رأيته في بعض الأخبار، وحاصله: أنّا لم نجتمع معهم على إله ولا على نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون أن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه وخليفته من بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا » [1].

ولما خالفهم الأشاعرة فلم يثبتوا الحسن والقبح العقليين قالوا عنهم: « فالأشاعرة يلزمهم إبطال دينهم حيث أنكروا مقتضى عقولهم » [2].

ولم يتورع ابن المطهر الحلي في منهاج الكرامة من أن ينسب للأشاعرة وغيرهم من أهل السنة ما لم يقولوا به، واستدعى ذلك من ابن تيمية الرد عليه في كتابه (منهاج السنة) [3].

اختلال ميزان الاثني عشرية في الحكم على المخالفين لهم في العقيدة:

إذا نظرنا من منظور أهل السنة لمن خالفهم؛ نرى أن هناك دائرة الإيمان التي تشمل الصادقين من المسلمين، وهي للخالق ﷻ ، وإن دلّ عليها كثير من الأعمال، وهناك

---

(١) الجزائري: الأنوار النعمانية (٢/٢٧٨)، وانظر: علماء الشيعة يقولون (ص ٢٧)، فالصفحة مصورة من أصل الكتاب. وتوضيح رأي الأشاعرة والاثني عشرية والمعتزلة في الصفات الإلهية قد مرّ تفصيله في فصل العقائد العامة، فلا داعي لتكراره هنا.

(٢) علي بن يونس العاملي (٨٨٧هـ): الصراط المستقيم (١/٢٢). المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية تحقيق محمد باقر البهبودي.

(٣) انظر: منهاج الكرامة للحلي، ومنهاج السنة لابن تيمية الجزء الأول.

دائرة الإسلام الأوسع التي تتسع لكل من يشهد الشهادتين ويقرّ بأحكام الإسلام الرئيسة وما علم منه بالضرورة، وهي دائرة واسعة، يدخل فيها من أطاع، ومن عصى وفسق، ومن ابتدع بدعة لم تصل لحضيض إنكار شيء مما علم من الدين بالضرورة.

ثم هناك دائرة ملتصقة بالمسلمين، وهي دائرة أهل الكتاب التي تعطي بعض الامتيازات لأهل ديانات الوحي الإلهي الذي شابه شيء من التحريف، وهي دائرة أهل الكتاب، اليهود والنصارى.

ثم دائرة المجوس الذين ثبت أن السلف سنّوا بهم سنة أهل الكتاب من حيث العهد والذمة، ولم يضيفوا لهم امتياز أهل الكتاب بأكل ذبائحهم ونكح نسائهم.

ثم يأتي حكم باقي البشر، وهؤلاء أيضًا منهم من هو في حكم الأمان وعصمة الدم. ومنهم من هو في حكم المحاربين الذين عاندوا وحاربوا الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

ولا يجوز تجاوز دائرة من هذه الدوائر الكثيرة عند أهل السنة دون ضابط ولا ميزان.

وإذا قارنا هذا الموقف المبدئي عند أهل السنة ممن خالفهم، بموقف الاثني عشرية من المخالفين لهم في العقيدة نرى أمرًا مختلفًا، فموقف الاثني عشرية من أهل الكتاب أعدل وأرحم من موقفهم من بعض أهل الإسلام، كالخوارج والزيدية والأشاعرة وعموم أهل السنة، كما مرّ، فالاثنا عشرية يرون أن « الفقه الإسلامي لم يعتبر أهل الكتاب بمستوى المشركين، بل يرى أنهم لو دفعوا الجزية (وهي بدل الخمس والزكاة المفروضين على المسلمين) فلهم الأمان في ظل الدولة الإسلامية، ويمكنهم العمل بأحكام شريعتهم، وهذا دليل على اعتبار سائر الأديان » [1].

ونحن لا نعترض على موقفهم هذا من أهل الكتاب، بل هو موقف أهل السنة أيضًا، ولكن العجب من أنهم مع تسامحهم مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى يشتدّون على خصومهم من المسلمين من الفرق التي اختلفت معهم، وهذا شبيه من موقف الخوارج الذين كانوا يقتلون المسلمين، فإذا رأوا أهل الكتاب قالوا: ذمة نبينا [2].!

---

(١) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة (ص ٣١١، ٣١٢).

(٢) الخوارج رأوا عبد الله بن خباب بن الأرت، فلما خالفهم في عقيدته: « قصدوا قتله، وقتله رجل منهم اسمه مسمع وجرى دمه على وجه الماء..ثم قصدوا بيته وقتلوا أولاده وأمهات أولاده بالنهروان » (الإسفراييني: التبصير في الدين ص ٤٧).

وايم اللّٰه إن دم المسلم أعز، وصونه أوجب وآكد، لو كانوا يعلمون!.

ومن أمثلة اختلال هذا الميزان في الحكم على المخالفين:

- قولهم بنجاة عبد المطلب وأبي طالب:

وإذا كان الرأي عند الاثني عشرية خلود كل من لم يؤمن بإمامة الاثني عشر إمامًا في النار، على حد قول المجلسي: « اعلم أنّ إطلاق لفظ الشّرك والكفر - يعني في نصوصهم - على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمّة من ولده ﷺ، وفضّل عليهم غيرهم يدلّ أنّهم كفّار مخلّدون في النار » (١)؛ فما هو المبرر إذًا للحكم بدخول الجنة لبعض من لم يكونوا من أمة الإسلام أصلًا؟ ولم يعرفوا الأئمة ولم يؤمنوا بدينهم ولا بشريعتهم؟.

ففي اللحظة التي يثبت فيها الشيعة خلود معظم صحابة النبي والأمة المسلمة من بعده في النار، فإنهم يثبتون نجاة وإيمان أبي طالب والد علي ﷺ، ونجاة عبد المطلب، مع أنه لم يثبت عند السنة نجاتهما، فأبو طالب أدرك عهد النبوة ولم يؤمن، وفي أحاديث أهل السنة الصحيحة أن أبا طالب « أهون أهل النار عذابًا » (٢):

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ: أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: « **لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه** » (٣). وفي رواية عن العباس بن عبد المطلب ﷺ: قال للنبي ﷺ ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: « **هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار** » (٤). فلا محاباة في دين اللّٰه ﷻ، ولا نسب بين اللّٰه تعالى وأي أحد من خلقه.

---

(١) بحار الأنوار (٣٩٠/٢٣).

(٢) أخرج مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابًا، رقم (٢١٢)، عن ابن عباس أن رسول اللّٰه ﷺ قال: « أهون أهل النار عذابًا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه ».

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة أبي طالب رقم (٣٦٧٢)، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب (٢٠٩).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قصة أبي طالب (٣٦٧٠). وأخرجه مسلم في الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب. والضحضاح: قريب القعر، بعكس العميق والغمر. جاء في لسان العرب (٤١٩/١٠) مادة (د. ر. ك): « والضّحضاح أريد به القليل من العذاب مثل الماء الضحضاح الذي هو ضد الغمر، وقيل لأعرابي: إن فلانًا يدعي الفضل عليك فقال: لو كان أطول من مسيرة شهر ما بلغ فضلي، ولو وقع في ضحضاح لغرق. أي لو وقع في القليل من مياه شرفي وفضلي لغرق فيه ».

ولم يكتف الاثنا عشرية بالقول بنجاة أبي طالب، بل أثبتوا له ما فوق ذلك:

عن دُرُسْت بنِ أبي منصورٍ أنّه سأل أبا الحسن الأوّل عليه السلام: «أكان رسول الله ﷺ محجوجًا بأبي طالبٍ؟ فقال: لا ولكنّه كان مستودعًا للوصايا فدفعها إليه ﷺ قال: قلت: فدفع إليه الوصايا على أنّه محجوجٌ به؟ فقال: لو كان محجوجًا به ما دفع إليه الوصيّة، قال: فقلت: فما كان حال أبي طالبٍ؟ قال: أقرّ بالنّبيّ وبما جاء به ودفع إليه الوصايا ومات من يومه» (١).

ذكر المجلسي في معنى (محجوج به) وجوهًا منها: **الأول**: هل كان أبو طالب حجة على رسول الله ﷺ وإمامًا؟ فأجاب الإمام عليه السلام بالنفي... **الثاني**: هل كان رسول الله ﷺ مغلوبًا بالحجة في شأن أبي طالب لكونه قصر في هدايته إلى الإيمان فلم يؤمن؟ فأجاب الإمام عليه السلام بالنفي لأن أبا طالب كان قد آمن (٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نزل جبرئيل عليه السلام على النّبيّ ﷺ فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السّلام ويقول: إنّي قد حرّمت النّار على صلبٍ أنزلك وبطنٍ حملك وحجرٍ كفلك، فالصّلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطّلب، والبطن الّذي حملك، آمنة بنت وهبٍ، وأمّا حجرٌ كفلك فحجر أبي طالبٍ» (٣). قال محقق أصول الكافي عند هذه الرواية: «وهذا الحديث واضح في إسلام أبوي رسول الله ﷺ وعمه أبي طالب».

وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ مثل أبي طالبٍ مثل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشّرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين» (٤).

بل ينسبون إليه - في رواية - علمَ أبي طالب بأن عليًا سيكون وزير النبي ﷺ: عن المفضّل بن عمر قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لمّا ولد رسول الله ﷺ فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشّام، فجاءت فاطمة بنت أسدٍ أمّ أمير المؤمنين إلى أبي طالبٍ ضاحكةً مستبشرةً، فأعلمته ما قالت آمنة، فقال لها أبو طالبٍ: وتتعجّبين من هذا إنّك تحبلين وتلدين بوصيّه ووزيره» (٥).

---

(١) أصول الكافي (٥١٦/١)، كتاب الحجة، بابٌ في مولد النبي ﷺ ووفاته. وروى الكليني قريبًا منه عن علي رضي الله عنه.

(٢) انظر: مرآة العقول (٢٢٤/٥).

(٣) أصول الكافي (٥١٨/١)، كتاب الحجة، بابٌ في مولد النبي ﷺ ووفاته.

(٤) أصول الكافي (٥٢٠/١)، كتاب الحجة، بابٌ في مولد النبي ﷺ ووفاته. وقال محققه: والحديث حسن.

(٥) أصول الكافي (٥٢٦/١)، كتاب الحجة، بابٌ في مولد النبي ﷺ ووفاته. سكت عنه المحقق ولم يذكر درجته. وكثيرًا ما يفعل بالروايات التي تخالف أهل السنة، فهل سكوته من باب حيرته بين الحفاظ على مذهبه والحفاظ على وحدة الأمة؟.

ويعتقد أهل السنة أن عبد المطلب من أهل الفترة، وللعلماء فيهم اختلاف كبير [١]، أقواها أنهم غير مكلّفين، والأولى الوقف في شأنهم، ووكلهم إلى حكمة الله تعالى ورحمته، القائل في كتابه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

أما الاثنا عشرية فيضعون عبد المطلب في مكانة أعظم من مكانة عظماء الصحابة! فعن زرارةَ بنِ أعْيَنَ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « يحشر عبد المطّلب يوم القيامة أمّةً واحدةً عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك » [٢].

ونحن والله! لنفرح لو صحّ شيء من تلك الأخبار في حق أبي طالب عم النبي ﷺ، وجده عبد المطلب، ولكن لم يصحّ في منهج المحدّثين منها شيء في حق عبد المطلب جدّ النبي ﷺ، وجاء من الأحاديث الصحيحة في حقّ أبي طالب ما يناقضها، والحقّ أحقّ أن يتّبع.

- **قولهم بنجاة كسرى!:**

وإذا كان موقفهم هذا من عبد المطلب وأبي طالب مبررًا بأن القوم أخذتهم الحمية والعاطفة على والد (الوصي) وجد النبي ﷺ وجد (الوصي) أيضًا؛ فأنطقوا الروايات بنجاتهما، فما بال كسرى يحكم بنجاته وهو المجوسي الكافر؟ إذ تفيد بعض رواياتهم نجاة كسرى أنوشيروان المجوسي الفارسي من عذاب النار وهو فيها!!.

تقول الرواية: قدم أمير المؤمنين عليه السلام المدائن فنزل بإيوان كسرى،... ثم نظر عليه السلام إلى جمجمة نخرة، فقال لبعض أصحابه: « خذ هذه الجمجمة، ثم جاء عليه السلام إلى الإيوان وجلس فيه، ودعا بطست فيه ماء، فقال للرجل: ضع هذه الجمجمة في الطست، ثم قال: أقسمت عليك يا جمجمة لتخبريني من أنا ومن أنت؟ فقالت الجمجمة بلسان فصيح: أما أنت فأمير المؤمنين وسيد الوصيين وإمام المتقين، وأما أنا فعبد الله وابن أمة الله كسرى أنو شيروان، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : كيف حالك؟ قال: يا أمير المؤمنين! إني كنت ملكًا عادلًا شفيقًا على الرعايا رحيمًا، لا أرضى بظلم، ولكن كنت على دين المجوس، وقد ولد محمد ﷺ في زمان ملكي، فسقط من شرفات قَصْري ثلاث وعشرون شرفة ليلة ولد، فهممت أن أؤمن به من كثرة ما سمعت من الزيادة من أنواع شرفه

---

(١) انظر مسألة أهل الفترة وأولاد المشركين وكثرة الأقوال والآراء فيها في: الفصل في الملل والنحل، وشرح فتح الباري.

(٢) أصول الكافي (١/٥١٨)، كتاب الحجة، بابٌ في مولد النبي ﷺ ووفاته. والحديث صحيح.

وفضله ومرتبته وعزه في السماوات والأرض ومن شرف أهل بيته، ولكني تغافلت عن ذلك وتشاغلت عنه في الملك، فيا لها من نعمة ومنزلة ذهبت مني حيث لم أؤمن، فأنا محروم من الجنة بعدم إيماني به، ولكني مع هذا الكفر خلصني اللّٰه تعالى من عذاب النار ببركة عدلي وإنصافي بين الرعية، وأنا في النار، والنار محرمة علي، فو احسرتاه لو آمنت »[1].

وتذكر إحدى الروايات أن كسرى مخلّصٌ من النار، فتقول: « إن اللّٰه قد خلصه من النار، وإن النار محرمة عليه »[2].

وهنا نتساءل عن دور الأثر والعامل الفارسي في وضع مثل هذه النصوص المخالفة للكتاب والسنة في تحريم الجنة على الكافرين. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].

ونحن لا نضيّق حدود رحمة اللّٰه تعالى، ولكن نتساءل: كم الفرق واسع والبون شاسع بين تسامح الاثني عشرية مع جد النبي عبد المطلب الذي مات في زمن الفترة، وعمه أبي طالب، بل ومع كسرى أنوشيروان المجوسي، وبين تشددهم وتعصبهم وتصلّب موقفهم أمام الصحابة وعامة المسلمين والفرق الكلامية المخالفة لهم.

فكان حريًّا بهم أن يحكموا بنجاة الفرق الإسلامية المخالفة لهم في بعض الجزئيات كالإمامة، تلك الفِرَق التي وافقتهم في أصول الدين وأركانه الأساسية، كالإيمان باللّٰه وملائكته واليوم الآخر والكتب السماوية كلها. تلك الأركان التي فقدت كلها، ولم يوجد منها شيء يذكر عند كسرى المجوسي الذي حكمت الرواية بنجاته.

* * *

(١) المجلسي: بحار الأنوار (٢١٣/٤١)، وفي آخر الرواية أن بعض أصحاب علي ﷺ كفروا وألّهوه، فنهاهم فحرّق من لم ينته بالنار.

(٢) بحار الأنوار (٤/٤١).

خاتمة

بعد هذه الجولة الممتدة في دراسة التشيع عمومًا والاثني عشري خصوصًا، يمكن للباحث أن يقرر أهم نتائج دراسته هذه:

١ - التشيع لم ينشأ في التاريخ دفعة واحدة، بل مرّ بأطوار متعددة، وخلال هذه الأطوار ظهرت فرق شيعية كثيرة متنوعة ومختلفة ينكر بعضها بعضًا، من هذه الفرق ما باد وفني، ولم يبق لأصحابه إلا إشارات في كتب الملل والمقالات، ومن هذه الفرق ما كتب له البقاء والاستمرار، ومن أشهر وأكبر هذه الفرق الباقية الاثنا عشرية والزيدية.

وهكذا تطور التشيع حتى استقر على صورته الحالية في اتجاهين: **الأول**: الاتجاه الزيدي، **والثاني**: الاتجاه الاثني عشري.

٢ - إن التشيع خلال مراحله كلها اصطبغ بصبغة المواجهة والتدافع بين الغلو والاعتدال، وهذه المواجهة والتدافع توقّدت من عهد التشيع القديم، فقد كان الغلو على يد السبئية ثم الكيسانية والخطابية، وكان هذا الاتجاه محاربًا من قبل من عاصره من الأئمة أنفسهم ومن قبل أتباعهم المقرّبين.

وإذا كان كتّاب الإمامية الاثني عشرية يرون هذا الغلو مرحلة مضت وانتهت؛ فإن الباحث قد ظهر له من خلال الأدلة الواضحة من مرويات الاثني عشرية أنفسهم أن الفكر الغالي بقي موجودًا، إذ تسلّل إلى الفكر الاثني عشري من خلال كثير من الروايات التي نسبت إلى الأئمة. وجاء دور المعتدلين من الشيعة ليردّوا وليضعّفوا هذه الروايات أو يؤولوها بما يتفق مع روح الإسلام وعقيدة المسلمين، وافقهم من وافقهم، وخالفهم من خالفهم من علماء الاثني عشرية.

٣ - وإذا كان القرآن الكريم والسنة المشرّفة متفقًا عليهما - ظاهرًا - بوصفهما أساس العقيدة عند أهل السنة والشيعة، فإن البحث والتمحيص يثبت اختلاف الفريقين في تفسيرهما وكيفية الاستفادة منهما، فالقرآن واحد، ولكن حفظه عند الشيعة تم من خلال الأئمة، أما عند أهل السنة فمن خلال تواتره عن الصحابة الكرام ثم عن التابعين ثم عمن بعدهم حتى وصل إلينا، أما من حيث تفسيره عند الاثني عشرية فإنه غالبًا

مرتبط بما ينقلونه عن أئمتهم (المعصومين) فلا حجة بأقوال من سواهم من الصحابة والتابعين، في حين يعتمد أهل السنة - بعد تفسير القرآن بالقرآن وتفسيره بالسنة - على أقوال الصحابة والتابعين في تفسير القرآن.

هذا وقد ظهرت بعض الكتب التفسيرية المعتدلة لدى الشيعة تستأنس بأقوال الصحابة إلى جانب أقوال الأئمة، وإن قابلها بعض الأخباريين - للأسف - بالمعارضة أو اتهامها بالتقية!.

٤ - أما بالنسبة للسنة النبوية؛ فالمصادر الحديثية عند الشيعة تختلف عنها عند أهل السنة، فأشهر كتب الحديث عند الشيعة (الكافي، والاستبصار، والتهذيب، ومن لا يحضره الفقيه) لا يعرفها أهل السنة، وأشهر كتب الحديث عند السنة (كالبخاري ومسلم والسنن الأربعة ومسند أحمد) لا يعرفها الشيعة، اللّهم إلّا بقصد الرد والمجادلة للفريق الآخر.

وعلى كلٍّ فبينهما قواسم مشتركة كثيرة في أبواب التوحيد والأخلاق والمعاملات، ولكن يظهر الخلاف بمجرد التعرّض لمسألة الإمامة وما يتعلق بها.

ويظهر الخلاف جليًا حول الحكم على الأحاديث من تصحيح وتضعيف بين علماء الشيعة الاثني عشرية أنفسهم؛ فالتيار (الأخباري) يرى تصحيح كل الأحاديث المنقولة في كتب الحديث جملة وتفصيلًا، وهذا ما أوقعهم في تناقضات واعتقادات تخالف جمهور المسلمين، لعل أعظمها تصحيح الروايات التي تقول بتحريف القرآن الكريم.

في حين يرى التيار (الأصولي) أن ما ورد عن الأئمة ليس كله صحيحًا، بل قابلًا للتصحيح والتضعيف، حسب ضوابط كثيرة تتعلق بالسند والمتن، ولذلك ردّوا تلك المرويات التي صدّقها الأخباريون في تحريف القرآن.

وبين هذين التيارين مساجلات ونقاشات تظهر صدق الأصوليين القائلين بسلامة القرآن الكريم من التحريف.

وبسبب هذا الخصام بين هذين التيارين توصل الباحث أن عقيدة الأصوليين بسلامة القرآن من التحريف صادرة وناتجة عن فكر وعقيدة واجتهاد، لا عن المجاملة والتقية لأهل السنة، فقد أنكر التحريف كبار علمائهم القدامى، وكذلك معظم العلماء المحدثين.

ولكن الذي يأسف له الباحث أن الأصوليين المنكرين للتحريف ليس لهم موقف

واضح من الأخباريين الذين رأوا من خلال الروايات وقوع التحريف، وكأن مسألة سلامة القرآن ليست من المسائل القطعية كما هو الحال عند أهل السنة، بل هي خاضعة للاجتهاد، بحيث لا يكفر منكرها!.

وعلى كلٍّ فعلى الأمة مدّ اليد إلى هؤلاء العلماء الذين أنكروا تحريف القرآن الكريم، وانتقدوا القائلين بالتحريف، وتحمّلوا عناء خصومتهم لهم، لا اتهامهم بأنهم إنما فعلوا ذلك تقية، وذلك لجمع وحدة الأمة، وأخذًا بالظاهر الذي طالبنا الشرع بالتعامل به مع الناس، وهو ما يصدّقه الواقع، إذ المصاحف في أيدي إخواننا الشيعة هي مصاحف جميع المسلمين، من غير زيادة ولا نقصان.

٥ - يرى الباحث أن معظم المسائل العقدية التي تناولها علماء الكلام من أهل السنة قد تناولها علماء الكلام الاثنا عشرية، ويرى اتفاقًا كبيرًا في مبحث إثبات الإيمان بالله تعالى وأدلة وجوده، فقد أبدع علماء الاثني عشرية بما ساقوه من نصوص عن أئمة أهل البيت تثبت وجود الله تعالى، ثم جاء علماء الكلام من الاثني عشرية ليتفقوا في الاستدلال على وجود الله مع علماء الكلام من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية.

كما يرى الباحث الاتفاق في كثير من مسائل النبوات، كالقول بعصمة الأنبياء عليهم السلام، والإيمان بالملائكة واليوم الآخر، وإن كانت مسحة التشيع تظهر بين الحين والآخر في تناول هذه المسائل العقدية العامة، فتضخيم مكانة آل البيت تستمر في الفكر الشيعي من ولادة الإنسان إلى قبره، إلى البعث والصراط ودخول الجنة.

٦ - لقد تطور الفكر الكلامي الاثنا عشري بأسلوب مشابه للفكر الكلامي عند الأشاعرة وغيرهم من متكلمي السنة تقريبًا، من حيث محاربة الاعتزال أولًا ثم التأثر به ثانيًا، ثم التأثر بالفكر الفلسفي في النهاية، مع وجود صيحات من هنا وهناك لمحاربة الاعتزال والفلسفة.

ومن الملاحظ أن الشيعة وغيرهم من الفرق دخلوا وخاضوا في الصفات الإلهية خوضًا ما كان ينبغي أن يخوضوه، وهذه زلة كبيرة ساقت المسلمين إلى كهف مظلم تاه المسلمون فيه، وما كادوا يخرجون منه.

٧ - أما عن علاقة التشيع بالاعتزال فالعلاقة بينهما قديمة وحميمة، حتى دفع بعض المعتزلة دماءهم في سبيل نصرة ثورات أهل البيت، وتأصّلت عقائد المعتزلة في العدل والتوحيد واللطف في كتب الشيعة.

ولكن الخلاف الفكري دار عبر تساؤل محيّر: مَنْ تأثّرَ بالآخر: الاعتزال بالتشيع أم العكس؟ وللعلماء آراء مختلفة في هذه القضية، فكثير من علماء الفرق المعاصرين يجعلون التشيع هو المتأثر بالاعتزال، ولكن كتّاب الاثني عشرية المعاصرين لا يرتضون هذا الاتجاه، ويحاربونه بشدة.

ولكن الذي لا شك فيه أن التأثر واضح بيّن، فكتب العقيدة للجانبين توضح وجود آثار لهذا التأثر المزدوج بينهما.

ولكن الباحث يقرر أن حاجة التشيع للفكر الاعتزالي - كما ظهر في كتب الاثني عشرية - أعظم من حاجة الفكر الاعتزالي إلى الفكر الشيعي، مما يجعل تأثر الفكر الاثني عشري بالاعتزال أوضح وأبين، وخصوصًا إذا لوحظ (المنهج الجمعي) عند علماء الاثني عشرية القدامى، حيث كانوا يأخذون من كل مذهب ما يدعم مذهبهم، فنظرية اللطف الاعتزالية - مثلًا - استعيرت لتخدم فكرة حاجة البشر إلى الأئمة.

٨ - هناك عقائد خاصة آمن بها الاثنا عشرية إيمانًا مطلقًا، واختصوا بها عن جميع المسلمين، كالقول بإمامة اثني عشر إمامًا بالنص الصريح، والقول بعصمة هؤلاء الأئمة، وهذه العقائد الخاصة بالاثني عشرية لا يستطيع المذهب الاثنا عشري أن يتخلص منها أو يتخلى عنها؛ لأنه لو تخلّى عنها تخلّى عن اسمه أولًا وعن كيانه ثانيًا، فلا يراها الباحث قابلة للمناقشة أو الجدال، فالاثنا عشرية جميعهم يعتقدونها، سواء أكانوا أصوليين أم أخباريين، فقد وردت في كتبهم بأسانيد صحيحة - في نظرهم - لا تصلها يد تضعيف أو تأويل، ولو أنكرها منكر فإنما أنكر المذهب ذاته.

٩ - وهناك عقائد خاصة أخرى عند الشيعة يمكن المجادلة بها؛ لأنها ليست محل الاتفاق بينهم كالقول بالرجعة والبداء، فهي محل اجتهاد أو تأويل ونقاش فيما بينهم.

١٠ - ومن خلال مقارنة عقائد الاثني عشرية الخاصة من خلال مصادرهم بما سطّره كتّاب الفرق الأقدمون من علماء السنة (كالأشعري والشهرستاني وابن حزم... إلخ) يتضح رسوخ هؤلاء العلماء في معرفة عقائد الآخرين وإنصافهم، في حين يظهر عند بعض الكتّاب المعاصرين الضعف في معرفة عقائد الشيعة الاثني عشرية، بسبب عدم اطلاعهم على كتب الاثني عشرية الأصلية الموثوقة عندهم (كالكافي، الاستبصار، التهذيب، من لا يحضره الفقيه)، في حين يقنعون بالكتب الدعائية الإعلامية للاثني عشرية، أو يكتفون بما يكتبه عنهم خصومهم؛ ولذلك يترددون بين متساهل في أمرهم

يجعلهم في عداد الزيدية. ومتشدد في حقهم يقيسهم على الغلاة مطلقًا، دون تفريق بين الاتجاه الأصولي والإخباري.

١١ - لقد كان لتلك الفتن التي حدثت في العهد الأول بين المسلمين حول الخلافة، وما جرى في سبيلها من دماء، وما خلّفه مقتل الحسين ﷺ، وما تبعه من ثورات قام بها سادة أهل البيت... إلخ - كان لكل ذلك الأثر البالغ في تأجيج نار الكراهية من قبل أتباع المذهب الشيعي تجاه مخالفيهم، وكان للسرية دورها في تضخيم هذه الكراهية للأمة والصحابة والتابعين وعلماء الأمة.

وقد ساهم في نشر هذه الأحقاد كمٌّ هائل من الأكاذيب التي نسبت الفظائع والشرور إلى كبار الصحابة الكرام، حتى شبّ عليها الصغير وشاب عليها الكبير عند الاثني عشرية. والصحابة الكرام مبرّؤون من هذه العظائم، كيف وقد أثنى عليهم ربنا تعالى في كتابه ونبينا ﷺ في سنته؟.

وقد استطاع الباحث - بفضل الله تعالى - أن يحشد من الروايات التي نسبت إلى آل البيت أيضًا ما يخالف تلك المرويات الجائرة. ففي مصادر الاثني عشرية أنفسهم روايات تبين فضل الصحابة ومكانتهم، فينبغي فتح آذان أبناء هذا الطائفة على هذه المرويات والتأكيد عليها؛ لأنها تؤكد ما كان عليه أمر الأمة من تلاحم وتواؤم بين آل البيت الكرام والصحابة، وهو تواؤم ومحبة لا تهدمها تلك الفتن، ولا تغيرها الأيام والمحن.

١٢ - لا يجوز الحكم على أية طائفة من الطوائف الإسلامية حكمًا واحدًا، ولا يجوز الحكم على جميع علماء الاثني عشرية مرة واحدة، إذ لكل منهم آراؤه واجتهاداته، ولا يجوز الحكم على أي طائفة من طوائف المسلمين من خلال ما يكتبه أعداؤها؛ فقد تبين في دراسة الفرق وجود كثير من الأقوال نسبت إلى غير أصحابها، أو فهمت على غير مراد قائليها، فعلى المنصف التروي بحيث لا يقبل عن أحدٍ قولًا إلا من خلال أقواله الصحيحة والصريحة.

١٣. ويطيب لي أن أختم هذا البحث ببيان الدوحة لحوار المذاهب الإسلامية:

بيان الدوحة الصادر عن مؤتمر الدوحة لحوار المذاهب الإسلامية خلال الفترة من (١ - ٣) محرم (١٤٢٨هـ) الموافق (٢٠ - ٢٣) يناير (٢٠٠٧م):

« انعقد مؤتمر الدوحة لحوار المذاهب الإسلامية (دور التقريب في الوحدة العملية للأمة) الذي نظّمته جامعة قطر بالتعاون مع جامعة الأزهر والمجمع العالمي للتقريب بين

المذاهب الإسلامية، وشارك فيه أكثر من مئتي عالم من أكثر من أربعين دولة ».

وانتهى العلماء المؤتمرون إلى عشرة بنود هي:

أولًا: إدانة ما يحدث في العراق من حرب طائفية بين السنة والشيعة، مما يؤدي إلى تفتيت العراق، وصرف الانتباه عن العدو الحقيقي المتربّص بالأمة.

ثانيًا: التأكيد على حرمة دم المسلم وماله وعرضه، واستنكار الجرائم المرتكبة على الهوية المذهبية.

ثالثًا: الوقوف صفًّا واحدًا أمام التحديات والعدوان الذي تتعرض له الأمة.

رابعًا: ضرورة استمرار الجهود لتحقيق التقارب والتفاهم بين مختلف المذاهب والفرق الإسلامية، والعمل على إزالة العقبات التي تعترض طريق الوحدة.

خامسًا: بذل الجهود لتفعيل القرارات والتوصيات التي انتهت إليها المؤتمرات السابقة التي تصبّ في الاتجاه نفسه.

سادسًا: يرفض جميع العلماء المشاركين ممثلي السنة والشيعة والزيدية والإباضية رفضًا قاطعًا كل تطاول أو إساءة إلى بيت رسول الله ﷺ وصحابته - رضوان الله عليهم جميعًا - وأمهات المؤمنين، ويناشدون أتباع المذاهب والفرق الإسلامية احترام مقدسات كل طرف، والحفاظ على الاحترام المتبادل في الحوار والنشاط الدعوي.

سابعًا: دعوة القيادات والمراجع الدينية السنية والشيعية إلى الحفاظ على حدود وضوابط التعامل مع الآخر، وعدم السماح بالتبشير لمذهب التشيع في بلاد السنّة، أو التسنّن في بلاد الشيعة، درءًا للفتنة والشقاق بين أبناء الأمة الواحدة.

ثامنًا: يناشد المؤتمر حكّام ورؤساء الدول العربية والإسلامية، تعزيز جهود العلماء والمفكرين في سبيل تحقيق الوحدة، وإقرار سياسة الحوار بين المذاهب الإسلامية.

تاسعًا: تشكيل مجمع علمي عالمي يضم علماء السنة والإمامية والزيدية والإباضية، يعزّز فكرة التقريب، ويرصد المعوقات والخروقات، ويضع لها الحلول المناسبة، ويقترح المؤتمر أن تكون الدوحة مقرًا لهذا المجمع.

عاشرًا: إصلاح المناهج التعليمية بما يدعم فكرة الوحدة والتقريب بين المذاهب والفرق الإسلامية اهـ.

وفي الختام أسأله تعالى أن يجمع شمل هذه الأمة، وأن يوحد صفوفها أمام أعدائها

الذين لا يفرقون بين المسلمين ومذاهبهم، بل يرونهم جميعًا قذى في عيونهم وشوكة في حلوقهم.

فعلى المسلمين السعي إلى ما يجمع كلمتهم، وأن يكونوا ممن قال الله تعالى في وصفهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر: ١٨].

ممتثلين قوله ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وصلى الله تعالى على نبيه محمد، وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار، إنه سميع مجيب.

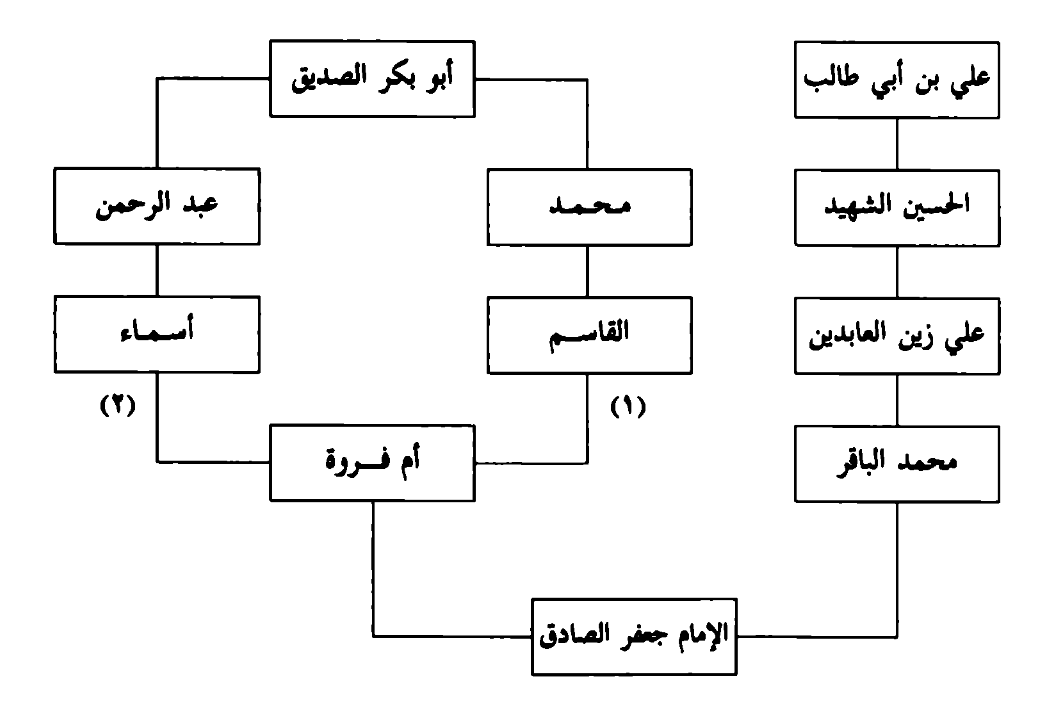
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. محمد زكريا الندّاف

• • •

ملحق

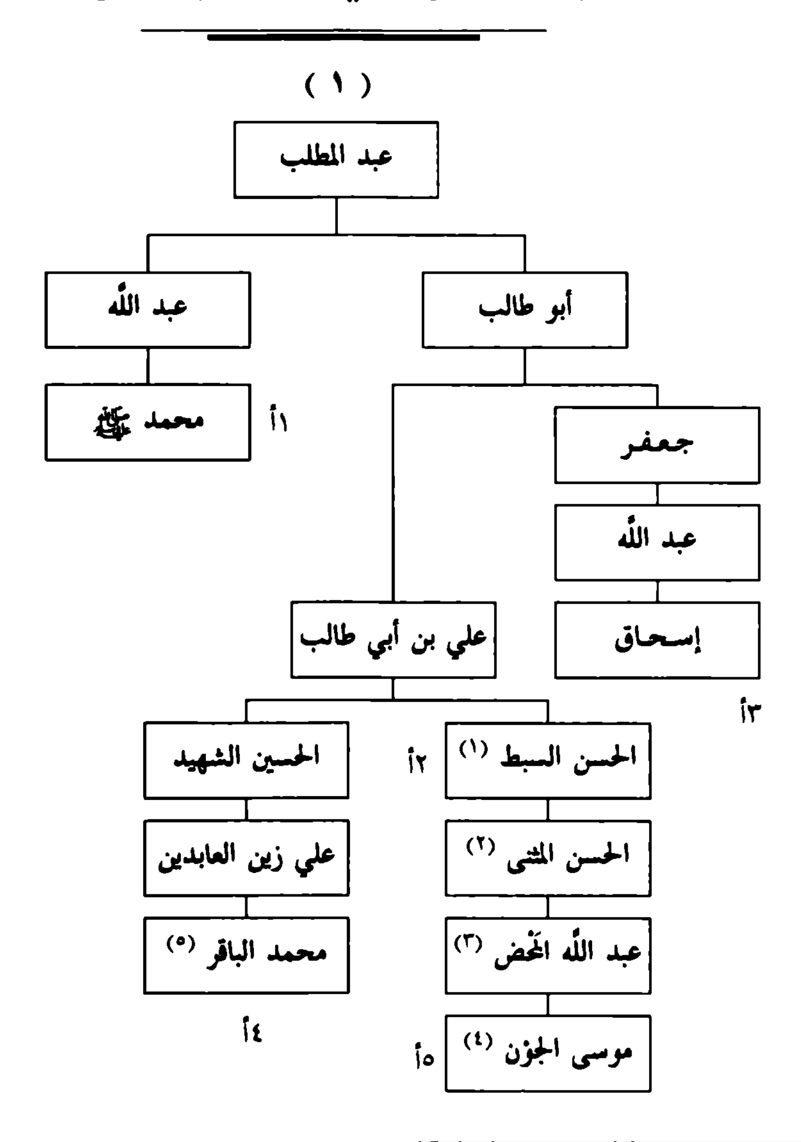
مقولة الإمام جعفر الصادق ﷺ
« ولدني أبو بكر الصديق مرتين »



يشير المساران (١) و (٢) في هذا الرسم التوضيحي إلى مقصود الإمام جعفر الصادق ﷺ بشأن هاتين المرتين اللتين ولده عن طريقهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

المصاهرات بين آل النبي ﷺ وآل الصديق رضي الله عنهم أجمعين

(١)



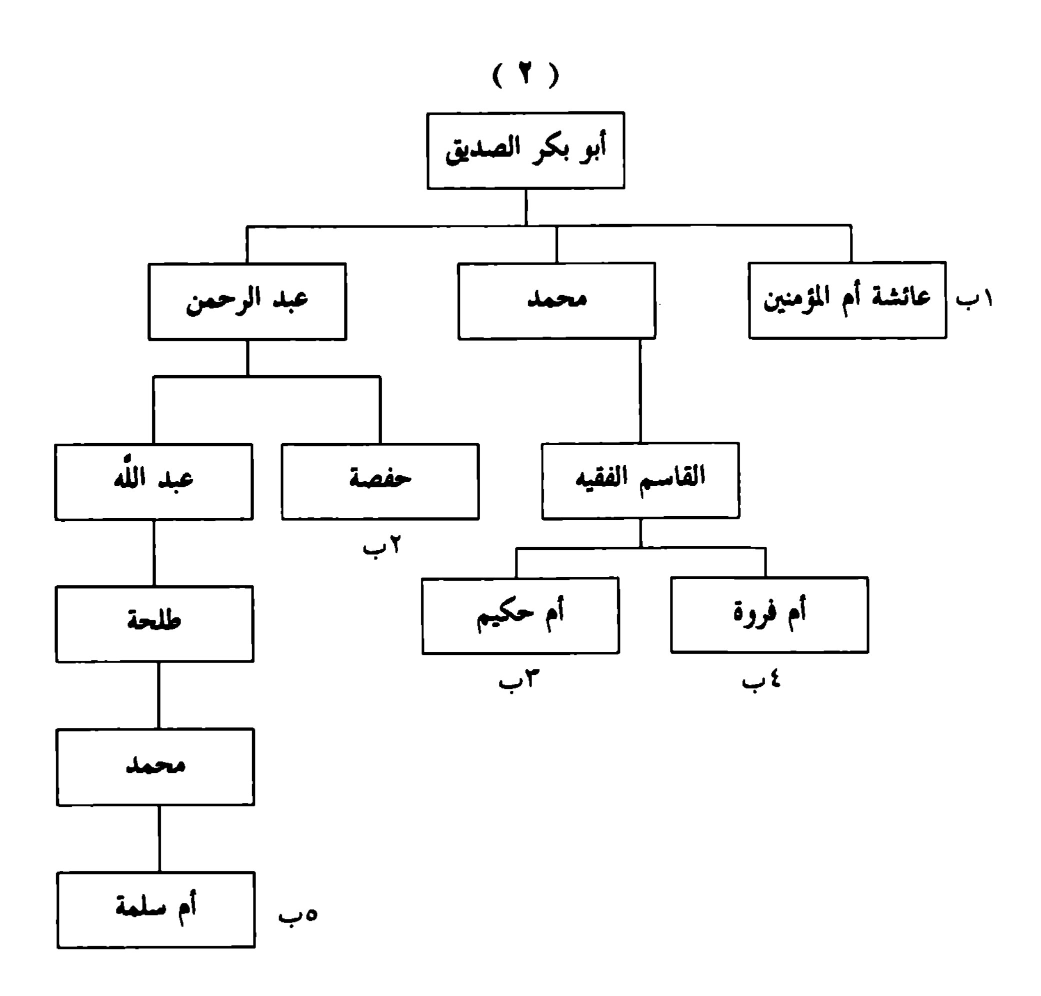
(١) السبط لغةً: هو ولد الولد، وقيل: ولد الابن، وقيل: وولد البنت أيضًا، واصطلاحًا: سبطا رسول الله ﷺ ولدا ابنته فاطمة الزهراء الحسن والحسين رضوان الله عليهما كما ورد بذلك الحديث وفيه: « وحسين سبط من الأسباط » أي أمة في الخير.

(٢) المثنى: الثاني.

(٣) المَحْض لغةً: الخالص، واصطلاحًا: من تزوج ابنة عمه وكلاهما هاشميان.

(٤) الجون: شديد السواد.

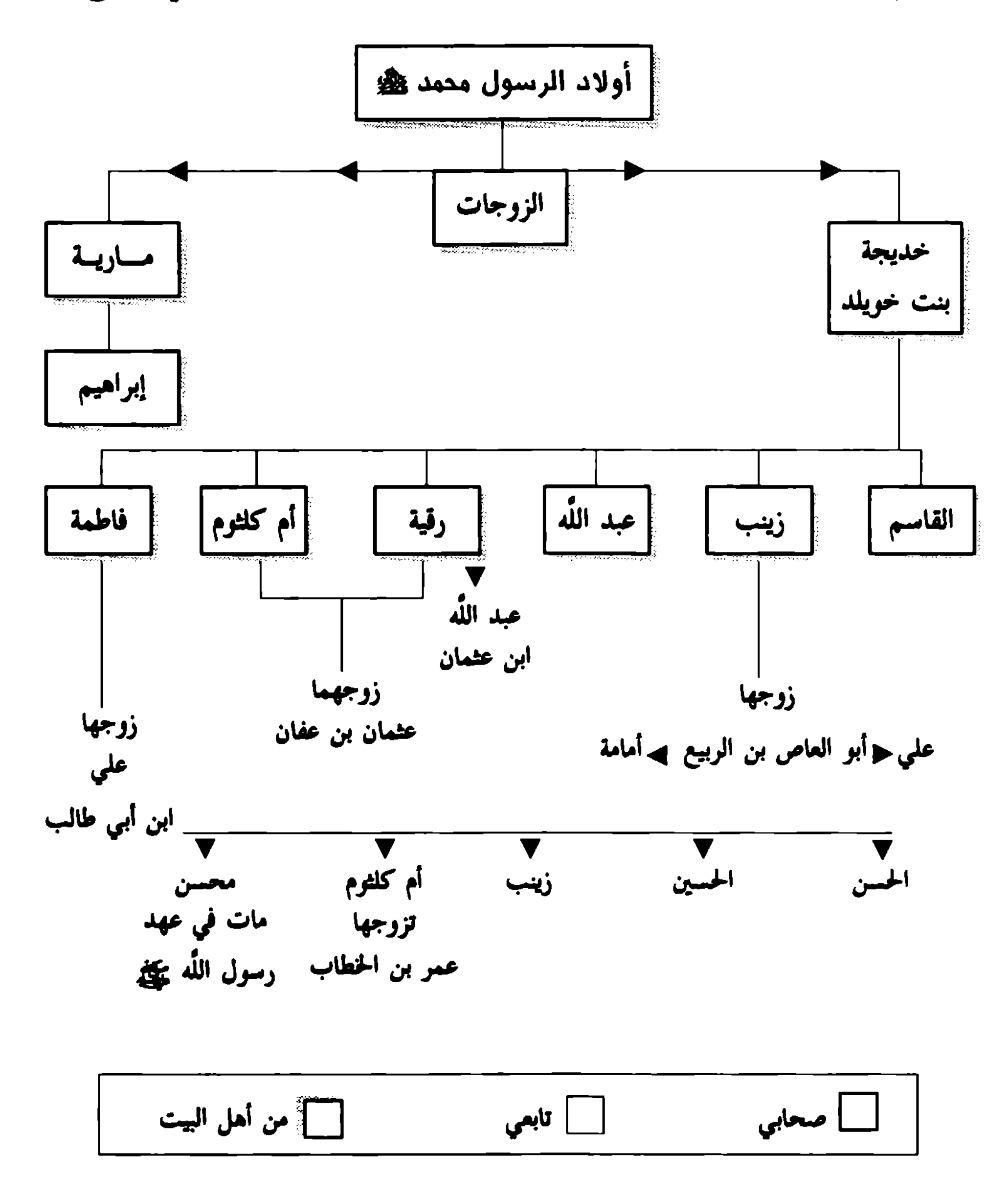
(٥) الباقر: من بقر العلم، أي شق جوفه واستخرجه.

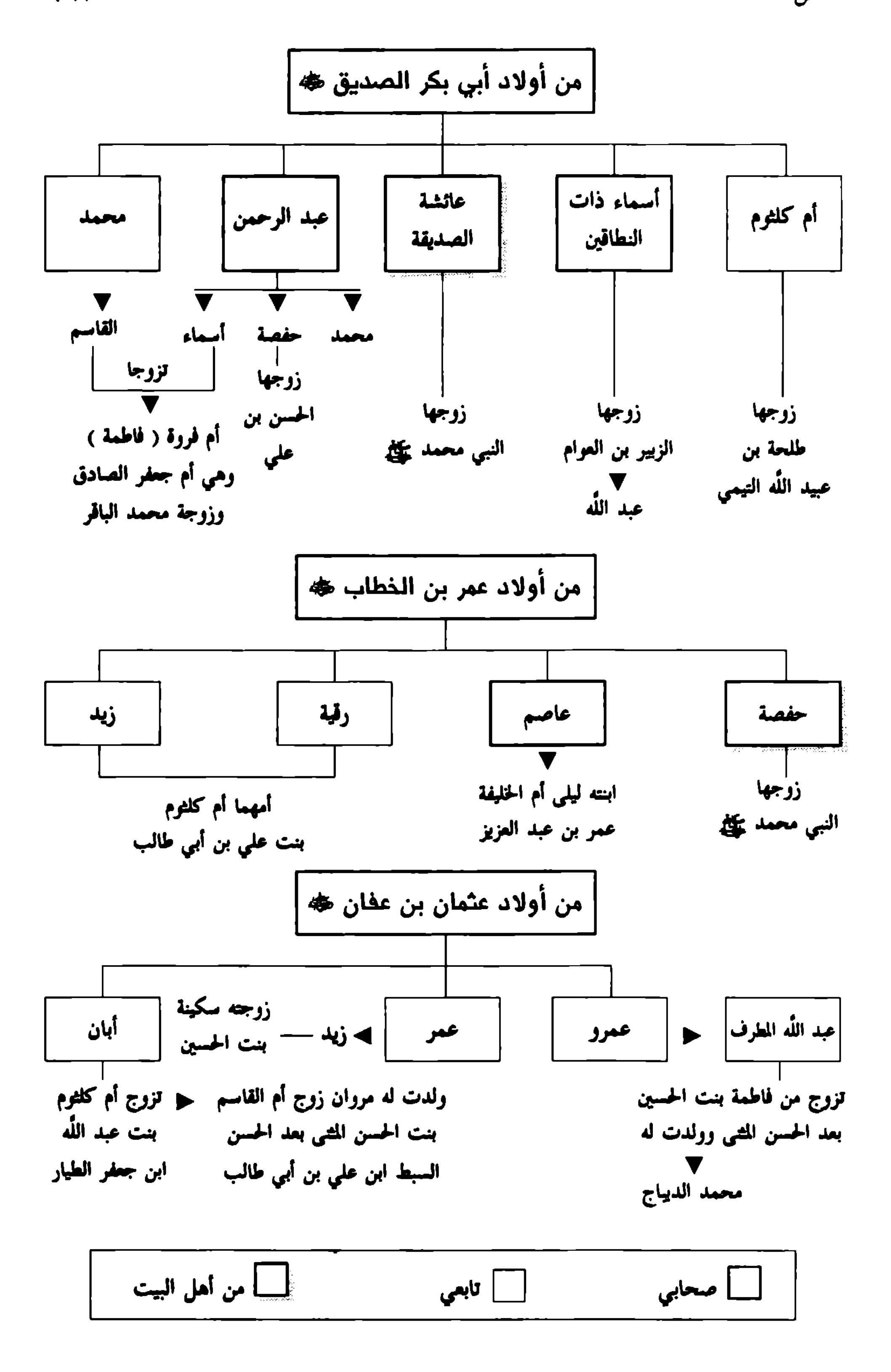


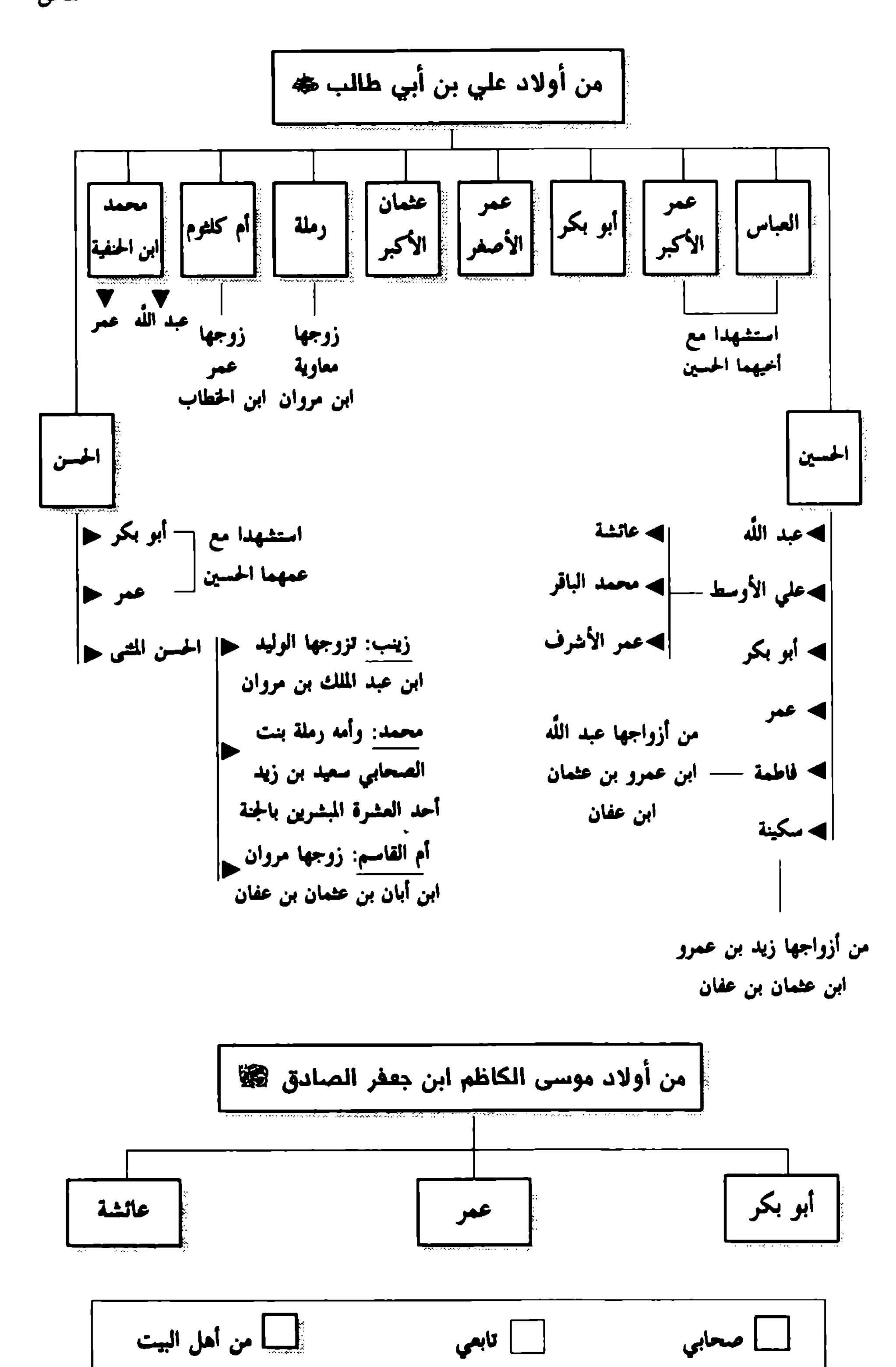
لمعرفة الترقيم الوارد هنا: (١أ) و (١ب)، وفي المصاهرات الباقية – تم ترقيم كل مصاهرة من هذه المصاهرات الخمس الواردة؛ لكي تسهل الإشارة إليها بالأرقام نفسها في هذا المخطط الإيضاحي؛ بحيث يسمى الزوج بالحرف (أ) بينما تسمى الزوجة بالحرف (ب) أمام كل رقم؛ لكي تتضح العلاقة بينهما في ثنايا ذلك المخطط الإيضاحي.

الآل والأصحاب أصهار وأحباب

قال اللّه تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [الفتح: ٢٩].
قال رسول اللّه ﷺ: « **وأهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي** » – قالها ثلاثًا [صحيح مسلم].
بهذه الشجرة شهدت ونطقت مصادر المسلمين أنّ الآل والأصحاب شيء واحد، يسمى بعضهم بأسماء بعض والصاهرة قائمة بين الطرفين، فلنحذر من المدسوس في التاريخ.




من أولاد أبي بكر الصديق ﷺ
أم كلثوم
أسماء ذات النطاقين
عائشة الصديقة
عبد الرحمن
محمد
زوجها طلحة بن عبيد الله التيمي
زوجها الزبير بن العوام
عبد الله
زوجها النبي محمد ﷺ
محمد
حفصة
أسماء
القاسم
زوجها الحسن بن علي
تزوجا
أم فروة (فاطمة) وهي أم جعفر الصادق وزوجة محمد الباقر
من أولاد عمر بن الخطاب ﷺ
حفصة
عاصم
رقية
زيد
زوجها النبي محمد ﷺ
ابنته ليلى أم الخليفة عمر بن عبد العزيز
أمهما أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب
من أولاد عثمان بن عفان ﷺ
عبد الله المطرف
عمرو
عمر
زيد
زوجه سكينة بنت الحسين
أبان
تزوج من فاطمة بنت الحسين بعد الحسن المثنى وولدت له
محمد الديباج
ولدت له مروان زوج أم القاسم بنت الحسن المثنى بعد الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب
تزوج أم كلثوم بنت عبد الله ابن جعفر الطيار
صحابي
تابعي
من أهل البيت


من أولاد علي بن أبي طالب
العباس
عمر الأكبر
أبو بكر
عمر الأصغر
عثمان الأكبر
رملة
أم كلثوم
محمد ابن الحنفية
استشهدا مع أخيهما الحسين
زوجها معاوية ابن مروان
زوجها عمر ابن الخطاب
عبد الله
عمر
الحسين
الحسن
عبد الله
علي الأوسط
أبو بكر
عمر
فاطمة
سكينة
عائشة
محمد الباقر
عمر الأشرف
من أزواجها عبد الله ابن عمرو بن عثمان ابن عفان
من أزواجها زيد بن عمرو ابن عثمان بن عفان
أبو بكر
عمر
الحسن المثنى
استشهدا مع عمهما الحسين
زينب: تزوجها الوليد ابن عبد الملك بن مروان
محمد: وأمه رملة بنت الصحابي سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة
أم القاسم: زوجها مروان ابن أبان بن عثمان بن عفان
من أولاد موسى الكاظم ابن جعفر الصادق
أبو بكر
عمر
عائشة
صحابي
تابعي
من أهل البيت

المصادر والمراجع

أولاً: مصادر أهل السنة:

الألباني (محمد ناصر الدين):

- سلسلة الأحاديث الضعيفة المكتب الإسلامي - بيروت.

الآلوسي محمود أبو الفضل:

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- خطة المنار في التأليف بين المسلمين، مجلة المنار مجلد (٢٩)، (٤٢٤/٦)، ربيع الآخر (١٣٧٤هـ) أكتوبر (١٩٢٨م)، وهي في أصلها صورة الكتاب الذي أرسله إلى علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي في الرد على صاحب رسالة (الحصون المنيعة فيما أورده صاحب المنار في الشيعة) العاملي.

الآمدي (ت ٦٣١هـ):

- إحكام الأحكام، دار الكتاب العربي - بيروت (١٤٠٤هـ)، (ط١)، تحقيق / السيد الجميلي.

إبراهيم العلي:

- صحيح السيرة النبوية، دار النفائس - الأردن (ط٧)، (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

أحمد حارس سحيمي:

- توثيق السنة بين الشيعة الإمامية وأهل السنة في أحكام الإمامة ونكاح المتعة، ماجستير دار العلوم. دار السلام، القاهرة، (٢٠٠٣م)، (ط١).

أحمد قوشتي عبد الرحيم (الدكتور):

- حجية الدليل النقلي بين المعتزلة والأشاعرة، ماجستير دار العلوم (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، إشراف الأستاذ الدكتور / محمد عبد الله الشرقاوي.

أحمد (الإمام أحمد بن حنبل الشيباني):

- مسند الإمام أحمد، دار صادر - بيروت.

أحمد محمود شاكر:

- الباعث الحثيث للأستاذ المحقق / أحمد محمود شاكر، وهو شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير، دار الندوة الجديدة - بيروت (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

أحمد أمين:

- فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٢٠٠٠م).

الإسفراييني: طاهر بن محمد الإسفراييني (ت ٤٧١هـ):

- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، (ط١)، عالم الكتب - بيروت (١٩٨٣م)، تحقيق / كمال يوسف الحوت.

أبو الحسن الأشعري:

- أصول أهل السنة والجماعة المسمّاة برسالة أهل الثغر، مكتبة العلوم والحكم - دمشق، الطبعة الأولى، (١٩٨٨م)، تحقيق / عبد الله شاكر محمد الجنيدي.

- مقالات الإسلاميين، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق / هلموت ريتر (ط٣). وطبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة (ط٤)، (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م).

الأندكاني:

- صدق الكلام في علم الكلام، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، تحقيق / الأستاذ حافظ عاشور حافظ عبد الحليم (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

أنور الباز:

- عصمة الأئمة عند الشيعة، دار الوفاء، (ط١)، (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م). وأصلها رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

الإيجي: (عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي):

- المواقف، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩٧م)، تحقيق / د. عبد الرحمن عميرة.

الباجوري (الشيخ):

- شرح جوهرة التوحيد: مؤسسة أنس بن مالك للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم الباقلاني):

- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، (ط١)، (١٩٨٧م) تحقيق / عماد الدين أحمد حيدر.

الإمام البخاري:

- صحيح البخاري، دار الفكر - بيروت.

البديوي، خالد بن محمد بن صالح:

- أعلام التصحيح والاعتدال مناهجهم وآراؤهم (في صفوف الإمامية في القرن الأخير)، (ط١)، (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م)، نسخة مصورة من مكتبة الملك فهد الوطنية.

البغدادي: عبد القادر البغدادي:

- الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة - بيروت، (ط٢)، (١٩٧٧م).

البوطي: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

- العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر، (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م). مطبوعات جامعة دمشق.

البيهقي:

- السنن الكبرى، تحقيق / محمد عبد القادر عطا، دار الباز - مكة (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، دار الآفاق الجديدة - بيروت (ط١)، (١٤١١هـ)، تحقيق / أحمد عصام الكاتب.

التفتازاني (سعد الدين بن مسعود بن عمر، ت ٧٩٢هـ):

- شرح العقائد النسفية: تحقيق / محمد عدنان درويش، تقديم / الشيخ أديب الكلاس، د. ت.

تقي الدين العثماني:

- تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، دار القلم - دمشق (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).

ابن تيمية: (أحمد بن عبد الحليم):

- التدمرية: ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام.

- التسعينية ضمن مجموع الفتاوى، ط كردستان (١٣٢٩هـ).

- رسالة في (فضل أهل البيت وحقوقهم) جمع أبي تراب الظاهري، دار وحي القلم (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، مؤسسة قرطبة، تحقيق / د. محمد رشاد سالم (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

الجرجاني:

- التعريفات، دار الكتاب العربي - بيروت، (١٤٠٥هـ)، (ط١)، تحقيق / إبراهيم الأبياري.

الجزائري: الشيخ طاهر الجزائري:

- الجوهرة في قواعد العقائد، تصحيح حسن السماحي سويدان، دار القلم - دمشق (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

رسول جعفريان:

- أكذوبة تحريف القرآن، الناشر: ممثلية الإمام الخامنئي في الحج، مطبعة سلمان الفارسي، (١٤١٣هـ).

ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن):

- تلبيس إبليس: تحقيق / خير الدين علي، دار الوعي العربي - بيروت.

- الموضوعات: تحقيق / عبد الرحمن عثمان، دار الفكر، (ط٢)، (١٤٠٣هـ).

الحارث المحاسبي:

- العقل وفهم القرآن، تحقيق وتقديم / حسين القوتلي، دار الفكر(١٣٩١هـ / ١٩٧١م).

ابن حبان:

- كتاب المجروحين، تحقيق / محمود إبراهيم زايد.

- صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، (ط٢)، (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، تحقيق / شعيب الأرناؤوط.

ابن حجر:

- تقريب التهذيب، دار الكتب العلمية - بيروت، (١٤١٥هـ)، تحقيق / مصطفى عبد القادر عطا، وطبعة دار الرشيد - دمشق (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، (ط١)، تحقيق / الشيخ محمد عوامة.

- تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، (ط١)، (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت.

- لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، (١٣٩٠هـ).

ابن حجر الهيتمي (أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي):

- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط١)، (١٩٩٧م)، تحقيق / عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط.

ابن حزم:

- الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي - القاهرة.

حسن خطاف (الدكتور):

- منزلة السنة في الفكر المعتزلي، أطروحة دكتوراه، جامعة الزيتونة، (٢٠٠٣م).

حسن الشافعي (الأستاذ الدكتور):

- مدخل إلى علم الكلام، مكتبة وهبة، (ط٢)، (١٤١١هـ / ١٩٩١م).

حسن بن فرحان المالكي:

- نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي (قراءة نقدية لنماذج من الأعمال والدراسات الجامعية)، كتاب الرياض العدد (٤٢) يونيو (١٩٩٧م)، مؤسسة اليمامة الصحفية.

خالد علي عباس القط (الدكتور):

- أثر الأحاديث الموضوعة في نشأة وصياغة عقائد الشيعة الإمامية، رسالة دكتوراه، كلية البنات، قسم الدراسات الفلسفية، إشراف الدكتورة / كوكب محمد عامر، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

الدولابي (أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، ت ٣١٠هـ):

- الذرية الطاهرة: الدار السلفية - الكويت (١٤٠٧هـ) تحقيق / سعد المبارك الحسن.

الحافظ الذهبي:

- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال (مختصر منهاج السنة) تحقيق / الشيخ محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية.

- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤١٣هـ). تحقيق / شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي.

- ميزان الاعتدال، دار المعرفة - بيروت.

الرازي (محمد بن عمر بن الحسين أبو عبد الله):

- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، (١٣٩٨هـ).

رشدي، عبد الستار:

- الأثر الأفلاطوني في الفكر السياسي الإسلامي، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم.

رمزي نعناعة (الدكتور):

- بدع التفسير في الماضي والحاضر، من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، المملكة الأردنية الهاشمية، وقد وجدته بالعنوان نفسه لأستاذه الذهبي صاحب (التفسير والمفسرون) ينسبه لنفسه.

الزبيدي محمد مرتضى:

- تاج العروس، مكتبة الحياة - بيروت.

سعيد أحمد الأفندي:

- قواعد المنهج عند ابن الوزير اليماني بين النظرية والتطبيق مع تحقيق / مخطوط ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، رقم (١٢٦٠) رسائل كلية دار العلوم، بإشراف الأستاذ الدكتور / سيد رزق الحجر.

سميح دغيم (الدكتور):

- موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون.

السنهوتي (الأستاذ الدكتور):

- التنزيه والتشبيه عند متكلمي الاثني عشرية، إشراف الأستاذ الدكتور / محمد كمال جعفر، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، رسالة دكتوراه، عام (١٩٧٧م).

- عقائد الإمامية الاثني عشرية وأصولها، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، عام (١٩٦٧م)، إشراف الأستاذ الدكتور / محمود قاسم.

سيد رزق الحجر (الأستاذ الدكتور):

- ابن الوزير ومنهجه الكلامي، ضمن رسائل كلية دار العلوم الجامعية، طبع الدار السعودية للنشر والتوزيع (١٩٨٦م).

السيوطي:

- الإتقان في علوم القرآن، دار ابن كثير، دمشق، (ط٣)، (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)، تحقيق / د. مصطفى ديب البغا.

الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم أبو الفتح ت ٥٤٨هـ):

- الملل والنحل، المكتبة التوفيقية، تحقيق / محمد بن فريد، وطبعة دار المعرفة - بيروت (١٤٠٤م)، تحقيق / محمد سيد كيلاني.

الشوكاني:

- نيل الأوطار، دار الجيل - بيروت.

صابر عبده أبا زيد (الدكتور):

- الإلهيات عند الشيعة الاثني عشرية، مع تحقيق / مخطوطة شرح الوشيحي على تجريد العقائد للطوسي، آداب الإسكندرية، رقم [٥٢٠٩ - ٥٢١١]، رسالة دكتوراه عام (١٩٨٧م).

- منهاج أهل السنة في الرد على الشيعة والقدرية: عرض تحليلي نقدي، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية، (٢٠٠٠م).

الطبري ابن جرير (الإمام المفسر والمؤرخ السني):

- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويد - بيروت.

الطحاوي:

- الطحاوية مع شرحها: المكتب الإسلامي، (ط٤)، (١٣٩١هـ) - بيروت.

عائشة يوسف المناعي (الدكتورة):

- أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية: دار الثقافة - الدوحة، (ط١)، (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م)، وأصلها رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، (١٩٩١م).

عامر النجار (الدكتور):

- في مذاهب الإسلاميين (الخوارج، الإباضية، الشيعة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٢٠٠٥م).

عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (القاضي المعتزلي):

- تثبيت دلائل النبوة، تحقيق / عبد الكريم عثمان، دار العربية - بيروت.

عبد الحليم محمود (الشيخ):

- التفكير الفلسفي في الإسلام، دار المعارف - القاهرة، (١٩٨٤م).

عبد الرحمن حبنكة الميداني:

- العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم - دمشق، (ط٧)، (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

عبد العزيز حاجي (الدكتور):

- تفسير آيات العقيدة: استعراض شامل لمذاهب المفسرين في العقيدة، دار الصابوني (١٤٢٤هـ)، رسالة دكتوراه في كلية دار العلوم، القاهرة.

عبد الفتاح أحمد الفاوي (الأستاذ الدكتور):

- اختلافات المسلمين بين السياسة والدين، مطبوعات قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة، (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

- المنظومة الشيعية وآلياتها، مجلة: حوليات دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد (١٧)، سنة (١٩٩٤م)، مطبعة جامعة القاهرة (١٩٩٥م).

عبد الله عبد الله الموصلي:

- حقيقة الشيعة: دار الحرمين للطباعة - القاهرة، (ط١)، (١٩٩٢م).

العجلي (أحمد بن عبد الله ت ٢٦١هـ):

- معرفة الثقات، مكتبة الدار، المدينة المنورة، (ط١)، (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

ابن عساكر:

- تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت (١٤١٥هـ)، تحقيق / علي شيري.

علي أحمد السالوس (الدكتور):

- مع الاثني عشرية في الأصول والفروع موسوعة شاملة وحول تفسير البيان بالذات. دار التقوى - مصر (ط٤)، (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

علي سامي النشار (الدكتور):

- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف - القاهرة، (ط٨).

علي بن محمد المعروف بالموخر (كان حيًا عام ١١١٨هـ):

- مبلّغ الطالب إلى معرفة المطالب، (ط١)، (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م). تحقيق الشيخ / حبيب بن الطاهر، دار اليمامة - دمشق.

عمر محمد الفرماوي (الدكتور):

- أصول الرواية عند الشيعة الإمامية، رسالة دكتوراه من قسم الحديث في كلية أصول الدين - جامعة الأزهر، (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

- الشيعة والصحابة، مكتبة الإيمان، المنصورة، (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

العجلوني (إسماعيل بن محمد الجراحي ت ١١٦٢هـ):

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار الكتب العلمية (ط٢)، (١٤٠٨هـ).

عداب محمود الحمش (الدكتور):

- المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعة الإمامية، دراسة حديثية نقدية، دار الفتح للنشر والتوزيع - الأردن - عمان، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

الغزالي (الإمام):

- فضائح الباطنية: تحقيق / د.عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت.

- المقصد الأسنى، نشر الجفان الجابي - قبرص (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، تحقيق / بسام عبد الوهاب الجابي.

فتحي محمد الزغبي (الدكتور):

- غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام (اليهودية والمسيحية والمجوسية) (ط١)، (١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م)، أصلها رسالة ماجستير كلية أصول الدين، طنطا - قسم العقيدة والفلسفة (١٩٨٥م).

القاري (الملا علي القاري):

- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع: مكتبة الرشد - الرياض (١٤٠٤هـ)، تحقيق / الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

- الحذر في أمر الخضر، تحقيق / محمد خير رمضان، دار القلم - بيروت (١٤١١هـ/١٩٩١م).

القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن ٣٧٦ - ٤٦٥هـ):

- الرسالة القشيرية، تعليق الدكتور / عبد الحليم محمود، تحقيق / عبد الكريم عطا، دار علوم القرآن - دمشق، (٢٠٠٠م).

القضاعي: (الحافظ أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي المصري الشافعي):

- دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، دار القلم - دمشق (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

القيرواني: أبو محمد عبد الله بن زيد القيرواني (٣١٠ - ٣٨٦هـ):

- الرسالة القيروانية شرح عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام مالك، مع شرح القيروانية الميسر، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الفتح، الشارقة، (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

ابن كثير:

- تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة - بيروت (١٤١٢هـ).

- البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي - بيروت (ط١)، (١٤١٨هـ) تحقيق / علي شيري، وطبعة دار الفكر - بيروت (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

الكناني: أحمد بن أبي بكر:

- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة، تحقيق / عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله صديق، دار الكتب العلمية - بيروت، (١٤٠١هـ).

- مصباح الزجاجة، دار العربية - بيروت (١٤١٣هـ)، تحقيق / محمد الكشناوي.

ابن ماجه:

- سنن ابن ماجه، دار الفكر - بيروت، ترقيم / محمد فؤاد عبد الباقي.

مامادو كارامبيري:

- موقف الرافضة من القرآن الكريم، مكتبة ابن تيمية.

محب الدين الخطيب (الشيخ):

- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية.. مقتطف من مذكرات علامة العراق السيد عبد الله بن الحسين السويدي العباسي (١١٠٤ - ١١٧٤هـ) المكتبة السلفية - القاهرة (١٣٩٣هـ).

محسن عبد الناظر:

- مسألة الإمامة والوضع في الحديث عند الفرق الإسلامية، الدار العربية للكتاب.

محمد أبو زهرة (الشيخ):

- تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي - القاهرة.

محمد حميد الله:

- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والراشدي، دار النفائس.

محمد خير رمضان يوسف:

- الخضر بين الواقع والتهويل (دراسة تحليلية مقارنة على ضوء الكتاب والسنة والتاريخ) دار القلم - دمشق، (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

محمد السيد الجليند (الأستاذ الدكتور):

- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل (دراسة لمنهج ابن تيمية في الإلهيات وموقفه من المتكلمين والفلاسفة والصوفية)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (ط٥)، (٢٠٠٠م).

محمد عبد المنعم بري:

- الجذور اليهودية في كتاب (علل الشرايع)، طبعة جبهة علماء الأزهر.

محمد عمارة (الدكتور):

- رسائل العدل والتوحيد: قسم الدراسة، دار الهلال، (١٩٧١م).

- الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية، نهضة مصر، (٢٠٠٠م).

محمد مال الله:

- نقد ولاية الفقيه، تقديم / د. نظام الدين الأعظمي، (ط٢)، (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

المزي (يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج):

- تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى، (١٤٠٠هـ / ٩٨٠م)، تحقيق / د. بشار عواد معروف.

مسلم بن الحجاج (الإمام):

- صحيح مسلم، دار الفكر - بيروت، وطبعة دار المعرفة - بيروت، (١٤١٥هـ / ١٩٩٥)، (ط٢)، تحقيق / الشيخ خليل مأمون شيحا.

مصطفى سعيد الخن (الأستاذ الدكتور):

- مبادئ العقيدة الإسلامية، (ط٦). مطبعة جامعة دمشق (١٤١٢هـ / ١٩٩١م).

الملطي (أبو الحسين محمد بن أحمد):

- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تعليق / الشيخ محمد زاهد الكوثري، مكتبة المعارف - بيروت (١٣٨٨هـ).

ابن منظور:

- لسان العرب، (ط١)، دار إحياء التراث العربي، (١٤٠٥هـ).

ناصر بن عبد الله علي القفاري (الدكتور):

- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، دار الرضا للنشر والتوزيع، الجيزة مصر، (ط٣)، (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

- فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة: رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب، جامعة الإمام محمد بن سعود.

النسائي (الإمام):

- سنن النسائي الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت، (١٤١١هـ / ١٩٩١م).

الندوي (الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي):

- صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ بين السنة والشيعة الإمامية، (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

- المرتضى سيرة أمير المؤمنين سيدنا أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه، دار القلم دمشق (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، (ط٢).

النووي:

- شرح صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٠٧هـ)، (ط٢).

ابن الوزير:

- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، دار الكتب العلمية - بيروت (ط٢)، (١٩٧٨م).

ثانيًا: مصادر الشيعة الاثني عشرية:

آغا بزرك الطهراني:

- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء - بيروت، (ط٣)، (١٤٠٣هـ).

إحسان الأمين:

- التفسير بالمأثور وتطويره عند الشيعة الإمامية، دار الهادي - بيروت (ط١)، (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

الإحقاقي (ميرزا حسن الحائري):

- الإيمان، مكتبة الصادق، الكويت (ط٢)، (١٤١٢هـ).

أحمد الوائلي (الشيخ الدكتور):

- هوية التشيع، دار الصفوة - بيروت، (ط٣)، (١٤١٣هـ).

أحمد بن علي النجاشي أبو العباس (ت ٤٦٠هـ):

- رجال النجاشي: تحقيق / محمد جواد النائيني، (ط١) دار الأضواء - بيروت. وطبعة مؤسسة النشر الإسلامي - قم، (١٤١٦هـ).

الأصفهاني (آية الله العظمى):

- آراء حول القرآن، دار الهادي.

الأميني (عبد الحسين الأميني ت ١٣٩٢):

- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتاب العربي - بيروت (ط٤)، (١٣٩٧هـ).

الأنصاري (الشيخ مرتضى ت ١٢٨١هـ):

- كتاب المكاسب، تحقيق / لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، مطبعة باقري - قم، (ط١)، (١٤١٥هـ).

باقر شريف القرشي:

- سلامة القرآن الكريم من التحريف، (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

البحراني:

- الحدائق الناضرة، تحقيق / محمد تقي الأيرواني، طبع جماعة المدرسين - قم.

- البرهان في تفسير القرآن، مؤسسة البعثة - طهران، تحقيق / قسم الدراسات الإسلامية.

ابن البراج الطرابلسي (القاضي عبد العزيز ت ٤٨١هـ):

- المهذب، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، المطبعة العلمية - قم (١٤٠٦هـ)، إشراف / الشيخ جعفر السبحاني.

البرقعي (آية الله العظمى أبو الفضل بن رضا):

- كسر الصنم (نقض كتاب أصول الكافي)، (ط١)، دار البيارق - عمان، (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ترجمة / د. عبد الرحيم ملا زادة البلوشي.

البروجردي:

- تفسير الصراط المستقيم، تحقيق / غلام رضا البروجردي، مؤسسة الوفاء - بيروت، (ط١)، (١٤٠٣هـ).

التبريزي: محمد علي بن أحمد التبريزي الأنصاري (ت ١٣١٠هـ):

- اللمعة البيضاء، (١٤١٨هـ)، مؤسسة الهادي - قم، تحقيق / السيد هاشم الميلاني.

التستري: الشهيد نور الله التستري (ت ١٠١٩هـ):

- الصوارم المهرقة في نقض الصواعق المحرقة، مطبعة نهضة إيران، (١٣٦٧هـ).
- دلائل الإمامة، (ط١). تحقيق / قسم الدراسات، مؤسسة البعثة - قم، (١٤١٣هـ).

الجزائري (السيد نعمة الله، ت ١١١٢هـ):

- الأنوار النعمانية، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين، (ط١)، (١٤١٧هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، تحقيق / السيد الرجائي.

جعفر السبحاني:

- بحوث في الملل والنحل، مؤسسة الصادق - قم، (١٤١٦هـ).
- العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، ترجمة / جعفر الهادي (ط١)، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) - قم.

جلال الدين الأشتياني:

- التفكير العقلي والفلسفي في الإسلام، ضمن مجلة المحجة: مجلة فصلية متخصصة تعنى بشؤون الفكر الديني والفلسفة الإسلامية المعاصرة، تصدر عن المعهد الإسلامي للمعارف الحكمية بالتعاون مع دار الهادي، العدد الأول تشرين أول (٢٠٠١م / ١٤٢٢هـ) - بيروت.

الحر العاملي (محمد بن الحسن الحر العاملي، ت ١١٠٤هـ):

- الفصول المهمة، مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا - قم، (١٤١٨هـ).
- وسائل الشيعة: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم، (١٤١٤هـ).

ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ):

- شرح نهج البلاغة. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم.

الحكيمي (محمد رضا الحكيمي):

- سلوني قبل أن تفقدوني من مختصات أمير المؤمنين، مكتبة الصدر، طهران (١٤٢٠هـ).

الحلي (المحقق):

- المسلك في أصول الدين، وتليه الرسالة الماتعية، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة (١٤١٤هـ)، تحقيق / رضا الأستادي.

الخامنئي:

- الأصول الأربعة في علم الرجال، تقديم / الشيخ محمد علي التسخيري، (١٤١٤هـ).

الخميني (روح الله):

- الحكومة الإسلامية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، والكتاب في الأصل دروس فقهية ألقاها على طلاب النجف تحت عنوان: (ولاية الفقيه) عام (١٣٨٩هـ).

- تحرير الوسيلة، الدار الإسلامية - بيروت.

الخنيزي (أبو الحسن، من شيعة القطيف):

- مقدمة في أصول الدين، مؤسسة البلاغ، بيروت، (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

الخوئي:

- البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء - بيروت، (١٣٩٥هـ)، (ط٤).

- رسالتان في البداء، ضمن قرص ليزري (المعجم الفقهي).

- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، منشورات مكتبة آية الله المرعشلي النجفي، و (ط٥)، لجنة التحقيق (١٤١٣هـ).

الخوانساري (محمد باقر):

- روضات الجنات في أحوال العلماء السادات، تحقيق / أسد الله إسماعيليان، المطبعة الحيدرية، (١٩٥٠م).

دستغيب (آية الله السيد عبد الحسين دستغيب):

- الدار الآخرة، مؤسسة المنار، (ط٢)، ترجمة / لجنة الهدى.

رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاوس (ت ٦٦٤هـ):

- إقبال الأعمال، (١٤١٤هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي.

زين الدين (أبو محمد علي بن يونس النباطي العاملي البياضي ت ٨٧٧هـ):

- الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، مطبعة الحيدري. (ط ١)، (١٣٨٤هـ).

زين العابدين (علي بن الحسين بن علي):

- الصحيفة السجادية، برواية الأبطحي، طبعة جماعة المدرسين - قم.

الزنجاني (إبراهيم الموسوي):

- عقائد الإمامية الاثني عشرية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

سالم الصفار:

- نقد منهج التفسير والمفسرين المقارن، دار الهادي - بيروت، (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

سليم بن قيس الهلالي أبو صادق (ت ٩٠هـ):

- كتاب سليم بن قيس، تحقيق / محمد باقر الأنصاري.

صالح الورداني:

- المناظرات بين فقهاء السنة والشيعة، الهدف، القاهرة. وهو كتاب منحول عن (مؤتمر علماء بغداد) الذي لأبي الهيجاء شبل الدولة: مقاتل بن عطية البكري، (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م)، تحقيق / الشيخ محمد جميل حمّود، منشورات لبنان: الجنوب - النفاخية.

الصدوق (محمد بن علي بن بابويه القمي):

- إكمال الدين وإتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، (١٤٠٥هـ).
- الاعتقادات في دين الإمامية، إيران، (١٣٢٠هـ).
- التوحيد، نشر جماعة المدرسين - قم، (١٣٨٧هـ).
- الخصال، تصحيح علي أكبر غفاري، مكتبة الصدوق - طهران، (١٣٨٩هـ).
- علل الشرائع، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - لبنان، (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
- عيون أخبار الرضا، ثلاث طبعات: طبعة إيران، (١٣١٨هـ). وطبعة منشورات الشريف الرضي - قم (١٣٧٨هـ)، (ط١)، وطبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، (١٤٠٤هـ).
- معاني الآثار، تحقيق / علي أكبر غفاري، طبعة انتشارات إسلامي.
- من لا يحضره الفقيه، تحقيق / علي أكبر غفاري، (١٤٠٤هـ)، جماعة المدرسين - قم.
- الهداية في الأصول والفروع، مؤسسة الهادي - قم، (١٤١٨هـ).

ابن طاوس الحسني (٦٦٤هـ):

- اللّهوف في قتلى الطفوف، طبعة مهر، (ط١)، (١٤١٧هـ).

الطباطبائي (محمد حسين):

- الشيعة في الإسلام، مركز بقية الله الأعظم - بيروت، (١٩٩٩م).
- القرآن في الإسلام، مؤسسة الإعلام الإسلامي - طهران، (١٤٠٤هـ).
- الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي - بيروت، (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

الطبرسي (الفضل بن الحسن):

- تفسير: مجمع البيان، دار مكتبة الحياة - بيروت.

الطبرسي أبو المنصور أحمد بن علي بن أبي طالب (من علماء القرن السادس):

- الاحتجاج، منشورات الشريف الرضي، (١٣٨٠هـ).

الطبري (محمد بن جرير بن رستم الطبري):

- المسترشد في إمامة أمير المؤمنين، مطبعة سلمان الفارسي، قم، (ط١)، تحقيق / الشيخ أحمد المحمودي.

- دلائل الإمامة، (ط١)، تحقيق / قسم الدراسات، مؤسسة البعثة - قم (١٤١٣هـ).
الطبسي (محمد جعفر):
- رجال الشيعة في أسانيد السنة، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم (١٤٢٠هـ).
الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي ت ٤٦٠هـ):
- اختيار معرفة الرجال، طبع مؤسسة آل البيت - قم (١٤٠٤هـ)، تحقيق / محمد باقر الحسيني وآخرين، وهو تهذيب لكتاب معجم الرجال للكشي.
- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تحقيق / حسن الخراسان، دار الكتب الإسلامية - طهران، (ط٣)، (١٣٩٠هـ).
- الاقتصاد الهادي إلى سبيل الرشاد - قم، مكتبة جامع جهلستون، (١٤٠٠هـ)، تحقيق / الشيخ حسن سعيد.
- الأمالي، (ط١)، (١٤١٤هـ)، دار الثقافة - قم.
- التبيان في تفسير القرآن، النجف، (١٣٨٣هـ).
- تهذيب الأحكام، تحقيق / حسن الخراسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، (ط٣)، (١٣٩٠هـ).
- عدة الأصول، مؤسسة آل البيت - قم.
- الغيبة، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، (ط١)، (١٤١١هـ).
- الفهرست: مؤسسة الوفاء -بيروت، (ط٣)، (١٤٠٣هـ).
العاملي (الشهيد الثاني زين الدين العاملي، ت ٩٦٥هـ):
- حقائق الإيمان، تحقيق / السيد مهدي الرجائي، إشراف / السيد محمود المرعشي، (ط١)، (١٤٠٩هـ)، مطبعة سيد الشهداء - قم، وانظر: استدلال المجلسي بحار الأنوار (٣٦٧/٨).
- الروضة البهية، شرح اللمعة الدمشقية (للشهيد الأول محمد بن جمال الدين العاملي ت ٧٨٦هـ) طبعة قم (١٤١٠هـ).
- شرح البداية في علم الدراية، قم.
العاملي محسن الأمين:
- أعيان الشيعة، مطبعة ابن زيدون - دمشق.

عبد الحسين شرف الدين الموسوي:

- الفصول المهمة في تأليف الأمة، دار الزهراء - بيروت، (ط٧)، (١٣٦٧هـ).

عبد الرسول الغفاري:

- ين الكليني وخصومه، دار المحجة البيضاء - لبنان.

- الكليني والكافي، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، (١٤١٦هـ)، (ط١).

عبد الله شبر (ت ١٢٤٢هـ):

- حق اليقين في معرفة أصول الدين، دار الأضواء - بيروت (ط١)، (١٤٠٤هـ). وطبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م)، (ط١).

عبد الله نعمة:

- فلاسفة الشيعة: حياتهم وآراؤهم، دار الفكر اللبناني، بيروت.

- هشام بن الحكم، دار الفكر اللبناني (ط٢)، (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

عدنان العلوي آل عبد الجبار البحراني:

- مشارق الشموس الدرية في أحقّيّة مذهب الأخبارية، منشورات المكتبة العدنانية - البحرين.

علي البروجردي الجابلقي (ت ١٣١٣هـ):

- طرائف المقال، مكتبة آية الله العظمى المرعشلي - قم، (١٤١٠هـ)، تحقيق / محمد السيد الرجائي.

علي الحسيني الميلاني:

- تزويج أم كلثوم من عمر (سلسلة الأبحاث العقائدية رقم٢٩)، مركز الأبحاث العقائدية، (ط١).

علي بن أحمد الكوفي (ت ٣٥٢هـ):

- الاستغاثة في بدع الثلاثة، دار الكتب العلمية - قم.

علي البخاري:

- مستدرك سفينة البحار، طبع جماعة المدرسين - قم، (١٤١٩هـ).

علي بن يونس العاملي (٨٨٧هـ):

- الصراط المستقيم: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، تحقيق / محمد باقر البهبودي.

القاشاني (المولى محسن الفيض القاشاني، ت ١٠٩١هـ):

- تفسير الصافي، مكتبة الصدر طهران (ط٢)، (١٤١٦هـ)، تحقيق / الشيخ حسين الأعلمي.

القزويني (الدكتور / علاء الدين بن السيد أمير محمد):

- مع الدكتور / موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح، دائرة معارف الفقه الإسلامي طبقًا لمذهب أهل البيت، (ط٢)، (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

القمي (علي بن إبراهيم):

- تفسير القمي، تصحيح وتعليق / طيب الموسوي الجزائري، (ط٢)، (١٣٨٧هـ).

القمي (سعد بن عبد الله الأشعري القمي، (ت ٣٠١هـ - وقيل: ٢٩٩هـ):

- المقالات والفرق، تحقيق / الدكتور محمد جواد مشكور وفرهنكي، طهران، (١٩٦٣م).

كاشف الغطاء (محمد حسين آل كاشف الغطاء):

- أصل الشيعة وأصولها، (ط١)، (١٤١٥هـ)، مؤسسة الإمام علي ﷺ.

الكليني:

- أصول الكافي، تحقيق / محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات - بيروت، (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، تقديم / د. حسين علي محفوظ.

- فروع الكافي، دار الكتب الإسلامية آخوندي، (١٣٨٩هـ)، تحقيق/ علي أكبر غفاري.

لطف الله الصافي:

- مع محب الدين الخطيب في خطوطه العريضة، مكتبة الصدر، طهران، (١٣٩٠هـ).

المازندراني (محمد صالح):

- شرح أصول الكافي، المكتبة الإسلامية، طهران، (١٣٨٤هـ).

المامقاني (ت ١٣٥١هـ):

- تلخيص مقباس الهداية، (ط١)، جامعة الإمام الصادق - طهران، تحقيق / علي أكبر الغفاري.

المجلسي:

- بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء - بيروت، الطبعة الثانية المصححة، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

محمد باقر الصدر:

- المعالم الجديدة للأصول، دار التعارف - بيروت.
- بحث حول الولاية، دارْ التعارف للمطبوعات - بيروت، (١٣٩٩هـ).

محسن المعلم:

- النصب والنواصب، دار الهادي - بيروت.

محمد بن إدريس الحلي (٥٩٨هـ):

- السرائر: مؤسسة النشر الإسلامي جماعة المدرسين - قم (١٤١١) تحقيق / لجنة التحقيق.

محمد تقي مصباح اليزدي:

- دروس في العقيدة، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع، ترجمة / هاشم محمد - طهران، (١٤٢٤هـ).

محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ):

- الشيعة في الميزان، (ط٤)، دار الشروق - بيروت.
- التفسير المبين، (ط٢).

محمد حسين الأعلمي الحائري:

- دائرة المعارف الشيعية العامة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

محمد حسين الفقيه:

- لماذا أنا شيعي، دار الغدير للدراسات والنشر، بيروت، (ط٣)، (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

محمد رضا المظفر:

- أصول الفقه، النجف، (١٩٦٧م).
- عقائد الإمامية، دار الغدير - بيروت (١٣٩٣هـ). وطبعة مؤسسة أنصاريان - قم (١٤٢٠هـ /١٩٩٩م)، (ط٣)، تقديم / د. حامد حفني داود.

محمد صالح الجوهري (الحاج):

- ضياء الصالحين، مكتبة الألفين - الكويت.

محمد الشيخ محمد صالح الحائري:

- منهاج عملي للتقريب إلى إخواننا المسلمين، مطبوع ضمن كتاب الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب الإسلامية السبعة، وهو مجموعة مقالات لكبار علماء السنة والشيعة، جمعها ورتّبها: عبد الكريم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (ط٢)، (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

ابن عياش (محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي، ت ٣٢٠هـ):

- تفسير العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، تحقيق / هاشم الرسولي المحلاتي.

محمد علي الحلو:

- عقائد الإمامية برواية الصحاح الستة، دار الهادي للطباعة والنشر - بيروت، (ط١)، (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

محمد هادي معرفة:

- صيانة القرآن من التحريف، (ط١)، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، (١٤١٣هـ).

محيي الدين الموسوي الغريفي:

- قواعد الحديث، (ط١)، مكتبة المفيد - قم.

مرتضى العسكري:

- ابن سبأ، (ط٦)، (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) نشر التوحيد، تقديم / محمد جواد مغنية.

- معالم المدرستين، المجمع العلمي الإسلامي، (ط٦)، (١٣١٤هـ / ١٩٩٤م).

المرتضى: (علي بن الحسين الشريف):

- نهج البلاغة، دار المعرفة، بيروت، تحقيق / الشيخ محمد عبده.

مرتضى مطهري:

- التوحيد، ترجمة / إبراهيم الخزرجي، دار المحجة البيضاء، ودار الرسول الأكرم، (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

- العدل الإلهي، الدار الإسلامية - بيروت، (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، (ط٣).

مروان خليفات:

- وركبت السفينة، مؤسسة دار الرشد للطباعة والنشر - بيروت، إصدار ممثلية آية الله العظمى

السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، دمشق، السيدة زينب. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، (ط٣).

مصطفى كامل الشيبي (الدكتور):

- الصلة بين التصوف والتشيع، (ط٣)، دار الأندلس - بيروت (١٩٨٢م).

ابن مطهر: جمال الدين الحسن بن علي بن يوسف الحلي (٧٢٦هـ):

- تذكرة الفقهاء: مؤسسة آل البيت - قم، (١٤١٧هـ).

- كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، (ط١)، طهران (١٤١١هـ / ١٩٩١م)، تحقيق / حسين الدركاهي.

- منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، تحقيق / عبد الرحيم مبارك، (ط١)، مؤسسة عاشوراء للتحقيقات - قم.

المفيد: محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ):

- الاختصاص: مؤسسة الأعلمي - بيروت، (١٤٠٢هـ).

- الإرشاد في معرفة حجج اللّٰه تعالى على العباد، مؤسسة الأعلمي - بيروت، (ط٣)، (١٣٩٩هـ).

- أوائل المقالات، دار المفيد، بيروت، تحقيق / إبراهيم الأنصاري الزنجاني الخوئي، (١٤١٤هـ).

- تصحيح اعتقادات الإمامية، تحقيق / حسين دركاهي، دار المفيد - بيروت، (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م). وهو في طبعة أخرى بعنوان: تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد أو شرح عقائد الصدوق، دار الكتاب الإسلامي - بيروت (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

- الجمل: مكتبة الدواوري - قم.

- الفصول العشرة، دار المفيد - بيروت، (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م)، تحقيق / فارس حسون.

- الفصول المختارة، دار المفيد - بيروت (ط٢)، (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، تحقيق / السيد مير علي شريفي.

- المسائل السروية، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

مهدي المهريزي:

- نصوص الحديث ونهج البلاغة، تعريب أنور الرصافي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، (ط١) - قم، (١٤٢٢هـ).

الميرزا محمد المشهدي (ت حوالي ١١٢٥هـ):

- تفسير كنز الدقائق، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم، (١٤٠٧هـ).

ابن النديم:

- الفهرست، مكتبة الخياط - بيروت.

نصير الدين الطوسي:

- تلخيص المحصل، مطبوع بذيل محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي، مكتبة الكليات الأزهرية.

نظمي زاده مرتضى أفندي:

- كلش خلفا: ترجمة / موسى كاظم نورس، النجف، (١٩٧١م).

النعمان (القاضي نعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي، ت ٣٦٢هـ):

- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله ﷺ، دار المعارف (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م)، تحقيق / آصف بن علي أصغر فيضي.

النعماني (محمد بن إبراهيم):

- كتاب الغيبة، تحقيق / علي أكبر غفاري، مكتبة الصدوق، طهران.

النوبختي: (الحسن بن موسى، من علماء القرن الثالث الهجري):

- فرق الشيعة: دار الرشاد - القاهرة. تحقيق / د. عبد المنعم الحفني، (ط١)، (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

النوري الطبرسي ميرزا حسين:

- فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، نسخة مصورة عن طبعة إيران، (١٣٩٨هـ).

- مستدرك الوسائل، المكتبة الإسلامية - طهران (١٣٨٢هـ).

هاشم معروف الحسني:

- الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، دار القلم - بيروت، (ط١)، (١٩٧٨م).

اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت ٢٨٤هـ):

- تاريخ اليعقوبي، دار صادر - بيروت.

السيرة الذاتية للمؤلف

د. محمد زكريا النداف.

- من مواليد: دمشق عام (١٩٧٣م).
- إجازة في الشريعة من كلية الشريعة جامعة دمشق.
- دبلوم في الفقه والأصول من كلية الشريعة جامعة دمشق.
- ماجستير في الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم / جامعة القاهرة.
- دكتوراه في الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم / جامعة القاهرة.
- حاليًا مدرس في قسم العقائد والأديان، كلية الشريعة / جامعة دمشق.

• المؤلفات:

- الأخلاق السياسية للدولة الإسلامية في الكتاب والسنة / دار القلم دمشق.
- المودة بين الصحابة والقرابة - دار المعراج - دمشق.
- توضيح وبيان لأركان الإيمان / دار اليمامة - دمشق (قيد الطبع).

ضمن رسائل الوعي الاجتماعي:

١ - الحجاب لماذا؟ وكيف؟

٢ - عدة المرأة المتوفى عنها زوجها.

٣ - الزيارات واللقاءات الاجتماعية.

٤ - الشورى والحوار بين الزوجين (قيد الطبع).

٥ - ظاهرة تسامح الأئمة وتشدد الأتباع (مؤتمر التسامح / كلية الشريعة - دمشق).

مؤلفات تحت الإنجاز:

الحكومة الحديثة: ملامحها وأسس بنائها (جاهز للطباعة).

الحياة الاجتماعية في عهد الصحابة رضوان الله عليهم (قيد الإنجاز).

رقم الإيداع
٢٠١٠/١٣٣٩٩
الترقيم الدولي I.S.B.N
978 - 977 - 342 - 918 - 8

هَذَا الكِتَابُ

يعرّف بمسائل الاعتقاد عند الشيعة الإمامية من المصادر الأصلية التي يؤمنون بها، ومما كتبوا هم عن أنفسهم، لا مما كُتب عنهم، مستندًا إلى فهمهم للقرآن الكريم ورواياتهم الحديثية المعتمدة، دون الاعتماد على ما كُتب عن الشيعة في تراث غيرهم ولو كانوا من أهل السنة، فلا يأتي ذكر ما رواه أهل السنة عنهم إلا من باب الاطلاع أو المقارنة بين العقائد، أو لمعرفة مدى ما تميّز به علماء السنة من إنصاف للفرق الأخرى. ولا يتأتى ذلك إلا بعد جمع روايات أهل التشيع المعتبرة - عندهم - في باب العقيدة، وعقد المقارنات بين هذه العقائد؛ لنصل إلى إجابة على سؤال مهم مفاده: ما مدى اتساق روايات الشيعة الحديثية مع أفكار علمائهم؟ وهل شهدت عقائد الشيعة تطورًا بعد غيبة الإمام الثاني عشر؟

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية

هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢

فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)

الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)

www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

